

ورقة الغبراء أطيان



© مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع ، ١٤٤٧ هـ

جلن ، منى محمد
ورثة الغبراء ج ٤ / منى محمد جلن - ط ١ . - الرياض ، ١٤٤٧ هـ
٦٠٠ ص : معم

رقم الإبداع: ١٤٤٧/١٧٥٥٥
رسمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٥٩٣-٦٧-٧

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :

Www.Adab-Book.Com

مركز الأدب العربي

@Services_Book

@ServicesBook1

مركز الأدب العربي

adabarabic7

aladab@subeie.com



مركز الأدب العربي
للنشر والتوزيع

لطلبات النشر

+966582533504

+966590358100

المبيعات

+966561212210

+971569767989

دولة الإمارات العربية المتحدة

+201120102172

جمهورية مصر العربية

+963959306669 النشر +963959307770 المبيعات

جمهورية سوريا العربية

للطلب من المتجر الإلكتروني



تنفيذ الطباعة

مطبعة الكتاب العربي - الرياض

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق
استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبر عن
وجهة نظر المؤلف دون أدق مسؤولية على الناشر .

ورثة الغبراء أطراف (ج ٤)

منى محمد جان



١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م

إهداء

إلى نور،

وحده الله يعلم ما يحمل فؤادي
ويعجز لساني عن صياغة أحرفه.

تنويه

كل ما ذكر في هذه الرواية من وحي الخيال، ولا يُقصد به إنكار
الدين أو العقيدة.

مقدمة

القدَرُ الحتمي...
إليك أقدِّمُ الخطي...
فاقبلني دون ندم...
اقبلني بلا تردد...
وتحت جناحيك المظلَّمين...
أغمضُ عيني بسلام...

مصطلحات

البِنُّ:

١- البِنُّ المَهْجَنُّ: مَنْ وُلِدُوا نتيجة اقتران ذكر البِنِّ وأنثى من البشر.

٢- جيل الأولين: الجيل الأول والوحيد الذي أزهر من أورا، يتوحدون في تلون شعرهم، ووشمهم، أعينهم إما بالذهب أو الفضة.

٣- جيل الصفوة: الجيل الذي أزهر بعد جيل الأولين ومن أفندتهم، يتوحدون بلون الشعر، والوشم إما بالذهب أو الفضة، أما العيان فخلافًا لهما.

٤- الجيل الباسل: مَنْ أزهرُوا من أفئدة الأولين أو الصفوة، أوجدوا في زمن الحرب ومن أجل الحرب، تتلون أعينهم بأي لون غير الذهب أو الفضة، يختلف لون الشعر والوشم أحدهما بالفضة والآخر بالذهب.

٥- الجيل الضالُّ: مَنْ أزهرُوا بعد احتراق أورا، لا يملكون مثل صفات البِنِّ الآخرين، كما أنهم لا يملكون المعرفة.

٦- الْبَيْنُ الْمُخْلَطُ: مَنْ أَزْهَرُوا نَتِيجَةَ دَمَجِ قَلْبَيْنِ مِنْ أُنْثَى بَيْنٍ وَذَكَرٍ بَشَرِيٍّ، شَيْءٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْسَادِهِمْ هُوَ الْمَلَوَّنُ بِالذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ.

٨- آفَارِيُونُ/ آفَارُ: الصَّفْوَةُ مِنَ الْبَيْنِ مَنْ تَخْتَارُهُمْ أَوْرَا لِيَكُونُوا رِسَالًا لَهَا.

٩- بَيْنٌ مُخْلَطٌ وَحْشِيٌّ: الْبَيْنُ الْمُخْلَطُ الَّذِينَ دَمَجُوا قُلُوبَهُمْ مَعَ قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ.

١٠- الْمُخْلَدُونَ: الْبَشَرُ مَنْ هَرَبُوا بِقُلُوبِ الْبَيْنِ لَتَلْتَحِمَ قُلُوبُ بَيْنٍ مَعَهُمْ كَلِيًّا وَيَصْبَحُوا خَالِدِينَ.

الجان،

- ١- جيل الساقطين: مَنْ هَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ لِلْأَرْضِ مِنَ الْجَانِّ.
- ٢- الجيل الأعظم: الجيل الذي أنهى الحرب مع الْبَنِّ.
- ٣- الجيل الفاسق: الْجَانُّ الدِّينِ وَلِدُوا بَعْدَ الْحَرْبِ عَنِ يَعْمَلُونَ
بِالسَّحْرِ.
- ٤- الْجَانُّ الْمُهْجَنُ: مَنْ يَتَّجِ مِنْ تَزَاوُجِ الْجَنِّ مَعَ الْبَنِّ.

سابقاً في ورثة الغبراء

مزهرون

• رحلة جلنار المزهرة مع رفيقها شافير للبحث عن البن لطلب وقت إضافي في الحياة، وتقاطع طريقهما مع الساحر أريو ومتعاقدة الجان نامار اسطورة الجان وأقوى المقاتلين.

• لقاء فارديون المزهرة وزوجته سينا التي تكون في الاصل البن الخاص بفارديون وتستعيد فؤادها منه بعد ان فقدت السيطرة على نفسها.

• ظهور البن سيون رفيق نامار القديم واظهار حقيقة ان ابن نامار المتوفى لديه ذرية من بن.

• انكشاف كل الأسرار، ان شافير هو بن جلنار واسمه شاوران، نامار هو من احرق اصل حياة البن وتسبب في فقدانهم المشاعر، سيون هو والد أريو.

• تضحية جلنار بنفسها وإعادة فؤاد شافير له، ونبذ أريو في جزيرة بمفرده لحماية من أعداء سيون.

هجناء:

- بداية البحث عن ذرية نامار وابن دارسون، ليعلموا انه جندي لـ أوررا
- تقديم نامار حياته رهينة للملك الجان زائينيل مقابل عتق حياة ذرية إيلهاب.
- عودة سيون حيث أوررا ليعمل جاسوسا لـ نامار، وحيث أوررا التفر بـ إيلهاب.
- يستعين نامار بـ أريو للبحث عن سيون، لتقودهم طرقهم لمعقل أوررا ليتم اختطاف أريو واصابة نامار واختفائه.
- تعذيب أريو من قبل إيلهاب وجنود أوررا، وظهور نامار لإنقاذه واختطاف إيلهاب.
- إيجاد سيون مع والدته إيلهاب لايبالا وهما على شفير الموت، لترحل لايبالا بعد قص الماضي على ابنها.
- أوررا تستغل البنّ مثل لايبالا وتسلبهم حياتهم عبر الفيات تحت الأرض.
- قام ميزويا بسرفة فؤاد سيون وقدمه لأوررا حتى يعقد تحالف معها.
- ظهور البن هايرد المحايد والذي أنقذ سيون من الموت بمنحة قلب بنّ طفيلي.

- ظهور شاوران مع جلنار التي باتت مغلدة بمساعدة من فؤاد طفل سينا.

- ارتباط أريو مع ابنه شاوران وجلنار واسمها ليين، والتي لديها قوى خاصة.

- بداية البعثة مع سكارم لإيجاد الحلفاء

حلفاء:

- ماضي سكارم مع شاوران وظهور البن دوماط الذي عذبهم بحجة التدريب.
- ارتحال البعثة وكشف اسرار الماضي عبر لقاء الحلفاء من ندرين قائدة الاولين وماضيها الحافل مع نادياس.
- حقيقة وجود كيانات باسم الاطيف وهي سبيل انتهاء اورا في حال اجتمعت داخلها.
- معرفة ان وريث طيف النار هو ملك الجان زائيل.
- خيانة البن هيرانم لمملكة الجان وتسليم الجان المهجن له ميزويا الذي تاجر بأفئدة البن.
- غارة عشائر الجان على مملكة الجان وموت زائيل.
- منح طيف النار له نامار الوريث الأصلي له.
- غارة على اثران تسبب بموت شاوران وجلنار.
- جنون ليين من موت والديها واعصار طيف الريح.
- الشك في سينا كونها خائنة لتختطف ليين في الليل.

والآن الجزء الرابع والأخير من السلسلة أطياف،
أتمنى لكم قراءة شيقة

الفصل الأول

البداية

أعلم أنك ستعود...
لهذا المكان مجددا...
هنا حيث شهدنا بداية الكون...
قلبي الفارغ...
يَمتلئ بذكريات لا تُمحى...
امض حيث تريد...
فأنا دائماً معك...
داخلك...

أورا^(١)

ذات أوان، لم يكن للزمان مكان، والمكان لم يُخَظَّ بموضع له في
الأركان، بل إن الوجود كله كان مَحْضُ دخان، ومن هذا الانعدام، بين
كاف ونون، انبثق الكون أنفاسًا بألوان شتى، هنالك وَجِدْنَا، أطباقًا من
العدم ابتدعنا، بلا هيئة تُصَفُّنا، اسم يُعرِّفُنَا، كيان يُحدِّدُنَا، أو وطن يجمعنا،
في الظلام سَبَحْنَا، بين وجودٍ عَنيف تُهِنَّا، بلا أصوات أجمعنا، لنجد موطننا
عليه نَحْيَا، إنها فطرةٌ عليها جُبلْنَا، لنكون للأرض سُكنَا، وكما تعلم المَهْرة
السِر من أول خطوة، عَلِمْنَا موطننا في هذه العتمة.

التمع النسيج الأسود الأكل، بنجومٍ للظلام قاهرة، بوهج في
الأفق لامعة، كشرارات متلاشية، فلا غالب للظلمة الطاغية، ما هي إلا
غُمرسةٌ أحرقت ذاتها الخاوية، منبثقةٌ في الفضاء مُتَهاوية، فلغبارٍ مُتَناثرة،
لسديم ذي ألوان ساحرة، ونحن في طوفاننا هالمون، في كونٍ لا يفنا
نعاظمُ ضالون.

وحول النجوم الملبدة، التفت حبيباتٌ من الغبار متصارعة، مرئحة
بسرعة عالية، متصادمةً، متلاحمة، في الحجم متناقمة، لسعيرها الخاص
نافثة، للأوطان واهبة، أما الزمان بلا ضوء لأيام متعاقبة، فكيف يُقاس

١- للحفاظ على سلامة القراءة لن تتم إضافة هوامش لاستعادة الأحداث السابقة،
للتوضيح هذا الفصل يحكي قصة تاريخ الكون.

الزمان بلا ضياء للظلماء كاسحة؟ وأنى لنا من هذا الجهل حُجَّة واضحة؟
فما نحن إلا أطياف تائهة.

لتنهض غرائزنا صارخة، وللاستيطان آمرة، للقتال دافعة، وبقوة
اصطدامنا بالكواكب السائرة، دافعين بهم حيث شُمُهم الساطعة،
وحول فلكها طائفين، لنعود متصادمين، ويغضب الشمس تلَوْن أول
الهائمين، فسعير طيف النار انقَضَ علينا نحن المتعاركين، ولشطرين
أحَلَّنا متصربين، نحو الكوكب هوى الشطران متلاشين، بين حم
الكوكب اندثرا محترقين، هذا قلَدَرنا نحن الهائمين.

في فضاء يكاد الزمان فيه أن يتجلَّى تقاتلنا، ويكويكب آخر بعرنا، ليهوي
حيث سقط أولنا، متحطمين معًا متلاحمين، وبشظاياهما للقضاء قاذفين.
فتحرَّكت الشظايا متجاذبين، لكيان أبيض صانعين، لقمر يعكس الضوء
مُنْشِين، وحول غبرائنا طافا متناغمين؛ لِيُسْخِطَ صراعنا الفَلَك، ويوابل من
الشُّهُبِ قَذَف، هاوية لأرضنا ثاقبة، وثانينا معها سارقة، للأرض ماءً واهبة،
ولطيف الماء مبعثرة، لهذه الأرض مُبْدَلَة، ومن الماء انبثقت الجبال النارية.
مع المياه التحمت حم لَظِيَّة، حيث تكون الأوطان غَدِيَّة.

ليبقى اثنان متصادمان، بسخط الأرض تحتنا متعاركان، ويوابل من
الفَلَك ثالثا هوت ساقطة، لطيف الريح أنفاسُ حرة مترافقة، ضاربة
الماء عاصفة متطاولة، وحيث أنا بقيت مشاهدة، للسقوط والتلاشي
مانعة، في الفلك فوق الأرض لأزمنة مُرَاقِبة، لِيُحَال الماء صَقِيْعًا أَيْضَ

للمشمس عاكسة، لنقاء الأرض أنين في روعي لا يطل أي أذن سامعة،
يا ليت لي مشاعر للدمع هامرة، أيا ليت الأرض بقيت نقية وللزمان أبيّة.
ثم تحوّلت السماء لونًا جليًا، ومعها تلاشى النقاء أبدئيًا، كما الزمان بات
جليًا، لتقارب اليابسة ملتحمة وللحياة منها انبثاق، وللأخضرار عليها
بهاء، هامسة لي بالانصياح، إلا أني عصيت ولي عليها ارتحال، فلم أجد
إلا الخواء. لتمضي أزمان، دبّت الأرض حياة بكل الأشكال والألوان،
نباتات متطاولة عنان السماء، مخلوقات متكاثرة لعديد من الأجيال، أما
أنا وحيدة بين الخليقة، حيث لا عين تُبصر ذاتي المريرة، كيف يبصرون
هيتي المكدومة؟ أو يسمعون أصواتي المكثومة؟ فأنا للفكر محرومة، ما أنا
إلا طيف للتلاشي أبيّة، وضد الزمان أطوف محمية، فلا شاهد على حياتي
الأبدية، فكل من سبقني للأرض اندثروا، ولغاية خلقهم امثلوا.

من العدم أزهري فكر أولي، قهريًا سأحفر في الأرض وجودي، فهي
وطني حيث انتمائي، لأزهري مني الحياة كما غيري، فلم أجد أجهل من
النباتات لأشكّل هيتي، لأزهري منها مخلوقات هي قَدري، كما قُدّرتي،
هاتفين امتنانهم لعظمتي.

لنمسي الفكرة رغبة، فهوّسا، ثم جنونا، لأزرعن ذاتي أرضًا، لأنبت
من الغبراء صُعدًا، كبذرة تنفّج من الأرض فلقًا، لأزمنة انتظرت صبرًا،
إلا أن انتظاري طال أمدًا، لماذا تُغيّر من قبلي فورًا؟ ألا حقّ لي في الأرض
قطعيًا؟ أمّا ثمن من كان عاصيًا؟

لأخذن شظية من كل الأطياف، من الماء استقي الحياة، ولي من الرياح
اعتاق، أما سخطي فهو للنار امتداد، ما هم إلا شظايا تبعثروا في الأرجاء.
لأجدهم في زَيْدِ البحار المتلاطمة على الشطآن، مع الرياح العاصفة بين
الوديان، في حمم البراكين الرعناء، استرقت منهم ولي رجاء، أن أنهض
كصورة للغبراء.

مَنْ لِشَظَايَا تَنَاثَرُوا كَانُوا مَا كَرِين، حيث هم كانوا مترصدين، لاندثاري
جزءاً من الأرض مُتَطَلِّعين، وحين آيتُ الانصياح متأمرين، متَّحدين مع
الأرض مزهرين، لأشكال الحياة صانعين، لمكاني على الأرض ساليين،
طيف الماء كان أول المختارين، آخذةً منه لي ملتحمين، وللحياة بداخلي
متذوقين، لتبدأ معركة معه تمتد لسنين، للبقاء متصارعين، فما أنا مُسَلِّمةٌ
وجودي للأسبقين، أنا أَيْتُهُ لا أنصاع للفقوانين، لتتحب بقايا طيف الماء
بحزن الخاسرين، مُحْكِمَةً لِيَاةٍ داخلي بقبود المتصرين، فما هو إلا صورة
محطمة من الأولين، فانا كاملة بصورة الأطياف الأزليين.

لأقبض من شظايا طيف الريح ما استحيت، وبعواصف داخلي
أطلقْتُ، صارخةً بالحرية دَفَعْتُ، وبشظايا طيف الماء تَسَلَّحْتُ، متقاتلين
داخلي للانتقام هَتَمْتُ، إلا أني أَيْتُهُ انتصرت، وهذه الشظايا أحرست.
انتقلت لطيف النار الأخير، ليشعل شرارات سخطه السعير، وبداخلي
اندلعت نيران الجحيم، فتصارع الأطياف متلاحمين، للحياة متعطشين،

للغبراء طامعين، ما هم إلا شظايا مهينين، وأنا وحدي الكمال المستديم،
إلا أن رجائي في النجاة لا يفيد، وللاندثار كدت أميل، وجودي مشتعل
كالبراكين، متخبط في وَصْبٍ عسير، ثم تلاشى صوت النار المنيع، إلا أن
اندثاره مستحيل، فهو داخلي ذليل. أما الاثنان الآخران، وفي صراعهما
معني مقاتلان، فأخذتهما أخرسين، وعجبي لطيف النار الأبى، هو داخلي
ساكن مُستينس، لأعلم بعد سنين أن لي مسارًا عنه لا أحيد، فليتصارع
الماء والريح، فلا يهْمُ ما دام طيف النار في مساري أسيرًا.

موقنة واقعين مريرين، داخل مساري أنا أسيرة، أسرت ذاتي بعيدًا عن
أرضي الحبيبة، هذا ثمن الحياة بعيدًا عن الحرية، كما أني لست للاندثار
عصية، فنهايتي عند تَجْمُعِ الأطياف بي حتمية، لأقاتل الموت حتى
الأبدية، فلن يَمَسَّنِي شرهم ما دمت ذكية، فلي على الغبراء حياة سرمدية.
ذاتي دُفِنَتْ، لُسُبات طويلة استسلمت، لأزمان لم أَحْصِها لبثت،
ومن بين صلب الأتربة أزهرت، من كياني تَفَرَّعَتْ جذورًا على الأرض
أحكمت، فيها ومنها تأصلت، لأغدو غرسة صغيرة مع عظيم الرياح
تمايلت، ثم أزهرت أعظم مما كنت، وعلى خلاف الأشجار الخضراء من
حولي تلوّنت، أوراق بلون الشمس كما القمر تَصَبَّغَتْ، وجودي على
الأرض عَكَّست، ثم بكل ألوان الزهر أزهرت. لتمضي أزمنة، تكبر
فيها الأزهار متعاطمة، ولبتلاتها نابذة، وبدخلها للمخلوقات حاضنة،
لُسُبات هادئ ساكنة، وأنا في انتظار الحياة صابرة، فأنا ما أزال خاوية.

ثم أزهروا، عني انفصلوا، ومن حيث أنا ابتعدوا، بداية ولجهلهم في التصقوا، ولرغبتهم للأنس اتصلوا، بعير من أزهارهم بعثوا، فبات لهم من بعضهم وصال فاتلفوا، فأصبحوا بعد انعقاد بينهم بنأ على الأرض سبحوا، وعليّ أورا أطلقوا، أصل الحياة ليّ نسوا، ثم تجرأ منهم وعني ابتعدوا، حيث لا إيصاري غامروا، وعن رحابي المزيد ارتحلوا، وأنا حيث أنا أبيّة لا أنكسر. لتمضي أزمنة تناسوني فيها ووطنهم استكروا، وحيث مضوا صنعوا لأنفسهم أوطاناً متناثرة فيها تاصلوا، وعلى خلاف كل مدب كانوا للموت عصياً، كما للتكاثر زهداً، إلا أن للطمع في أفتدنه موطناً، وأعلنت الحرب فما لهم منها مهرب، فبات لأفتدنتهم المترعة إلى الأرض مرجعاً. لتمضي أزمنة فترهر الأفتدة من الأرض عتيّاً، ولجيل من البنّ أزهرت عشيّاً، ومن كانوا يوماً متصارعين باتوا ضد المستحدين عدواً، أما الأفتدة فكانت لشجع البنّ مارياً، فتكاثروا على الأرض واليهما اندثروا، وأنا حيث أنا أبيّة لا أمتعض. وحين انبعث رائحة دمانهم بطيب العبق زكياً، أسقطت السماء غضبها علينا شهاباً أجاجاً قضيّاً، ومن غضب السماء اختبأ الشمس والقمر خشيّاً، فغشينا الموت طغياناً عتيّاً، فما تبقى على الأرض من البنّ جباراً شقيّاً، أما أنا فهُجرت حيث كنت قطعياً، فتناثر كل ما كنْتُ عليه جليّاً، فأرتحل في سجلي التبعس أبيّة.

لتمضي أزمنة، تشرق فيها الشمس على الأرض بهجة منية، كما اللبالي حملت ضوء القمر أنسية، لينجو من الموت دواب أقليّة، أما أنا

فسأعيد الكرّة، والبنُّ مني مزهرة، على أفئدتهم قابضة بقوة، من دوني
 فلا وجود لهم، لأنهم الحياة من أعين مَنْ سبقهم، بأنّة ذاتي فيهم
 متشاطرة حياتهم، ومنّي سأهبهم سجنهم، فأنا أصلهم ولي أرواحهم.
 لأزهرنّ ثلاثة أسميتهم أفارين، ولأمانة مني حاملين، لشظايا الأطيار
 أميين، هم: حورا، نادياس، وثالثهم الأفاريون. النار داخل حورا فنحن
 متشابهين، في نادياس الريح سجين، وللثالث الماء هو عليه متين، لقد
 كانوا لي أميين، للوفاء حريصين، ولعهدهم باتباعي صائنين، ولمشاعرهم
 لي نصيب، فطعمت السعادة دون غيرها بيقين، إلا أنّ الثالث اللعين،
 اختفى دون سبب مُبين، أخذًا معه شظايا الماء فهو أثير، نادياس أنت
 بأمان من النار السعير، عليك بالخائن وعلى الطيف أنت أمين، ليتغيب
 وقتًا ليس بيقين، عائدًا بشظايا طيف الماء فهو لي أسير، أما الثالث فالمرت
 هو عقاب الخائنين.

لتمضي أزمنة، وللبنّ أنا مزهرة، فيهم من رحيقي مقدّمة، ولكل
 حياتهم داخلي امتلاّت حتى السُّكرة، لوجدانهم حُرمت المشاعر إلا
 البهجة، وبعد أزمنة لزّرع أفئدتهم أنا أمرة، ولبناء صروح لي أنا هاتفة،
 ليمثلوا نشوة بالغة، ولمن اختير امتلاؤا غبطة، وعلى مساري ارتحلت
 حفة، أزهروا لأبصر حيث أنا حيصة، على ذلك المسار أنا الآن طليعة.

لتمضي أزمنة، ينهض فيها البنُّ بصرخة من إحداهن صامتة، حملتها

الريح بقوة غامرة، هي لن تُنسى هامة، بأمرٍ مني تحركت نخبي
الصامته، من لحكمي طائعة، وحماية لي مقاتلة، لضعفهم أنا نازعة،
مقاتلين الأصوات المطالبة، بإسقاط حكمي آمرة، مقاتلين بينهم فازين،
وحيث لا أراهم مستوطنين، أما من تبقى من الأولين، لهم مني غصن
متين، فلا يهرب مني الدوائيون، ولأفندتهم سعادة ما داموا خالدين.

لتمضي أزمته، يُزهر ين لم يكن له مثل، هو الشمس الساطعة عند
المغيب، ذو مشاعر حامية مع الأزمان غير بالية، ومن نفسي أنا فيه زارعة.
فلحياته أنا شاعرة، لارتحاله حول الأرض أنا آمرة، لأرى الغبراء بحبي
لأزمان غابرة، بعيداً عن سجنني فأنا له كارهة، ومن عينيه رأيت الكون
بنظرة باهرة، كون كنت عنه جاهلة، أرض لطيفة، مشرقة، وساحرة، هل
هو الجمال من عينيك ما أنا مشاهدة؟ أم لأن الكون حملك فيه شمساً غير
غائبة؟ لم أنت أيها التيلوفر من أنا له هائمة؟ أنا من كنت دائماً خاوية؟ أنت
من حمل فؤاداً أنا لست عليه بقادرة، فللك من المشاعر ما أنا لست لك
واهبة، إلا أني لست لمشاعرك سارقة، فأنت أنتقى من الأرض الثلجية.
أكاد لنقائه باكية، تملكك بات رغبة، فهو ساء، ثم لمّا قهرتاً.

لتمضي أزمته، وفي يوم مشؤوم احتجبت فيه الشمس خلف القمر.
وبين كاف ونون، عصفت رياح الغضب، برقت السماء ومضات سَعَر.
صارخة بهزيم من الرعد، فتساقطت أمطار الوَصْب، وأبل ناري كالشهب

إنهم قاطنو الأرض الجدد، معشر الجان مَنْ بالأرض فتك. حيث أنا كنت أرتقب، بعيدًا عن مساري أنا في جهل، باعثة البين بالخبر، فعلمت أن الجان استباحوا الدماء، فالأرض وَمَنْ عليها في خطر، ليعتريني السخط، لن أبقى للجان عليها وطنًا؛ فاسترقت السمع كما البصر، كل معرفة الجان كان للبين منها كفل، جاعلة سيون قائدًا على كل ما أمر، للقتال فلننتلق، فأننا أيّة لا أنسحب.

لتمضي أزمنة، امتلات الأرض بالجنث، والنيلوفر للسعادة الذاتية افتقر، وفي يوم ذات سموم وسقر، لوّحت السماء بالغضب، بشهاب طارق يلوح في الأفق، وذعرًا من أن يتكرّر الزمن، حيث كلُّ مَنْ على الأرض اندثر، بعثت للجان برجاء أخرس، لتفادى سخط السماء قبل الندم، لأقابل بأذان لا تسمع، وفي ليل أظلم، غضبُ السماء علينا أقبل، بقليل من الشهب أنذر، ليتقهقر كلُّ لوطنه أدبر، وبعد أزمنة أعدنا الكرّة، وبعضنا قاتلنا، ثم تعاهدنا، كتعاقب الليل والنهار كانت أزمنتنا.

أما النيلوفر فعني تغيّر، لوجدانه أوقفت النظر، مكتفية بوجودي فيه استأصل.

لتمضي أزمنة أخرى، اقترب مني مَنْ كان رحل، بِنْ عن حكمي ارتد، أتى مطالبًا القتال في سبيل الأرض، وحماية ذوي البين طلب، إلا أن الموت وعد لكل مرتد، وسؤال كالحمس المارق طُرق، مَنْ من

الماضي أخبر؟ بالآفاريين أنا أتق، كما بالرحيق داخلي استشهدت، فلم
أجد داخلهما شيئاً من الحبث عليّ نُفث، هل نجا أحد الأسبقين وب
فَتَن؟ ليكن إذن، اليقين ساجد.

شعر حورا بالخيانة عندما عَلِم، وشعرتُ بها في كياني نازاً تستشيط
بالندم، ثبأ لك نادياس، أيها الغدار الأثيم، كيف تجرؤ على خيانة مَنْ بك
اتّمن؟ وحتى في استشهاد رحيمي داخلك لم أجد للذنب في وجدانك
أثر، فكيف تمكنت من الإنكار والهرب؟ سأستبط كل ما أرغب منك
قهرًا مُتترعًا، فانا آيئة ساخطة للرحمة أمتع. نادباس اعترف، قهرًا عن
هواه امثل، ولصرخاته المتألّمة لحنٌ عذب، لأعلم حقيقة ما ارتكب، كل
خيانة لي افعل، فباتت تأوّهاته طربًا لا ينقطع، ونغمي سبيلٌ لا ينجرف،
ووعيدٌ بالعذاب لكلّ مَنْ خان أصل وجوده وبعيدًا ابعد، ومَنْ عاشر ذا
النار فهم في حَزَن، أما بِنُ الماء فهم في سفر، لا كيّلن بلوي النار كما البِن
حتى الضنك، ثم أستعيد الأرض لي، فانا آيئة، أنا الأرض، وأنا أورا.

فكدت كيدًا ذا غُدر، من بين أنفاس نادباس علمت عن لا يالا
وعشيرها المُتَظير، أنه ابن الغضب المضطرم، انطلق حورا حيث الجان
على مساري يجتمع، دامهم بسمُ منك فلا عقل لهم بحتكم، فوسوس
لهم عن خائني قدر، منطلقين إلى حيث الجان المُتَظير، وكل ما تبقى منه
هو قرنٌ كُبر، وريش على الأرض قد نُثر، ليكُلّ عليهم الغضب نازًا

سعيًا لا تنقطع، وليُبدوا ذاتهم دون نظر، أولست خيرَ مَنْ مكر؟ إلا أنَّ مكري عليَّ انقلب، ليستعيد الجان عقلهم قُبيل الخطر، مخبرين الغضب أنَّ النِيلوفر هو الآثِم، وأنَّ أورا هي شرٌّ على الأرض حَكَم، ثم رابطي مع النِيلوفر انقطع، من الغضب احترق، وتلاشى فما عاد منه شيء ذُكر، فتملَّكتني السخط، وعلى قرينة الغضب انهمر، حورا عليك بها فهي انتقام مَنْ مني سُلِب، وحين قضى حورا ما حُكِم، إذا بالأرض تشتعل، والبنُّ عليها احترق، هو سخط طيفِ النار عليَّ أقبل، كالجلاد المتقم، وبأسرع من طرف النظر، وضع مغالبه عليَّ وبالنار اتقدَّ، فكلُّ ما كنت عليه بات هشيًا مع الرياح نُثر، لعلِّي لم أندثر، إلا أنَّ أصوات الأطياف المتناثرة من حولي استبشر، وشرارات طيف النار المكتوم داخل حورا ابتهل: «هذا هو المرتقب!»، فليكن ما يكون عليَّ بالنجاة من حيث احترق، حورا هل لنا بالفرار العَجَل؟ وفي مساري المحدود ارتحل، فهذا «المرتقب» أمر جَلَل، لتكن أزمنة أخرى لا أبالي فأنا أبيعُ لا أفل.

لنمضي أزمنة، فتك الجان بالبنِّ دون هوان، ثم هبط الإنسان، فانشغل الجان بطاعة السُّحَّار، أما الأرض فكانوا عليها جبارين، بأجساد عارمة تمتع الإنسان، ولقصر حياتهم تحاشوا النسيان، فصنعوا لهم حُجَّة للزمان، صروح كادت تفوق ما لدى البنِّ من جمال، ثم أتى الطوفان، فغرق قليل البنِّ في الأعماق. أما حورا فلا فتدة البنِّ زرع، منها البنُّ سقط، بهيئة خلاف

عما سبق، كوعاء للكون نضب، بلا شيء فيهم نبض، كل ما فيهم جبر لا يُغتفر، ليكن إذن هم لي نُخبة وفداء، ليكون لي نادياس بالمرصاد، ليُقبِل هو والثوار، محررين كل الضالين في الأسحار، تبًا لك نادياس أيها الخوار التيسر علي أن أجد الوطن، ومن الأرض أزهري كما سلف، فجمعت من البن نُير، لأفنتهم لي حق مُكسب، للأرض مآثم ومنها أزهري، فليست لشظايا الأطياف رغبة، ومن البن أزهري قائمة، وحين تطاولت شجرة صورة لما سبق، دفعت بذاتي إليها أستكين، ليكن ما كان، من أكون فريسة هذا الزمان، فلذاتي هيئة من فروعها تُصاغ، لن أكون جرد بعد الآن، لأكون مخلوقًا على الأرض سار، لأكون حرة من غير أغلال، لتحمل الرياح صوتي بالإكراه، لأرتوي من الماء حتى الإشباع، ولكل من خائني وعد باللقاء، وللموت أقودهم بكل امتنان، فانا الأرض، والأرض أنا، أنا أيَّة لا أغفر النكران.

انطلق واردون حيث يوجد الأولون، أولئك أول الصارخين، بعينيك رأينا أين هم قاطنون، ارتحل واردون مع الصامتين، ولأفنتهم كونوا ساليين، لأزهري منها شجرة للبن متجين، ومنها سأغذي ذاتي حتى حين، إنها هذا الجسد هيكلي لا يستقيم، من دون جنوري في الأرض أنا جثمان مهين، حورا اصنع من الأولين الصامتين، ليكونوا لي جنودًا مخلصين، وثمانًا لخياتهم هم دافعون، وبهمس كالأمل نادِ المخلصين، أن أورا حية لا

هشيم، فيأتوا إليّ أفواجا مُقسّمين، أن تُهلك المخلوقات حرباً وموتاً حتى يروا اليقين. ثم لنجد ذا النار المطرودين، من مملكتهم فهم لها كارهون، للملكهم الجديد باغضون، وبيننا ليكن العهد المستقيم، أن نطيع بكلّ مَنْ كان بنا غضيب، وبغائهم ليسعوا إليّ مستجييين، فلنقتسم الأرض كل جزء ميين، وذلك حتى حين، فأنا لا اقتسم ما لي فيه حق اليقين، الأرض لي وأنا قاهرة للجميع، فأنا أبتة لا أرحم المعتدين.

لنمضي أزمنة، ولقصص فسوق البين أنتحب، ليس مع الجان فقط رابطاً عُقد، بل مع الإنس أيضاً جيل قد صُنع، ومَنْ كانوا عن التكاثر زهداً، باتوا له مشوّقين، فاختلطت دماء البين الطاهرة مزيجاً مهيئاً، ليكن ما يكون، فأنا لهم مصباح منير، لا يهيم من أي دماء كانوا ما داموا لي صادقين، ولحربي مع المخلوقات مقاتلين، ثم بعد حين قدمت إلى إناث البين بالشجن، لأطفاهم الذين قُتلن دون سبب، راجعين إنقاذهم ووعد بالإخلاص لي عُقد، حسناً إذن، هم لي جنود صُرّم وأنتن لي حياة بلا خبر، فهذا ثمن فسوق من أنم، فأنا لكم بالنذر، ولأجل المزيد من النهم، ختمت على قلوب من نيت، فلا سعادة لهم في الأفق، هذا جزاء مَنْ بي خدر.

وعلمت أن الزمان لا يضيع حقاً قد تُهب، نسل الغضب ما فليل مستصغر، يطالب ثار دماء والدته من أسفل منه لحظه، إبه سلطان المرتقب، وهو رد حقي الذي نهيه الغضب، ليكون لي جنداً حين الحشد.

ولا كيدٌ بالغضب كيداً حتى القهر، لأرى هل الوطن أهم من رابط قد
قُطِع؟ لا يهم ما حدث؛ لأن الغضب عن الغسق قد حُجِب، لأقسم قَتَلْتُ
بِنَسْلِهِ أو قَتَلْتُ نَسْلِهِ بنارهِ حرقاً حتى الشَّع.

ثم أقبل ذلك اليوم الذي فيه علمت، عن وجود شمسي حباً يُرْزَق.
ليتكلَّل الجنون أكثر مما سبق، فلغزاهه محبوبة بها افتتن، فما عاد له قلب
لأجلي نبض، هو ملكها وداخلها انقبض، لأكيلُن بها ومن منها صنع.
ليحمل الإنس الذنب لما حدث، أما النيلوفر الخاص بي فإني يرتجع، فهو به
أنا ومن به أبتَهج، لأغفرن زلته فما هو إلا نقاء على الأرض وُجِد، سيون غد
لي مسارعاً الخطى استَبَق، فأنا هنا أنتظر، حيث بداية كوننا اصطبر. فبعثت
بأبطش جنودي، مخلَّط لا يعرف للحس شعوراً، وبقرينة النيلوفر اصطنع
جنوناً، أما سلالته فمن الموت كان نجياً، وسيون كان شقيّاً، لا بأس فلنا في
الأسحار لقاء قد كُتِب، كما لقلبه دفء لي نبض، فهو لي منذ خُلِق.

لتمضي الأيام، وأنا أنتظر، فأتى البين المرتقب، إنه النيلوفر كما كان قبل
أمد، خافضاً لي رأسه كما عهد، مُقسماً لي بالقسم، أنه لي ما دام في الأرض
أمل، عدا أن فؤاده لي رفض، وبأغصاني احترق، هذا عقاب من بقلبه
جحَد، لا بأس فهو ذو روح طهر، فما حاجة القلب إن كنت في الروح
حُفِرَت، فأنا في الأصل طيف بلا هيكل قد وُجِد، إلا أني أيُّه، لا أتخلّى
عن حبٍّ نَبَت.

كم كنت غيبة؟ لأصدق كلمة «أبدية»، فلا يوجد في الكون ما يُدعى
أبدية، لقد كان هنا من أجل أمنيّة، إزالتي من الأرض قسريّة، ومع
الغضب اتفقا سوياً، لإحراقي ومن معي أبدياً، أنا لا أدع شيئاً ينساب
هدراً منسياً. لِيُقبل عليّ الغد بفوج مائي، مطالِباً للحلف، ولهم في الماء حق
مستب، هم مَنْ كانوا يوماً للعهد خائنين، في قلب ميزوياً حب للملك
ناضل، وحسداً لي تاجج، إلا أن سؤالا قد توقّد، كيف للينّ دوناً عن
مساري مَنبت؟ فطيف النار لهم بالمرصد، لا أفئدة عن مساري تَنبت، هل
لِطيف الماء من هذا مارب؟ كيف وهو متناثر الهينة؟

عادت النظر، إن للينّ فيهم شيئاً من الماء ومني، فغضبت شر غضب،
إلا أن الينّ قدّم لي السلوى، قلب النيلوفر لأرضي، سمعت نبضاته تحت
الصدف يجبا، هو للحرية ينادي، إنه فؤاد للأسر يُنافي، فهو للشمس
يُضاهي، وبين يدي رأيت اللون الأزرق الباهي، هو حقاً ملكي دون أيّ
مُنادٍ، إنه للحبيب الغالي، إنه كل ما تمنى فؤادي.

ومن سكرتي أفقتُ، حين أخبر المائي عن النبا، أن نادباس الملعون
بالأطياف جمع، فطيف الماء كامل دون تَلَف، وإن صدّق الخبر، فلطيف
الريح نصيبٌ من النصر، كيف لنادباس أن يجمع ما نُثر؟ ثم هنالك طيف
النار السُحْم، هل هو أيضاً التَحَم؟ قيل مَنْ يحملهم له الشرف، وقوة
الأطياف امتلك، إذن هل يحملهم البشر؟ أم لمخلوقات أخرى المجد؟

أَيَّا يَكُنْ، لَا مَفْرَءَ مِمَّا حَدَثَ، لَا غَيْرَ هَذَا الْقَدَرِ، لِهَذَا الْجِلْفِ اتَّفَقَ، وَبِقَلْبِ
النَّيْلُوفَرِ عَقِدَ، هَذَا الْفُزَادِ الَّذِي بِهِ فُتِنْتَ، هُوَ لِي حَتَّى لَوْ قُتِلَ، فَأَنَا أَبِيَّةٌ لَا
أَفْقِدُ أَوْ أَفْقَدُ مَا لَمْ أَشَأْ.

ثُمَّ شَاءَ الْقَدَرُ أَنْ يَسْعِدَ فُزَادِي، وَجِدَ نَسْلَ سَيُونِ أَمَامِي، لِأَفْعَلَنِي بِهِ
مَا فَعَلْتَهُ بِسَلِيلِ الْغَضَبِ، فَيَسِيونَ حَيٌّ أَبِيٌّ عَلَى الْأَرْضِ سَبِيحٌ، لِأَجْعَلَ
نَهَايَةَ أَعْدَائِي قِصَّةَ تُرُوي كُلَّ سَمَرٍ، هُمْ مَنْ عَلَى أَيْدِي نَسْلِهِمْ فَتَوَا، إِلَّا
أَنَّهُ غَضِيبٌ لِلْوَسْوَسةِ أَبِيٍّ، نَاطِرًا إِلَيَّ بِكُلِّ حَقٍّ مُتَّعِدٌ، لِيَقُولُنَّ مِثْلَ مَا قَالِ
الْحَاطِنُ التَّرْقُ:

- سَتَدْفَعِينَ ثَمَنَ ذُنُوبِكِ، هَذَا قِسْمٌ عَلَيَّ كُتِّيبِ.

لَأَحْصِدَنَّ رُوحَكَ أَيُّهَا الْمُهْجِنُ الْقَدَرُ، وَبِكُلِّ حُبِّ سَيُونِ لَكَ سَأَنْتَقِمُ.
الْآنَ سَمُّ حُورًا فَيْكَ قَدْ نَفَثْتُ، وَكَعْبِدَ لِي عَلَى النَّيْلُوفَرِ سَاحَتِكُمْ، إِلَّا أَنَّ
الْأَرْضَ اشْتَعَلَتْ نَارًا وَهِيَجَا قَدْ نَفَثْتُ، وَالْغَضَبُ مِنْهَا دَخَانٌ مَشْوُومٌ
يَنْدَفِعُ، فَتَعَالَى الصَّوْتُ:

- هَذَا هُوَ الْمَرْتَقِبِ.

ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ الْغَضَبُ، وَبِخَوْفٍ مِنَ الْمَاضِي تَصَلَّبْتُ، عَلَيَّ الْفِرَارُ مِنَ
نَارِ السَّخَطِ، وَبِأَسْرَعٍ مِنْ طَرَفِ عَيْنِي هَبَطَ النَّصْلُ، مُهْلِدًا بِالْقَتْلِ حَتَّى
يَنَالُ الرِّضَا. فِي ذَلِكَ الْيَأْسِ مَكَثَتْ، بِذَعْرِ مِنَ الْمَاضِي انْتَضَضَتْ، وَعَجَزَ

عن الانتقام ذبلت، ثم انتفضت بهمس من الأطياف حولي نهضت، حتى طيف النار المكتوم همس:

- تهبّي، آن دفع الثمن، لقد استوطنت ما ليس لك فيه حق يحاسب،
فإن كنا سنندثر، فأنت زائلة دون أثر.

حسنًا فليكن، لا انتظار بعد وَصَب، لأنّهينُ المخلوقات وكل نفس ذائقة
السخط، آن أوان الندم، ليشعل الجحان في أنفسهم سقرًا، وليدفن البنُّ من
بعضهم وزرًا، فأنا أبيتُ لا أندثر، أنا أورا، أنا الأرض، والأرض أنا.

الفصل الثاني

الحرّاك

الهمسات في أحلامي تخبرني ...
عن أشجان ستحيطني ... لأتضرّع الرحمة ...
وعود مريضة، كريمة، تلاشت ...
لم أكن أعلم ...
أحلام ضائعة لا تسترد ...
ذكرياتي تخبو، قلبي متصدّع من آلام رتيبة ...
رماد روحي المحترقة أمسى فاتراً ...
أعذار باقت غيرة، تحت قمر باهت ...
الدفء الذي أحاط بك ... اختفى دون عودة ...
ما كنت لتعلمي ...
غارقة في الألم الأزلي ...
ذلك الندم المتأخر ظل يطاردني ...
لأزهار الحياة التي اختفت بلا مغزى ...
كيف أمكنك فعل هذا بي ؟

ليبين

هل كانت السماء يوماً بهذا الصفاء؟ إنها زرقاء كما لم أشهد لها من قبل،
 هي نكهة تُعطي بصائري، كم أتوق للظلام، لأخلق عيني الآن، إلا أنني في
 هذا الحد حبيسة، كم لبثت على هذا الحال؟ لا أعلم إن كنت أقصد وعيي
 أم لا، لا أعلم كم من الزمن مضى، كل ما أشعر به هي الرياح تداعب
 حُصلات شعري المتتارة على هذا المزروق المترافس فوق أمواج الماء،
 وباشعة الشمس نصب عيني وحدي طيلة النهار، وعندما يجل الليل
 تراضي النجوم السابحة، أما سحاتي فلا تسقوه بكلمة، من حينٍ لآخر
 أرى ظنناً مني يلترب، أشعر بعينها تنظرني ليلاً، أما أنا فعني عينا
 مستند لا أرى عبر السماء.

حدثت إطلاق الخلقة في، لعل أنخلص من السم الذي سكن
 حدي، لكن لا حدود ليس وعي وحده الحس، بل حتى قوتي، لم
 أعده يوماً أن سافلتها على استخدام قوتها لوقت طويل كهذا، إلا أنه
 حد الحكيم، هل علمت حقاً شيئاً عنها؟ لم اعتقد يوماً أنها ستخونني
 وولمسي بعد أحضرت العدو إلينا، ليقتل من اعتبرها لها عائلة، والداي
 خطيب المعلمان، السكبان، المندثران، هل لي لقاء معها قريب؟ وإن
 دد، فلما هو الأمر، ماذا سأخبرهما؟ هل أقصّ عليها خيانة يسينا؟ أم أذع

كل هذا في الأرض وأتضي أهديتي في سلام؟ وأين هو ذلك السلام؟
أريد الانتقام من هذه التي قتلت أعز ما على وجداني، لقد أطفأت الحياة
داخلي، وانتزعت البهجة مني.

كم أشتاق لصوت أمي، ورائحتها وهي قرية مني، دفء أناملها
الرفيقة ثريت على شعري أثناء نومي في حجرها. ثم هنالك أبي، أريد
لحظه الغامر أن يمدني بالأمان، علمت أن لا أذى يمسنني ما دام هو
تحت الشمس، يمت قرية العين بكل اطمئنان، وصوته الهاتف لأنهر
كلما سقطت أثناء التدريب، لظالما أزعجني هذا، إلا أنني أشتاق لصرخاته
الآن، أرغب بالنهوض، القتال، والانتقام، إلا أن الأصوات التي دفعنتني
للإمام رحلت دون عودة أو صدى يتردد في الأزمان، وإذا بالدمع من
عيني ينهر، لقد بكيتها أنهارا وما تزال دموعي لا تنضب، أشتاق
لنبضات قلبها حولي.

مع طُرف عيني وأخرى أفقد وعيي وأعاود تكرار الأفكار، بين والذي
ثم أصدقائي في «أثران»، هل يعلمون ما حل بي؟ لا بد أنهم يفعلون، لقد
مضت أيام أو ليالٍ منذ اختطافي، هل يعتقدون أنني رحلت بعيدا بإرادتي؟
لا، هم أذكى من هذا، ما كنت لأقدم على قتل نفسي وتعريض كل أثران
للخطر، لعلهم في بحث عني الآن.

سيون سيحرك كل أثران بحكمة لإيجادي، غارينا تجوب السماء بحثا

عني، سكارم ينطلق بسرعة كبيرة يتقصّى أيّ أثر لي، لعلّ نامار هنالك الآن، يشعل الأرض كما السماء نار غضب، وإيلهاب يحاول منعه هو وأريو من ارتكاب حماقة ما والانطلاق بطيشٍ لإيجادي، في حين أنّ إيلهاب ذاته بالكاد يكبح جماح غضبه، إلا أنه يستخدم عقله من أجل رفيقه حتى لا يؤذي ذاته، أريو رفيقي المسكين، لم يحظَ بالراحة منذ عرفني.

كم تمنيتُ أن تنتهي هذه الحرب بسرعة، ثم نمضي ألفيات سوية، مع والدي ورفاقنا في أثران، بعيدًا عن الخوف، القلق، حيث ننعم بالأمان، ولعلنا نكون محظوظين كوالدي فتنجب أبناءً لنا، ولربما إن رحلت أورا يستطيع باقي المخلوقات فعل المثل، ما زلتُ أذكر رغبة غارينا وسكارم اللحة للحصول على طفل، أريو أيها المسكين هل تجعل فؤادك يبحث عني الآن؟ لعلك تفعل، بل أنا موقنة أنك تحاول إيجادي بكل وجدانك، إلا أنه حتى أنا غير قادرة على التواصل معك، أنا أحاول منذ أمد، لكن يبدو أن الشيء الوحيد الذي يعمل في الآن هما عينان وعقلي، وقليل من الأنفاس التي أخذها حتى لا أختنق.

الآن يرسو القارب الذي حمل كلاً من لييين وسجانتها على شاطئ ما. بدأ صوت تمخّط الأمواج على رمال الشاطئ جلياً، إلا أنّ لييين غير قادرة على نبيّ أيّ معلّم للمكان الذي رست عليه، وبينما كانت تشهد اتصال القمر بدرًا، شعرت بخطوات سينا تقترب منها، وعلى عكس كلّ

مرّة لم تتوقّف قبل أن تراها عينا ليين، بل وقفت فوقها، تنظر في عينيها. وفي دجى الليل حتى والقمر يضرب بشعاعه الأرجاء لم تتبين ليين وجه سيناء، فقد أمالت رأسها قليلاً نحوها بينما ظلّت على انتصابها واقفة. وشعرها الورقي الأسود تساقط على جنبي وجهها مانعاً أي ضوء من عبوره، وبالرغم من هذه الظلمة التي أحاطت كيان سيناء إلا أن عينيها البنفسجيتين لمعتا بشيء غريب، لقد نظرنا نحول ليين دون تردد، دون ندم، أو أسى، لقد حملنا يقيناً لا ينقطع، وفيها رأت ذاتها الأسيرة مستلقية بين قدمي سيناء، وفي لمح البصر شعرت بوخز يصيب ذراعها لتشعر بالخدر. بها لديها من قوة نظرت، لتجد شيئاً من أشواك سيناء تنفّرع من قدمها مصيبة ليين بشيء من السموم التي حُفِظت داخلها، فتلاشى العالم لسواد أخرس، كظيم.

شعرت بجسدها يطفو في الأرجاء، ومن وهلة لأخرى تمكّنت ليين من فتح عينيها الثقلتين بالنوم، لترى الأرض أسفل منها تتحرّك، بعد عدة مرات تكرّر فيها الأمر تمكّن عقلها المخمور أن يفقه حقيقة أنها هي من يتحرّك، أحداً ما يحملها ويتقل بها إلى مكان ما، أرادت استدعاء طيف الريح لتنقذها من مصيرها الذي تجهله، إلا أن الريح لم تستجب، ظلّت ساكنة داخلها كمن يترقب هبوب العاصفة التي لم تكن من صنعها، وفي هذا السّخّم الذي أصاب روح ليين همست الريح بصوت متودّد:



«ليس بعدُ، لم يأنِ أوان القدر.»

وفيا تلاشي نظرها مجددًا، وبآخر سَمْع لها وصل إليها صوت الحصى أسفل قدَم مَنْ يحملها، لم تكن سينا بمفردها، هنالك ثلاثة، وأقدامهم تحتكُ بالأرض بقوة مثيرة صوت احتكاك الحصى ببعضها البعض، هم يسيرون لمكان مرتفع، لعله جبل أو هضبة، ومع تلاشي وعيها رجت بكل كيائها ونياط فؤادها:

«ارجوكم لتجدوني.»

تبعثرت الأصوات في الأرجاء، كمن يتناثر صداها بين جدران كهفٍ ما، ومع تطاير الكلمات لم تفقه لبيّن ما يُقال؛ فقد اختلّطت عدة أصوات معًا، كلُّ ما استطاعت سماعه في ومضات وعيها المحطّم هي هذه الكلمات:

«آن الأوان»

«تذكّر العهد»

«كيف ستنجين؟»

«ذاكرتي»

«مرعد للقاء»

«في ذلك المكان ذاته»

«وداعاً... ثادياس»^(١).

آخر كلمة جعلت لييين تتفرض متسائلة:

«ثادياس؟ ألم يُقتَل؟ أما زال حياً؟ ما الذي ينويان عليه؟ تباً لهذا، هيا لييين تحركي، اصنعي شيئاً، اصرخي، قاتلي، لييين لتنجي، أيها الجلتار أرجوك تحرك، أبي، أمي أرجوكما امنحاني القوة».

شيئاً فشيئاً تمكنت من فتح عينيها، لتجد الأرض من حولها متموجة كأمواج البحر تضرب بالشطآن، وبعد المزيد من التمعن، علمت أن الأرض عكست حركة الماء المتلألئ بأشعة الشمس المتراقصة على أمواجه، وبكل ثقلٍ أدارت جسدها لتواجه السقف، بل لعلها السماء، تشقق بغضب من النيران، ليعتليها الذعر، إلا أنها تماثلت ذاتها لتعاود النظر، فتجد أن ما يعتليها هو سقف زجاجي، حل أمواج البحر من فوقه كسماء تتخللها أشعة الشمس التي بالكاد اخترقت ظلام الأعماق، وبين هذه الخيوط الوحيدة سبحت الأسماك، وكل من في البحر طاف، لتحبس لييين أنفاسها من روعة الجمال، وللحظات وجيزة نسيت أنها أسيرة ومن الموت وشيكة، وفي هذا الانبهار، استيقظت على صوت خطوات سينا تقترب، لقد باتت خطواتها ذعراً تعشش في فؤادها، وعند رأسها جلست سينا القرفصاء، ومجدداً شعرها حولها ينسدل، فما ظهر منها إلا

١ - الآفاري الذي خان أورا ووضع كل المخططات لتدميرها.



ذات العينين البنفسجيتين المتقددين باليقين المنقطع، مدت يدها وعل كتف
ليبين ضغطت، ليعاودها الوخز، وبهمس يكاد يكون حزينا قالت:

«لا يمكنك فعل هذا فتاتي، عليك توفير قوتك، قريبا نصل للمكان
المرتقب، والآن عليك النوم مجددا».

ولاول مرة منذ أيام تمكنت ليبين من نطق كلمة واحدة من فمها قائلة:
«أكرهك».

ثم عاودها النوم قهرا عنها.

ضرب ضوء الشمس بقوة جفني ليبين، إلا أنها لم تتمكن من فتح
عينها بعد، كل جسدها يصرخ ألما، كل حواسها مخدرة، إلا من صوت
الأمواج التي كانت كالعذاب في مسمعها، هي لم تصل لليابسة بعد، وأي
أرض تنتظر أن تصل؟ إنها منهكة حد الموت، جسدها بالكاد يصارع
للبقاء بسبب ما افتعلته بها سينا، ومع مضي الوقت الذي لا تعلم مداه
بعد، شعرت بقلبها يغرق في يأس مظلم بلا نهاية، بلا أمل في الأفق، لا
بدلها أن تتق بأصدقائها، بأنهم قادمون من أجلها، وبالرغم من هذا شيء
مادخلها رغب أن تتوقف عن الثقة، ألا تعلق آمالها أو حياتها على أحد،
فأقرب الأقربين إليها خانتها ووالديها، سينا كانت كأثم ثانية لها، والآن
نعت بحياتها دون تردد، فما الذي يمنع الآخرين من فعل الأمر ذاته؟ ما
الذي يمنعهم عن غدرها من أجل حيواتهم؟

لا شيء يقيني مع المخلوقات، وحتى هذه الرابطة التي مع أربو لم تُعد شيئاً موثقاً به، ربما لهذا السبب لم يجدها بعد، أو ربما فعل إلا أنه لم يرغب بالمخاطرة بحياته من أجلها، فالرابطة ليست قوية مقارنةً بغرائز النجاة. لقد سمعت من هذه القصص الكثير، بنٌ منحوا أفئدتهم لروابطهم من البشر، ثم انتزعوها بكل غرائز البقاء، كما حدث مع والدها الذي أحب والدتها حتى تبعها للموت، هو ذاته انتزع فؤادها من صدرها يوماً ما، فالبقاء أقوى وأبقى الغرائز، وهذا يقود لبيان لأمر آخر، لماذا لا تشعر بغريزة للبقاء؟ هي لا ترغب في الموت، إلا أنها لا تحمل في داخلها رغبة ملحة للحياة، تلك الرغبة التي تتفرض داخل روح وجسد كل من يشارف على الموت، لتشعر كما لو أنها نعمة تُساق للموت دون حول ولا قوة.

من الأفق البعيد، تغنى صوت طيور النورس في السماء، علمت ليين أنهم اقتربوا من اليااسة، فجأة شعرت بعقلها المنجرف يستيقظ من سكرته، وبجسدها يمسي أخف وزراً، لكن ليس بما يكفي للتحرك، تفتح عينيها فتجد سينا نصب عينيها، لتنحي عليها وتمس في أذنيها:

«انبذي الهالوك من داخلك، تمسكي بالجلنار، ومهما حدث لا ترخي قبضتك، إياك أن ترخي قبضتك».

لم تع ما تعنيه سينا، ولا يهملها أن تفهم؛ لأنها ما إن أنهت حديثها حتى نهضت متفوضة من حيث هي، ناظرة لمن أحاط بقاربهم، هم مخلوقات من

كل الأصناف، علمت ليبين أن هنالك وجهتين على الأرض حيث تختلط المخلوقات، أولهما الوطن أتران، ثم أرض العدو حيث أورا، تملكها دعر سحر روحها حين علمت أنها في أرض العدو، ولأي سبب؟ لتأنيها الإجابة فوراً.

سينا: «لا تهاجوا، فأنا أحمل معي عطية لأورا».

«أنت من مع نادياس ارتحلت، بن من الجبل الضال».

«كل من لهم علاقة بن نادياس شر، أنتم من ترغبون إنهاء أورا».

ومن تحتهم البحر اهتاج، مرتفعاً جبلاً نحو السماء، لتقوم سينا بضرب الزورق بقدمها موقفة حركة الماء، صرخت بصوت صدى في الأرجاء:

«لا يهمني نادياس ولا تهمني الحرب، كل ما أرغب به هو ضمان للأمان، خذوني لأورا، لدي من المعلومات ما يكفي لسحق أعدائها، كما أن لدي هنا شيئاً من الأطيف».

ليساءل جان مهجّن: «أطيف؟»

سينا: «مخلوق جاهل مثلك ما كان ليعلم عما أتحدث».

قولها هذا أغضب الجان ليقبل عليها بقبضة من نار، لتنفث عليه غباراً أبيض فيخر حيث هو يصرخ، علمت ليبين أن هذا أفيون غارينا، لا بد أن المهجين في أشد أنواع العذاب الآن، حينها توافدت عليهم المخلوقات

لإنهاء تهديد المقبلين عليهم، فهتفت سينا بأعلى صوتٍ لها قائلة:

«أورا، طيف الريح هنا معي، أحقاً أنتِ قاتلة مَنْ أتى لك بالسلام؟»

ما إن أنهت سينا قولها حتى تجمّدت المخلوقات في مكانها، وحملت هياتهم ذعراً وحذراً، وبهدوء تراجعوا عن هجومهم، ليخفّض أحدهم الزورق مجدّداً للبحر قائلاً:

«أورا تدعوكِ للامثال أمامها».

لم تأبه ليبين لأيّ ما يحدث؛ لأنّ عقلها توقّف عن العمل عندما سمعت سينا تقدّم طيف الريح لأورا، لم يغيب هذا الأمر عن بالها منذ لحظة اختطافها، إلا أنّ جزءاً منها لم يردّ أن يصدق، أو ربما هو بصيص أمل ذليل، على أنّ سينا ليست بهذا السوء، لعلها لن تفعل شيئاً يؤذي كل المخلوقات ويحكم عليهم بالهلاك، أما الآن فقد بات كل شيء جلياً كما السماء، هذه البين لا يحميها شيء على الإطلاق، لا توجد أيّ كلمة في أي لغة من لغات العالم تصف هذه البين أمامها، هي متيقنة أنه لم يبر على الأرض مخلوقٌ مثلها يوماً، ولم تشهد الأزمان على أنانية، مكر، وخديعة كما افتعلت سينا.

توقّف قاربهم عن الحراك، ورسا على الشاطئ، أما ليبين فهي تطرح آلاف التساؤلات، هل ستنجو إن انتزع طيف الريح من داخلها؟ وحتى إذا لم تمث من انتزع الطيف، فأورا ومن معها سيقتلون، وهل سيعلم



أحد حقيقة وجودها؟ أنها مخلوقة لا يجب عليها أن تكون، وإن علموا، ما هم فاعلون بها؟ أحقاً لا يبحث عنها أحد؟ لقد مضى ما يقارب الأسبوعين أو أكثر إن لم تخطئ في تقديرها، أحقاً لم يتمكن أحد من إيجادها خلال هذه المدة؟ هم ليسوا بأغبياء ليستبعدوا تواجدها هنا، فلم لم يأت أحد؟ هل كل روابطها حتى الآن محض وهم؟ أحقاً هذه هي النهاية؟

غرقت في التساؤلات حتى إنها لم تشعر بـ سينا تحملها من القارب، مبتعدةً بها عن الشاطئ، لم تع على ذاتها إلا عندما رأت أن المشهد في عينيها تغير، الآن لم تعد تنظر للسماء، بل إلى أرض خضراء تنائر فوقها القليل من الأزهار البرية البيضاء، المترافقة مع نسائم الهواء الحذرة، هذه الأزهار الصغيرة، البرية والأبنة، يتم دهمها تحت أقدام الأعداء دون اهتمام، لقد حطموها كأنها لم تك شيئاً، ولعلها ليست شيئاً فلطالما فعلت لـ لين الأمر ذاته، إنها مجرد أزهار ملأت الأرض، فإن تحطمت واحدة لن تشكل فرقاً، أو تقلب موازين الأرض، إنها مجرد زهرة واحدة فقط، مثلها مثل لين التي شعرت بأنها واحدة من هذه المخلوقات الصغيرة، يتم تحطيمها دون أدنى ندم أو اهتمام، فمن هي بين كل المخلوقات؟ مجرد وعاء وجد ليحمل طيف الريح، لا شيء أكثر، لا شيء أقل، مجرد إناء فارغ، لا أهمية لها بعد أن تنحطم، لتستبدل بغيره، إناء آخر للأطراف.

«ابنها البين، أتعلمين من أكون؟»

صدى صوت مشووم، غليظ من الاتجاه الذي تُقاد إليه، ومعه توقفت
سِينا عن الحركة، شعرت ليبيّن بأنفاس المخلوقات من حولها تُجسّ دُعًا.
كَانَ الموت تجلّي أمامهم، بل إن الرياح من حولهم تجمّدت دون حراك.
سِينا: «أعلم؟ بل أنا أذكرك جيدًا حورا^(١) الآقونيطن الأسود، لعلك
أنت مَنْ لا تذكرني، فلقد أزهرتم مثلي الكثير».

بدا على صوت حورا الغضب، كما الازدراء الكامن عندما أجاب:
«لعل نادياس الخائن لم يعلمك احترام الأجيال، فهنا يجب تقديم التقدير
لكل مَنْ سبقك، خاصةً وأنت مجرد ضالة».

سِينا: «لم أنجُ عبر الألفيات وحتى هذه اللحظة بتقديم الاحترام، ولن
أبدأ بتقديمه الآن».

«ستفعلين كما تؤمرين، وإلا...»

قاطعته مستهزئة: «ولا ماذا؟ هل ستسّميني؟ تجلّديني؟ لقد مررتُ
بالأسوأ، لست تخيفني أيها الآفاري، فما أنت إلا بِنُّ جبان».

فجأة صدى صوت الريح وهي تتمزّق من حركة سوط عالية،
ليتنفّض جسد سِينا، فتُلقي بِـ لِيبيّن أرضًا ليتحول نظرها للسماء، ثم
تلوّنت الأرض بدماء سوداء، وتذبذبت الأجواء من حولهم، لم يتحرّك

١ - الآفاري المخلص لأورا، وزهرة الآقونيطن الخاص به شديدة السميّة وقادرة على
إدخال العقل في حال ذهان.



أحد من المخلوقات أو يهمس، عدا أن لييين شعرت بأن كل فؤاد ينبض
ذعرًا مما يحدث، الأمر الذي جعلها تجزع لَقَدَرِها، خاصةً هذا الحورا،
لقد سمعت عنه الكثير من القصص المشؤومة، ليس فقط من رفاقها في
البعثة، بل من معظم المخلوقات في أثران، أولهم سكارم وغاريننا، مع هذه
الفكرة؛ إذ بابتسامة في فؤادها ترتسم.

لم تكن بالتأكيد ابتسامة سعادة، بل سخرية من الحال التي أمست
عليه، معلقة بحبال، يتم اقتيادها من أرض لأخرى، والأمر من هذا أنها
تعلم أن نهايتها شارفت، هي ستموت وحيدة.

انتزعت لييين من أفكارها عندما تحدثت سينا قائلة:
«هَذَا كُلُّ مَا تَمْلِكُ؟»

ثم رفعت المالك بيدها للأعلى، فرأت لييين أن سوطًا من حورا
انطلق مهاجمًا سجانيتها، إلا أنها أمسكت بالسوط في يدها التي تنزف الآن
دمًا ممزوجًا بسائل أسود دبق، كرهه الرائحة. حرّكت سينا ذراعها بحركة
سريعة وعنيفة، أدت إلى جذب السوط بقوة، مما جعل حورا يترنح عن
مكانه، ويسقط من أعلى الجبل الذي كان عليه، وتكاد لييين تُقسم أنها
سمعت فهتة المخلوقات سخرية منه، إلا أن أصواتهم كانت مكتومة
من شدة خوفهم منه.

بسرعة كبيرة باتت سينا تقف فوق حورا، فتدوس على صدره بإحدى

قدميها، لم تكن تضع قدميها عليه ببساطة، بل هي حطمت أضلعه بوطأة من قدميها، فتعالى صوت تحطم عظامه، عدا أنها توقفت قبل أن تسحر كامل جسده، واكتفت بالنظر لئن أسفل منها يتأوه، رأت ليبين حورا يبحث بيأس عن أحد ما، ثم توقفت عندما رأى اثنين ليصرخ بهما قائلاً: «أقوسيانا»^(١)، و«اردون»^(٢)، أنقذاني حالاً.

شعرت ليبين بالنار تغلي داخلها، لتشيح بنظرها حيث ينظر حور. لثراهما، هذان الاثنان هما الملعونان اللذان سلباها والديها، ها هما ينفذ هنالك دون أي ندم، إنها يتنفسان هواء لا يستحقاؤه، يسيران تحت الشمس التي حُرِم منها والداها، لقد انتزعا الحياة منهما كما منها، لن تغفر لهما، إن كانت لتموت فستأخذهما معها، حينها شعرت بالجلتار فيها تزهو بلون قرمزي صاحب، إنه حنق والداها ممزوج بحقد الكامن، فانتفضت من حيث هي ناهضة، لأول مرة منذ أسابيع تقف ليبين على قدميها مترنحة، والهواء داخل صدرها ثقیل مما يجعلها تلهث، نظرت المخلوقات إليها بحذر، هم لا يعلمون ما تكونه أو لماذا هي مهمة لأورا، إلا أنهم لا يرغبون أن يطالهم غضب من خطيئهم، فراجعوا عنها بخطوات قليلة مبتعدين.

١ - بِنٌ مُخَلِّطٌ وقَاتِلٌ والدَةُ أُرِيو، وأيضاً ساهم في موت جلتار وشاوران.

٢ - من الجيل الضال، هو مَنْ دَلَّ أورا حيث الجيل الضال في الأهرام، وأيضاً مَنْ قَتَلَ جلتار.



أما سينا فالتفت إليها بسرعة وعيناها مُلتتا قلقًا، بالتأكيد إنه خوف من خسارة فريستها وضمانها للنجاة، حينها قبضت سينا على كفها بقوة، شعرت ليبين بألم يفتك بعظامها، إلا أنها ما كانت لتخرُ أرضًا هذه المرة، وتقدّمت خطوة واحدة مترنحة، لتقول من بين أسنانها وأنفاسها اللاهثة: «سأقتلكم».

أطلق حورا صرخةً عالية من تحت قدم سينا التي سحقته باقي أضلعه، بينما ظل هو تحتها يتخبط محاولاً إبعاد قدمها عنه، لقد بثَّ فيها سماً كفيلاً بقتل كل المخلوقات، إلا أنها لا تهمل حتى. أما سينا فقد أزهرت براعمها المألوك من جسدها، وما إن تفتحت براعم أزهار بنفسجية دهماء، حتى خرَّت ليبين أرضًا كالقماش البالي، لم تعلم من أين يأتيها الألم؛ فجسدها كله يُفتك به الآن، شعرت بضلوعها تُحال لرمال، بدمها داخل جسدها يغلي نازًا حارقة تذيب عظامها لما، أما الهواء فقد احتبس داخل صدرها حتى كادت تشعر برئيتها تكاد تنفلقان، لقد نهبها هذا الوَصْب صوتها فما صدر منها صراخ أو نأوه، وما زاد عذابها هو أن جسدها الدقيق يتخبط بعنف على الأرض رغماً عنها، حتى باتت تنقياً من دون أي رغبة منها أو تحكم.

كلُّ هذا حدث في طريقة عين واحدة، عذاب يعانيه المخلوق لأيام أو شهور، شعرت به كاملاً في طريقة عين واحدة، حتى عندما انزاح الألم

وجدت ذاتها خائرة القوى، كالزهرة البالية على الأرض ترقد، لم تتمكّن من الطّرف بعينها أو حتى فقدان الوعي، فقط ظلّت أرضاً دون حراك. وفي هذا السكون رأت واستمعت لما يحدث حولها، ليس لأنها أرادت؛ بل لأنها عاجزة عن أيّ شيء آخر، شاهدت كيف عاود حورا الصراخ على البنّ لينفذاه.

واردون: «أورا طلبت منا عدم التدخل».

قالها بابتسامة خبيثة على وجهه، ليستشيط الآفاري غضباً، إلا أن سينا عاودت الضغط بقدمها عليه، ليطلق تأوهات صارخة. رفعت الهالوك السوط في يدها ليرتفع بدن الآفاري أيضاً ناظراً إليها بذعر غير مسبوق، أما هي فقد اشتعلت عيناها حيويةً، وبحركة واحدة اقتلعت ذراعه من مكانها، لتصدح صرخاته في الأرجاء متعالية للسما. أما البنّ فعن سينا ابتعدوا، وإلى حورا بازدراء وسعادة نظروا، لتحني الهالوك جسدها قليلاً نحوه فيما أبقت قدمها داخل تجويف صدره قائلةً:

«أنت لا شيء حورا، مجرد فم يتحدث، ما أنت قادر عليه من دون سُمك؟ لا شيء»، مجرد بنّ وضع ضعيف، وذليل لا تقدر حتى على تحريك سوطك بالطريقة الصحيحة لتقتلع به قلبي، أو تفصل به رأسي، أخبرتك أن الاحترام لا يجعلك تنجو في هذا الكون، بل القوة، والدهاء، وأنت لا تملك أيّاً منها».

«هذا يكفي أيتها الين».

صوت كالنغم في السماء حلق، بلطف شديد تحدث، من فوق الجبل ظهرت، مخلوقة تكاد تكون الكمال، بخصلات شعر أشرفت بخيوط الشمس، وبزغت بأشعة القمر، وعبير ساحر غطى عبقه المكان، تحركت المخلوقة هابطة للأرض، ومع كل موضع قَدَم أزهرت من تحتها الأزهار بكل الألوان. نظرت المخلوقة لـ سينا بكل حب، ثم بادلت ليين النظرات، لتشعر بكامل كيائها لهذه المخلوقة ينجذب، كمن وجد الوطن والأمان. كل وَصَبٍ وإنهاك في ليين قد زال، كادت أن تنهض على قدميها لتخطو أقرب للمخلوقة، ومع أول حركة قامت بها عاد الألم ليسري في جسدها سبلاً لا يرحم، لتتدارك ذاتها ويعود عقلها كما وعيها لها، هامساً بحديث كالصراخ: «إنها شرٌ لا بد أن يُنتزع».

أفاقت ليين لهذا الهمس لتعلم أنها في حضرة أورا بكامل حُلَّتِها، ليزول الافتتان ويحل مكانه الحق الشديد، لتحوّل نظرة أورا لها لاحتقار، كأن ليين أحقر من قاذورات الأرض، ثم أشاحت بنظرها نحو سينا قائلةً: «عرّني عن نفسك أيتها الين».

«أنا سينا المالك البنفسجي، من الجيل الضال، وكنت أمينة سر نادياس ذات يوم».

لمعت عينا أورا بشيء من السخط، ثم الشك، ومنها إلى رضا خيث.
لتردف:

«انزعي قدمك عنه، فبالرغم من أخطائه الكثيرة مؤخرًا ما يزال تابعي
الأمين».

سينا: «أنت بحاجة لتغيير أتباعك، فلا بد أن أتباعك لآلاف الأعواء
جعلهم يتهاونون في واجباتهم، كما أن التابع الذي لا يجيد إلا مهارة
واحدة غير مفيد».

نزعت قدمها من حورا فيما تحدثت، ليقطر دمه من قدمها أسود اللون
كرية، أما هو فقد دحرج جسده من تحتها، فيما أشارت أورا لتابعيها حتى
ينجدها، فأقبلا طواعيةً مسرعين.

أورا: «وهل تعتقدين أنك أنت من يستحق أن يكون تابعي متعذّر
المواهب؟»

«لا أرى سببًا يمنع هذا».

«أنت تملكين الكثير من الجراءة، إذن ما الذي أحضركِ إلينا؟»

أشارت سينا حيث لبيّن قائلة:

«هناك يقبع طيف الريح».

نظرت أورا حيث أسيرتهم، ولمعت عيناها جشعًا منقطع النظير، ثم
خطت نحوها بسرعة كمن تريد إمساك فريستها قبل أن تهرب. رجّت

ليبين جسدها ليتحرك والدمع في عينيها يأبى السقوط فباتت رؤيتها ضبابية، وما لم تطلقه عينها من دموع أطلقه فمها شهقات مذعورة، إلا أنَّ جسدها كان عصياً ألياً للطاعة، فبقيت حيث هي مُلقاة، ترى الموت يُقبل إليها.

وقفت أورا أمامها، لتُثبت من الأرض برعماً مُحضراً غصّاً، ثم تنامت فروعها ممتدة على جسد ليين، ملتفةً حول ذراعها، وفيما تطاولت عن الأرض شجرة، سحبت معها ليين الملقاة أرضاً من ذراعها الحبيسة بين الفروع، فبات جسدها معلقاً من ذراعها فقط بينما تدلُّ باقي جسدها من على الشجرة.

الآن باتت وجهها لوجه مع أورا، فالتفت عيناها، ومن عيني أورا رأت ذاتها؛ لقد بدت ذليلة، ضعيفة، محطمة، لو أنَّ والديها رآها الآن، لُسِجت أرواحهما على ابنتهما.

مدّت أورا يدها نحو صدر ليين، التي بالرغم من انعدام حيلتها، انتفضت محاولةً تلافي لمسها، وحين فعلت توقفت يد أورا حيث هي، لترفع نظرها إليها قائلةً:

«أنتِ مختلفة، لستِ مثل باقي المخلوقات».

سينا: «أجل هي كذلك، إنها المخلوقة الوحيدة التي أنجبت بفوادهن للبين».

فزعت ليين حد الموت، إلا أن حقيقتها لن تغير من أمرها شيئاً،
النهاية هي ميتة لا محالة، فلماذا الذعر؟ فليست أورا بالتى ستجبه نذر
والديها الأثمين، فهما ميتان بأي حال، فلم الذعر؟

التفت أورا لـ سينا قائلة: «وكيف هذا؟»

«أترغبين أن أخبركِ؟ أم تفضلين النظر؟»

أورا: «لتحدث بعيداً عن هنا، أقوسيانا، أدخلها إلى حيث الشجرة»
أشارت بهذا صوب ليين
سينا: «سأفعل أنا هذا».

أورا: «ولماذا؟ هل ترغبين في حمايتها؟»

«إنها أسيرتي، كما هبتي لك، فأنا الأحق بالتصرف بها كيفما شئت».

تبسمت أورا بخبث قائلة: «ليكن إذن، اتبعيني».

تولت أورا عن ليين، لتقبل سينا إليها، محطمة الفروع التي أحاطت
ذراعها ليبدأ جسدها المعلق بالانزلاق، وفيما فعل، تمزقت ذراعها
نتيجة اشتباكها بشظايا الفروع المحطمة، حملت سينا أسيرتها بحبالها كما
سبق، بادئة بالسير خلف أورا، فيما رأت ليين دمها يتدفق من يدها
مخلفاً خلفها درباً.

بسبب السم في جسدها لم يلتئم جرحها بسرعة، فظلت دماؤها

تسيل على الدرب المتصاعد حتى قمة الجبل، ثم توقفت سينا عن الحراك للحظات عند فوهة الجبل، وفي وضعية ليّين المتدلية رأسًا على عقب، رأت أن قمة الجبل تغطّت بأوراق من الذهب والفضة، لتبهر منها قهراً عن اضطرابها، برزت من بين الفروع ورقة ذهبية ضخمة، خطت سينا عليها لتدنو بهم نحو القاع، متخللين بين الأغصان والأوراق، فبات العالم من حولهم براقاً متلألئاً بقصاصات من الشمس وضياء من القمر.

من بين الأوراق تسلّلت أشعة الشمس خيوطاً متقاطعة، لتعكس الأوراق ضياءها، فبات الوقوف بين هذه الفروع كالتواجد في الشمس ذاتها. لم ترَ ليّين جمالاً كهذا، لم تعلم أنه يمكن للشّرّ صنّع روعة كهذه، كم تمنّت لو أنها شاركت هذا المشهد مع والديها، لكانت والدتها بكت من روعة سحر المكان. ثم تجلّى القاع حيث تحطّم الضوء قصاصات متناثرة، ففراقصت مع حركة الأوراق حين داعبتها الرياح، أما الأرض فقد غطّتها الأزهار بكل الألوان، ومن بينها برزت جذور الشجرة الضخمة التي افترشت الأرجاء، لتفكر ليّين: «آه، لعلّ الموت هنا لن يكون بهذا السوء».

أخيراً هبطت سينا للقاع، وتنحّت عن الورقة التي عاودت صعودها بين الفروع حيث تنتمي، ليبدأ الحوار السريّ الذي جمع بين سينا وأورا، بحضور من معاونيها.

أورا: «إذن، ما تكون هذه المخلوقة؟»

«والدتها كانت بشرية مزهرة، ووالدها بنٌّ من الجيل الباسل، وحين تحرّرت غرائز والدها استعاد فؤاده من عشيرته، إلا أني كنتُ هناك حينها، حاملةً داخلي طفلاً هجيناً، تأكل جسده فيها عدا فؤاده، فقدّمتُ الفؤاد للبشرية على أمل أن ينبض بالحياة، لتُجاب دعوتي، فتمضي عشرون عاماً التأم قلب طفلي المهجين بالبشرية، فتنجب هي بدورها طفلة غريبة، تكن بنتاً أو هجينة، أو حتى مُخلّطة، هي مزيج من كل هذا، كما أنها الوحيدة التي وُجدت ولم يوجد قبلها أو بعدها مثيل».

أورا: «وكيف حملت هذه الطفلة الطيف؟»

«لقد كان طيف الريح داخلي، منحني إياه ثادياس قُبيل موته، إلا أن الطيف كان في سُبات، لم يمس لي، أو يتحد بقوته معي، لقد كنتُ مجرد حاوية له، ولا بدّ أنه انتقل للبشرية عندما منحّتها فؤاد هجيني، ومنه إلى هذه المخلوقة، لقد اختارها الطيف».

أورا: «كيف تختار الأطياف المخلوقات؟»

سينا: «لا أعلم لي».

«ما رغبتني بالأطياف؟»

«إذا كنتِ لا تعلمين حقيقة قوتها، فقومي بسجنها كي لا يستخدمها أعداؤك ضديّ، فهي سبيل نهايتك^(١)، أليس كذلك؟»

١- من خُلفاء: طريقة إنهاء أورا هي عبر وضع كل الأطياف داخلها.



أورا: «هل تتبجحين بمعرفتكِ ضعفي؟»

سينا ساخرة: «ضعفكِ ابل فناؤكِ، كما لستُ وحدي مَنْ يعلم، عددُ كبير من المخلوقات على علم بهذا».

«إذن لماذا أتيتِ إليّ بالطيف الآن؟ أليس من الأفضل إبقاؤه حيث أتران وإنهائي؟»

«أرغب في النجاة».

تبسمت أورا بشيء من الإعجاب بسينا، إلا أنها لم تُعقب كمن فقهت الغاية من الحديث، أما ليبين فهي في جهلٍ عما تتحدثان به.

أورا: «ما قوة الأطياف؟»

«طيف الريح قوته تكمن في رؤية كل ما فوق الأرض، وإن كان مطيعاً لك فسيمنحك الأعاصير كلها. أما طيف الماء، فيمنحك السيطرة على كل المياه بما في ذلك الأمطار، فلا حدود لقوتكِ. وأخيراً طيف النار، لا علم لي به، يمكنكِ رؤية ذكريات الفتاة، فلقد استخدمت قوة الأطياف لجمع حلفاء أتران».

وهذا ما نفَّذته أورا، فقد اقتربت من ليبين المعلقة بحبال من سينا، ومدّت يدها مُخرجة منها جذوراً صغيرة تفرّعت حتى ليبين، لتزجر بغضب من سينا وأورا، هي تعلم علماً يقيناً أن هذه الزجرة لن تمنعهم من

فعل ما أرادوه بها، إلا أن هذا أفضل ما يمكنها فعله في هذه الظروف التي
فُرضت عليها، الزجرة كرفض لما يحدث. ليس وكأنها تملك سرّاً لا ترغب
بأن يعرفه أحد، فكلُّ ما تعرفه في هذه الحياة، كل ذكرياتها، ماضيها،
وأمنياتها، كانت سينا جزءاً منها، حتى أثناء بحثها عن الخلفاء كان
هي من يتلقّى المعلومات لأثران، إلا أن ليبين لم تُرد أن تشارك ذكريان
والديها مع أورا، هما كانا أطهر، أجمل، وأنقى من أن تراهما، هما
وحدها، كلُّ ذكرياتها عنهما كانت ملكاً لها، تلك اللحظات، كل ابتسامة.
كل صباح خير ومساء خير، كل دمة مسحها من عينيها، كل حرف في
لها لتشجيعها للنهوض، وأشعة الشمس الرقيقة تتخلل خُصلات شعر
والديها، عينا والدها اللتان كانتا أكثر خضرة من الأرض جمعاء، نبضان
قلبيها لها، حتى كلمات الوداع، إنها لها خاصة، لم ترغب أن يمسّها مخلوق
أو أن تشاركها مع أحد، لا سيما أورا، هي من قتلت والديها دون أن تلع
حقاً من يكونان.

إلا أن رغبات ليبين لا تتحقّق هنا، ليس لها على هذه الأرض إلا الشقاء،
فجذور أورا تفرّعت داخل أوردتها قهراً عنها، فباتت كلُّ الذكريات التي
حفظتها دماؤها جزءاً من أورا الآن، ومن هذا رأيت ليبين ذكريات لا
تكاد تتذكّرها، رأت وجه والديها أمامها جليّاً كما النهار، سمعت صوتها
يهمس في أذنها:

«ليين، صغيرتي الجميلة، يا بهجة وجودي، أنتِ مَنْ مِنْ أجلها نحيا». كانت هذه الكلمات التي سمعتها حتى فقدت حلاوتها على مسمعها، هذا الحبُّ الذي وُهب لها كل يوم حتى بات مسلماً به، هو كل ما تتوق إليه. لماذا رحلت آنذاك؟ لو أنها قضت ثواني أخرى معها لربما ما شعرت بهذا الأسى والبغضاء لذاتها، لكن هل كانت تلك الثواني لتكفي حقاً؟ لا، أزمنة الكون ما كانت لتُشبعها من والديها، لو أنَّ الوقت يرأف بها، ويعيد لها والديها لما فارقتها أبداً، لما حاولت إثبات قيمتها بعيداً عنهما، فمن هي مِنْ دونها حقاً؟ لا شيء، هي ببساطة نكرة، وحقيقة أنها غير قادرة عن درء الأذى عن نفسها إثبات يقين عن عجزها من دونها.

وجدت ليين ذكرياتها تتضاعف، فتُبصر حياتها كاملة تُعرض أمام عينيها، حتى تلك اللحظات التي نسيته، لتعلم أنَّ النهاية قد آتت، فما إن تنتهي أورا منها فلا رادع لها عن الموت. بعد أن تشبعت عدوتها من ذكرياتها انفصلت عنها بعنف، كمن يرغب بالهرب من الموت، ترنحت أورا للحظات حتى أمسكها واردون قبل أن تقع، أما حورا فقد أقبل على سينا صارخاً عليها: «ما الذي فعلته؟»

بينما وجه آقوسيانا سُمه نحو سينا في حركة تهديد دون أن يمسها، لتجيب أورا بأنفاس لاهثة:

«هي لم تفعل شيئاً، لقد نقلت لي هذه الفتاة ألمها».

اعتدلت أورا في وقوفها مجدداً، ثم أقبلت نحو ليبيين ترفع وجهها
المبتل من دموعها حتى تقابلت عيناهما قائلة:

«أنا أذكر والدك، إنه الجلنار القرمزي، كان ليصبح أحد المقربين لي
حيث إن سيون قدمه لي ككفء، إلا أنه مثل مدربي، خائن ذليل، أقوسباً
وواردون هما من قتلا والدك، سبق أن رأيتُ ذكرياتهما، أترغبين رؤية
موتها؟»

حديث أورا كالسم الذي أحرق ليبيين أكثر مما فعلت سينا، وران
أورا هذا في عينيها، تنفسها وانتفاضة جسدها، لتطلق ضحكة صاخبة
مشوومة تناثر صداها على جدران الكهف، لتحدث قائلة: «واردون،
أرها نهاية والديها».

أطاع الآخر متلهفاً للتنفيذ، كمن رغب بفعل هذا من أمد، وكلما ازداد
اقترابه تحبّطت ليبيين بين الحبال محاولة تخليص ذاتها والفرار من رؤية كل
ما تحشاه، ليغرز واردون جذوره في ذراعها بضحكة نصر خبيثة، ونقل
إليها لحظة موت والديها.

أبصرت قلب والديها بين يدي واردون، وشعرت بنبضاته بين كفّي،
ودماؤها تقطر عطراً على معصميه، ثم جذب ذراعه بعنف من صدرها
بينما يعتصر فؤادها بين كفّي، لتزفر آخر أنفاسها حارقة على جلده،
ويهرب الهواء داخلها من الفجوة التي أحدثها، فتسلم روحها للموت،



ليثقل جسدها الرقيق بلمح البصر، وتنهار ساقطةً نحو الأرض، إلا أن محبوبها يمسكها قبل أن يلامس جسدها الأرض، ويتمتم بالجنون خوفًا من الهجر، ومنه صار الجنون موتًا لكل من اقترب، ثم تولى واردون عنهما دون ندم أو رمق.

حينها تعالت صرخات ليبين في الأرجاء، صرخت حرقة كما لم تفعل طيلة حياتها، صرخت حتى حرّكت الريح نسيماً في الكهف، ومن بين صرخاتها تأوهت ألماً على مَنْ رحل، كمن فاجأها بموتها القدر، ولم تجد من بين كل هذا الشجن دموعاً تُذرف، فباتت تننّ حتى فقدت كل رغبة لها بالحياة.

اقتربت منها المشؤومة أورا، ناظرةً في عينها، لتجد أن الحياة كما الرغبة قد غادرتها، قائلةً:

«هذا يكفي الآن، لاستخلص طيف الريح لي».

فاجابها صوت مهشّم من خلفها قائلاً:

«أورا، دعيني أحمل أنا الطيف داخلي».

«ولماذا أفعل هذا حورا؟»

«أنت تعلمين أن تواجههم داخلك قد يودي بحياتك، أما أنا فلن أفنى منهم؛ لذلك أودعي طيف الريح في، وأنا لهذه الأرض لك من الناظرين».

سينا: «لم ترتكب الكثير من الأخطاء مؤخرًا؟ فلمَ قد تأمنك الطيف؟»

حورا: «لا تتدخل فيما لا يعينك أيتها الضالة». «ادعني هكذا مجددًا، وسأقتلع فؤادك أيها الآفاري». «أورا: كم يسهل إخافتك حورا».

سخرت منه عندما جفل من تهديد سينا، لتردف: «طيف الريح لي، لقد تعاملتُ معه من قبل، وسأفعل الآن مجددًا، لقد ستمتُ سجنني هذا، أرغب رؤية أرضي، فلقد حُجبت عني منذ أزمنة عديدة».

لم تسمع لييين شيئًا من حديثهم، فقد تحطّم عقلها كما روحها تمامًا، وفي هذه الذكريات التي ظلت تُتكرّر في ذهنها رأت ذكرى سها عنها واردة، فومضت مثل برق يخطف الأبصار؛ إنها ذكرى والدها يقاتل من أجل أثران، هو يصاب بالجروح والحروق في كل مكان، إلا أنه لم يتوقّف ولو للحظة عن القتال، باطشًا بالأعداء هنا وهناك، ومن بين هبة سمعت عزمه: «من أجل أثران».

الآن تناثرت ذكريات ذلك الوطن في عقل لييين كقصاصات شمس أضاءت روحها.

- هنالك حيث مَنْ أحب، هنالك ضحكنا، غنينا، رقصنا، تدرّبنا،
هنالك الوطن، الأصدقاء، الحلفاء كما المخلوقات، من أجل كلّ مَنْ
هنالك قاتل والداي وقُتلا، من أجل غيد أفضل لنا أجمعين، والآن
ضعفي سيفتل الجميع، كل مَنْ على أثران كما الأرض؛ لأنّي أرفض
المقاومة مستتهي حياة مَنْ على الغبراء.

فكرت ليبيّن داخلها بغضب من ذاتها، لماذا لم تتبع صوت والدها
الأمّر لها بالنهوض كلما سقطت؟ لقد أخبرها قبل رحيلهما أن تنجو، وفي
ذكريات سيون آخر كلماتها كانت: «لتحيا».

- عليّ أن أحيا، عليّ أن أنجو، تحرّكي، الآن فوراً! هيا لا تدعي تضحية
والديك تذهب هباءً، لتموتي مقاتلة، تحرّكي! لتنهضي الآن، فأنّ لم
توجدني لتكوني حاوية للأطياف.

ومن تحت رماد روحها المحترقة اشتعلت نار كادت أن تحمد، لولا
غريزة البقاء التي صرخت داخلها لما اشتعلت، إلا أنها اتقدت الآن أقوى
نما كانت، وكالأمّصار أطلقت ليبيّن الريح من داخلها لتمزّق الحبال من
حول جسدها وتقذف بسينا ومَنْ حولها بعيداً، ثم تضخّمت الرياح لتغدو
اعصاراً امتلاً بأشواك من الجلنار، فلقد أقسمت ليبيّن لروحها بالنجاة من
دون نصف بسينا فيها، ومن خلف جدار الزوبعة التي فصلت بينها وبين
سجانيها سمعت صرخات أورا:

«أوقفوها، لا تدعوا الطيف يهرب منكم».

بأسرع من نبض الفؤاد اخترقت سينا جدار الإعصار لتقف أمام ليين شاذغة، لتطلق العنان لسوطيها استعدادًا للفتك بخصومها، وكل نبض قلب في جسدها يصرخ بالانتقام، ما عدا همس خافت في عقلها يمس: «لتنجي من هنا مع طيف الريح الآن، وللانتقام أوان».

لتبع ليين هذا الهمس قهراً عن رغبتها المتقدة، فنظرت للأعلى حيث السماء المخفية خلف الأوراق، وتذكرت استخدام إلهاب للنار من كُبِّ التحليق، ومن دون أي تجربة سابقة قرّرت فعل المثل بالرياح، فحرّكت الرياح من تحت كفيها بسرعة واندفاع كبيرين، لتجد جسدها عن الأرض يرتفع، حينها لم تكبح أي قدرة أو قوة لها، وسلّطت كامل تركيزها على دفع الهواء من كفيها، وبسرعة الرياح انطلقت لأعلى الكهف، فاخرقت الأوراق المعدنية، لتصاب بالعديد من الجروح، ثم عبرت منها لترى السماء، كل قلبها امتلاً بهجة للحرية، إلا أن هذا المكان لا يمنح ليين ما تبتغيه.

بالكاد ابتعدت عن فوهة الجبل، وبذات القوة التي حلقت بها ثم انتزاعها من السماء، عبر سحبها من قدميها، لتهوي بقوة على الأرض، نظرت إلى قدمها لتجد حبالاً من الهالوك تلتف حولها، وقبل أن تتدارك ذاتها بُثَّ في جسدها سمٌ جعلها تحترق أرضاً دون حراك. اقترب حورا منها بغضب، أمراً المخلوقات ليثبتوها أرضاً بالحبال، فامتلوا له، لتعجز ليين



عن الصراع أو المقاومة، حينها دنا منها المشووم ليذيقها شيئاً من سمّه، لترتعد علماً بما سيحدث لها منه.

استخلص حورا من كَفِّهِ سائلاً أسود نِتْناً، لتحاول الهرب، إلا أنَّ المخلوقات أمسكوا بها بخشونة، مانعين إياها من الحراك، ومُحْدِرِ سِينَا كان ذا بالمرصاد. اقترب منها الأفاري أكثر، وبابتسامة كريمة قال:

«يا فتاة، سيؤمك هذا كثيراً».

أرادت ليبين الصراع، إلا أنها ما كانت لتمنحه هذه المتعة، وضع حورا كَفَّهُ فوق فمها، ليتساقط السائل الدبق على شفثيها، فأغلقت شفثيها بقوة، وعَضَّتْ عليهما من الداخل حتى تذوّقت طعم دمانها، حينها أمسك واردون فكَّيها وضغط عليهما بقوة قائلاً:

«عبيدة مثل تلك البشرية».

من شدة ضغطه عليها سمعت ليبين صوت فكَّها يُنْتَرَع من مكانها، ليرى فيها ألم مبرح، ورغماً عن شجاعتها فتحت فمها صارخة، ليقرب منها كَفُّ حورا بالسائل. قطرةً منه سقطت، وقيل أن تلمس شفثيها، أمسك سينا بالسائل في يدها، نظر إليها حورا بغضب وجنون، وأطلق عليها شوكه المسموم، إلا أنَّ سينا صدَّته بحبال منها قائلة:

«لا تلوث جسدك، إن فعلتَ فقد نخس طيف الريح».

حورا: «لا تُعلِّمني ما أفعله أيتها الضالة، فأمر طيف الريح يهمني أكثر منك».

لتضرب سينا وجه حورا بحبل منها، لينشقَّ وجهه بجرح غائر فليس منه الدماء قائلة: «أخبرتُك لا تناديني ضالة».

سقط حورا مصعوقاً من ألمه وهجومها، لثُردف سينا قائلة:

«سبق وأن ملأتُ الفتاة بكل أنواع السموم، وسُحِّك يميت بها كان طفيفاً، إن ماتت الفتاة خسرنا الطيف، فهل أنت مستعدٌّ حقاً لهذه المخاطرة؟ هل ترغب بارتكاب المزيد من الأخطاء؟»

تبسَّمت سينا بمكر، ليتوقَّف حورا عن الجدال واقفاً على قدمي المرتعشتين وجلًا منها.

حملت الهالوك ليبين عائدة بها حيث أورا، لذات تلك الحفرة المشؤومة، وما إن هبطت للقاء حتى قالت لأورا:

«أنصحكِ بعدم إضاعة الوقت، فلقد امتلئ جسد الفتاة بالسم، وإن خسرت حياتها الآن فستخسرين طيف الريح للأبد».

أورا: «لا بأس، سأنتزع طيف الريح مع فؤادها الآن».

فيما مدَّت يدها لفؤاد ليبين، فقبضت سينا على ذراعها قائلة:

«لا تنتزعي فؤادها، فكما أخبرتُكِ إن ماتت هي تلاشى الطيف، جزء

مني موجود في الفتاة، إنها أزهار المالك، وبها كُتبت وجود الطيف، إن أردت الرياح لك فانتزعي المالك منها، ولا تمسي فؤادها، فما إن تنتزعي الطيف والمالك منها فهي ميتة، لكن لا تقتلها قبل إخراج الطيف منها». أورا: «يدو أنك فعلت هذا من قبل».

سبينا: «شاهدت مخلوقاً يفعل هذا من قبل».

«سأستمع بالنظر لذكرياتك أيتها البين».

ما إن قالت هذا حتى هاجمت أورا لبين على حين غرة، فلم يُتح لها الوقت لفقه ما يحدث لها، فقد كانت أصابع أورا داخل صدرها الآن، ومنها نقرت جذور عديدة كمن يحول داخل جسدها للبحث عن الطيف، فما كان منها إلا أن تتأوه ألماً، ثم شهقت شهقة عالية، كأن أنفاسها سُرق منها، لتضحك أورا قائلة: «وجدته!»

لتقبض أصابعها التي ما تزال داخل لبين ليصدي صوت تحطم ضلوعها بقبضة من أورا، فترمي لبين برأسها للخلف خدرة من شدة الألم، بينما بدأت أورا بسحب يدها من جسدها المتهتك، وفيما فعلت شعرت لبين بوجودها كله يُشطر، لُسلب منها أحد شطريها عدا أنها لم تُقد تشعر بالألم الآن، فقد بات جسدها بارداً. تباطأت نبضاتها، أنفاسها باتت ضحلة ومتباعدة، سمعها بدأ يتلاشى منها، أما عينها فنظرت لجمال الذهب والفضة المتراقص فوقها، فهي تريد أن تودع الحياة بمشهد جميل، وإن كان شراً.

أخيراً شعرت بقوة تنتزع كيائها المشطور بعنف خالص حتى إذ
 جسدها اندفع للأمام، وبآخر نظرها المتلاشي رأت أزهار الخلود
 البنفسجية في قبضة أورا، أما جذورها السوداء فقد التفت حول ذراعها.
 ومن بين فروعها وُجد طيف أصفر اللون، نقي كالشمس، وفيما قرّبت
 أورا الطيف منها، تلاشت ليّين لظلام، ليتباطأ نبض قلبها حتى الزوال.



الاتحاد

حملت أورا الطيف متذبذبًا بين يديها، في نظرها بدا كمن؟ تناول الفرار مما يخشى، الأمر الذي مدّها بالنشوة؛ فمن خشيت منهم طيلة وجودها يرتعدون الآن في حضرتها. ومن دون الحاجة لسؤال سينا، علمت في كيانها ما يتوجب عليها القيام به. أطالت أظافرها حتى باتت مخالب، ثم شقّت عن حيث فؤادها ليسيل دمها أخضر اللون عديم الرائحة، فقربت الطيف حيث الشق، لتشعر باضطرابه المتراقص بين يديها، شاعرة بالرضا، وبحركة واحدة عنيقة دفعت به حيث فؤادها، ليجذب الفؤاد الطيف داخله ممتصًا إياه ليومض وجدانها لونها أصفر، فيلتئم جرحها بسرعة أسرا الطيف تحته، ثم نبض قلبها نبضة واحدة قوية كأنبعاث من تحت الرماد، لتترنح أورا وصَبًا وتضمحل أنفاسها، فتتوقع على ذاتها ساقطة أرضًا من الألم.

تبعث تلك النبضة عدة نبضات أخرى، ومنها انتشر اللون الأصفر مرغلاً في جسدها كومضات برق اختفت بسرعة كما ظهرت، وفي هذا العذاب رأت كل ما بغت وتمنت منذ أزمان لا تُحصى؛ هي الأرض بكل روعتها، انجرفت خلف الريح، بل هي الريح الآن، حلقت لأعلي السماء فوق الغيوم الماطرة، هبّت بنسيم عليل بين الأودية والغابات، تراقصت



بين ظلال الأشجار، أهاجت موج البحر مُحطمة به الصخور، طافت بين أسراب الطيور المهاجرة، ونثرت بين طياتها بُتلات الأزهار، هذه الأرض التي لها اشتاقت، هي ذاتها التي لم ترها منذ أمد بعيد، ثم رغباً عنها اقتيادها نحو زويدة عاصفة في منتصف الأرض.

حاولت أورا الابتعاد، إلا أن الرياح جذبتها قهراً عنها لتخط بين ثناياها، كورقة شجرة عديمة الوزن تتلاعب بها الريح بلا هوان وبالرغم من أن ما تراه في روحها، إلا أنها شعرت بأن جسدها يتمزق من فرط تلاعب الريح بها وتخبُّطها على جدار الزويدة. أخيراً قُذفت لمنتصف الزويدة حيث الصفاء التام، علمت أنها لم تُعد في الأرض الآن بل هي داخل ذاتها حيث الريح تحاول العصف بعيداً عنها، إلا أنها ما كانت لتتخلّى عن هذه الحرية مهما كان الثمن، فوقفت أيبه ناظرة لذلك الطيف الأصفر بلا هيبة، لتسمع صوت الريح قائلة: «قريباً أيها الطيف ينتهي عهدك».

لم تُمنَح أورا الوقت للحديث، فقد تمَّ قذفها بقوة خارج الزويدة ومنها لجسدها لتستفص من حيث هي على الأرض ملقاة، بأنفاسٍ لاهثة بالكاد دخلت جوفها. نظرت لمن حولها حيث وقف حورا ينظر إليها في ذعر، وسينا تقف في زاوية مظلمة محاطة بأقوسيانا وواردون على كلا جانبيها، مستظرين أمراً للقضاء عليها. نهضت أورا متاثلة من على الأرض، بوجه

منهك مذعور، نظرت إلى سينا قائلة:

«ما كان هذا؟ لقد خدعتني».

«لا لم أفعل، هذه البداية فقط، عليك أن تتعلمي كيف تتحكمين بالظيف، لو أنك سلّمت الأمر لها لالتهمتِك كاملاً».

حورا: «هل هذا ما كنتِ ترجينه؟ أن تتلاشى أورا؟»

«كلانا يعلم أيها الأفايري أنها لن تتلاشى هكذا، ثم إن هذا ما تقوم به الأظيف ما لم تتعلم أورا كيفية التحكم بهم».

أورا: «أتعلمين كيف أحكم قبضتي عليها؟»

«لا يمكنكِ حبس الريح، لكن يمكنكِ تسخيرها لك، وهذا ما عليك القيام به؛ التعلّم عدم الانجراف خلف الريح، حركيها كما ترغبين أنتِ، سبق وعلمتُ الفتاة كيفية فعل هذا، كما رأيتُ ثادياس يقوم من قبل».

أورا: «لستُ أثق بكِ أينها الين».

«لا تهمني ثقتك، ولستُ هنا لأناها، سبق أن أخبرتكِ أنني أرغب بالحياة فحسب. لا توجد وقاية من خيانتني، فسوف أخونكِ عاجلاً أم آجلاً، فهذه طبيعتي كما أصلي. وحيث إنني المخلوق الوحيد الذي تعلمين يقيناً بأنه سيخونكِ، أليس من الأفضل أن تتعلمي بالخيانة والخونة، بدلاً من أن تقضي وجودكِ تتساملين متى مستمع الخيانة أو من الخائن؟ يوجدني

معك لن تترقي متى أغير أو أنتفض بحرب ضدك، فأنا لا أغير أبدًا،
لا أبغي مجداً أو قوة».

أورا: «لا أصدق أن الحياة هي كل ما تبغين».

«أليست الحياة هي الجوهر؟ ما دمت أنت الطرف الأقوى في أي نزاع،
ما دام وجودك يؤمن لي البقاء، فهذا كل ما أبغي».

أورا: «لا حاجة لي بك، يمكنك قتلك بعد الاطلاع على ذكرياتك
والحصول على موقع الأطياف».

«هذا صحيح، يمكنك فعل هذا بالتأكيد، فأنت لم تكوني خاسرة
هنا إن قتلتني، إلا لو أنك رغبت موتي لما تجاذبنا أطراف الحديث الآن
أنت ترين في وجودي فائدة كبيرة، لعل استنباط العلم مني سهل، علا
أن العلم دون خبرة لا يكفي، فأنا ارتحلت في أقطار الأرض، خالطت
كل المخلوقات، أفهم تفكير الجميع وأعي كل ما يدور من حولي، هذا
يؤهلني للقتال ضد أعدائك بمهارة ومن ثم الانتصار».

«إذن أظهري حسن نيتك، أخبريني عن موقع طيف الماء».

تبسمت سينا بمكر قائلة:

«إنه مع ميزويا، بن البحر».

صرخ حورا قائلاً: «أعتقد أننا حققنا؟ ميزويا أقبل إلينا بفؤاد الخائن
سيون^(١)، كما أنه قاتل في صفنا عندما أغرنا على أعدائنا».

سينا: «بل أنت الأحق إن ظننت أنه فعل هذا عن صفاء نية. أورا إن

١ - هُجَّاء: ميزويا قائد بن البحر، وهو من انتزع فؤاد سيون وقدمه لأورا.

رغبتِ بإثبات ذلك، فيمكنك النظر في ذكرياتي، ستجدين كل ما ترغبين به، كيف جمع نادياس الأطيف، مَنْ هم ورثة الغبراء، وأخيرًا إثبات أن طيف الماء مع ميزويا.

أورا: «سأسمع منك وسأرى، لأؤكد مَنْ صدق حديثك، والآن لنبدأ؛ كيف أزهر ميزويا شجرة بن بعيدًا عن مساري؟»

«حدث ذلك بمساعدة طيف الماء عندما كان الطيف متناثرًا في الأرجاء، إلا أنه رغب بمخلوقات ذات التي لديك، وعندما رأى ما يقوم به ميزويا من زراعة الأفئدة قدّم العون خفية فتعالت شجرة للبن مزهرة، أنتِ تعلمين أن سبب عدم تمكنك من إنبات الشجر في مكان غير مسارك يعود لتطفل طيف النار، فهو يحرق الأفئدة لحظة دفنها في الأرض».

أورا: «ولماذا لم يفعل المثل بها قام به طيف الماء؟»

«لم تكن الشجرة ملاصقة بقعر المحيط يومًا، بل إن ميزويا قد زرعها على جرف بحري، فلم يطلها طيف النار ولن يعلم بوجودها».

«هل دعم طيف الماء ازدهار الشجرة؟ أم أن ميزويا هو مَنْ استخدم الطيف؟»

سينا: «ميزويا لم يمتلك الطيف آنذاك؛ لذلك ازدهار الشجرة كان دعمًا من طيف الماء فقط، لهذا تجدينهم ذوي هيئات غريبة، مخلوقات حملتكم كما طيف الماء فيهم».

«هل توجد المزيد من الأشجار؟»

«توجد واحدة، إلا أنها لم تزهر بِنَّا».

أورا: «لماذا؟»

«لا علم لي، فأنا لا أتحدث مع الأطياف».

أورا: «لماذا منحك نادياس طيف الريح دونها طيف الماء؟»

«كان ليفعل، إلا أن جسدي لن يحتمل وجود طيفين كاملين داخلي.
كان سيتحطم؛ لذلك قدّم نادياس لي طيفًا دون الآخر».

«كيف جمع تناثر الأطياف؟»

«هو لم يفعل، بل الأطياف فعلت، عندما قررت إنهاء وجودك
جمعوا تناثرهم كي يحملهم ورثة الغبراء، فيتحدوا معًا لإنهائك من عل
الأرض».

أورا: «ورثة الغبراء؟»

«مَن يستحقون حمل الأطياف داخلهم، ومَن تألف الأطياف
أرواحهم».

«إذن كيف حصل ميزويا على طيف الماء؟»

سينا: «لقد استأصله من نادياس، لقد شهدت موت نادياس
واستتصال ميزويا لفؤاده، هل ترغين بالرؤية؟»

مدّت سينا ذراعها نحو أورا التي أمسكت بساعدها لتصل جذورها
داخلها فتنتقل لها الذكريات. لم تترك أورا قصاصة ذكريات إلا واطلعت

عليها، لعلها تجد سبيًا يجعلها تقتل سينا، أن تجد في ذكرياتها خيانة تحيكتها لها، إلا أنها لم تجد في هذه الذكريات إلا غدر المخلوقات والفراق. شاهدت فيما ابتعد الجليل الضال عن نادياس الذي أنقذهم، رأت ارتحاله مع سينا في الأرجاء، كيف سخر الآفاري الأطياف له، كما استمعت إلى حواراتهم، وكل تعاليمه لسينا، عن أصل الأطياف وحقيقتها. شهدت عهد سينا لنادياس لإنهائها، وإيجاد مَنْ أسماهم ورثة الغبراء، مُعرفة ما قام به الخبيث ميزويا بالين وأفندتهم للحكم على الأرض كما البحار، لتستشيط أورا غضبًا من جشعه؛ كيف يجرؤ على استغلال الين كما شاء؟ فهم لها ومنها، فلا مُلك لأحد على حياتهم إلا هي، ستقتص من ميزويا ما فعله بالين، مُظهرة له مُلكها على المخلوقات.

بالرغم من كل هذا لم يشغل بال أورا إلا حقيقة رؤية طيف الماء وحيث يكون، فارتحلت لآخر ذكريات حملتها سينا لنادياس.

حينما اختبأت بين الصخور الضخمة، تراقب أعداء الآفاري يترقبون قدومه، بينما الآفاري يتحرك للشاطئ القرمزي دون قلق أو خوف عالمًا علم اليقين بأن الموت هو ما ينتظره، أما هي فوقفت تنظر خلصة دون أن تبرح مكانها، ثم بدأ الحوار بين نادياس وميزويا، حديث لم تسمعه، وفي المقابل لم تعلم أورا الحديث الدائر بينهما. أخيرًا تحركت الين وفقًا لأوامر ميزويا الذي أمرهم بالتحرك ليهاجوا نادياس ويمزقوه إربًا، أما هو فلم يتزعزع عن موقفه أو مكانه، وفيما أمسك ميزويا بعنقه، انتزع فؤاده الأسود من جسده، لتغلق سينا عينيها فلم تر أورا شيئًا بعد ذلك.

وبعد البحث في المزيد من الذكريات، شهدت حبَّ سينا العميز
لعشيرها فارديون، إلا أنها انتزعت فؤادها منه قبل أن تفسد، شاهدت
قصة شاوران وجلنار، كما تيقنت من حقيقة أن سينا قدّمت فؤادها
لل بشرية، شعرت بالفتاة وهي طفلة تلهو هنا وهناك، فيجتاحتها شيء
من مشاعر سينا للفتاة، لقد أحبّتها حبًّا نقيًّا، خالصًا دون أيِّ أسباب. في
تلك الذكريات رأت أول مرّة تستخدم الفتاة الأطياف، شاهدت أثران.
سيون كما بعثته يرحلون للحصول على الحلفاء، الأمر الذي حطّم فؤادها
وأحرق روحها، لقد استخلصته لذاتها، أحبّته دون المخلوقات، فلماذا
لم يكن لها يومًا؟ لماذا يرغب باندثارها؟ ألم تحبّ البن بأنها الأرض؟ وقد
أحبّ سيون الأرض، فلماذا ليس هي؟

في هذه الأفكار، استوقفتها ذكرى لـ سينا ترتحل في الأعماق، لتجد
شجرة مرجانية ضخمة، وحوّلها بُنيت البنيان الحجرية، هي مدينة مائي،
جالت داخلها المخلوقات، لم يكن فيها بنُّ الماء فقط، بل بنُّ من كل
الأجيال، وتغطّت المدينة بسقف زجاجي مُحدّب عظيم، فلم يسمح للماء
بالدخول، فكان البنُّ المائي يسير على أنهار مائية متدفقة في طرقات المدينة،
أما ما تبقى من المخلوقات فقد جابوا المدينة على أقدامهم أحرارًا. لا بدُّ
أنهم البنُّ الذين يتحكم بهم ميزوياً، لقد جعلهم في المدينة يستوطنونها،
الآن وقد رأت البرهان على خيانتهم كما تملّكه طيف الماء، فستفتك به ومن
معه، مستعيذة حقها في الأطياف، كما الأرض.



بعد أن تبينت الحقيقة، شعرت بذاتها ساذجة حمقاء، لماذا لم تنظر إلى ذكريات ميزويا كما يفترض بها؟ لقد بدا عليه الذعر من مشاركتها ذكرياته، علمت أنه يخفي أمراً ما، إلا أنها فقدت عقلها فور ذكر سيون، لتدخل عن حذرهما وتحتضن فؤاد من ترغب بتملُّكه، لو أنها نظرت فحسب، لما شعرت بهذا الغضب من تأثير سيون عليها، لعلمت أن طيف الماء لدى ميزويا دون انتظار برهان هذه البين. حقيقة أنها شعرت بطيف الماء داخل البين المائي دليل قاطع على تدخل الطيف في هذا الإنتاج.

«تَبَّأ لك سيون، لن أرتاح حتى أجعلك ملكي فلا أضيع تفكيرك بك بعد الآن».

أقسمت أورا لذاتها هذا القسم، ثم نظرت نحو سينا قائلة:

«أيتها البين، لماذا تخلّيت عن عهدك مع نادياس بعد كل هذه الألفيات؟»

«قبل أن أشعر، لم أمتلك رغبة للبقاء، أما الآن فهي أقوى من أي رغبة».

أورا: «ما دامت هذه رغبتك، لم صنعت الحلفاء وانضمت إلى أثران؟»

«صنعت أثران والحلفاء لعلّي أجد مكاناً أنتمي إليه، وقد فعلت، وعندما أعلنوا الحرب ضدك، لم أخبرهم عن الأطياف حتى لا تتم إبانتك، كلانا يعلم ما يعنيه هذا، فمن دون الأطياف أنت لا تفنين، إلا أنهم علموا بحقيقة الأطياف الآن، لم أعلم أن نادياس أخبر غيري من

البنُّ بشأنهم. الحلفاء امتلكوا طيف الريح في صفهم، ثم انضمَّ لهم وريث طيف النار، والآن أعتقد أنَّ ميزويا ينوي تغيير صف الحرب أيضًا.

أورا: «مَن وريث طيف النار؟»

«لقد كان زابنيل ملك الجان، لا بدَّ أنه ورثه لأحد الجان الآن».

أورا: «أهو مع الغضب؟»

سينا: «نامار؟ لا علم لي بهذا، فلم أقرب من أحد في أثران منذ الغارة، الجميع يعتقد أني خنتهم؛ لذلك تمَّ إبعادي وسجني».

«لماذا تعتقدن أنَّ ميزويا يرغب بتغيير ضفة الحرب؟»

«لأنه كان هناك حيث الغارة إلا أنه لم يقاتل، بل هو لم يقتل كل مَن قابل من أعدائه، ماذا تظنين في هذا أورا؟ هو يرغب بالماء كله، كما يرغب بشيء من الأرض، يعتقد أنَّ إنهاءك سيَجعله يأخذ مكانك».

أورا: «أنت لي من المقربين الآن، لن أثق بك يومًا، إلا أني سأثق بجشعك للحياة، فهذا هو الجوهر. أما الآن، فلي بطيف الماء لقاء قريب».

أثران

يكاد كل مَنْ في أثران أن يفقد عقله كما صَبَره، بعد أن علموا باختفاء ليين، فبالنسبة لهم هي أمانة قائديهما الراحلين، مَنْ وَحَّدَا صفوف المخلوقات هما مَنْ قُتِلَا في سبيل حماية أثران. لم يعلم أحد في أثران عن حقيقة امتلاك ليين طيف الريح فيما عدا آريز^(١)، ندرين^(٢)، وأنثوس^(٣)، وقد حافظوا على عهدهم ولم ينبثوا مخلوقاً بها علموا.

فيما كانت كل أثران تحلّد للنوم بعد الكثير من التذبذب في صفوفها نتيجة موت القائد وعشيرته، كما الاشتباه بخيانة النائبة، انتفض المنزل الذي تقيم فيه البعثة نتيجة طَرَق عنيف على الباب. كان أول الناهضين سكارم، فتح الباب مسرعاً وعلامات النوم بادية عليه، ليرى نُصَب عينيه إيماي وديفيئا^(٤)، لاهئين ومذعورين، لينطق إيماي قائلاً من بين أنفاسه: «نحن آسفان حقاً».

١- من حُلَفَاء: بشري تحلّد من إسبارطة.

٢- بِنُّ من الأولين، هي مَنْ صرخت بالانتفاض وهربت من أورا بعد أن أخبرها نادباس بالحقيقة.

٣- بِنُّ من الأولين، هرب مع ندرين، وافترقت طرقهم بسبب هجوم أورا عليهم، وهو قائد البِنُّ المَهْجَن.

٤- بِنُّ مُهْجَن من أم بشرية وأب من البِنُّ، كانا يحرسان سينا في حبسها قبل أن تحلّدهما وتهرب.

قبل أن ينطق سكارم بشيء؛ إذ بصوت سيون النائم قادم من خلفه.
«ما الأمر في هذا الوقت؟»

ديفيتا: «سينا، لقد قرّرت من أسرها».

في طرفة عين زال النوم من سكارم وسيون، أما أريو القابع خلف والده فقد شلّ كل تفكيره، وصدح صوت قلبه صارخًا:
«ليين».

حينها أطلق العنان لقدميه متجهًا نحو الحجرة التي تنام فيها غارينا، ومن خلفه سيون وسكارم يتبعانه، فلقد طرأت ذات المخاوذ عليهم جميعًا؛ ليين أولاً ثم طيف الريح ثانيًا. إلا أن مخاوفهم تحققت. صفع أريو الباب متجهًا لفراش ليين، حيث ألقى عليه القمر بشعاع فضي كمن يرشده حيث عليه النظر. بالرغم من أنه علم منذ صفع الباب بالحقيقة، إلا أنه أراد المزيد من التأكيد، رغب بتكذيب عينيه، وحين وقد عند الفراش الخاوي، ولمس الدثار الذي بات باردًا الآن عن دفء جسد محبوبته، اعتراه اليأس، الذعر، والسخط. حمل دثار ليين في قبضته، ثم أحال نظره لـ سيون في يأس، كمن يرجوه أن ينقذه. علم سكارم فورًا ما حدث عندما تجمد أريو أمام الفراش، وبالرغم من خوفه على رفيقته، إلا أن غارينا عشيرته في الحجرة أيضًا، اتجه مسرعًا نحو فراشها المظلم، ليجدها مستلقية هناك، إلا أن أمرًا ما لم يبدُ طبيعيًا، فأنفاسها ضحلة

وجسدها متعرق بشدة، وحين لمسها وجدها عمومة، علم أن سُمًا ما قد أصابها، إلا أن جزعه عليها أوقف عقله عن العمل وحملها بين ذراعيه منادياً اسمها، وحين لمست يده ساعدها أطلقت تأوها مكتوماً، ليمسك بساعدها يتفحصه، ليجد ثقباً صغيراً فيه ومن حوله تلون مجرى دمها باللون الأسود. بسرعة أقبل عليه سيون مقدماً إليه النيلوفر قائلاً:

«امنحها هذا، عليّ اللحاق بابني قبل أن يرتكب حماقة».

لم يلحظ سكارم أن أريو انطلق بحثاً عن ليبين، ليختفي سيون هو الآخر راكضاً خلف ابنه. لم يرغب أريو بفقدان عزيز آخر على فؤاده، وليبين لم تكن مجرد عزيز آخر، بل هي كل ما ينبض به فؤاده، هي الوجود لروحه، انطلق دون هوادة صوب البحر، كنداء في روحه أخبره أن يذهب هناك، وفي سعيه استخدم الرابط بينه وبين ليبين لندائها لعلها تخبره أين يُؤبى وجهه، وبالرغم من أنه شعر بأن الحياة ما تزال تتدفق فيها، إلا أنه لم يتلق استجابة، بل إن أصواته ترتد إليه كصدى غير متلاشي. شعر بالجنون يحكم عليه، فأطلق النيلوفر من حوله لتتفرع في كل الاتجاهات شاقّة طريقها على أمواج البحر متفرعة في أعماق دهما، علم أن عليه النظر في الماء، فهذا ما سيدله على ليبين.

هرع سيون خلف ابنه، وقبل أن يخرج من المنزل حمل في يده حجر

التواصل مع نامار^(١)، وبالرغم من أنه لا يحتاج حجرًا حتى يتواصل معه حيث إنه بات وريث طيف النار، ولكن سيون لا يرغب بوضع احتمالات قد تؤخرهم عن الوصول لـ ليبين. فيما انطلق النيلوفر خارج المنزل أمر كل من ديفينا وإيهاي قائلًا:

«ديفينا، اذهبي وأخبري أنثوس، ندرين، وآريز بما حدث، ولا أهدأهم، ثم منهم انطلقني إلى رابولا^(٢) لينظر في البحر دون الابتعاد».

انفصلت ديفينا عنهم واتجهت حيث أمرها سيون، ليردف لإيهاي: «اتجه للجنوب، إن وجدتهم لا تشتبك في قتالٍ مع سينا، فهي خطيرة واستدعني عبر استخدام هذا الحجر».

قذف إليه سيون بأحد حجارة التواصل، لينطلق الآخر حيث أمر. أُر النيلوفر فتسارع حيث أريو، وفي تحركه بعث لـ نامار عبر الحجارة، ثم تحدث بصوته لعله يصل نامار عبر طيف النار قائلًا:

«سينا هربت مختطفة ليبين معها، ابحث عنهما الآن، ولا تجازف، قد نخسر ليبين والطف معًا».

لم تكن إلا لحظات ليجد سيون أريو يقف متجمدًا تحت القمر، والنيلوفر الزرقاء تفرش الماء من حوله، بل هي تفرعت حتى غطت نصف جسده.

١ - اتجه نامار مع إيلهاب لمملكة الجان باسيلييا لطلب اتحاد الحلفاء.

٢ - بين بحري انشق عن ميزويا، وهو من دَل نامار عن موقع سيون ولايالا (هجناء).

بينما أريو مستمر في جعلها تتدفق مع جسده دون اهتمام بما يحل به. عَلم سيون في قرار روحه ما يشعر به ابنه، فهو أيضًا قد كان في ذات الوضع العصيب من قبل، هذا الخوف العاصف من خسارة المحبوب، عدا أنه ما كان ليجعل ابنه يخسر شيئًا؛ لا ذاته، عقله، أو حتى محبوبته. تسارع سيون حتى وقف أمام أريو قائلاً: «لن تجدها بهذه الطريقة، توقف الآن».

«ارحل عني سيون!»

صرخ بسخط فيما أحاط ذاته بالمزيد من النيلوفر حتى اندثر تحتها، دافعًا بوالده بعيدًا عنه. انطلق سيون إليه محاولًا إزاحة الأزهار، لسمع صوت حركة من خلفه، انتفض لها ليجد سكارم قائلاً:

«أستطيع المساعدة، إلا أن ما أقوم به سيؤلمه».

سيون: «افعل ما عليك فعله».

أزهر سكارم الهدرانج من ذراعه، ثم سحقها مغطيًا كُفه بسائلها الحارق، ثم غيّر هيئة يده لتبدو مثل كف الفهد الأسود، مطلقًا منها مغالبه التي تقطر سائلًا من أزهاره، وبحركة واحدة قوية وسريعة هوى بمخلبه على الجدار الذي صنعه أريو، ما إن لمست مغالبه الجدار النباتي حتى تصاعد الدخان منه، ومن خلفه صدحت تأوهات ألمٍ كما صرخات وَصَب، ليجذب سكارم مغالبه المغطاة بالدماء، حينها وبسرعة فائقة تساقط الجدار من حول أريو الذي خرَّ على ركبتيه ممسكًا ذراعه حيث

أصيب، ومن بين أصابعه تصاعد الدخان الذي خلفه سائل سكارم الحارق، ليقبل عليه سيون بالنيلوفر واضعاً إياها حيث الحرق. نظر أريو إليهما بسخط، ليمسك كتف سيون محاولاً إزاحته عن طريقه، إلا أن الآخر لم يتزعزع من حيث هو، ليصرخ قائلاً:

«ابتعد! عليَّ إيجاد ليين».

أجاب سيون بهدوء: «هي لم تعد على هذه الأرض، لعل سينا ارتحل بها بعيداً».

«ليكن، إذن سوف أتبعها».

«حينها ستحكم عليها وعليك بالموت».

أريو: «أترغب مني بأن أتخلي عنها؟ أن أسلمها للموت كما فعلت أنت مع والدتي؟»

في الحقيقة لم يرغب أريو بقول هذا، فهو لم يعد يلق باللوم على والد في هذا الأمر، إلا أن الغضب والقلق تمكنا منه، لكن سيون لم يجفل حتى، فلقد علم في قرار ذاته أن ما يقوله ابنه الآن نابع من قلقه المفرط على عشيرته، فلا مانع لديه أن يغضب منه أو يفعل ما يشاء به، فسيون ذاته مضطرب حد الجنون خوفاً على ليين، إلا كونه والد أريو أولاً وقائد المخلوقات ثانياً يمنعه من التصرف كيفما شاء، هو لا يملك هذه الرفاهة.

شعر أريو بالندم والخزي فورًا، علاقته مع سيون الآن أعمق من أن يتحدث بأمر كهذا، لقد قطعاً شوطاً كبيراً لتوطيد هذه العلاقة. بالرغم من اضطرابه على ليين، إلا أن هذا لم يكن عذراً للتحديث مع والده هكذا، خشي أن ما قاله قد أغضبه، وبالرغم منه أنه يعلم في قرارة ذاته أن والده ليس مخلوقاً مريئاً، عدا أن أريو تحدث بهذا الشأن كثيراً من قبل؛ لقد ألقى عليه اللوم بموت والدته مراراً وتكراراً، ومع هذا لم يتوقف والده يوماً أو ييخل بأي مجهود في سبيل التقرب من ابنه، وفي المقابل أريو لم يخطُ إلا بضع خطوات ذليلة للاقتراب من سيون. والآن في هذه الحال والموقف العصيب الذي هم فيه، من فقدان شاوران وجلنار عدا كل الأمور التي يحملها في عاتقه كقائد، أريو يخشى أن والده لن يحمل شيئاً من الطاقة لتحمل ابنه الساخط وحديثه المريع، لعله ضاق ذرعاً به.

رفع سيون المنكب على علاج ذراع ابنه رأسه، ونظر عميقاً في عينيه كمن يُطمئنه بعدم غضبه، ليشعر أريو بالراحة الممزوجة بالخزي العميق، فيخفض رأسه لاهثاً من سعيه سخطه، كما الألم الذي تسبب به سكارم، حينها وضع سيون يده على كتفه قائلاً:

«بني، لن أتخلى عن ليين، لا يهم الطيف، بل هي الأثمن الآن، إنها واحدة منا؛ لذلك مهما حدث لن أتخلى عنها، كما لن يفعل نامار أو أي أحد من البعثة. لقد خضنا الكثير معاً، ولقد أقسمنا بدخول معاركنا

أحياء والخروج منها أحياء؛ لذلك ضع ثقتك بنا، وبـ ليين أينما كان.
فهي لا تستسلم بسهولة، أيمكنك الثقة بهذا؟»

أوما أريو بصمت، فيما ظل مطأطأاً رأسه، لينهض سيون ماذاً يده.
كي ينهض، فيما أردف:

«ارفع رأسك بُني، فنحن لن نخسر بعد».

أمسك بيد والده الذي جذبه عن الأرض، ليقرب سكارم منه
قائلاً: «ماذا الآن؟»

سيون: «هل غارينا بخير؟»

«أجل لقد استعادت وعيها فور إعطائها أزهارك، طلبت مني اللعاز
بكما».

سيون: «حسنًا إذن، أريو هل تشعر بـ ليين؟»

«أجل أشعر بوجودها، إلا أنني لا أشعر بأي شيء آخر، فصورني
يصلها هو يرتد عائداً إلي».

«هذا يكفيني الآن، أن تكون حية هذا كل ما يهم».

سكارم: «هل تقودها سينا نحو أورا؟»

سيون: «لا أعلم، كل من يعلم سينا يجبرنا أن هدفها هو تخفيف
عهدنا من ثادياس، ألا وهو إنهاء أورا. وبالرغم من أن الأطياف هي

وسيلة إنقاذها، إلا أني لا أفهم هدفها من تقديم الطيف الآن، لم استباق الأحداث؟ وما يفقدي عقلي هو ذات السؤال: هل هي حقًا خائنة؟ لماذا لم تبرر ذاتها؟ لا أحد يفقه ما يجول في عقل سينا، ومن قام بمساعدتها على الفرار؟^١

أنى صوت مقبل إليهم قائل:

«إنها البنُّ المدعوة سيكاي»^(١).

نظرت المجموعة لمصدر الصوت فأبصروا آريز الذي عَقَبَ قائلاً:
«لقد انطلقت نحو الجنوب الشرقي، حيث إني وجدت آثار أقدام طفيفة
تقود لهنالك، ليتهي بي الحال أمام البحر، لعلها ارتحلت عبره».

أريو: «ما كان رابولا ليشعر بتحركها من هناك، فقد وزع أتباعه في
الشمال كما الغرب».

سكارم: «لعل هذا ما اعتمدته سينا».

سيون: «لا يفترض أنها ابتعدت من هنا، فهي بنُّ أرضي في النهاية،
ولا يمكنها استخدام قوتها لوقت طويل، سأرتحل للبحر باحثاً عنهما، فأنا
أسرع منها بأيِّ حال».

أريو: «لا تفعل، ابعث رابولا ومن معه، أنت آخر قائد للمخلوقات

١- حُلَفَاءُ: بنُّ من الجبل الضال، تبعث نادياس مع سينا؛ وذلك حتى صنعت وطنًا
خاصًا بها مع الجبل الضال بأمر من نادياس.

هنا، إن كان هذا كميناً أو ساءت الأمور أثناء بحثك، حينها قد نخسر قائدنا الوحيد، وبهذا سوف نخسر الحرب، لا يمكننا المخاطرة بهذا سأضع ثقتي بـ **ليبين**، وأعلم أننا ستتحرك لإنقاذها بأسرع ما يمكننا.

أكثر من أي شيء رغب أريو أن ينطلق بحثاً عن عشيرته، ويعلم جيداً أن أفضل فرصة لإيجادها تقع في اشتراك سيون في البحث. بالرغم من هذا، عليه أن يستخدم عقله الآن، فلقد تأثرت المخلوقات بفقد كبيرين زائيل وشاوران، ولا تتحمل هذه الحرب فقدان المزيد؛ لذلك سيدبر مشاعره في بئر مظلم عميق، ومنتظر بهدوء حتى الحراك.

أريو: «أتفق مع ابنك، لا يمكننا المخاطرة بفقدان قائد آخر».

أريو: «ماذا عن نامار وإيلهاب؟»

سيون: «أخبرتني بما حدث، لا بد أن نامار يتحرك الآن، عدا أنه لن يتمكن من رؤية **ليبين** إن كانت على البحر».

مع هذا اتجه الجميع عائدين لمنازلهم، إلا أن كيان أريو احترق بنار لا تهمد وكوّت كل أضلعه. تلك الليلة لم ينم أحد، فقد ظلت غارينا نعتز فشلها. سكارم قلّق على صديقه، سيون يراقب ابنه حتى لا يتصرف بجنون، وأريو الذي أمضى الليلة كلها يجول في روحه كما فؤاده بحثاً عن **ليبين** أو أي أثر يقوده لها، إلا أن كل نداءاته تلاشت في غياهب الصمت.

بزغت الشمس على أثران وهم في حالة اضطراب من الخيانة التي تعرضوا لها، فيما قبع سيون على الشاطئ في انتظار أي نبا من رابولا الذي انطلق فورًا للبحث عن الخاطف والمُختطف. أمره القائد بعدم التهور أو المغامرة بعيدًا في المحيط وعدم الغوص عميقًا، فقد يكون هذا كمينًا لإفقادهم المزيد من الجنود. وكما أمر سيون انطلقت حفنة من برّ الماء بحثًا عن أثر لـ سينا، فيما اجتمع القائد بالبرّ ممن قدموا مع سيكاي، فهو لا يثق بهم الآن، طلب منهم الاجتماع داخل الهرم الذي توسط الساحة، وتبعوه للداخل فيما أعين المخلوقات تقذفهم بالشك، فلقد مُلئت أفئدتهم خوفًا من الغدر، وباتوا في جهل عن هوية الخائن التالي.

وقبل دخول سيون الهرم اعتلت أثران غيوم سوداء، لتَهوي أرضًا مشككة بنامار، والسخط يستعر من عينيه قائلًا:

«هل من أثر للفتاة؟»

هز سيون رأسه بالنفي مردفًا:

«أفهم أنك لم تجد لها أثرًا أيضًا».

«لا، لقد نظرتُ في كل بقعة على اليابسة، لتكن جبلًا، كهوفًا، وحتى قاع المحيطات لم أجد لها أثرًا يُذكر لأتيقن أنها على الماء».

أربو: «لقد بعثنا برابولا للبحث عنها هناك».

نامار: «تبًا لهذا، لو أننا قتلنا سينا من قبل لما حدث هذا».

سيون: «لتحدث لاحقاً نامار، اتبعني لدخول الهرم، لدينا حوار هام.
 دخل النيلوفر الهرم يتبعه نامار، أريز، ندرين، وسكارم الذين
 أغلق باب الهرم من خلفه ليعم الظلام التام، إلا في تلك البقعة التي في
 جزيرة ضياء في الظلام؛ شعاع شمس واحد اخترق سقف الهرم
 الثغرة فيه، فكان مثل النصل الحاد الذي يقطع الشك باليقين، كآثر
 بصيص أمل في ظلمة الجهل. وقف سيون داخل هذا الشعاع، لتعكّر
 خُصلات شعره الفضية الضوء من حوله، ليضحى مشرقاً كالشمس، أر
 نامار فوق خلف الخط الفاصل، مختاراً الظلام كستار له، فلم يظهر
 إلا عيناها الدمويتان، ووهج من منجله الذي استلّه إعلاناً لقتل كل خائن.
 رسالة فهمها الجيل الضال. أما من تبع سيون فقد وقفوا في أركان الد
 متباعدين، لم يظهر منهم شيء أو يُسمع منهم صوت، فبدوا كمن تلاش
 من الوجود.

سيون: «أتعلمون أن قائدكم سيكاي ساعدت على تهريب سينا؟»

تقدم أحد البن وعرف عن نفسه قائلاً:

«أنا زينا، الكوليبيا البركانية^(١)، نائب سيكاي، أود التنويه بأنه لـ



لأحد منا معرفة مسبقة أو صلة بها فعلته، لقد أتينا هنا لنقاتل في صفوف الحلفاء للانتهاء من أوراء، نحن الجيل الضال مثلنا مثل الكثير هنا تم استغلالنا وإيذاؤنا من قبل أوراء، أنت أيها المخلط سكارم تعلم جيدًا ما تعرض له المخلوقات أمثالنا، لا رحمة تُظهر لنا؛ لذلك انضممنا إليكم للأخذ بديتنا منها، ولنحيا أحرارًا دون اختباء، وما قامت به سيكاي لا يُمَت لنا بِصلة».

سيون: «كيف لنا أن نثق بكم وقائدتكم خانتنا وسلبت أجدنا معها؟»
«لا أعلم كيف نثبت براءتنا لكم، واعلم أن وجودنا غير مرحّب به هنا، فقد عانت أثران الكثير، إلا أني أريد القتال من أجل المخلوقات، أيّا نَكُن الطريقة التي يمكننا بها إثبات صدق نوايانا فسننفذها دونها تردد».

نامار: «هل لعهد ثادياس سبب فيها حدث؟»

زينا: «هو عهد لم نعلم به، ولا بها هي مقتضياته، فنحن لم نرتحل أو نختلط بـ ثادياس، وحدهما سينا وسكاي من فعلتا، بعد أن حررنا الآفاري تم إرسالنا حيث الأهرام لنحيا هناك، إلا أننا فررنا بعد هجوم أوراء علينا، من حُسن حفظنا كانت سيكاي من تقاطعت طرقنا معها بأمر من الآفاري لتنشأ لنا وطنًا حيث التقيتم بنا. لقد علم ثادياس عن هجوم أوراء علينا؛ لذلك بعث بها للاعتناء بنا والتأكد أن لا تنتثر على الأرض نالهن، بِعهد أن تلتقي به مجددًا في مكان ما، وبعد أن سكنا الوطن تناست

سيكاي عهدا معه للقتال، كل ما رغبت به هو الابتعاد عن القتال.
الموت، رغبت بالسلام مثلنا جميعاً؛ لذلك لم تُعد حيث الآفاري إلا أني
أعلم حقاً لماذا عاودت عهدا مع نادياس، فلا أفقه نواياها».

نيدرین: «هنا يقع شكنا، أنتم كنتم في الأهرام مع أتوم^(١) الذي نعلم
يقيناً أنه أحضر الغارة إلينا، فكيف لنا أن نثق بحديث منكم؟ أنت رابطة
مع كل خائن».

زياً: «أولم تكوني أول من اتبع نادياس؟ لا بد أنك تعلمين أكثر
عما نقولين».

آريز: «هذا الأمر لن يفيد، محاولة تخليص أنفسكم من التهمة بالقائنا
على غيركم؛ لذلك من الأفضل التحدث بالحقيقة».

زياً: «لنقتلونا إذن، إن اعتقدتم أننا خائنون، وأن غايتنا من التحالف
معكم هو للأضرار بكم، فلا تبقونا أحياء».

حينها تعالت الأصوات في الهرم، كلٌ يصرخ رأيه:

«هل فقدت عقلك زياً؟»

«لماذا عليّ الموت لأثبت إخلاصي؟»

«لن أدفع ثمن خطأ سيكاي».

١ - حُلَفَاء: رفيق سيون السابق والذي أحضر الأعداء لأثران.

«أجل، لتقتلونا إن لم تثقوا فينا».

«ما كان يجب علينا المجيء هنا».

«نحن أيضًا خسرنا من أصدقائنا، في الغارة».

صاح صوت نامار الصاحب قائلاً:

«حسنًا إذن سأخذ حياتك، كإثبات على إخلاصك».

وبأسرع من نبض القلب أحاط منجل نامار بعنق زينا، لتسيل الدماء منها فيعم الصمت المميت في الهرم. خلق نامار فوق فريسته، الذي نظر إليه دون أن يجفل، ليغرز نصله في عنق زينا أعماق، مجددًا لم يطرف الضحية بعينه، كمن سلم أمره للموت، حينها وبحركة انسيابية استل الجان بمنجله لتطاير الدماء في الأرجاء، ليعقب قائلاً:

«لا بأس إذن، أنت لا تحب الألاعيب؛ لذلك أبقيت على حياتك، لتدعوا ألا يتقابل نصلي وعنقك مجددًا».

تراجع زينا بضع خطوات للخلف، فيما بدأ جرحه بالشفاء، أمسك أحد البن الضال بزينا من كتفه خشيه أن يقع أرضًا بسبب ما فعله به نامار الذي تلاشى مجددًا بين الظلام، لكن ليس قبل أن يقف أمام سيون قائلاً بهمس لا يسمعه أحد: «هكذا تستل الحقيقة من أفواه الخونة».

خفض سيون رأسه متبسماً، ليكمل من حيث انتهى نامار قائلاً: «ما

زلت لا أثق بكم، إلا أني سأدعكم تقاتلون من أجل حريتكم، فهذا حق لكم، كما من حقنا الاحتراس منكم، إلا أني لن أدنس باسمكم أرجيلكم».

ابتعد النيلوفر عن الضوء متجهًا نحو الباب الذي قام سكارم بفتح فورًا، ليعتلي القائد الهرم فيجتمع حوله المخلوقات مصغيين لحديثه:

«لست أنوي تشتيت صفوفنا الآن، لقد عانينا كثيرًا، كما أنهم قتلوا مقرين لهم مثلنا ليس لهم يد فيما حدث، وغدر مخلوق واحد ليس ذنبًا ليحملة الجميع، سيظلون حلفاء لنا حتى نتيقن أمرًا غير ذلك، أنفهم خوفكم واضطرابكم من كل الأحداث السابقة كما وزر الخيانة الذي يثقل علينا، عدا أني أطلب منكم الثقة بي وبحكمي. أخيرًا حلفاؤنا من الجان يرتحلون البحار ليسكنوا هذه الياسة مثلنا، علينا توحيد صفوفنا الآن؛ لذلك تذكروا حديث قائدكم شاوران: نحن في هذا معًا، لنقاتل صفاً واحداً، ولنحيا معًا، ونموت معًا».

ظهر على المخلوقات القلق من إقبال الجان، فلم يكن بينهم الود يومًا، كل أجيال البن تذكر الحرب التي دارت لأزمة لا تُحصى، الهُجَاء من الجان أيضًا يحملون الضغينة للمملكة لاستغلال ذويهم، أما المتبقون من المخلوقات فحملت الضغينة من القصص المتوارثة، فتأصل فيهم الحقد والبغضاء دون معرفة حقيقة طبيعة الجان.

حينها أظهر نامار ذاته، محلّقًا بالقرب من سيون ليكمل حديثه قائلاً:
«أنتم سكان أثران تعلمون من أكون جيدًا، شهدت ترددي لهذا المكان
كثيرًا وشهدت ما دار بيني وبين قائدكم شاوران، حتى إنكم لن تعودوا
تهابون قدومي أو تجوّلي بينكم، فلتحملوا يقينًا بأني لا أنوي أذى لأثران؛
لذلك سأقسم لكم باسمي: لن يمسكم أذى من الجان، فأنا مخلوق ولائي
لأثران كما الملك؛ لذلك لن أدع سوءًا يصيب أيًا من الطرفين، هل تقبلون
قسمي هذا؟»

بالرغم من محافظة سيون على ملامح وجهه، إلا أنه شعر بالغرابة
لسماع هذا الحديث من نامار، فقد تحدث بحكمة وهدوء عليه غريبين،
عدا أن شيئًا من الامتنان ملأه عندما رأى الراحة من المخلوقات، ليردف
سيون قائلاً:

«هي معركة واحدة كل ما تبقى لنا، حراك واحد حيث أورا، نستعيد
فيها رفيقتنا، ندمر عدوتنا فنكون أحرارًا، لتلتحم صفوفنا المحطّمة،
لنضمّد جراحنا ولنمضِ لغدنا الذي نختاره بأنفسنا، لندخل معاركنا
أحياء، ولنخرج منها أحياء».

اشتعلت أثران حماسًا ليصدق هتافهم لأعالي السماء:
«لندخل أحياء ولنخرج أحياء».

باسيليا

يشعر إيلهاب بالغربة في باسيليا^(١) من دون نامار، فقد نَحْتَم عليه الانطلاق بحثاً عن لِيَّين، في أول ليلة لهما في المملكة. وبينما كانا في اجتمع مع بارموث^(٢) ومستشاريه من الجان يخوضون في مخططات الحرب القادمة، إذا به نامار ينتفض في مكانه، ودخانه المتطاير يدل على غضب وقلق عارمين، وفي ذات الأوان تغير الحجر الذي كان إيلهاب يحمله، باعثاً لهم من أثران رسالة:

«سينا. اختطاف. لِيَّين».

ليرتعد ناظرًا لسلفه، ليحل الصمت المدقع في المجلس ما إن أبصروا اضطراب الاثنين، ليتحدث بارموث قائلاً:

«ما الأمر نامار؟»

«عليّ الرحيل من هنا فوراً».

بالاي^(٣): «لماذا؟ هل حدث شيء عند حلفائنا؟»

١ - مملكة الجان.

٢ - حُلَفَاء: ملك الجان بعد موت والده زائيل.

٣ - حُلَفَاء: قائد الجان المُهْجَن، عشير هيرانم مساعدة ميزويا، ووالد زالجون الذي ضحَّى بحياته لإيصال خبر الخيانة للملك السابق.

نامار: «شيء من هذا القليل، إيلهاب سيقى هنا لإنهاء الأمر نيابةً عني، فأنا أثق بحكمته».

فيما تحرك نامار من مكانه استوقفه بارموث قائلاً:
«أخبرنا ما الذي يحدث».

«خلق معي ملك الجان، إيلهاب أنت أيضاً اتبعني».

لم ينتظر نامار إجابةً من أيٍّ منهما، فقط فرد جناحيه الأسودين منطلقاً خارج القصر ومن خلفه الملك وإيلهاب، وفي ظلمات السماء حيث لا يسمعون أحد تحدث قائلاً:

«تم اختطاف فتاة من أثران، عليّ إيجادها الآن».

بارموث: «وهل للفتاة أهمية أكبر من هذا المجلس لتتخلى عن بحثنا؟»
«لست أتخلى عن المجلس، فقد عينت إيلهاب بالنيابة عني، فهو أهل لذلك. ونعم، الفتاة أهم من المجلس، قبل كل شيء هي رفيقة لنا، وعنصر هزيمة أوراء. ثانياً، لقد وقفت شاهداً على نُصب والديها مقسماً بحمايتها، وهو قَسَم أنوي الإيفاء به، فأنا أدين لها بذلك».

بارموث: «ماذا تعني بعنصر هزيمة أوراء؟»

«إيلهاب اشرح الأمر له، عليّ الانطلاق، لقاؤنا في أثران».

إيلهاب: «أشرح؟»

فَهِم نَامار الغرض من هذا السؤال، ليجيب:

«كل شيء، وكن حذرًا في طريقك لأثران».

لم يُضع الجان وقته أكثر منطلقًا إلى أثران، متلاشيًا عن الأنظار. في سحر الليل، وحيث شع القمر بضوئه البراق، حُلّق إيلهاب مع بارموث، الذي ابتدأ الحديث قائلاً:

«ما الذي عليك إخباري به؟»

«عليك إبقاء هذا الحديث سرًّا أيها الملك، فنحن لا نعلم إن كان زال بيننا أعداء، كما أن قليلًا من المخلوقات تعلم بما سأخبرك به».

«لك وعدي بكتهان السر».

أخبر إيلهاب الملك بما يعرفه عن الأطياف، حقيقة أن أورا منهم، أنه عناصر تدميرها، وأن والده زائيل كان أول من يحمل طيف النار داخله. أخيرًا أفصح له عن دور ليبين وحملها طيف الريح. بدا على بارموث الاندهاش من حديث إيلهاب، فمن كان ليعلم عن وجود كيانات على الأرض تُدعى «الأطياف»؟ إلا أن حقيقة أن والده الملك حمل طيفًا داخله لألفيات جعلته في حيرة من أمره: لماذا لم يخبره والده بأنه يحمل طيفًا داخله؟ وأنه استمد قوته منه لتوحيد صفوف الجان وصنع المملكة؟ ألم يثق به الملك ليخفي أمرًا مهمًا كهذا؟ شعر بارموث بالخيانة والتد

وللأسف المخلوق الوحيد القادر على منحه سلام الفؤاد لم يُعد له على الأرض سكن.

تمكّن إيلهاب من فقه ما يجول في ذهن الملك، فهو يبدو كصورة قديمة لذاته التي كان عليها، كطفل تم التخلي عنه في المجهول، هو يعي حقيقة البقاء في الجهل وعدم معرفة ما يجول من حولك، لقد فعل نامار هذا به من قبل، إلا أن إيلهاب يفقه الأمر الآن؛ لماذا قام سلفه بإخفاء الحقيقة عنه. لربما الأمر لم يكن منصفًا بحق إيلهاب، لكن لا يمكن لوم أفتدة السلف على خوفهم على النسل.

إيلهاب: «أتساءل عن سبب إيقائك في جهل؟»

«تبدو كمن يعلم حقيقة هذا الشعور».

«لقد فعل نامار الأمر ذاته بي، ظننت أن السبب يعود لكوني غير كفء لمعرفة الحقيقة».

«وما هي الحقيقة إذن؟»

إيلهاب: «هو لم يرغب بإثقال كاهلي بقرار اتخذته هو، حتى وإن كان هذا القرار هو تسليم حياته مقابل حياتي، لم يُرد أن أتحمّل وزره، أعلم الآن أن نامار لم يرغب بشيء أكثر من رؤيتي حرًا بعيدًا عن كل سوء. أليس الأمر مشابهاً مع الملك؟ لقد حمل داخله طيفاً ثقیلاً للغاية، وليس هذا فقط، لقد

علم أن هناك مَنْ سيحمل هذا الطيف بعده، وأن حل الطيف سيؤدي به إلى الموت؛ لذلك لم يرغب اقلاقك بقدر حمله هو واختاره. جميعنا أمان في نهاية المطاف، ولكن أن تعلم سبب موتك قصة أخرى تمامًا، ألا تعتقد هذا؟»

تبسم بارموث: «كيف لك أن تعلم تفكير والدي أفضل مني؟»
«لست أعلم، إنما أفقه كيف يفكر الأكبر سنًا، لدي صديق في أثرا، قام والده بذات الأمر معه، إخفاء الحقائق لإراحته.»
«صديقك هذا، هل هو بن؟»

«إنه بن هجين، هو ابن سيون، ولا بد أنه في حالة هلع الآن.»
«لماذا؟»

«تلك الفتاة، ليبين، إنها عشيرته.»
صمت بارموث لحظات قائلًا:

«لا بد أن الأمر عسير عليك أيضًا، فأنتم في البعثة معًا.»
«جميعهم رفقاء مخلصون، نحن نثبت حقيقة أن المخلوقات قادرون على العيش معًا بتناغم تام.»

بارموث: «ظننت زاديك صديقي، والآن لا أعلم بمن أثق كصديق.»
إيلهاب: «أنفهم هذا، لعلك تجد صديقًا لك خارج الجان كما فعلت

أنا ونامار، فسيون أول وآخر رفيق له، بالرغم من جحده هذه الحقيقة،
لكن إن رغبت يمكنك أن تفكر بي كرفيق مخلص لك، ففي نهاية الأمر
حياتي وحياة نامار بين يديك^(١).

ابتسم إيلهاب فيما قال هذا كنوع من الدعابة التي فطنها بارموث،
ليجيب:

«لعلك لا تعلم بعد، إلا أنني حررتك ونامار من عهدي، أخبرته أنني
أريد قوته لي خالصةً من دون أسباب، مثبتاً عزمي بتحريركما^(٢)».

سرى سيل من المشاعر في وجدان إيلهاب، أولها هي الراحة التامة،
كما لو أن غمامة أنقلت وجدانه قد انقشعت وتلاشت؛ نامار حراً وأخيراً
سلفه حر. شعر بالامتنان لـ بارموث على هذه البادرة التي لم يتخيل
الحصول عليها يوماً، ثم بشيء من الانزعاج لأن نامار صمت عن الأمر،
في قرارة ذاته إيلهاب يعلم أنه رغب بإخباره فور انتهاء الحرب، إلا أن
بارموث سرق منه لحظة مجده، مُظهرًا ذاته بصورة الملك المعطاء، تصرف
بليق بملك الجان، مثله مثل والده زابنيل.

إيلهاب: «ما السبب الآخر؟»

«ماذا تقصد؟»

١- مُجَنَاء: حين أقسم نامار لزابنيل أنه سوف يكون جندي بارموث في مقابل عدم
قتل إيلهاب.

٢- حُلَفَاء: بعد موت الملك زابنيل حرّر بارموث نامار من القسم.

«حقيقة أنك ترغب بقوة نامار لك خالصة، هذا ليس السبب الوحيد
أليس كذلك؟»

بارموث: «أخبرني نامار أنه لو أراد تخليصك وذاته من العهد فهو
قادر دون مشقة، أمرٌ أثق به، فهو ليس ممن يطلق حديثه عبثاً، ولم أرغب
بأن تكون حياتي أو مستقبل باسيليا هي السبيل لإثبات ذاته، فحررتكم
لضمان مستقبلنا، والآن وقد علمت أنه يحمل طيف النار داخله، اعتقد
أني قمت بالتصرف السليم».

بالرغم من أن بارموث كان يضحك في حواره، إلا أنه كان جاداً
في كل كلمة قالها. توجه كلٌّ من بارموث وإيلهاب عاندين للمجلس.
حيث ينتظرهم الجميع، ليُقسم الملك المهام على الجان؛ أولهم بالاي،
ليذهب مستدعيًا «آل عنقال»^(١)، الذين كانوا محايدين لوقت طويل
جدّاً، غير منتمين لأي فصيل من الجان بالرغم من أنهم قاتلوا في صد
زائنبيل من قبل، إلا أنهم لم ينتموا إليه، فقد كان عهدهم مع الملك السابق
هو الاستقلالية التامة عن كل أمور الجان وأحكامهم، والطاعة عندما
يستدعيهم زائنبيل للقتال. لقد كان هذا الثمن الذي دفعه ذلك الجان في
سبيل ضمان حياة نامار، ولأن عشيرة عنقال هي أكبر العشائر وأشدّهم
بطشاً، لم يرغب زائنبيل باتخاذهم خصوماً له.

١ - عشيرة نامار وإيلهاب.

بالاي: «ما الذي قد يدفعهم للموافقة؟ هم لم يقبلوا من قبل».

بارموث: «أخبرهم أن نامار معنا».

إيلهاب: «ألا يعلمون بهذا مسبقاً؟»

بالاي: «لا، عشيرة عنقال تحيا في معزل تام عن جميع الجان، بل إن كثيراً من الأجيال الحديثة تعتقد أنهم انقرضوا، لكن الحقيقة هي أنهم لا يرغبون بالتعامل معنا لأسباب نجهلها».

بارموث: «أخبرهم أن من يقود هذه الحرب هو نامار وليس ملك الجان، أنه تخلص من كل أغلاله، فهو يقاتل كجان حر، اختار القتال معنا».

سأل أحد المستشارين: «هل تعتقد أن هذا يكفي كي يقاتلوا معنا؟»

بالاي: «عشيرة عنقال مليون بالفخر والكبرياء، وقد كان نامار فخراً لهم من قبل، لكن نحن نتحدث عن ألقيات خلت، فلا علم لي عن تقبلهم للأمر الآن».

بارموث: «لهذا أرسلك أنت، ألسنت منهم؟»

بالاي: «أنا خائن مندرس في نظرهم».

بارموث: «ومع هذا لم يجرؤوا على قتل رسول الملك؛ لذلك اذهب وتحدث معهم بذات اللغة التي يفقهونها. أنا أعتمد عليك يا بالاي،

أما أنت يا إيلهاب فستحل محل نامار حتى نصل إلى أثران، فأنا أتم بحكمتك؛ لذلك اتجه للساحة الحربية وجهّز للقتال، ليحمل الجان معهم كل أسلحتهم وعتادهم، ومع شروق شمس اليوم التالي سنخلق ذهباً إلى أثران».

تبعاً لأوامر بارموث، اتجه بالاي نحو مسكن آل عنقال، إلا أن إيلهاب استوقفه مقدماً له قطعة قماشية قائلاً:

«أخبرهم أن أورا هي من تلاعب بالعشائر لقتل والدي قبل ألفين بسبب مكرها تأذت العشيرة مع نامار وأرضهم التي كانوا عليها. أرم ما أمنحك إياه، أعلم أن الأقدمين منهم يتذكرون الماضي، لعلها نسي شرارة النار التي تشعل غضبهم».

فتح بالاي غطاء القماش، لتسع عيناه لما رأى، عالمًا بعزة ما منحه إيا إيلهاب، قائلاً:

«أعدك أن أعيده لك سالمًا».

أطلق الجان جناحيه الأسودين مرتحلًا لوجهته، فيما خطا إيلهاب نحو ساحة التدريب، ونظرات الجان له ملؤها الشك، إلا أنهم لم يقدم على تقليل احترامه أو مقاتلته بعد البيان الذي صرح به^(١)، كما أنه سلب

١ - حلفاء: مواجهة إيلهاب لبعض الجان بعد الغارة على باسيلييا ورفض دعوا بالهجين لأنه سليل نامار.

الغضب حاملاً اسم العشيرة ذاته، وهذا يجعله حصيناً من أي اعتداء، إلا أن علاقة إيلهاب الوحيدة بعشيرته كانت من خلال سلفه فحسب؛ لذلك لا يهتم حقاً بحمل هذا الاسم؛ فلم تكن العشيرة أو الجان هي المكان الذي ينتمي إليه، بل أثران. مع هذه الفكرة تذكّر أصدقاءه هناك، لا بدّ أنهم في حالة ذعر كبيرة، فهم لا يعلمون عن مكان تواجد ليين. من كان ليعلم أن سينا قد تُقدّم على أمر كهذا؟ لم يُحَيَّل إليه أنها قادرة على إيذاء ليين، ففي الفترة الوجيزة التي قضاها في المدينة علم مدى قوة العلاقة التي تجمع سينا مع تلك العائلة، بل إن إيلهاب شاهد حالة السكون التي انتابتها عندما شهدت ثورة ليين؛ حقيقة أنها وقفت تشاهد من بعيد لم يكن لأنها لم تهتم، بل هول الواقع الذي أمامها جعلها تتجمد في مكانها؛ ف رؤية مخلوق تحبه يفارق الحياة مع العجز عن إنقاذه وزرّ لا يمكن التخلص منه يوماً.

في سيره بين الجنود المنشغلين في الساحة، توقف في مكانه فجأة حيث شعر بخطر يُحدّق به، وفي ذات اللحظة اندفع من أمامه جان أحمر بسرعة وعنف كبيرين، لم يحتج إيلهاب إلا وهلة واحدة ليدرك أنه تم تلف الجان ولم يكن يتحرك وفق هواه. أشاح ببصره ليجد حشوداً من الجنود يتكثرون في بقعة واحدة، ليهتف إيلهاب بصوت صارم أمراً الجان بإيقاف التجمهر، لينصاعوا فوراً ظناً منهم أنه نأمار؛ فقد حمل المهجين

صوتًا مشابهاً لسلفه. وحين نفذوا الأمر، وجد بينهم جثًا من الإناء
لونها لم يوضح لأي عشيرة تنتمي، فلا بدّ أنها من الجان المنفردين اللون
لا يتمون لأي عشيرة، تلوّن جسدها بلون الرماد، وبعينين بيضاء اللون
أما جناحها فقد كانا شفافين يخترقهما ضوء القمر الفضي، بشعر أبيض
مثل نقاء الجليد. وقفت الفتاة باعتدال ما إن رأت إيلهاب قائلة:

«هل أنت القائد هنا؟»

«في الوقت الحالي، أجل.»

«ضمّني لجنود الجان.»

«أعلم أنه لا يُسمح للإناث من الجان بالقتال بين صفوف الجنود.»

«ولم يكن يُسمح للهجناء أيضًا بالقيادة، لكن ها أنت هنا قائدة عليهم.»

رغب إيلهاب أن يتسم من إجابتها التي أخرسته، إلا أنه تابع قائلاً:

«ما هدفك من القتال؟»

«لقد قُتل أخي في الغارة، ولم يكن لي في العالم أحدٌ سواه، وأرغب في»

«الدين لمن سلبه مني.»

إيلهاب: «وماذا تعلمين عن أمور القتال أيتها الجان؟»

«لا تدع حقيقة اني أنثى تخدعك، لقد قذفت ذلك الجان للتو لإثبات

قوتي، ولن أتردد في فعل الأمر ذاته معك.»

«ما اسمك؟»

«شهايا.»

«حسنًا شهايا، هذه أرض الجان، وهنا لا يُقبل بك كمقاتلة.»

«لا يهمني إن قبلت بي أم لا، سأقاتل بأي حال.»

إيلهاب: «دعيني انهي حديثي؛ هنا لا يُقبل بك كمقاتلة، إلا أن أثران ترحب بكل مخلوق وجنس للقتال، فإن أثبت لي قوتك الآن، سأصحبك معنا حيث يمكنك القتال، هل توافقين على هذا؟»

توهج وجه شهايا سعادةً، مختلطًا بقليل من القلق لأن عليها إثبات ذاتها.

«كيف تريدني أن أثبت قوتي؟»

«بما أني مزيج من المخلوقات التي ستقاتلينيها في المعركة، سأكون أنا نذكُك، كل ما عليك فعله هو إصابتي.»

تعالَت أصوات الجان مستهجنة قرار إيلهاب، فهو يخرق كل قوانينهم الصارمة وأعرافهم، ليجيب قائلًا:

«قوانينكم تنطبق عليكم في باسيلييا، ونحن لن نقاتل هنا، بل في مكان آخر، فإن أثبت قدرتها فسأجعلها من ساكني أثران، فلا تشغلوا بالكم بتعطيمها قوانينكم.»

أخرس بهذا كل أصوات الجان المعارضة، إلا أن هذا لم يلق استحسانهم.
ولم يبال إيلهاب بهم على أي حال.

شمايا: «إذن لا تدخر أيا من قوتك».

اتجه الاثنان لوسط الساحة، فيما اجتمع الجان من حولهما يراقبون نتيجة القتال. بدأت شمايا بالهجوم على إيلهاب مُطلقة سَيْلاً من نيرانها صرير. ليشعل كل قبضته بنيرانه السوداء ممتصاً لهيبها ومغيراً لونه للأسود وبسرعة الكبيرة انطلق نحوها بقبضة من لهيب، إلا أنها صدت هجوماً بصنع زوبعة من نيرانها، أو هذا ما اعتقدت؛ حيث إن إيلهاب انبثق من الزوبعة مندفعاً صوبها، لتضع كلتا ذراعيها أمامها لتصد الهجوم، إلا أن قوته الكبيرة قذفتها للخلف. حينها بسطت جناحيها وضربت بها الهواء لتخلق للأعلى بعيداً عن خصمها، الذي كان محلقاً أمام وجهها بأسرع من طرفه عين، وهذه المرة استخدم قوة البين فيه، حيث عقد حباله حول سدها معتصراً إياها، لتطلق صرخة تأوه، إلا أن إيلهاب ما كان ليتسائل، فإن لم تكن أهلاً للقتال والحرب، فلا حاجة له بها.

عدا أن شمايا لم تُخيب ظنه، حيث أشعلت جسدها نارا حمراء قرمزية، واهنة مقارئة بنار نامار أو يوكيم^(١)؛ لذلك لم يطلق سراحها أو تخزئ حباله، ليتحدث قائلاً:

١ - قائد الجان المهجن والذي انشق عن مملكة باسيلييا.

«إن أردت إحراقى حقاً فعليك بذل مجهود أكبر».

رأى الغضب يضطرم منها، لتضاعف من حرارة لهيبها وكثافته، مما أدى لاحتراق جبال خصمها، لتهوي شيايا نحو الأرض، إلا أنها استجمعت قوتها وضربت بأجنحتها مجدداً، وحين فعلت أججت منها نازراً أطلقتها على خصمها، ليُلوح الآخر بذراعه فيخمد النيران، وحين فعل وجد شيايا تُصوب سهماً نحوه ثم أطلقتته، إلا أن إيلهاب تلافاه مسرعاً وقد شعر بالإعجاب من تصرفها، فهذه الأساليب وسرعة التصرف هي ما سينقذها في أرض المعركة، إلا أن هذا وحده لا يكفي، فهي لم تختبر سم البن بعد؛ لذلك سيجعلها تعلم ماهية البن الآن.

حينها أطلق أشواكه المسمومة ملتحفة بدثار من لهيبه، فقذفها في اتجاه شيايا، لتطلق في المقابل كرات من نيرانها، عدا أنها التحمت مع لهيب إيلهاب الذي استمر في التدفق صوبها، فانطلقت تُخلق في السماء برشاقة محاولةً تلافى النيران التي ترصدها من كل مكان، بينما غريمها يقف محلقاً حيث هو يراقبها دون أي حراك، فقط قام بتحريك لهيبه المسموم نحوها، فلم تر شيايا مفراً إلا أن تتجه صوب خصمها وجعله يخرّ أرضاً، سارعت من ذاتها مطلقة أسهمها المشتعلة نحو إيلهاب من جميع الاتجاهات، عدا أن أبا منها لم يصبه فقد تفادها جميعاً، فيما ظلّ يترصدها بلهيبه.

ظلت شيايا تركّز بين إصابة خصمها وعدم التعرض لأذى من لهيبه

الذي لا يكلُّ أو ينطفئ، وأخيرًا وفي لحظةٍ فقدت فيها تركيزها أصابعها
كرة نارية في ذراعها، لتشعر بألم سمِّه يذيب جسدها ويحرقها من الداخل،
لتستسلم للألم وتهوي مرتطمة بالأرض بقوة، إلا أنها لم تطلق أيَّ صرخة،
لقد كتمت ألمها فيما استلقت على الأرض، ليهبط إيلهاب نحو الأرض
واقفًا فوقها قائلاً: «هل اكتفيت؟»

ما إن انتهى من قول هذا حتى شعر بجرح يصيب وجهه، وعندما نظر
للأرض وجد أن شيايا أطلقت آخر سهامها مصيبةً إياه في وجهه، وابتسامة
النصر والرضا تشق طريقها في ملاحمها المتألِّمة قائلةً: «الآن اكتفيت».

ليدرك إيلهاب أن عدم اصطحاب هذه المخلوقة معهم خسارة كبيرة؛
لذلك عطَّل سمُّه داخلها، ليسمعها تأخذ شهقة كبيرة وقوية كمن استغاد
الحياة للتو. وفيما ظلت على الأرض، نظرت إليه لاهثة لتجده يمد ذراعاً
لها قائلاً:

«أنا عند وعدي، سأصحبك معنا حيث القتال، فكوني مستعدة».

أمسكت شيايا بيده لتنهض من الأرض قائلةً:

«لن أخيب ظنك أيها القائد المؤقت».

تبسم إيلهاب فيما تولى عنها لإنهاء استعدادات الرحيل، أما الجان فلم
يعترضوا طريق شيايا مجددًا.

أثران

بزغت شمس اليوم التالي على اختفاء لِيَبِين من دون أي أثر لها على الأرض. لم يتوقف نامار عن استخدام طيف النار حتى إن دخانه الأسود ازداد قنومًا. عاد رابولا من البحر دون أي أنباء عنها، الأمر الذي حير الجميع أكثر؛ كيف أمكن لـ سينا التحرك بهذه السرعة؟ هي ليست بنتًا مائتًا لتُسخر الماء لها، إلا أنها تمكنت من الاختفاء عن أبصارهم في وقت قصير جدًا.

أربو على شفير فقدان صبره، ولا يستطيع أحد مساعدته؛ فالجميع قلق على مصير لِيَبِين، خاصة وأن التحرك الآن والبحث عنها ليس فكرة جيدة، وقد يعرض الجميع للخطر، لا سيما وأنها تملك الطيف داخلها. لم يوقف أربو محاولات التخاطر معها إلا أن صوته تلاشى للعدم. وفي حين أنه يشعر بوجودها حية، إلا أنه لا يعلم أكثر من هذا، مما دفعه للجنون؛ هل تتألم؟ هل تشعر بالخوف أو الذعر؟ لعلها تشعر بالغدر من سينا، ولربما تظن أن الجميع تحلى عنها الآن، فهي لا ترى الجيوش تتحرك من أجلها، ولا ترى أثرًا لمن يبحث عنها. لا يهم كم تثق بهم، إن لم تشهد اهتمامهم بها فستعتقد أنه تم نبذها. تمنى من أعماق فؤاده ألا تترزع ثقتهما بهم، وألا تفقد الأمل، لتظل كما عهدتها مقاتلة صامدة.

في ضحوة اليوم الثاني، وفيما أثران تستعد لقدم الجان الوثيل والحراك القريب نحو أورا؛ إذ بدويٌّ صاحب يصدر من جهة البحر الشمالي، وترافق معه ثوران البحر متطايرًا للسماء. انتفضت أثران لحادث، ودون أي كلمات انطلق سيون منفردًا نحو البحر، وفي طريقه حُرِّبَ به نامار. محلّقًا بذات سرعة رفيقه. تهبّات باقي أثران للهجوم متناثرين في كل الاتجاهات؛ قاد أريو جيشه نحو الشرق والخارج أسوار المدينة. وسكارم حرس الجنوب من الخارج أيضًا كما فعل آريز من الشمال. نيدرین استقرت في الغرب، أما يوكيم فقد طوق جدار المدينة الخارجي مانعًا أي غزاة من الولوج إليها، وغارينا أطلقت الأفيون منبعثًا في كل اتجاه. لم تمضِ إلا ثلاثة أيام منذ خسروا آخر معاركهم، والآن لا يعلمون أي نوع من الهجوم سيكون، إلا أن الجميع يعي جيدًا أن الخسارة هذه المرة تعني انتهاء حريهم قبل أن تبدأ؛ لذلك عليهم القتال كما لم يفعلوا من قبل.

في تحركهما معًا سأل نامار:

«هل ترى من العدو؟»

سيون: «لا أستطيع أن أرى».

«كيف هذا؟ أليس لك نيلوفر في كل البحر حولنا؟»

«بلى، لكنني عاجز عن الرؤية، لا أعلم السبب».

نامار: «حاولت النظر أيضًا، إلا أنهم ليسوا على اليابسة، لا أعلم نوع مخلوقات قادر على إخفاء ذاته عنك في الماء».

«سنعرف الجواب الآن».

انبثق الشاطئ أمامهم، ليخطو سيون سائرًا فوق الأمواج دون تباطؤ، فيها حلق نامار بجناحيه وجسده المدرع المخيف مستلًا منجله؛ فلم ينو إدخار قوته أمام العدو الآن. بين خطوة والأخرى باتت المعركة أمامهما، فيصران رابولا والين من معه متجمدين داخل كرات جليدية دون القدرة على الفرار أو التحرك. انطلق نامار متسارعًا مستخدمًا النار فيه ليزيب الثلج، أما سيون فتخطى المأسورين متجهًا حيث العدو، فيجد أنه بن هجين واحد، بأوراق خضراء ارتسمت على جسده، إلا أنه لم يظهر نقش أزهاره، فلم يعلم أي نوع هو. بالتأكيد هو نوع مائي حيث إنه يعبث بالماء من حوله، وفيما اقترب منه، شعر بشيء يختبئ تحت الماء، لم يكن عدوًا، بل شيء آخر أضخم من أي مخلوق، ولم يبال لهذا الآن فعليه إنهاء العدو. أطلق حباله من النيوفر، ودرعها بطبقة جليدية غليظة وحادة، ثم وجَّهها حيث العدو، لينطق قائلًا قبيل وصول الحبال إليه:

«احمل معي طيف الماء».

توقَّف سيون في ذات اللحظة جاذبًا حباله إليه، ناظرًا للمخلوق، متعنا إياه؛ هو هجين أسود الشعر كما الليل، بعينين حملتا لون الرَّمَاد،

جسد فارع الطُّول مربع البنية، وللحظة شعر سيون كما لو أنه رأب قبل، عدا أنه لا يذكر أين وكيف. في ذات اللحظة التي تحدّث به المخلوق وقف نامار بالقرب من سيون، فسمع كلمة طيف الماء حين يتوقّف عن كلّ شيء ليشهد ما يحدث.

سيون: «كيف لي أن أعلم أنك وريث طيف الماء؟»

«لأنّ لست بنأ مائيًا، ومع هذا اتّحكّم به.»

نامار: «لقد هاجمت جنودنا.»

«هم من بدأ الهجوم، فلم يستمعوا لي حين ذكرت أنّ طيف الماء معي.»

سيون: «هم لا يعلمون شيئًا عن الأطياف بعد.»

«حسنًا، هذه ليست مشكلتي إذن، أردت الدّفاع عن ذاتي ومن معي.»

سيون: «أتقصد ذلك الشيء الضخم الذي أشعر بوجوده في القاع؟»

«لقد شعرت به إذن، لا عجب أنك أسطورة البين سيون.»

نامار: «ألم يأنّ الأوان لتعرّف عن نفسك، وثبتت أنك حامل الطّيف؟»

تنهّد المخلوق بعمق مظهرًا وشّم أزهاره، ليستفض سيون في مكانه.

وبالرغم من أن نامار لم يعلم نوع الزّهرة التي أظهرها المخلوق، إلّا أن

انتفاضة سيون نبّهته للاستعداد، ليُردف المخلوق قائلًا:

«أجل أيها الثيلوفر، أنا هجين أحمل زهرة أبي داخلي، أنا مينوس^(١)
ابن ثادياس».

صدق نامار ضاحكًا حتى اضطرب البحر أسفل منهم، قائلاً بسخرية:
«ألم تنته من أمر الأتباع، ليأتي إلينا ابن ثادياس بعظيم شأنه؟»
«لقد خسرنا الكثير بسبب أتباع والدك مينوس، ولسنا على استعداد
لخسارة المزيد منا بسبب عهد ثادياس».

مينوس: «لست مسؤولاً عن أفعال مَنْ أتبع والدي، ولا عن كيفية
تنفيذهم لعهد؛ فعهْدُنَا بسيط دون أي شروط: أنهم أورا. لا شيء أكثر
أو أقل، وإن تصرف أحد الجيل الضال بشيء خارج هذا فهو لا يعني أن
اتحمل أنا أو والدي المتوفى الوزر. أعلم أنكم عانيتم الكثير من الضرر
بسبب الغارة، وأنا هنا لتقديم آخر عنصر لتدمير أورا؛ أودُ الإيمان أن
أسطورتين مثلكما لن يضيِّعا فرصة كهذه، ولم يحكما علينا بفعل أي كان».
نظر كل من سيون ونامار لبعضهما بعضًا؛ فما يقوله مينوس صحيح،
كما أنه عين الصواب. الاتحاد مع طيف الماء هو آخر فرصة لهم لإنهاء
أورا، حتى وإن كانت صفوفهم قد تضررت بفعل الغارة إلا أنها شاهدان
على قوة مَنْ يحمل الأطياف؛ فزائيل نهض بباسيليا نتيجة هذا، وليين
وجدت الحلفاء كما أن غضبها صُنِعَ بالأعاصير، أما مينوس فهو يتحكم

١- من الأساطير اليونانية، ابن الإله زيوس وأوروبا، وهو ملك جزيرة كريت.

بالماء بكامل الحرية دون أن يكون بئاً مائتاً، ونامار يعلم يقيناً قوة طيز النار؛ حقيقة أنه يرى كل قاع البحر واليابسة أمرٌ ما كان ليصدقَه لولا أنه يحمل الطيف داخله، عدا أن كلا القائدين يعلمان ما عليهما القيام به الآن
سيون: «حرّر البين من جليدك أولاً».

مينوس: «بالتأكيد».

ما إن قال هذا حتى سمع الاثنان أصوات ارتطام في الماء، إنها لم يلبس
أيٌّ منهما للخلف، واكتفى سيون بالسؤال:

«رابولا، هل أنتم بخير؟»

تحدث رابولا اللاهث قائلاً:

«أجل، نحن على ما يرام».

نامار: «أخرج من هم معك».

لم يُجب مينوس، واكتفى بالوقوف، فيما تزلزل البحر من تحتهم. تحرك
نامار للهجوم، إلا أن سيون مدّ ذراعه أمامه موقفاً إياه بقوله:

«إنه يخرج من معه من الأعماق».

فتوقّف نامار حيث هو، فيما استمرّ هياج البحر أكثر، وتلاطم
أمواجه بعنف. أما سيون فكان ساكناً دون حراك، لم يهتزّ مع حركة البحر
تحت قدميه؛ فلقد أوقف حركة أمواجه لدى اقترابها منه، فلم يهتزّ كباقي

لعظمة البحر. أخيراً انفلجت من الأعماق كرة مائيّة عظيمة، تشكّلت الكرة بأحزمة من مياه متدفّقة لتشكّل درعاً كروياً يحبس الهواء داخله للمخلوقات القابعة خلفه. أخيراً هدأ سيل الماء مظهرًا ما بداخله من مخلوقات، إلا أن التّيين مع أجيالهم ونوعهم كان عصيًّا نظرًا للحاجز المائيّ.

مينوس: «عددنا ثمانية آلاف، جميعنا مستعدّون للقتال دون استثناء. لقرون جمعتُ المخلوقات، وتحصّناً في مدينة لا يصلها أحد، وهناك انتظرت من ينهض بالمعركة».

سيون: «ولماذا تنتظر؟ لماذا لم تبدأ أنت بالقتال؟»

مينوس: «لم يكن الأوان قد حان».

نامار: «ولماذا الآن؟»

«لأن الأطراف قد تجمّعت في مكان واحد، والجيش قد دُجّجت؛ أنما الاثنان صنعتما هذا، فلا تبخسا مقدار تأثيركما على المخلوقات. ليس أنما فقط، بل ما قام به الرّاحل شاوران أيضًا؛ لقد وُحّدت المخلوقات بطريقة لم تسبق من قبل، وهذا أمرٌ لن يتكرّر مجدّدًا؛ لذلك علينا الانتهاء من الحرب، وإنهاء أورا بسرعة».

سيون: «لنتحدّث في أثران».

أنَّه الجميع إلى الشاطئ، وفَضَّ مينوس عن الكرة المائيَّة ليُصاب كلُّ من سيون ونامار بالدهشة مَن حملت داخلها من مخلوقات؛ هم بنُّ مرَّ جميع الأجيال، بأغلييَّة من الجيل الضَّال، لكنَّ أكثر مَن تواجد هم البشر، إما المخلَّدون أو مجرد بشر عاديِّين. صُعِقَ سيون ونامار لهذا؛ كيف له أن يشرك بشرًا في القتال؟ مهما بلغت قوَّتهم فهم غير قادرين على القتال ضدَّ البينِّ أو الجان، بل إنَّ البشر الخالصين لا يمكنهم رؤية الجان، فلمَّ أحضرهم لقتال لا يقدِّمون فيه أيَّ انتصار؟ وعلى ما يبدو أن مينوس أدرك ما يخالجهما، قائلاً:

«بالرغم من أنهم بشر، إلا أنهم مدربون على القتال، ثم إنَّ الجان ليسوا ندًا لهم».

نظر نامار باستنكار لهذا القول؛ كيف يمكن لبشريٍّ أن يكون أقوى من الجان؟ قبل أن يقول شيئاً أردف مينوس:

«الأصحَّ قل لي؛ الجان لا يستطيعون المساس بالبشر، فنيرانهم لا تؤذيهم كما أسلحتهم، وبهذا تملكون مخلوقات تصبُّ تركيزها على قتال البينِّ بكلِّ أجيالهم، فحتى الجان الهجين غير قادر على استخدام نيرانهم ضدَّ البشر».

بالرغم من غرابتها إلا أنَّ فكرة دمج البشر في القتال بدت منطقية الآن، لكنَّ مجدِّداً ذات السؤال يعيد طرح نفسه: ما قوة البشريِّ مقارنةً بالبينِّ؟

سيون: «هل من العدل إقحامهم في هذه الحرب حيث هم الطرف الأضعف بها؟»

مينوس: «هذه الحرب ستطالهم عاجلاً أم آجلاً، إشراكهم فيها ما هو إلا استباق للأحداث، كما أنني لم أقهرهم على شيء؛ هم من اختاروا القتال في هذه الحرب».

سيون: «لماذا؟»

أجاب صوت من خلف مينوس:

«لقد كنا عبيداً لأسياد ظالمين، أذاقونا مرُّ العيش، كنا سلعاً أبخس نمنا من النحاس، وحين قَدِم إلينا مينوس بالحرية تبعناه دون تردد، والآن هو يخبرنا أن هنالك مَنْ يرغب بسلْبنا حريتنا، وليس هذا فقط، بل سلْبنا الأرض كُلِّها. بالتأكيد سنقاتل، لعلنا الطرف الأضعف هنا، إلا أننا تمكَّنا من صُنْع عوائل لنا بفضل حريتنا التي نلناها؛ بسبب هذه الحرية لن نخشى أن يُتزع أطفالي مني ليتيمَّ بيعهم في سوق النخاسين؛ لذلك سأقاتل من أجل غدٍ حرٍّ لأطفالي، هذا هو سبب سعبي للموت دون تردد؛ لنحيا أحراراً أو نموت في المحاولة».

نظر سيون في أعين البشر الحاضرين، فلم تحمل داخلها إلا يقيناً منقطع النظير؛ أرواحٌ سلمت ذاتها للموت قبل قدومه إليهم. هؤلاء البشر امتلكوا عزماً لا يقل عن باقي المخلوقات في أثران، فمن هو

كي يحرمهم القتال؟ إن كان عزمهم هو الحرية أو الموت، فلن يمنهم سيون.

«المسافة من هنا لأثران بعيدة على البشر، كيف تنوي نقلهم هناك؟»

مينوس: «لعلهم بشر، إلا أنهم مدعمون بقدرة البِنِّ».

نامار: «ماذا تقصد بهذا؟»

«نضع بضع قطرات من دماننا داخل أجسادهم، كما عصارة أزهار العلاجية، وبهذا يصبحون أقوى من البشر الآخرين، هم قادرون على زيادة تسارعهم، كما مضاعفة قوة أجسادهم، ما ينقصهم هو الخلود وامتلاكهم لأزهار مثلنا».

سيون: «لقد خططت لهذا منذ وقت طويل».

«أخبرتكَ أني فعلت».

«لنتجه نحو أثران الآن، لدينا حديث طويل».

حلقت غارينا في السماء تترقب أيَّ هجوم على أثران، فهي لا ترغب بالمزيد من الإخفاق؛ أولاً مهاجمة أثران، وثانياً اختطاف ليبين. بالرغم من أن أحداً لم يلق اللوم عليها، إلا أنها تستشيط حنقاً من فشلها المتكرر ولن تمنح ذاتها المزيد من الفرص لتخفق. من حيث راقبت، أقبل سيون ونامار يتبعهما عدد كبير من المخلوقات، لتهوي إليهم مسرعة من السماء

مُحْدَثَةٌ صوت رِيَّاح قَوِيَّة دَوَّتْ فِي السَّمَاءِ. هَبَطَتْ عَلَى قَدَمَيْهَا مَبْدَلَةٌ هَيْتَتِهَا بِسُرْعَةٍ، وَنَظَرَتْ نَحْوَ قَائِدِيهَا بِتَعَجُّبٍ قَائِلَةً: «حَلَفَاءُ؟»

نَامَار: «وَرِثَ طَيْفَ الْمَاءِ، كَمَا ابْنُ ثَادِيَّاسِ الْعَظِيمِ».

اشْتَعَلَ سَخَطُ غَارِينَا لَدَى سَمَاعِهَا اسْمَ ثَادِيَّاسِ الْمُرْتَبِطِ بِشَوْمِهِمْ وَخَسَائِرِهِمْ، فَانْطَلَقَتْ مَسْرَعَةً إِلَيْهِ رَغْبَةً مِنْهَا فِي الْهَجُومِ، إِلَّا أَنَّ سَيُونَ اسْتَوْقَفَهَا قَائِلًا: «إِنَّهُ حَلِيفُنَا».

«لَا يَهْمُنِي مَنْ يَكُونُ، إِنْ كَانَ ابْنُ ثَادِيَّاسِ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ يَعْلَمُ عَنْ سَيْنَا، أَيْنَ هِيَ؟ أَيْنَ اتَّجَهْتَ بِرُيَّيْنِ؟»

مِينُوس: «لَا أَعْلَمُ عَمَّنْ تَتَحَدَّثِينَ».

غَارِينَا: «لَا تَصْطَنِعِ الْغَبَاءَ، جَهْلُكَ بِسَيْنَا أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ، هِيَ الْهَالُوكُ».

«أَعْلَمُ مَنْ تَكُونُ بِنُ الْهَالُوكِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْمَدْعُوءَةُ لِيَّيْنِ لَا أَعْلَمُ عَنْهَا شَيْئًا».

غَارِينَا: «إِذْنًا تَعْلَمُ عَنْ مَوْقِعِ سَيْنَا، أَخْبِرْنِي أَيْنَ هِيَ؟ أَنْتُمْ عَمَّنْ تَتَّبِعُونَ ثَادِيَّاسَ جَمِيعَكُمْ مَخَادِعُونَ، تَتَحَدَّثُونَ عَذْبَ الْكَلَامِ لِتَسْلُبُوا مِنَّا كُلَّ عَزِيزٍ».

قُبْضُ سَيُونَ عَلَى ذِرَاعِهَا بِقُوَّةٍ قَائِلًا بِحَزْمٍ:

«هَذَا يَكْفِي، لَا وَقْتُ لَدِينَا لِلْإِلْقَاءِ الْإِتِهَامَاتِ، أَمْرُ لِيَّيْنِ يَهْمُنَا جَمِيعًا، إِلَّا أَنَّكَ تَعْلَمِينَ حَاجَتَنَا لِكُلِّ الْأَطْيَافِ لِإِنْهَاءِ الْقِتَالِ».

غارينا: «أين هو طيف الريح إذن؟»

أعاد سيون ضغطه على ذراع غارينا قائلاً:

«هذا يكفي، أزيحي الأفيون من الأرجاء، علينا الاتجاه داخل أثران الآن».

رغبت غارينا أن تقاتل أكثر، أن تحتج، إلا أنها لمحت غضب سيون وتصرفاتها، الأمر الذي لم يحدث من قبل؛ وبالرغم من كل إخفاقاتها إلا أن سيون لم يغضب هكذا؛ لذلك تراجعت عن هجومها، مبددة الأفيون من الأرجاء. وفيما تخطاها القائد همس لها قائلاً:

«أبقي الأمر سراً عن أثران، واعلمي أنني لن أضحي بأي مخلوق فيها».

هذا كل ما رغبت بسماحه، لم ترغب بخسارة المزيد من رفقاتها بسبب أتباع ثادياس. طلب سيون من مينوس عدم ذكر أنه ابن ثادياس لأحد كما عليه إخفاء أزهاره. وبالرغم من سماحهم له ومن معه بالدخول لأثران، فهذا لا يعني منحهم الثقة، هم يقتادونه للمدينة لاستجوابه ولا بدا الأمر خلاف ما أظهره له.

على مشارف المدينة وبعد حقول الأفيون، وقف الحلفاء استعداداً للانقضاض، ليراهم أريز المتمركز في الشمال، فيرخي دفاعاته، ولدى رؤيته من يتبعهما من المخلوقات شعر بنشوة الانتصار، بالرغم من أنها

يتم بعدد المقاتلين في هذه المعركة أو خسارتهم السابقة، فهو أكثر من أي مخلوق مستعد للموت، بل لقد انضم لهم ليضمن موتاً مشرفاً له.

آريز: «لقد أتيتكم بالحلفاء».

همس له نامار فيما كان يعبر بالقرب منه قائلاً:

«هو أكثر من هذا، اتبعني».

للقائدين كان آريز محل ثقة، فهو لم يكن إلا مقاتلاً جبيل على أن يكون جندياً، لا يعلم إلا الموت وإطاعة الأوامر، إلا أنه لم يكن أحقّ بلا ذرة عقل فيه، لقد امتلك من الفطنة الكثير، عدا أن نشأته في إسبرطة كجندي جعلته الجندي المثالي المطيع. تنحى نامار عن الجمع مع آريز، فيما تابع سيون الطريق مع حلفائه الجدد خلفه.

نامار لآريز:

«أخبر الجنود بأن يعودوا لأثران، أحضر أريو وسكارم كما غارينا للهرم، وقبل دخولهم إليه أخبرهم رسالتي بالحرف الواحد، ولتخط أنت داخل الهرم معهم».

أوما آريز برأسه لدى سماعه ما قيل، منطلقاً للدفاعات المتناثرة في أطراف المدينة، ليخبرهم أنهم مخلوقات قديمت للتحالف دون الإفصاح عن المزيد من المعلومات. شعرت المخلوقات بالراحة لدى معرفتهم أن

الخطر قد زال وليس عليهم فقدان المزيد منهم، على الأقل ليس الآن
ليتجهوا لداخل أسوار المدينة ويتفاجأوا بالحشد الكبير الذي قابلهم
البشر، مثل قائديهما لم يفقهوا سبب تواجد البشر بينهم، إلا أن سيدهم
طلب منهم منحهم ملجأ في المنازل المشيدة مؤخراً من أجل الحلفاء، لتنتقل
هنا^(١) أو امره.

توجه كلٌّ من سيون ونامار مع مينوس لداخل الهرم لتبادل أطراف
الحديث في انتظار إقبال آريز ومن معه، فلقد طلب منه نقل الرسالة لهم في
مكان منعزل. وبين الأشجار الكثيفة تحدث آريز قائلاً:

«أحمل رسالة من نامار إليكم: لقد أتى حامل طيف الماء، إلا أنهم
يعلمون نواياه الحقيقية من المجيء، قد يكون عدوًّا أو حليفاً، وبأي حيلة
لا يسمح لكم بالتهجم عليه تحت أي ظرف من الظروف».

سكارم: «لماذا يعتقد نامار أننا قد نتهجم عليه؟»

غارينا: «لأنه ابن اللعين ثادياس».

ما إن سمع آريو هذا الاسم حتى تفاقم سخطه ليقوده للهرم دون
توانٍ، إلا أن آريز له بالمرصاد، ليوقف حركته عبر إحكام جباله حول
جسد آريو، ليطلق بدوره بثلاث حادة من النيْلوفر ممزّقة الجبال من عل
بدنه، وقبل أن يخطو أول خطواته؛ إذ بسكارم يقيده بجباله الكاوية، إذ

١ - بنٌ مُهَجَّنَة، ابنة أنثوس.

أن هذا لم يمنع الآخر من مقاومته ومحاولة التملص من هذه الحبال التي
نخرقه، ليقبل أريز إليه قائلاً:

«نامار يقول لك: يا فتى لا تتصرف برعونة، فقد نفقد رابطتنا الوحيدة
بـليين، ادخلوا الهرم بهدوء حتى نتمكن من إيجاد خيط بسيط يقودنا
إليها، وهذا الحديث موجه إليكما أيضاً سكارم وغارينا».

بدرك أريو جيداً ما يتغنيه نامار، هو حقاً يعي ما يصبو إليه، إلا أنه
بالكاد يكبح جماح ذاته، فعشيرته مفقودة منذ يوم ونصف من دون أثر لها
على الإطلاق، وبالرغم من أنه يشعر بحياتها تحوطه، إلا أن الحياة ليست
كل شيء، هو يعلم هذا جيداً، لو أن سينا اقتادتها حيث أورا فالموت
سيكون رحمة مقابل ما قد يحدث لها في الأسر. وهل فكر أحدهم للحظة
ماذا سيحدث لو أن حورا استخدم سائله المشؤوم عليها؟ أو لو أن أورا
فررت تجنّبها في نخبتها الصامتة؟ ماذا سيكون مصير عشيرته آنذاك؟
هل سببظر لقتلها بنفسه حتى يحميها من مصير يكون الموت فيه هو
الرحمة الوحيدة؟ لعله لا يتصرف بجنون إلا أن أريو يحترق بنار لظى لا
مثيل لها، نار يتأجج لهيبتها مع عواصف التساؤلات والاحتمالات التي لا
نهاية لها، لهذا هو الآن مستعد أن يقبض على أي خيط أمل ذليل يعيد إليه
ليين، ولعل هذا الأمل يكمن في ابن ثادياس الآن. بالرغم من أنه يمقت
هذه الحقيقة، إلا أن هذا الأمل الوحيد المتبقي له، ليرضخ للأمر الواقع

أمامه، كما أوامر نامار، ليُحل سكارم الحبال من عليه قائلاً:

«أرجوك توقف عن قهري إخضاعك بالسم، فهو يؤلني بقدر
يؤلك».

نفض أريو على قدميه مستخدماً النيلوفر لعلاج جراحه، ليُرَبّت.
كتف سكارم قائلاً:

«لا أعدك بشيء».

فينطلق الثلاثة نحو الهرم عاقدي العزم بالحصول على أي خط
يصلهم بـ سينا ولييين. أقبلت ندرين إلى أريو ومن معه لدى رز
متجهين نحو الهرم، قائلة:

«ما الذي يفعله البشر هنا؟ هل حقاً ستخذ منهم حلفاء؟»

آريز: «لا أعلم لي بأي شيء، لقد طُلب مني إحضارهم للهرم وحسب
تحرّكت ندرين لتلجّ للهرم، إلا أن آريز وقف أمامها قائلاً:
«لا، لم يتم استدعاؤك».

شعرت الينُّ بالغدر من هذا التصرف، وحقيقة استبعادها
المجموعة، مما أثار الحنق فيها؛ لماذا يتم استبعادها دوناً عن آريز؟ ولماذا
إدخال صغار السن؟ هي تعلم عن الكون أكثر منهم، فلماذا يتم جـه
هكذا؟ تولت نيدرین عنهم في غضب متوعدة:

«لم أقبل أن يتم استعبادي».

فُتح باب الهرم ليدخل مَنْ تم استدعاؤهم، وهذه المرة لم يقف سيون في الضوء بمفرده، بل استخدمه كمركز لهذا الاجتماع حيث جلس هو ومينوس قبالة بعضهما البعض، ليفصل بينهما عمود من ضياء، أما نأمار فقد طاف بالقرب من سيون. اتجهت المجموعة نحو الضوء لتأخذوا أماكنهم على الأرض حوله.

سيون: «لنبدأ بما هو مهم مينوس، ما الذي تعرفه عن سينا وسيكاي؟»

مينوس: «سينا هي الهالوك، أليس كذلك؟»

سيون: «أجل».

«لقد عرفت الهالوك لوقت طويل جداً، لقد كانت موجودة في ذكرياتي منذ يوم والدي، إلا أن أقدارنا تفرقت عندما اتخذتُ قراراً بعدم الترحال وصُنعت أرض خاصة بي، ولأن نأدياس لم يرغب بهذا افترقت طرقنا، فصنعت أنا مملكتي، وهو ارتحل مع الهالوك، لقد رأيتها مرة واحدة فقط، عندما قدمت إليّ تخبرني بموت نأدياس».

نأمار: «لماذا تدعوه باسمه؟»

«اعتدتُ فعل هذا، لم يسمح لي بمناداته أبي، فهو لديه الكثير من الأعداء، ولم يرغب بأن يعلم أحدٌ بوجودي ليستخدمني كنقطة ضعف له، فبات وجودي سرّاً لا يعلمه أحد».

سيون: «فيما عدا سينا طبعًا».

تبسم مينوس مجيئًا: «حتى الهالوك لا تذكر وجودي».

سيون: «ماذا تقصد؟»

«جميع المخلوقات دون استثناء، ليكن تكوينها من نار، طين، نباتات، يشتركون في شيء واحد، الماء، هو العنصر المشترك بين الخليقة، وبسبب حملي طيف الماء، أعلم أن عقول المخلوقات تحتوي الكثير من المياه، هذا يجعلني قادرًا على التحكم بذكرياتهم، بيساطة أو بالماء في عقولهم، وأحجب أي ذكرى أرغب بإزالتها، وحين أفعل، فإن باقي الذكريات تعيد تشكيل وتنظيم ذاتها متجةً ذكريات جد كاذبة وموهة ليتناسب الماضي في سلسلة واحدة طويلة من الأحدا بهذه الطريقة حافظت على وجودي والطيف لوقت طويل، فلا يتذكر وجودي».

شعرت المجموعة بالانبهار والذعر من هذا الأمر، لم يُجِيل لهم لو، أن أمرًا كهذا ممكن، باستطاعة الأطياف التلاعب بالعناصر الطبيعية أن قدرة طيف الماء بالتلاعب بالمخلوقات كانت مَهِيبة، ليتسلل الشك فؤاد سيون؛ سبق أن عرف بوجود مينوس؟ هل تم التلاعب بذكريته ولكن لم عليه أن يعلم بشأن مينوس؟ هو لم يرتبط بأي علاقة مع نادابام لقد كان مجرد آفاري بالنسبة له، أو ربما لم يكن، لربما خططًا لشيء منذ

ونمت حجب ذكرياته عنه، لكن ما الفائدة من التفكير بهذا الشأن؟ لا يهم كل هذا، ما يهمه الآن هو الانتهاء من الحرب. وكان مينوس قرأ أفكار سيون، أعقب قائلاً:

«لا تقلق، لم تقابل قبل اليوم سيون، ولم أحجب أيًا من ذكرياتك».

سيون: «سبق أن أخبرناك أن سينا اختطف فتاة من أثران، هل تعلم إلى أين قد تتجه بها؟»

مينوس: «دعني أسألك هذا، لماذا الفتاة مهمة إلى هذه الدرجة؟»

نامار: «إنها رفيقتنا».

«اعذر جراتي، ولكن لا أعتقد أنك تقول الحقيقة، الفتاة أكثر من مجرد رفيقة، إن كانت الهالوك قد أخذتها فلا بد أن الفتاة لديها قيمة كبيرة جدًا».

أريو: «يبدو أنك تعلم الكثير عن طريقة تفكير سينا».

مينوس: «أكره تخييب ظنك، إلا أنني لا أعلم كيف تفكر، أو بالأحرى لا أعتقد أنها تفكر، الهالوك من الجيل الضال، لا تملك رغبات أو مشاعر، مجرد وعاء يتم سكب المعلومات والرغبات فيه لا أكثر، هي وجدت لتنفيذ ما تؤمر به دون أي اعتراض، لم أرَ فيها أي شيء يدل عن الحياة يومًا، حتى عندما نباتني بموت والدي الذي رعاها كابته له، لم تذرف دموعًا واحدة، بل هي أخبرتني عن فاجعتي كما لو أنها تخبرني عن شروق الشمس، كأن

موته أمر مُسلَّم به، أو أمر يحدث كل يوم، ليس بشيء جديد، أمرٌ أمر
أعلمه يقينًا وهو أن الهالوك ستُنقذ ما أمرت به، ألا وهو إنهاء أوراء.

سيون: «بل أنا مَنْ أكره تخييب ظنك، إلا أن سينا تحمل مشاعره
الخاصة، سبق وأن قدمت فؤادها لبشري؛ لذلك هي تحمل من العفْرِ
والمشاعر الكثير، وبالرغم مما تقوله أنت أو غيرك إلا أن ذات المخلوقين
اللتين تبادلتا العهد مع ثادياس، هما مَنْ اختطفتا فتاة مهمة لإنهاء أوراء
وهذه الحرب، فإن كانت سينا على عهدهما، لماذا تختطف الفتاة مرغلة
بعيدًا حيث لا يمكننا رؤيتها؟»

بدت نظرة التعجب على مُحيا مينوس الذي تفاجأ من حقيقة امتلاك
سينا المشاعر.

«لم أعلم أن الهالوك قد قدمت فؤادها، وبات لها إرادة خاصة بها، هذا
قد يُغير الكثير من الأمور، أنا لم أكذب في قولي إني محوت ذكريات الهالوك
عني في آخر لقاء، هي حقًا لا تذكرني. ولكن اسمح لي بالقول سيون، لقد
قلت إن الفتاة عنصر مهم لإنهاء أوراء، هل هي وريثة طيف الريح؟»

لم يعلم سيون كيف يجيب، حيث إن هنالك احتمالين هنا؛ إن كانت
سينا قد أخذت لبين حيث أوراء فإخباره بالحقيقة لا يهم الآن، أما إن
تذهب بها للعدو بعد، فهناك مخاطرة أن مينوس قد يذهب بهذه المعلومة
لأوراء، وهذا يعني وضع لبين في خطر أكبر من ذي قبل.

نامار مضلاً مینوس: «أليست سينا هي من يحمل طيف الريح معها؟»
شعر سيون بالذعر المتمكن منه يخبو عندما قذف نامار سؤاله المضلل،
ليجيب الآخر قائلاً:

«الهاولك مجرد وعاء حملت الطيف معها عندما قُتل ثادياس، إلا أنها
لا تستطيع استخدامه، يمكن لأي مخلوق حمل الطيف، إلا أن استخدام
قدرة الطيف الحقيقية ملكٌ للورثة فقط. أنت تعلم ما أقصد بقدرة الطيف
الحقيقية، أليس كذلك نامار؟ أستطيع الشعور بالطيف يسري فيك».

تسم نامار: «هذا مضحك، أتعلم: أنا لا أستطيع الشعور بالطيف
يتدفق فيك؟»

ما إن قال قوله حتى بات منجله عند عنق مینوس ليوقفه بحزام من
الماء، أما باقي الحضور فلن يبرحوا أماكنهم، منتظرين تبرير مینوس
القائل:

«لأن الماء ماکر، هو بلا هيئة، ليتشكل هيئة من يحتله، فلا يمكنك
تحديد وجوده».

سيون: «أثبت ذلك إذن، أظهر لنا الطيف».

أصيب مینوس بالاضطراب لثوانٍ، إلا أن حرارة نَصل نامار في تزايد،
مما جعل حزام الماء الذي يحمله يغلي متبخراً بسرعة، لقد سمع الكثير عن

نامار الذي تجسّد الغضب فيه، كذلك تجسيد الحياة عند سيون، إلا أن وجود الاثنين معًا جعلهما قوة لا يُستهان بها؛ واقع سلّم به مينوس منذ اللحظة التي شعر بها يخطوان فوق الماء، كل ذرّة كيّان فيه انتفضت ذعرًا عالميًا علم اليقين أن تحديهما أو استغفالهما تصرّف أرعن؛ لذلك قرّر أن يستسلم لمطالبهما، ففي نهاية الأمر هم يسعون للهدف ذاته، حتى لو أنهم لا يصدقون نواياه، وكل هذا بسبب تصرف الهالوك الطائش.

تنهد مينوس قائلاً: «سأفعل، إلا أنني أريدكما احتساب هذا كحُسن نية مني، وليتوقف شكُّكم بي».

ازدادت حرارة منجل نامار حتى إن الماء تبخر في ثوانٍ، ليصل المنجل لعنق مينوس، فيحصل على إجابته من الجان:

«أنت لا تُحدد سير الأمور هنا، بل نحن مَن يفعل، أظهر الطيف وسنعتبر هذا ثمنًا رخيصًا لحياتك».

نظر مينوس نحو سيون، كمَن يستنجد، إلا أن الآخر أجاب قائلاً: «أعتقد أن إظهار الطيف ثمن بخس مقابل حياتك».

عَلِمَ أن تخوّفه منهما في مكانه، فبالرغم من أنها متناقضان، إلا أنها عضدٌ غليظ، ثقتها ببعضها البعض منقطعة النظير. أغمض مينوس عينيه، وفي داخله لجأ لطيف الماء مناجيًا إياه:

«عليك إظهار ذاتك لهم، وإلا فهي نهايتي».

طيف الماء: «لم يكن هذا الاتفاق».

مينوس: «لا يهمني الاتفاق، ما يهمني هو حياتي، إن لم تُظهر ذاتك لهم
سينصون رأسي».

«الطيب النار وريث كفو، وليس مثلي، فوريثي أناي لا يهتم إلا لذاته».
«أنت من اخترت وريثك، أتذكر؟ إن قُلت الآن فستحل نهايتك
معي، نَجَلْ أمامهم، ولتقذ حياة كلينا».

طيف الماء: «ليكن إذن، قدرنا هو الاندثار».

شعر مينوس بكامل كيانه يُجترُّ لخارج جسده وبأنفاسه تتأقل داخله،
والوزر الذي حمله جسده وروحه يتقلص حتى كاد يزول تمامًا، إلا أن
الطيب ما زال متصلاً به لم يخرج كلياً، هو فقط يجعل الجمهور يختلسون
نظرة إليه، ليشهدوا بأمر أعينهم أنه حامل الطيف. مينوس يعلم أن الطيف
ما زال بحاجة إليه كما هو. شهدت المجموعة انبثاق هالة عديمة اللون
من صدر مينوس، إلا أن وجودها جليٌّ للعيان، حيث إن الضوء انكسر
من خلالها كما يحدث مع الماء. الآن، ولأول مرة منذ اتحدًا بحادث طيف
النار نأمار قائلاً:

«إنه الطيف الحق».

لوهلة جزع الجان من سماع ذات الصوت الغليظ والعميق ينحدر
من داخله، ليجيب هو الآخر:

«هل أنت موقن؟»

«ما كنت لأخطئ».

بالرغم من إسهابه في الحديث حين كان يتأصل في نامار، إلا أن طير
النار قليل الحديث، الأمر الذي أسعد الجان، فهو لا يحب اللغو الكي.
وإن كان هو من يسرف فيه بعض الأحيان. نظر نامار لـ سيون، التي
بادله النظر ليومئ إليه بالتأكيد أن هذا هو الطيف المنتظر، وبعد أن تقص
المجموعة من هذا وقبل أن ينتزع نامار المنجل، طرح سؤاله للطيف:

«هل هو خائن؟»

طيف النار: «الأطياف لا تخون».

نامار: «ماذا عن وريثه؟»

«لا حكم لي، تذكر، هو يرى حيث أعجز أنا».

فَقَّ نامار ما عناه الطيف بهذا، أنَّ عليهم استغلاله لرؤية موقع ليد
إن كانت ما تزال في البحر؛ لأنها إن لم تكن فهذا يعني أنها في مسار ليد
حيث لا يراها نامار، وهذا دليلهم القاطع على خيانة سينا كما موقع ليد.
استعاد نامار نَصْله من عنق مينوس، ليتقهقر الطيف داخله بسرعة،

لحامله باستعادة أنفاسه الغائبة، حلق الجان عائداً لموقعه ليتوقف ناظرًا إلى سيون لتلتقي أعينهما معًا، حرك الجان عينيه مشيرًا حيث مينوس، ثم أوماً في إشارة لـ سيون أن يتبع خطاه فيما سيحدث، ونظرًا لتاريخهما الحافل معًا في الحديث دون نطق الكلمات، أيقن ما يعنيه رفيقه.

نامار: «لقد أثبت طيف النار أحقيتك».

مينوس: «إذن هل تُصدق ولائي؟»

سيون: «لا، إثبات استحقاكك للطيف وثقتنا بك أمران منفصلان، لنكتفي بالقول إننا لن نقلك الآن».

مينوس: «ماذا تريدون إذن؟»

بالرغم من أن أريو وافق على عدم التدخل فيما سيحدث أو إحداث جلبة، إلا أن صبره نفذ، لم يهتم بأحقية مينوس أو بطيفه، كل ما رغب به هو بصيص أمل يوصله لـ ليبين، ليكسر صمته قائلًا:

«قدنا حيث ليبين، ابحث عنها في البحار الآن».

نظر الجميع إليه باستنكارٍ من فعله بالرغم من تفهّمهم لوضعه، إلا أن هذا لا يمنحه الحق بتجاوز القائدين، عدا أن أريو كان يفرق في ظلمات اليأس وأمواجه التي تستمر في غمره للقاع، حتى بات التنفس مستحيلًا له.

مينوس: «أتطلب مني النظر في كل مصدر مياه على الأرض؟ لا إنك فقدت عقلك! إن لم تكن تعلم هذا فساخبرك به، الماء يحتل 70% من الأرض مساحة أكبر من اليابسة؛ لذلك النظر إليه جميعاً مستحيل».

أريو: «لا يهمني إن كان عليك النظر في مياه الفلك كله! جذلي ليس نامار لم يجدها على سطح اليابسة أو أعماق المحيطات كلها، فهذا يعني أنه على الماء».

مينوس: «لعلها في مسار أورا، ألم تفكر بهذا؟»

أريو: «حتى إن كانت على المسار، فأنت قادر على النظر هنالك».

«ليس من دون تعريض ذاتي وأنتم للخطر».

الآن بات سخط أريو يغلي في عروقه، لم يتحمل المزيد من التأخير، لينهض على قدميه متجهًا نحو مينوس، ليوقفه آريز قبل أن يخطو ثلث خطواته، محذراً:

«من الأفضل لك التزام الهدوء والصمت، لقد تعديت حدودك التي طُلبت منك، والآن تراجع».

فتح أريو فمه ليتحدث، ليأتيه صوت سيون الصارم من خلفه والذي لم يخاطبه به من قبل قائلًا:

«أريو، عُد لمكانك أو اخرُج من هنا».

نظر الآخر حيث سيون ونامار والغيط ملئ عينه وأنهار
هذا الغيط هو هشيم روحه الذي سكن عينيه، نظرة عرفها سيون ونامار
جيداً، فقدان العشير ليس أمراً سهلاً، برابطة أو بدونها، الحب الخالص،
الود الأزلي، ليس بحاجة لرابطة مقدسة كيقين له، فهي وجدت لتُحيي
أفئدة البن المحتضرة، ودون ذلك لا شيء آخر مهم. ف هيرانم وبالاي،
كانا مرتبطين في زمنٍ ما، إلا أن هذه الرابطة لم تمنع أن حبهما تعشش في
روحهما، أو أن للود بينهما مكاناً، بالرغم من الرابطة إلا أنها تباعدا،
وهيرانم ضحت بابنها أغلى ما في الوجود من أجل حياتها^(١)، والآن
بالاي يسعى خلف حياتها، فرباطتهما انقطعت منذ أمدٍ لتحتل البغضاء
مكانها بينهما؛ لذلك يعلم نامار وسيون جيداً أن ما يوجد في أفئدة العشراء
أكثر من رابطة أنها أصل الحياة كما الوجود، ما تحمله الأفئدة هو الحياة
بعد تذوق سكرات الموت، والآن أريو يختبر هذه السكرات في جهل عن
مصر عشيرته. عدا أن هذا ليس عذراً له ليتخطى حدوده وأوامر قائديه،
إن كان يفكر في عشيرته فالجميع هنا يفكر في الأمر ذاته، إلا أنه توجد
غلوقات أخرى على سطح الأرض عليهم التفكير بهم، فالآن وبعد كل
الحسرة التي تكبدها الحلفاء، لا بد أن تكون كل حركة لهم محسوبة، فلا
 مجال لأي أخطاء مهما كانت صغيرة، فأي عشرة تعني التضحية بحياة

١- حلفاء: تعاقدت هيرانم مع ميزويا لاختطاف وتسخير الجان المهجن كجنود
الأورا.

أحد ما؛ لذلك عندما لم يستجب أريو لحديث والده، استمر في النظر
كطفل يرجو العطف، تلك النظرات سحقت فؤاد سيون العاجز
إزالة ألم ابنه، ليتولى نامار الأمر من طرفه قائلاً بحزم: «الآن، يا فتى»
طأطأ أريو رأسه، جازاً قدميه عبر الأرض، إلا أنه لم يأخذ مكانه على
الأرض، بل انعزل في ركن مظلم، حيث لا يراه أحد، وأنصت بحرق
يعادله شيء.

نامار: «الفتاة ليبين، هي حاملة طيف الريح كما ذكرت مسبقاً، لقد
ترعرعت على يدي والديها والهاوك التي راقبت بينما فقد والد لي
الحياة، ثم الآن اختطفتهما من بين أيدينا، عليك إيجادها كي لا نفلح
لأورا».

مينوس: «والديها؟ هل هي هجينة؟ ولم قد تهتم الهاوك بتربية مخلوق آخر؟»
قص سيون لـ مينوس ما تكونه ليبين، وأنها استمدت الطيف من فؤاد
طفل سينا الذي حملته جلنار داخلها، ليُردف الآخر قائلاً: «ما دام هذا
الهاوك هو تدمير أورا، فلم تأخذ الفتاة؟ الأطياف هي السبيل لإنهائها في
نهاية المطاف، اختطف الفتاة سيمع هذا».

نامار: «ماذا لو أنها لم ترغب بإنهاء أورا؟ لقد أخفت حقيقة الطيف
داخل ليبين عن الجميع حتى والديها، فلماذا الآن؟ لماذا لم تأخذها لـ أورا
لحظة علمت عن الطيف داخلها؟»

«هذه الأسئلة ينبغي طرحها على الهالوك، ليس لي معرفة عن طريقة عمل عقلها بعد أن حصلت على المشاعر؛ لذلك لا أستطيع تقديم المساعدة».

سيون: «بلى تستطيع، أظهر لنا حُسن نواياك وابحث عن لييين في كل مصدر للمياه، لا يهمني إن كان قليلاً أو كثيراً».

أخذ مينوس أنفاساً عميقة قائلاً:

«حسنًا إذن، إلا أنني لن أقرب من مسار أورا، إن لم أجد الفتاة في أي بقعة على الأرض فهذا يعني أنها في المسار، ولن أتجاوز تلك المنطقة، لقد قضيت حياتي أتحاشى المرور بها».

نامار: «ليكن إذن، ابدأ عملك».

أغمض مينوس عينيه فيما أبطأ تنفُّسه، وهدوء كسكون الليل قام بها أمر به، لتمضي دقائق كانت مثل الأبدية لهم في انتظار خيط يصلهم برفقتهم، أما أريو فقد ترك الظلام ليلتله. أخيرًا نطق مينوس:

«لست أراها، ليست على البحر أو فيه، لم أجدها في كل مصادر المياه، في هذه الحالة من الأفضل التسليم أنها ذهبت حيث أورا، والتحرك على هذا الأساس».

عميقًا في فؤاد أريو علم أن هذه وجهة سينا، أنها تأخذ عشرين للموت، ولسبب ما وقع هذا لم يكن مؤلمًا عليه أو صادمًا، كان فوائده بات

هوة لا تحمل شيئاً من المشاعر فيه، ومن دون أن ينبس بكلمة واحدة غروراً بعيداً عن الظلام، متجهاً للباب ومنه لخارج الهرم، ليتبعه سكارم وغارينا لمنعه من ارتكاب حماقات، فيما ظل نامار وسيون حيث هما، ليس وكله لم يرغب باللاحاق خلف ابنه، بل لأنه لم يعلم ما يمكنه أن يقدمه له، علماً أنه أيقن أن التحرك بسرعة حيث أورا هو الحل الأمثل الآن، لقد كانت هذه هي الخطة منذ أن تمت الإغارة عليهم، ولكن الآن لا يمكنهم التأخير أو المماطلة، ما إن يصل إيلهاب هنا بالجان حتى يتم إعلان يوم الحرب الموعودة، حرب واحدة، شاملة، تُنهي كل شيء.

بين ظلال الأشجار ارتحل أريو، متجاوزاً كل المخلوقات من حوله، كما لو أنهم مجرد وهم، من خلفه سكارم وغارينا يتبعانه خطوة بخطوة، دون الحديث معه أو منعه من أي شيء، أخيراً تجرد أريو في مكانه عندما وجد أن قدميه قادته حيث ضريح جلنار وشاوران، وتلك الأزهار التي زينت الأرض تتراقص مع الرياح بهدوء، هذه الرياح التي تعود لمحبوته، هي جزء منها، بالرغم من أنه يشعر بالرياح تداعب خصلات شعره، كما وجنتيه الساختين من الغضب، إلا أنها لا تحمل فيها شيئاً من ربح ليبين، هذه ليست ريحها، بل مجرد نسيم عابر أتى ساخرًا من ألمه وشوقه.

ليحكى وصبه قائلاً:

«ماذا أفعل الآن سكارم؟ لا أعلم ما يتعين علي القيام به، أشعر



بروحى تتلاشى، أشعر بـ لِيَّينِ حية، إلا أنها ليست حولي، حتى هذه الرياح لا تحمل في شذاها طيف لِيَّينِ، جميعنا نعلم ما يحدث حيث أورا، ولا أستطيع تحمُّل فكرة أنها تتألم بمفردها».

سكارم: «لا أستطيع أن أقول لك أكثر مما قيل، لا يهْمُ كم سأخبرك أن تنتظر، أن تتق بنا أو بـ لِيَّينِ، فلا أحد منا يشعر بالنار المتأججة في كيائك، كلُّ ما أقوى قوله هو أننا ستتجاوز هذا معًا، لقد فعلنا مسبقًا، وسنفعل مجددًا، لقد أقسمنا بهذا، أنت تعلم مَنْ تكون عشيرتك، لقد طلبت منك أن تتق بها، فلتفعل؛ لذلك عندما يحين الحراك، وسيحين قريبًا جدًّا، سأنطلق أنا، وأنت، وإيلهاب، وغارينا حيث لِيَّينِ لنخرجها من حيث هي، لنعيدها للمنزل».

«سأعتمد خطتك هذه سكارم».

استدارت المجموعة حيث الصوت ليجدوا سيون خلفهم، لقد أنصت لحوارهم كله، ليردف:

«الحراك لن يطول، نحن ننتظر إيلهاب مع الجان، وحين يكتمل عدد الحلفاء سننطلق، وليَّينِ هي هدفكم».

غارينا: «هل يمكن أن نثق بابن ثادياس؟ لعله يقودنا لمكيدة؟»

نامار: «لا يهْمُ إن كانت مكيدة أم لا، لقد قررنا أنا وسيون الحراك نحو أورا قبل ظهوره، كلُّ ما فعله هو التأكيد على خطتنا فحسب».



قال نامار قوله ثم رحل مشيرًا لكل من سكارم وغاريننا أن يبتعد،
ليطيعاه، فأصبح كل من سيون وأريو بمفردهما، متيحًا للنيلوفر الفرس
لطرّح السؤال الذي كان يتأجج في فؤاده:

«هل تثق بي؟»

أريو: «لماذا تطرح هذا السؤال فجأة؟»

«أجيني».

رغب أريو بأن يصرخ على سيون غاضبًا، إلا أنه عندما نظر إليه وجد
وجدانه قلقًا مضطربًا من فقدان ما يعز عليه أكثر من الحياة، فتلاشى
غضبه حيرةً على كل الأفئدة التي أحاطت قلقه حبًا، ليجيب قائلاً:
«تعلم أنني أثق بك».

سيون: «إذن لتثق أنني ما كنت لأوذى وجدانك».

«أجل، أنا أعني مسؤولياتك سيون؛ أنت تحترق بين نارين، المخلوقات
من جهة، وأنا من الطرف الآخر».

«لست هنا لأشكو همي، بل لأنزع عنك همك. أريو، لن أسمح لأي
شر أن يُبعدك عن عشيرتك، ثق بي؛ سأعفو شرور العالم كله من أجلكم
جميعًا، أنت ومن رافقنا في هذه البعثة. ولست وحدي في هذا، بل نامار
معي، لقد أقسمنا على أن نُنهي الحرب معًا كما بدأناها، فارم بوزرك عليّ
وسأحمله عنك كله».



لم نجد الدموع مكانًا في عيني أريو لتبقى، فهربت منه، ليتدارك ذاته
مزبلاً إياها عن وجهه، ناظرًا في عيني والده قائلاً: «وأنت، مَنْ يحمل
أوزارك عنك؟»

بُهِت سيون من هذا السؤال الذي فاجأه، ليجد عيني ابنه تتلونان
بشيء من العطف عليه، ليجيب:

«هي ليست أوزارًا بني، ليس حين يتعلق الأمر بك؛ فكلُّ ما تلقىه عليَّ
وأخففه عنك هو نعمة أحظى بها، فهذا دليل أنك تثق بي وتجد في وجودي
العضد والمُلجأ لأتراحك، وهذا كل ما يتمناه أيُّ أب».

كم أنَّ وجدان والده شاسع ليحمل كل هذا الحب له! كم أنَّ رغبته
وأمنيته بسيطة للغاية؛ لا يرجو شيئًا عدا أن يكون مع ابنه ومشغولًا في
حياته وأيامه، ليعقب أريو:

«إذن لتحرص على أن تحظى بهذه النعمة التي ترغب بها؛ احرص ألا
تغامر بعيدًا حيث لا يمكن لي أن أُلقي بأعبائي عليك، ابقَ حتى أُلقي بكل
أحالي عليك لباقي حياتي».

انجبه سيون نحو أريو، ولأول مرة منذ كان طفلًا يشعر بابنه بين ذراعيه
دون أن يدفعه أو يبتعد. بين ذراعي والده استرخى بدنه، وهدأت أنفاسه
ونبضات وجدانه المضطرب، ليحكم سيون قبضته أكثر ممتلئًا بالعرفان
والسعادة. أما أريو، فشعر بذاته يعود طفلًا بين ذراعي والده؛ كم حنَّ



لهذه اللحظة وإن لم يعلم بهذا، لتعود إليه تلك الذكرى وهو طفل ينظر
متشاقلاً على الأرض ووالده يفتح له ذراعيه منادياً إياه ليخطر نحره
وحين يفعل تنفجح مَحْيَا سيون سعادةً، ليحمله بين ذراعيه رافعاً إياه نحو
السماء بسرور كبير. كم اشتاق أريو لما لا يذكره، والآن هو هنا، يشعر بأنه
في مكانه الصحيح، هنا حيث ينتمي ويسكن، هذا ما تاق إليه منذ أزل،
إلى والده.

بادله أريو الحُضْن، وكسِيلٍ باردٍ لطيفٍ انجرف سخطه لتحلَّ مكانه
الطمأنينة المفقودة. أما سيون، فشعر بنبضات قلب ابنه تتناغم معه،
وبحرارة جسده تغمر كيانه؛ أخيراً ابنه بين ذراعيه. هذا ما ابتغى منذ
ارتحل في الماضي، هذا ما اشتاق إليه؛ شَبْلَه الصغير بات أسداً يتعالى زنبيره
في الأرجاء. ومن أجل هذه اللحظة التي فاقت كل تصوراته، أقسم أن
ينهي أورا مهما كان الثمن، ومهما كانت العاقبة.

جَنَحَ الليل بستاره المظلم عليهم، لتتناثر المخلوقات على باحة التدريب
استعداداً للحراك المرتقب. في الأفق، تلالأت السماء بنجوم مضيئة حلَّفت
بسرعة نحو أثران، مَحْيَلَة سماء الليل لجواهر تزينت بالشهب الهاوية صَوَّبَ
المدينة؛ شُهْبٌ تلونت بكل أطياف الألوان ليتصفها لهيب أسود ساطع
امترج مع ظلمة الليل. إنه لهيب إيلهاب، مقبل إليهم بالحلفاء، ومن خلفه
الجان مُرَفَرَفِين بأجنحتهم أو مُحَلِّقِينَ في السماء بأبدان تذررت باللهب.



حلفوا صفوفاً منتظمة، ليتصدر كلُّ صفٍّ «جان» يحمل عَلَمَ مملكتهم،
ليماً مضطرباً بشعار باسيليا: خمسة قرون بيضاء مشتعلة توسَّطتها فأسٌ
بيضاء كبيرة، إكراماً لملكهم السابق زائينيل.

شاهدت أثران هذا المشهد بفخر غير مسبوق، إلا أنه مُزج بالواقع المرء؛
الحراك قادم وأنَّ أوان الحرب. اتجه يوكيم نحو المشاعل المحيطة بالحلبة
وأشعلها بنار سوداء كما أمره نامار، دلالةً على أنهم في حماية نامار هنا،
وحين فعل ابتعدت المخلوقات عن أرض الحلبة مفسحين المجال لآلاف
الجان المقبلين إليهم. وكما سبق وعاهدوا قائديهما باستقبال حلفائهم دون
اقتراضات سابقة، وقبيل وصول الجان، تم رفعُ أعلام أثران مُزفرة مع
الريح؛ هذه الأعلام تم صنعها اليوم باقتراح من أريز وأمر من سيون،
حيث أجمعت المخلوقات دون تردد على شعار عَلَمهم: «جلنار قرمزية
مشتعلة بنار سوداء». فهذه أثران، أرض المخلوقات بلا استثناء؛ إنها للجان
كما الجان، وطنٌ يحتضن كل الأفتدة والأعراق.

أقبل القائدان للساحة ومن خلفهما أريو، سكارم، وأريز، أما غاريننا
فقد حلفت للسماء لتلتقي بإلهاب مع الجان، كمن يُظهر لهم موافقة
أثران على دخولهم أرضها آمنين سالمين. الآن وهم في سماء المدينة، أحال
لهب الجان الليل لنهار مشرق بالحياة، ليتقهقر الظلام خوفاً من قوة الحراك
القادم. وعلى أرض الساحة هبطوا يترأسهم إلهاب والملك بارموث؛
وجهاً لوجه التقى الحلفاء والصمت كلُّ ما لحن في الأرجاء. لم يتحرك أيُّ



مخلوق من الطرفين عن موقعه خوفًا من أن تُعتبر أي حركة هجومًا على حلفائهم، فلا يمكن لعداوة دامت منذ فجر المخلوقات أن تُمحي خلال ثوانٍ، فظل الجميع متأهبًا لغدر الطرف الآخر، فيما عدا القادة.

أقبل سيون نحو الجان فور هبوطهم، وفيما تجاوز إيلهاب نهر بارموث، رُبت على كتفيه قائلاً:

«أهلاً بعودتك».

ثم أكمل الخطي حيث الملك قائلاً:

«أشكر لك قدومك هنا أيها الملك بارموث، كما أقدم تعازي في والدك الملك العظيم زابنيل؛ لقد كان حقًا مخلوقًا استثنائيًا».

بارموث: «لشعر والدي بالفخر إن سمع شهادة من مخلوق مثلك سيون. وأقدم أسفي على فقدانكم البين شاوران وعشيرته، بالرغم من أني لم أقابله يومًا إلا أني سمعت الكثير عنه؛ لقد فقدت المخلوقات قائداً قوياً».

نامار: «لقد تكبد الطرفان الكثير من الخسائر؛ لذلك لا بدّ لنا من التحرك السريع أيها الملك».

«لكم هذا، ولكن أولاً أرجو أن يجد جيشي معسكرًا لهم، فلقد كان ترحالنا طويلاً».



سيون: «وهو كذلك، سيرشدكم يوكيم حيث أرضكم البركانية».
أقبل يوكيم عند استدعائه، وبالرغم من عدم قوله أي شيء، إلا أن
البغضاء والعداوة جليان عليه، مما جعل بارموث يتحدث قائلاً:
«أرغب بتوجيه بضع كلمات للهجناء من الجان».
نامار: «هم من ذوي جنسك، فقل ما ترغب».

فرد بارموث جناحيه ليرتفع عن الأرض قليلاً، فبات جلياً للجميع:
«أيها الهجناء من الجان، أعلم جيداً بغضاءكم لنا ومدى تعمق جذور
هذه الكراهية، وأنهم شعوركم. لست هنا لأبرر أو أعذر عن أفعال
الملك الراحل زابنيل، ولن أقدم أعذاراً لأحداث الماضي، إلا أنني أقول
لكم التالي: «أنتم من ذوي أضلي وجنسي، أرضي هي أرضكم، ملكي
هو ملككم، وكل ما يحق للجان هو حق لكم. لقد قاتل آباؤكم معنا بلا
هراة، والعديد فقدوا حياتهم في سبيل صنع وطن يتمون إليه، وها أنتم
ذاتقائلون دفاعاً عن قضيتهم. سنقاتل صفّاً واحداً ملتحمين، هجناء أم
نقين، أنتم مني وأنا منكم، لذا أرجو أن تسمحوا لي بتقديم احترامي
لكم ولذويكم. أرجو بعد انتهاء هذه الحرب أن تجدوا في ملكي أرضاً
لكم، فأنتم لستم هجناء، بئنا كنتم أم جناً؛ دماؤكم طاهرة. كما أنتم أيتها
المخلوقات، باختلاف مسمياتكم وأعراقكم، جميعكم دون استثناء حلفاء
لي ولملكتي، ما يصيكم يصيبني، ومن يعاديكم يعاديني. أقسم بأن يحلّ

السلام بيننا؛ لا قتال أو قتل، لا غدر أو هدر للدماء، هذا عهد على نفسي وذريتي لنهاية الأزمان، بهذا أنا ملك الجان بارموث أقسم.

هتفت الحشود بهجةً بهذا العهد؛ فلم يغفل عن أذهانهم أن نهاية أورا قد تؤدي إلى حرب جديدة بين الجان والين، أمرٌ خشوه وهابوه. هم يخوضوا حرباً للنجاة حتى يمهّدوا درباً لحرب جديدة؛ لذلك منحهم حديث الملك وعهده الطمأنينة التي رغبوا بها؛ الآن ستحتفظ المخلوقات بأثران، ويعود الجان لمملكته دون أيّ قتال يُلوح في الأفق، هذا كل ما رجاه الجميع، بما في ذلك نامار وسيون.

في انشغال المخلوقات بالهتاف لحظبة بارموث، توجه إيلهاب لأصدقائه:

«هل من أخبارٍ عن ليبين؟»

هز أريو رأسه نافيًا، ليردّ إيلهاب:

«تعلمُ أننا لن نتخلّى عنها، أليس كذلك؟»

أريو: «أجل، أعلم هذا».

«هل توصلتم لخيطٍ يدلنا عن سبب أخذ سينها؟»

سكارم: «هي تقودها لأورا، لقد حصلنا على تأكيد بهذا».

إيلهاب: «من؟»



أريو: «أحدهم أقبل إلينا مدعيًا حمله لطيف الماء، يُدعى مينوس، وهو
هجين نادباس الملعون».

إيلهاب: «مدعيًا؟»

سكارم: «لقد أثبت حمله للطيف».

أريو: «لستُ أثقُ به».

غارينا: «لا أحد منا يفعل، إلا أنه أملنا الوحيد لإنهاء أورا الآن».

إيلهاب: «لنرى ما لدى سيون ونامار ليقولاه بهذا الشأن».

هبط بارموث على الأرض ليرى يوكيم أمامه، والذي لا يبدو عليه
الرضا أو تصديق كلماته. بارموث يعلم جيدًا ما عاناه الهجّناء في سبيل
حلفهم مع والده، بل يعلم ما قام به والده لفرض هذا التحالف عليهم؛
لعله ليس ملومًا على أخطاء مَنْ سبقه، إلا أن واجبه تصحيح أخطاء
الماضي، وسيفعل دون شك؛ فهو لن يحمل مجد والده، بل سيصنع مجده
الخاص.

بارموث: «لم أرك منذ وقت طويل يوكيم».

«أيها الملك، مرحبًا بك بيننا».

«لا يبدو عليك الترحيب حقًا».

يوكيم: «هل يهّم رأيي؟ نحن مجرد حلفاء حتى انتهاء الحرب؛ لذلك
أك اللباقة الكافية كحليف وملك».



بارموث: «نحن حلفاء حتى بعد انتهاء الحرب».

يوكيم: «سمعت هذا من قبلُ كما فعل والدي، لست أحمق لأُخدع بهذا مجددًا».

«لا، أنت لست أحمق بالتأكيد. لست أستنكر عدم ثقتك بنا، فهذه هي النتيجة الطبيعية لما حدث في الماضي، لكن أرجو أن تُبقي ذهنك منفتحًا للمستقبل ولما أنا صانع لإثبات عزمي لكم».

يوكيم: «لن أنتظر منك شيئًا. والآن اعذرني، فلقد وكل إليَّ قائدًا مهمّة مرافقة الجان لأرضهم». وقد نطق كلمة «قائدًا» بإصرار كمن يعلن للملك انه لا يملك سلطة عليه.

وفيما تحرك يوكيم، تبعه إيلهاب ليُقدم أوامره للجان، إلا أن نامار استوقفهما قائلاً:

«لا تتباطأ، أوصلا الجان وعودًا فورًا للهرم، فليُنّا طويل».

استدعى إيلهاب شهايا قائلاً:

«لقد وُفيت بوعدِي، أنتِ الآن من أثران. إن كنت ترغين بالقتال فلا سبيل لك حيث يقطن الجان؛ لذا ستُبقين هنا برُفقة المخلوقات».

شهايا: «لست أمانع، كما أُنِي لا أرغب بالبقاء بين عقول الجان المتصلبة».

طلب إيلهاب من يوكيم الانتظار لبرهة، فيما قاد شهايا حيث غاربا،

إلا أن نامار رأى ما يحدث ليستوقفهما قائلاً:

«إلهاب، مَنْ الجان التي معك؟»

علم إلهاب أن السبب من التساؤل هو حول كونها أنثى وليس استنكاراً لوجودها. تصلبت شهايا، فيما أقبل نامار صوبها ليجدها فرصة جيدة للعبث معها:

«ما بالكِ أيتها الجان؟ هل مظهري يشلُّ تفكيركِ؟»

وقبل أن يحصل على الإجابة، وجد أنها لا تحمل أيَّ خوف منه في عينيها، بل كانتا مليئتين بالاحترام والإعجاب، لتهتف بصوتٍ صاخب رغماً عنها:

«لا بالتأكيد، لستُ خائفة منك! لقد سمعت الكثير من القصص عنك من سلفي، لطالما حمل الكثير من الاحترام لك. أخبرني كلَّ شيء عن قصصك، انتصاراتك، أفكارك، كما مبادئك. أنت لا تهتم بمن يقف أمامك من المخلوقات ما دام يحيا بكرم، يقاتل ببسالة، ويفخر بذاته، فلا يملك إن كان أصغر مخلوق أو أكبرها، فأنت ستُقدم الاحترام له. تمنيت كثيراً أن أقابل العظيم نامار، لقد عشت حياتي وفقاً لمبدئك؛ أن أفعل ما مجلولي دون الاكتراث لما يظنه أحدٌ بي».

نامار: «ما اسمكِ؟»

«شباب»

قلت أول حد آخر تماثل في الحروب.
«أجل، ما كنت لأفعل هذا لولا موافقة القائد؛ لقد سح في حرب
شريعة أن أبقي في أنران».

إيلهاب: «لقد استحققت مقعدك في الحرب، لقد أحزنني في مرور
النهاية».

نامار: «حسنًا، يكفي عشا. إيلهاب، انضم إلى سوكه وقد مر
لمسكرم، وأنت بافتاة اتبعي عارينا».

انطلق إيلهاب مع بوكيم يتبعهما الجان المتململون من حفيد
هجينين هما من يقودان الطريق. إلا أنها أوامر الملك، كما أن إيلهاب
وأثبت ذاته لهم. عدا أن قليلًا منهم، وخاصة من هم من الجيل الأعظم،
يتقبلوا حديث بارموث؛ لماذا قد يفتح مملكته لهم؟ لقد قاتل الجان لأب
لدحض الين، والجيل الأعظم هم من سالت دماؤهم، فلم عليهم غير
المخلوقات والحقاء؟ ما يُقيهم صامتين هو أن نامار هنا، هو ذرئ
ومتحله، ولقد تكبدوا الكثير من الخسائر بسبب الغارة؛ لذلك هم به
لهذا التحالف، لأن على الأقل. وبالرغم من أن العشائر الحثت
منع أورا لاستعادة مجدها، إلا أن الجان القخورين ما كانوا يفتنوا
كانوا لينخوتوا بتي جنسهم، وما قام به زاديق وغيره لن يُفقر له ود
التعامل مع هذه المخلوقات سبيل الجان للعودة لمجتمعهم ليكر

وخرينهم تادل المحبان أطراف الحديث.

وكتب: «ما يحدث الآن لا يلاقي استحسانهم».

يكتب: «أجل، أشعر بالغضاء تنضح منهم».

«صدق ما قاله الملك عن حياة بلا قتال؟ عن العيش في تناغم

١٥٧»

يكتب: «صدق، كل ما أتق به الآن هو أنهم بحاجة لنا كما نحن

حاجة هم. عدا ذلك لا يسمي إلا إنهاء هذه الحرب والنجاة منها، فلا

نرى غيرها يشغل تفكيرهم».

وكتب: «هل تمكنت من إتقان محرمك الجديد؟»

تتلل إلهاب من هذا السؤال؛ لأنه ما زال لا يستطيع إنجاح الأمر

مهما حاول، منذ بدأ التشريب مع نامار وحتى أثناء العثة.

ينهم: «الخل أمثل، ومع كل فشل بعيد عليّ نامار ذات العبارة:

لتتعل عثره، لتحرق بغطس»

وكتب: «ماذا يعني هذا؟»

تنبج إلهاب، واكضى بتحريك كتفه بعدم المعرفة. بعد قليل من

السهر، أصبحت سماء الليل شسّ حراء انتق صورها من الركان الكاس

لسمهم، فاصبغر الجان. دعوا أعلامهم لتحديد حدود معسكرهم.

يجود المحبان لأثران من أجل احتياج الحرب.

اجتمع قادة الحرب في الهرم، وضوء ~~محمودي~~ يشهد اجتماعهم
الأهم. لم يخطر يوماً على بال أي مخلوق أن تشهد الأرض اجتماعاً كهذا؛
مخلوقات من كل نوع وصنف يتحالفون معاً سعيًا لهدف واحد. هذه
اللحظة تحت ضوء البدر هي الأهم والأبرز، لم يأتِ مثلها قبلاً، ولعلها
لن تتكرر مجددًا. هنا تواجد أسطورة الجان نامار، وسليمة المهجين إيلهاب،
يؤازرهما أسطورة البين سيون، وهجينه أريو، مع قائد المخلطين سكارم،
ويقطرات من الماء تواجد البين المائي المنشق رابولا، وبينهم قائد الهجناء
البين أنثوس، قائد الجان المهجن يوكيم، وممثلًا في أصوات الجان تواجد
ملكهم بارموث، وأبسل المخلدين أريز، وحامل طيف الماء مينوس.

نامار: «أين بالاي؟»

بارموث: «وكلته مهمة».

نامار: «هل لي أن أعلم بها؟»

الملك: «لكل شيء أوانه، ثق بي فحسب».

سيون: «سنبداً بوضع خطة الحراك نحو أوراء، إنها معركة واحدة علينا

أن ننجح فيها ونقتلع شرها من الأرض».

بارموث: «ستعلم أوراء بقدمنا».

سيون: «أجل، ستفعل».

يوكيم: «ألن نكون فرائس سهلة؟»

نامار: «كل ما علينا فعله هو شق طريقنا نحوها؛ أنا، سيون، ومينوس.
وحين نجدون لييين أحضروها إلينا فوراً، وستُنهي الأمر».
أريز: «أنت تريدنا أن نمهد الطريق لكم، ونخاطر بكل شيء في هجوم
واحد وسريع».

سيون: «أجل».

أريز: «يعجبني هذا».

سيون: «بالرغم من أن خطتنا بسيطة، إلا أنها تتطلب الكثير من الجهد
والدقة؛ نحن لن نضرب أورا من موقع واحد فحسب، بل من كل مكان
يمكن».

أريو: «أتعني توزيع القوات؟»

نامار: «أجل».

يوكيم: «ليست فكرة جيدة أن نفعل».

أنثوس: «بل هي كذلك؛ أن نضرب كل مكان يمكن لأورا الفرار
إليه، أن نمحو كل أثر لقوتها فلا تعلم من أين يأتيها الهجوم، وفي تخبُّطها
ناهج هجمة واحدة».

بارموث: «إنها مخاطرة، إلا أنها المخاطرة التي علينا القيام بها».

سيون: «لنقم بتوزيع المهام. حراكنا في الفجر، بعد يوم من الآن».

عنقال

انطلق بالاي عابراً المحيطات وإلى منطقة آل عنقال، في تلك الجزيرة الموحشة التي لا يمكن لأي مخلوق العيش فيها سكنوا، بل لم نكر جزيرة؛ هي فوهة بركان بارزة من وسط البحر لا تتوقف عن الثوران. اختار زعيم العشيرة الحالي هذه الأرض بعيداً عن الجميع، حيث لا يمكن للبشر أو أي مخلوق عدا الجان التعايش عليها. قد يُقال إنه فعل ذلك انسحاباً من العالم، إنهم يشعرون بالذل من خيانة قائدهم السابق نامار، آخرون يمسون أنهم أوهن من مقاتلة زابنيل فتقهقروا بعيداً حيث لا يطاهم جبروته. ورغم أن بالاي لا يعلم الحقيقة كاملة، إلا أنه يُقسم بدماء عنقال في عروقه أنهم لا يشعرون بالذل أو الخوف.

لا يعلم بالاي السبب، فهو لم يقابل أيّ جان من عشيرته منذ هرب مع هيرانم ليقتضيا حياتهما معاً بعيداً عن كل القتال والحروب، حيث يمكنهما أن يكونا حُرّين، هذا ما اعتقده وما آمن به في روحه أنها كانا أحراراً. تلك الرابطة التي كانت الحياة كلها من قبل، باتت أغلاً أثقلت كاهل بالاي وهيرانم؛ في زمن ما لا يكاد يذكره تباعد الاثنان عن بعضهما البعض، لم يُعدّ للمحديث مكان بينهما فالتزما الصمت. كل تلك اللحظات الصغيرة السعيدة التي تلالأت في حياتهما مثل نجوم الليل انطفأت، فباتت حياتهما

مظلمة رتيبة، بلا أي شيء فيها. لم يُعد بالاي يهتم به هيرانم أو هي به، لم ينفذها ولعلها لم تفعل هي الأخرى، فقط انتهى ما كان يجمعهما فظلاً معاً احتراماً للرابطة التي بينهما لا أكثر. لكن ما لم يعلماه هو أن الرابط بينهما انحل منذ وقت طويل، وكل ما تمسكا به كان خيطاً متهاكاً من الماضي، خيطاً تمزق كلما عُقد فبات أقصر وأقصر حتى لم يبقَ منه إلا الوبر المتطاير مع رياح الزمن.

لعل بالاي ظل معها بالرغم من تعاسة كليهما بسبب زالجون، هذا ما أنفع ذاته به؛ لقد كان أضعف من التخلي عن الخيط الذي بينهما والمضي قدماً. لم يعلم عن الحب إلا هيرانم، لم ينبض فؤاده لأحد سواها، محاولاً بقوة الشبث بما يآلفه فؤاده، حفر لذاته وله هيرانم وزالجون حفرة عميقة لا يقوى أحدٌ على الخروج منها، وحين فعلت عشيرته تهاوت جدران الحفرة عليهم مغرقةً ابنه داخلها. لطالما رأى الطريقة التي تفاعل بها الاثنان؛ في بادئ الأمر اهتمت هيرانم بابنها، لكن كان هذا كل ما فعلته، لعلها أفنعت ذاتها أنها أحبته إلا أنها لم تفعل، فحاولت توجيه حبها لـ بالاي نحو ابنها، إلا أنها استنفدت كل حبها فلم يُعد منه شيء لأيٍّ منهما. ببساطة لم تتمكن هيرانم أن تخلق حباً آخر في قلبها، لم تعلم كيف تفعل، وطيلة الألفيات التي قضوها معاً قدّم لها بالاي هذا العذر؛ لقد كان فؤاده مقيداً به أورا ثم به، فلا يعلم كيف يُقدم الحب أو يخلقه.



لألفيات ظن ذلك، فقدّم هو كلّ حبه لابنه عوضاً عنها، لقد كانوا أئمة من أب وابنه، كان زالجون حياة بالاي، من أجله انضم لحلف زابنيل لأن أنقذه، وللألفيات التي تلت ذلك قدّم كل كيانه لمنح الهجناء مكانهم على الأرض، ليكون لابنه مكان يدعوهُ وطنًا، مكان يتّمسك به.

لكن الآن كل الأعداء التي اختلقها من أجل هيرانم احترقت بنز غضبه؛ لعلها لم تعلم كيف تحب، إلا أن هذا لا يعني أنها لم تحمل أي مشاعر لابنها. لقد وقفت تشاهد فيما يتم قتله، فيما يقذف بذاته في النار. مجردًا ذاته من جسد البين، كم كان هذا مؤلمًا له؟ كم كان يائسًا ليقوم به؟ يُقَمُّ به مخلوق من قبل؟ لقد تجرد من جسده كاملاً، انتزع شطر البين عن الجان، كل هذا من أجل ولاته لـ باسيلييا. إلا أنه يعلم، لم يكن هذا من أجل المملكة، بل من أجله هو؛ علم أن والده سيُصنّف كخائن ويُقتل على يدي الملك ما إن تصل أنباء انضمام الهجناء إلى أوراء، لم يستطع ترك والده المخلص الوفي الذي قدّم حياته من أجل باسيلييا أن يُصنّف كخائن، ما كان ليسمح له ميتة ذليلاً على جرم لم يرتكبه، ومن أجل فخر والده فضّل زالجون الموت وحمايته على الحياة. لهذا السبب فقط يستمر بالاي في هذه الحياة الكابوس، من أجل أن يحظى بميتة تجلب الفخر له ولابنه، ولعل الأمر لن يطول الآن، إلا أنه ما كان ليرضى ميتة ذليلاً من أجل من ضحى بحياته من أجله، وحين يجد هيرانم -وسيفعل- سيذيقها نار سخطة ويحرقها حتى تتبخر دماؤها من جسدها.



بينما هو غارق في أفكاره غارقاً في بغضائه، استيقظ بالاي على لهيب
من كرات نارية سوداء تُقذف نحوه من حيث الجزيرة.

«بأ بالاي! لقد نسيت أن تشعل نيرانك لتعرّف عن ذاتك».

لكن الأمر متأخر الآن، حتى لو أشعل ذاته فلن يتم ملاحظته بين
الوابل الذي يُقذف نحوه من النيران السوداء، لم يكن أمامه حلٌّ سوى
الانطلاق نحو أعالي السماء مختفياً بين الغيوم السوداء. إن تبعه أحد من
العشيرة سيُعرف عن ذاته، وإن لم يفعلوا سيرسل إليهم لهيباً أسود ما إن
يتوقفوا عن قذف لهيبهم نحوه؛ بهذه الطريقة سيُعرّف عن ذاته لهم وأنه
واحد منهم. حينها ضرب بجناحيه الهواء حتى انفلج البحر من تحته
لُبحلق للسماء متوارياً بين الغيوم، وبطرفة عين بات سربٌ من الجان
يتبعونه. لطالما كانت عشيرة عنقال دفاعية عن منطقتهم، هذه المرة أشعل
بالاي ذاته لهيباً أسود، وما إن رآه الجان حتى توقفوا في مكانهم، إلا أنهم
لم يُرخوا دفاعاتهم، وحيث وقف الجميع متباعدين نطق أولهم: «أنت من
عشيرة عنقال؟ عرّف عن نفسك».

«أنا بالاي، أحد أفراد العائلة الفرعية، أتيت أحمل رسالة لقائدكم».

«بالاي؟ لقد سمعت هذا الاسم من قبل، أنت من يحكم الجان
الهُجن. ما الرسالة التي تحملها لنا؟»

«لم يُعد لي حُكم على الهُجناء، ورسالتي خالصة لقائد العشيرة؛
لتأخذوني إليه».



«لم قد نستجيب لأمثالك أو نسمح له بالتواجد على أرضنا؟»

بالاي: «أحمل رسالة من الملك بارموث».

«بارموث؟ هل انطفأت شعلة زائيل؟»

بالاي: «أجل، ولهذا عليكم أخذي لقائكم حالاً».

بعد قليل من الصمت قال له الجان:

«اتبعني».

انطلق الجان عائدين لبركانهم على الجزيرة البيضاء^(١)، وبين دخان
البركان الأسود اختفوا ليتبعهم بالاي، فيجد ذاته داخل حجرة مصنوعة
من الدخان الأسود، هي قاعة توسّطها عرش أسود أحلك من ظلام
ليل بلا بدرٍ أو نجوم، صُنع العرش من الحجارة البركانية ليزيد تألقه
من اللحم في داخلها مشتعلة بنار سوداء. نظر بالاي من حوله ليجد أن
الحجرة لم تحتوِ على نوافذ أو أبواب، كانت صماء بلا مصدر للضوء، ومع
هذا لم تكن معتمة، لقد أضاءت بنار العرش ذاته. عدا أن أكثر ما أدهش
هو حقيقة أن الدخان الذي صُنعت منه الحجرة صلب ليحمل العرش
كما الجان عليه؛ لم ير شيئاً كهذا، حتى قصر باسيلييا لم يكن أعجوبة كهذه.



انبتق من أرض الحجرة جان أسود مدرّع بالنار، بجناحين أحدهما
 أسود والآخر أبيض، أمرٌ كان غريبًا على عشيرة عنقال ذوي الألوان
 الصماء، كما أن رأسه حمل قرنين متناقضين كجناحيه تشابكًا معًا ليكونا
 قرنًا واحدًا حادًا. تلونت إحدى عينيهِ باللون الأحمر القاني، فيما حملت
 الأخرى اللون الأسود فيها؛ لم يشهد بالاي مخلوقًا من عنقال بهذه الهيئة
 من قبل. أقبل الجان إليه متحدثًا بصوتٍ غليظ قائلاً:
 «لقد طلبت رؤيتي أيها الجان».

بالاي: «أجل أيها القائد العظيم يالدا^(١)، أحمل لك حديثًا من الملك
 بارموث؛ هنالك حرب قادمة وعليكم إتمام عهدهم له بالقتال في صفه».
 يالدا: «في هذا أنت وملكك مخطئان؛ قَسَمِي كان للملك زائيل، ومع
 موته ينتهي عهدنا، فلا شأن لنا بحروب بارموث».
 «إنها حرب ضد البين وأورا».

يالدا: «لا يهمني، لقد انعزلنا في هذه الجزيرة ابتعادًا عن الحروب التي
 كلفتنا نحن آل عنقال الكثير».
 «أنفهم ما مررتم به من فقدان أرضكم وبركانكم من قبل، أعلم أن



هذا حدث نتيجة عمل نامار، ولكن إن لم تخوضوا معنا هذه الحرب فني
نهاية المخلوقات».

اضطربت نيران الغيظ والحقق في يالدا القاتل من بين دخان نعمة:
«اخرس يا هذا! لا تتحدث بما لا تعرفه، ولا تنطق اسم نامار من فمك
هواناً. ما الذي يعرفه منشق مثلك عن زعيمنا الأسبق؟ ما الذي نعرفه
عن حروبنا ومَن فقدنا؟ لا تجرؤ على إلقاء اللوم على نامار، ولا تخشع
عظيم ما أحمله أنا والعشيرة من فخر وإخلاص له. لا يهمننا بركاننا ولا
تعيننا الأرض، وإن تجرأ أحد من العشيرة أو خارجها بالحديث بالسوء
عنه لاجتزرت رأسه بعد أن أقطع لسانه وأبتر أطرافه وأكوي عظامه؛ فلا
تختبر ولائي لنامار».

جفل بالاي من عظيم سخط ووعيد يالدا، لم يعلم أن العشيرة ما
تزال تحمل هذا الكمّ الهائل من الولاء لقائدهم الأسبق، سائلاً: «لماذا إنذا
تقهقرتم هنا؟ أنتم عشيرة عنقال العظيمة وأنا منكم، فلماذا لا ترغبون
بالمجد؟ لماذا الهرب؟ أنتم بلا أصوات حتى ظن الجان أنكم اندثرتم،
لألفيات ظللتكم مختبين، ألم يأن أو ان القتال الآن؟»

يالدا: «أنت من آل عنقال إلا أنك موالٍ لـ باسيلييا، كما أنا لست
بحاجة لتبرير ذاتي أو العشيرة لك، مخلوق مثلك تخلى عن عشيرته وفخرو
لا يستحق معرفة ما أصبو إليه».

«هل ستبقى هنا مختبئاً فيما يقاتل نامار في معركتنا؟»



ارتعد يالدا عند سماعه هذا الخبر، لينظر إلى بالاي والصدمة تتدفق من
كبانه قائلاً: «أعد ما قلته!»

بالاي: «لقد تحرر نامار من أور^(١) منذ قرنين، وقد فعل ذلك دون
مشقة وبرغبة منه، هو الآن يقاتل في هذه الحرب مع الملك بارموث،
ويجانبه سليله ابن دارسون».

خر يالدا على العرش فوراً لا يقوى على الوقوف، ليردف قائلاً:
«أتصدقني القول بشأن نامار ونسله؟»
«أقسم لك بهذا».

سبق وأن سمع يالدا بإشاعات عن سليل دارسون، إلا أنه لم يره أو
من حملته من قبل. في الحقيقة وبالرغم من بغض يالدا للبين لأنهم سلبوه
دارسون، إلا أنه تأق لرؤية نسله؛ إن كانت الهمسات حقيقة لرغب بدون
أدنى شك أن يحمي نسل من كان كالأخ له، لقد ترعرعا معاً جنباً إلى
جنب تحت سقف واحد. في الماضي كان يالدا منبوذاً من العشيرة؛ وذلك
لاختلاف لونه عنهم، لم يُعلم يوماً سبب لهذا الاختلاف إلا أنه وجد
فحسب، وبسبب هذه الهيئة نبذته والدته ليتم الاعتداء عليه دائماً من
والده، إلا أن منقذه كان نامار.

١- مُزهرُون: الزقورة حيث تم حبس نامار واحتجازه حتى لا يقتل الجان، وهناك
التقى به أريو.



يذكر الجان ما حدث ذلك اليوم قبل آلاف الأعوام كما لو حذر
 البارحة؛ ذات يوم وبينما هو ملقى أرضاً منهكاً غير قادر على الحراك
 آثار الضرب، وفيما مر الجان من حوله غير آبهين له كفاذورات لا يبر
 الاقتراب منها، لتهطل زخات من المطر متغلغلة بوضب بين جروح
 وتسلبه دموعه المتساقطة، ليقرر بالدا الاستسلام للموت، لم يعد يقو
 على المزيد من صميم العيش، هو مُنهك وكل ما عليه فعله هو إغماض عي
 وسيتهي كل شيء. وقبيل إغلاقيها ازداد الظلام الذي غلغه، وتوقد
 تساقط المطر عليه، وبها لديه من قوة رفع نظره ليرى وجوداً غطى الكون
 كله؛ دماء ولدت من نقاء الليل الأكحل، لقد بسط جناحيه فوقه حاج
 عنه المطر، وبصوت غليظ أجش قال:

«أترغب بالموت أيها الجان الفتى؟»

لم يجب بالدا، لن يقوى على ذلك، ليرد قائلاً:

«سامنحك سبباً للحياة، فكل هذا لا يدوم».

ويذراعين غليظتين حمل الجان بالدا ليدخل به نحو منزله، لتصل
 لمسامعه خطوات جان صغير يركض إليهما، وما إن وصل إلى الجان حتى
 تشبث بساقيه قائلاً:

«أبي، احملني!»



«لاحقًا دارسون، اذهب وأحضِر زمارتا».

ركض الجان الصغير بسعادة مبتعدًا هاتفًا:

«أمي، تعالِي».

لتُجِبْ جانٌ أنشَى غايةً في الجمال قائلةً:

«نامار، ما معك؟»

وبين فراغِي الجان انتفض يالدا، وبكلِّ ذعر الكون نظر إليه؛ ذلك الجان الأسود المهيِّب، إنه قائد العشيرة، إنه نامار أسطورة الجان. لِيُدْرِك أنه وقع بين أنياب وحش مسعور قد يلتهمه، إن كانت حياته مظلمة من قبل فلا بدَّ أنها لا تكاد تُقَارَن بها ستكون عليه بين يَدَي هذا الوحش المسعور، إلا أنه نظر إليه قائلاً:

«ما اسمك؟»

«لا اسم لي».

نامار: «يالدا، هذا اسمك».

لم يعلم الجان أنه يمكن للظلام أن يكون دافئًا هكذا، أو أن الحياة تستحق العيش حتى تلك اللحظة. ترعرع كأخ لدارسون، وإن كان حب نامار الأول له فيالدا لم يمانع، فلقد أحب دارسون بالقدر ذاته. لقد تعلَّم من نامار القتال والحرب، عوقب لأخطائه وجوزي لانتصاراته، وحين



تأذى من القتال كانت زمارتا هناك تعالج جروحه كما نامار يقف بـ
درسًا عن أسباب إصاباته. لم يعلم يالدا أن الوحش المسعور لا يبطئ إلا
من أجل مَنْ أحب، لم يعلم الأمان والانتفاء إلا تحت سقف نامار.

عندما اشتد القتال ضد البن انتقل يالدا للقتال في مكان آخر بعيدًا عن
المنطقة الرئيسية للحرب، في الواقع كان من المفترض أن يذهب دارسون
للقتال في تلك الجبهة حيث إن عشائر الجان الكبيرة رغبت بقائد من أن
عنقال ليقاتل هناك، إلا أن نامار أبغض هذه الفكرة، أما دارسون فقد
اجتاحه حنقٌ عظيم ولسبب ما رغب بالبقاء حيث هو، ليتطوع يالدا
حينها بأن يحل مكانه. لم يحتمل رؤيتهما بهذا الاضطراب، بالرغم من أن
كلًا من نامار ودارسون لم يهتفا فرحًا بهذا الاقتراح إلا أنها وافقا على
مضض. اعتقد يالدا أنه بالغ في تقدير مكانته لدى مَنْ تبناه، إلا أنه قيل
رحيله استوقفه نامار قائلاً:

«لقد جعلت منك جانيًا جديرًا بحمل اسم آل عنقال واسمي، ارحل
قويًا وعُدّ منتصرًا، لا تفقد حياتك يا فتى؛ فلا تزال تدين لي بحياتك،
وتذكر... لا يهم ما تكون، كلُّ ما يهم أن تحيا حياتك بفخر».

عَلِمَ ما يعنيه نامار، لم يكن قادرًا على التعبير عن مشاعره حتى مع
عشيرته التي أحباها حدّ الجنون ولا مع فخره دارسون، إلا أنه أحباها،
وما هو الآن يخبره بطريقته الخاصة أنه يهتم بأمره. هذا كل ما رغب به



بالدا وقد حصل عليه، إلا أن حياته تحطمت حين وصل إليه نبأ ما حدث؛
موت دارسون، انتحار زمارتا، وأخيرًا جنون نامار واختفاؤه.

ماتع ذلك كان تشتت عشيرة عنقال بلا قائد يقودهم، كحد بركانهم،
نهافت عليهم العشائر الكبرى لقتلهم وإزالتهم، لينصب بالدا ذاته
قائدًا عليهم، وبالرغم من معارضة العشيرة له نظرًا لاختلافه إلا أنهم
لم يجرؤوا على إنكار قوته، كما أنهم يعلمون أنه ترعرع تحت جناحي
نامار كابن له، فما كان لهم إلا أن يرضخوا له قائدًا عليهم على مضض،
عدا أنه أثبت ذاته كاسبًا احترامهم. ومع هذا لم يتوقف هجوم العشائر
عليهم ليُقبل إليهم زائيل بحلفٍ يمنحهم أرضًا خالصة لهم شريطة
مساعدته في إنشاء مملكة له.

ارتأى بالدا أن هذه أفضل طريقة لإزالة خطر العشائر الكبيرة من
عليه، ليجتر عشيرته في معارك جديدة ليصنع وطنًا لهم، وبعد أن استقروا
على أرضٍ وصل إلى مسامعه أن نامار يفتك بالجان في نوبات غضب
لا حد لها، ليطالب الجان من ملكهم قتله، فانطلق إليه بالدا راجيًا إياه
العفو عن نامار وعدم إنهاء حياته ليعقدًا صفقة: «ما دام زائيل حيًا، فعلى
عشيرة عنقال الاستجابة لندائه في الحرب»، شرط وافق عليه دون تردد
فكل ما رغب به هي حياة نامار.

من بعيد راقب بالدا قتال نامار مع الجان بقلب مثقل بالندم وروح



تحترق لهشيم بغضاء لذاته، وبذات هذه المشاعر تقهقرت عشيرة عنقر
بعيداً بسبب خزيهم بما فعلوه لقائدهم الأسبق؛ ضحوا به وبحريته
أجل أرض يستوطنونها، بالرغم من أن الحقيقة هي أن يالدا حافظا على
حياة نامار، إلا أن هذا لا يمحو ندم ما قام به.

والآن هذا الجان يُقبل إليه يخبره أن نامار حر طليق يقاتل جنبا إلى
جنب مع سليله فيما هو قائد العشيرة يختبئ في عزلة. تصارعت الأفكار
في عقل يالدا الذي أطلق أول سؤالٍ خطر على باله:

«ما شأن نامار مع ابن دارسون؟»

بالإي: «هو يحبه بقدر حبه لوالده إن لم يكن أعظم، هو فخره الذي
حمله لدارسون، وهو أحب إليه من الحياة ذاتها. نامار يخوض هذه الحرب
من أجله هو، قدّم حياته رهينةً للملك الراحل زائينيل ليقود جيوشه مقابل
عدم قتل نسله، ولجّ لمعقل أورا معلناً الحرب عليها فقط ليستعيد من هو
من صلبه؛ هذا عظيم ما يحمله نامار له».

تبسم يالدا بشجنٍ وشيء من المرارة قائلاً:

«ذلك هو نامار الذي أعرف؛ هو من يوجب نيران الحرب فقط من
أجل من يحملهم عزيزاً في وجدانه. إذن هو الآن قائد جيش الجان».
«لا، فنامار مع ابن سيون يقودان جيشاً مخلطاً من كل المخلوقات.

لقد ارتحلا الأرض مع بعثة مصطفىة من أجل جمع الحلفاء أيًا تكن هيتهم،
عرفهم أو خلفياتهم. في الواقع هذان الاثنان كانا رفيقين بالخفاء لوقت
طويل للغاية في زمن كانت الحرب ما تزال تتأجج بين الجان والبن، موت
دارسون باعد بينهما، ورغبتهما لحماية نسلهما دفعت بهما لإشعال الحرب
مرة أخرى، ولكن هذه المرة هما على الجبهة ذاتها ضد عدو مشترك.

صاح بالدا ضاحكًا من صميم وجدانه من هذه الحقيقة، شيء من
البهتان والانبهار طغيًا عليه:

«بالرغم من صعوبة تصديق أن له رفيقًا من البن، عدا أنه أيضًا أمرًا لا
استبعده أبدًا؛ لا بد أنه راقٍ لـ نامار إن كان مقاتلاً جسورًا، مخلوقًا يحيا
حياته بفخر، فهذا كل ما يحتاجه نامار ليعقد صداقة معه. إن صدق ما
قلت، فهذا يجعل قائد البن رفيق نامار الأوحد».

تهند بالدا بصمت محاولاً فقه ما يحدث من حوله، لم يكن يتصارع
لاتخاذ قراره؛ فهو يعلم علمًا يقينًا أنه سيتبع نامار حيثما كان، عدا أن وقع
كل الحقائق التي أقيت عليه الآن كان عظيمًا ليفقهه مرة واحدة، لينهي
بالاي هذا الصمت قائلاً: «لقد طلب مني إيلهاب أن أريك هذا».

بالدا: «إيلهاب؟»

«سليل نامار، وابن دارسون».



وقع اسمه حبًّا ومودة عظيمين على وجدان يالدا؛ إذن هذا اسم ابن
أخيه الذي لم يعلم عنه حتى الآن، الأخ الذي كان عضده الوحيد في هذا
الكون، قد ترعرعا سوياً وقاتلا معاً وأصيبا معاً، لم يخش يالدا شيئاً مادام
دارسون هو مَنْ يقف خلفه، ولكن سند ظهره رحل ومعه ترك فراغاً
عظيماً في وجدانه، ليغدق عليه اسم إيلهاب شيئاً من حنين الماضي ورغبة
غامرة لحماية عزيز عزيزه.

فتح بالاي عن كفه مخزجاً صرة قماشية مقدماً إياها له يالدا، ليتناوفا
بحذر، وما إن فتحها حتى شهق شوقاً لما رأى؛ ريشة كبيرة نقية بالسواد
الأدهم، هي من جناح دارسون دون أدنى مكانٍ للشك، وفوقها ارتكزت
شظية من قرنه، لتهاوى دموع يالدا عليهما شوقاً لشقيقه الذي قتل بعيداً
عنه، ليُردف بالاي قائلاً:

«رسالة من إيلهاب: «من أجل ذكرى مَنْ سُلِب منا قهراً...» هل أنت
معنا يالدا؟».

سيكاي

كما أمرت، انطلقت سيكاي في المحيط شاقةً مسافات طويلة للغاية. في بادئ الأمر، وعندما ابتعدت عن اليابسة، كانت ترافق سينا على متن قارب منفصل؛ تمكنت الهالوك من تحريك الماء أسفل القارين، وقبيل وصولهما إلى مبتغاهما انفصلت سينا عنها حتى لا يشعر أعداؤهما بهما، لتكمل سيكاي المسافة المتبقية بدعم من الرياح، فيما ابتعدت الهالوك في الأفق لمهمة رفضت إبلاغها عنها، لكن سيكاي تكاد تجزم بها هي بصده؛ سينا ستقدم طيف الريح لأورا.

في البداية، وعندما نشأتا من ذات الشجرة الميتة، لم تحملًا شيئًا فيهما؛ كانتا مجرد آلات لـ حورا الذي كان كل همه صُنع جنود لحماية أورا، فزَرَع أفئدة البِنُّ من دون أغصانها ليزهر منها الجيل الضال، أوعية فارغة تُمَلَأ بجشع أورا ومن معها. وبعد قرون أقبل إليهم ثادياس مع البِنُّ من الجيل الأول^(١) لإنقاذهم، ثم استقروا في الأهرامات، ولكن لـ ثادياس خططًا مختلفة لها ولـ سينا، ليقرر أنها سوف تتبععانه في ترحاله. لألفيات ارتحلوا، شاركهم فيها الآفاري الكثير من المعلومات عن الأرض، الأطياف وأورا. تذكر سيكاي ذلك الحوار الذي دار بينهم في زمنٍ ما، قبيل رحيلها بأمرٍ

١- مُخْلَفَاء: ثادياس انطلق مع تدرين والجيل الأول لإنقاذ البِنُّ الضال من أورا.



من نادياس، حينها تساءلت:

«لِمَ لا نملك المشاعر؟»

«لأن الأفئدة التي أزهرتكم خالية منها».

سِينَا: «ولماذا هي خاوية؟»

«لأن أورا فرضت سيطرتها على الأفئدة وكل ما تشعر به، فمنع
عنهم أي شيء غير السعاد».

سيكاي: «إذن، ألا ينبغي لنا أن نشعر بالسعادة أيضًا؟»

«تلك السعادة لم تكن حقيقية، إنها مجرد زيف خادع. تلك المشاعر لم
تنبت من أفئدتهم؛ لذلك باتت أفئدتهم تالفة، تنبض بلا حياة حتى بعد
أن احترقت أورا ونُحِّي أثرها من أجسادهم؛ إلا أن أفئدة البِنِّ لم تعلم
كيف تشعر، فباتت وعاءً للدماء فقط دون حياة. أنتم أزهرتم من أفئدة
ميتة لا تعلم إلا الظلام، لم تختبر في حياتها المشاعر يومًا، وبهذا أصبحتم
أنتم كذلك».

سِينَا: «ماذا عنهم إذن؟ أولئك البِنُّ ممن تخلصوا من تأثير أورا قبل
احتراقها، كيف فعلوا ذلك؟ وهل ما زالوا يشعرون بعد احتراقها؟»

نادياس: «استطعتُ إزالة أورا من داخلهم مبكرًا، قبل أن تبلى أفئدتهم
تمامًا، وتمت مؤازرة بعض الأفئدة بدماء من المخلوقات الأخرى؛ تلك

الدماء، وإن كانت ملكًا لدواب بلا عقل، إلا أن أفندتهم تنبض بالمشاعر،
إنها دماء دافئة؛ لذلك أولئك الذين لم يفقدوا مشاعرهم بعد احتراق أوراء،
فلقد علمت أفندتهم كيف تشعر».

سيكاي: «هل سنشعر يومًا؟»

«لربما أيتها العنكبوتية، عندما تحصلين على دماء جديدة في جسدك، أو
تشاطرين فؤادك، هكذا فعل الذين الآخرون».

«العنكبوتية»، هذا ما دعاها به ثادياس؛ فبالرغم من الألفيات
التي قضوها معه، إلا أنه لم يهبها اسمًا، كانت أسماؤهما هي أزهارهما:
«العنكبوتية» و«الهالوك».

شهدت سيكاي اللحظة التي التحم فيها ثادياس مع طيفي الماء
والرياح، عدا أنها كانا ثقلين للغاية، كاد وزرهما أن يكلفه حياته، وذلك
حتى تطوعت سينا طالبةً منه مشاطرتها الطيف، فمنحها أحدهما مَبْقَاً
على الآخر. بالرغم من خلوها من المشاعر، إلا أن سيكاي وجدت تحكُّم
ثادياس بالطيف ساحرًا؛ لظالما أخبرها أن للرياح صوتها الخاص، إن
تعلمت كيف تستمع جيدًا فستخبرك قصة الكون كله. وبالرغم من أنها
لم تسمع صوت طيف الرياح يومًا، إلا أنها تعلمت أن تشعر بها في كيائها
كله؛ مع كل حركة تحدث على الأرض تتغير الرياح، كل قتال، موت،
أو حياة جديدة تولد، جميعها تترك أثرًا على الرياح، حتى رفرقة الفراشة
بجناحيها تُحدث رياح التغيير، فتعلمت قراءة تحركات الرياح.



من القصص التي أخبرهما بها الآفاري:

«الأطياف شكلٌ من أشكال الأرض، هي ليست الأرض ذاتها، مجرد تعريف لعناصرها وليس أكثر، لكن أتعلمان ما يميز هذه العناصر التي اتخذت الأطياف هيئتها؟ هي لا تزول أو تفسى. ما تزال أول ريع عصفت على الأرض موجودة هنا بيننا، لعلها تغضب أحيانًا فتسارع، تهدأ فتحتل نسيمًا بين الأعشاب، ومع اختلاف المواسم تتغير هي، إلا أنها لا تنعدم، بل تظل تطوف الأرض بلا هوادة شاهدة على تاريخها الذي لم يشهد على مخلوق. ثم هنالك الماء، سيد التنكر، بلا هيئة له، قادر على التواجد في كل مكان بلا وعاء يحتويه، وحين يغادر موطنه للسماء يتساقط حياة على الأرض، فتتغير هيئته بما يوافق المخلوقات، من نباتات، بشر، جان أو بن؛ قدرة تمويه مذهلة. أخيرًا النار، تلك التي تحرك الأرض، تُشكلها كيفما شاءت، وحين يبدأ غضب حممها بفعل الماء، تخلق لنا اليابسة لتحتل الحياة مكانها عليها، وهكذا يمضي الكون في تغيير وتحرك مستمرين. هذا جمال الغبراء الذي تدّعي أوراء إفكاً أنها هي، هذا سحر الحياة الذي ترغب الأطياف في حمايته، وهذا ما عليكم فعله: حماية الاستمرارية على الأرض مهما كلف الثمن».

لطالما دعا نادياس نفسه حاملاً للطيف، ولم يلقب نفسه يوماً بالورث لها، إلا أنه دعا زائيل: ورث طيف النار الأول. أما هو فمجرد حامل لهم لا غير؛ لم تع سيكاي يوماً سبباً لهذا، وحتى هذه اللحظة لم تفعل.



آخِر مرة رأت فيها الآفاري هي عندما أمرها بالانطلاق نحو الأهرام لإخطار البين من خطر هجوم أوراء عليهم، وإبعادهم لمنطقة آمنة. وبالرغم من أنها تأخرت في تحذيرهم، إلا أنها تمكنت من إنقاذ عددٍ منهم، ليكونوا من الجيل الضال أو غيره، إلا أن الجيل الضال وحده من تبعها للأرض الجديدة، فيما ابتعد الآخرون منطلقين حيث نيدرلين.

على تلك الأرض وجدت سيكاي الوطن؛ فبالرغم من الظلام في قلبها، إلا أنها لم ترغب في الترحال مجددًا، رغبت بأرض تحتويها. وفي موت أفندتهم عاش الجيل الضال، شيئًا فشيئًا وجدوا روابطهم مع البشر، وإن لم يفعل الجميع إلا أنهم استخدموهم لإحياء أفندتهم؛ منهم من منح فؤاده للبشر ليعود لاستصالها بعد انتهاء المهلة، وهذا ما فعلت سيكاي؛ لم تنتظر حدوث رابطة، هي فقط قدمت فؤادها لشخص يحتضر، ولم تنتظر انتهاء المهلة فاستأصلت فؤادها بعد بضع سنوات فحسب. آخرون سلبوا البشر أفندتهم ليضعوها في أجسادهم، أما النصف الآخر فقد أخذ من دماء البشر إليهم فباتت لديهم مشاعر، ومن لغة البشر انتقوا أسماءهم لنطلق على ذاتها اسم سيكاي: الكون.

لم تلتق بعد ذلك بـ سينا أو ثادياس، حتى إنها علمت بموته عبر بن مائي مر من أرضها؛ لقد شهد هذا البين مقتل الآفاري ليجزع من وحشية ميزويا المفرطة في قتله، فهرب بعيدًا عن موطنه فآزا من بطش وطغيان



ميزويا، ليشارك سيكاي موت الآفاري. اعتقدت سيكاي أن مير
ستلتجئ إليها بعد موت نادياس، إلا أنها لم تفعل ولم تسمع يوماً خيراً عن
الهاوك، وذلك حتى وصلها نبأ عن مخلوقات يعلنون الحرب ضد أور،
إنه الجلنار شاوران تتبعه هاوك باسم سين. علمت حينها سيكاي أنه
البنُّ المرجوة، وأنها على عهدهما مع نادياس، ليُقبل إليها الحلفاء المزعومون
مؤكدين أن الهاوك هي سين، ومن حين الماضي نهضت سيكاي ليهند
مع نادياس؛ هي ترغب في الحياة مهما كان الثمن.

الآن هي تُبحر في أرض العدو، هذا هو بحر ميزويا. هيأت سيكاي
ذاتها لهجوم مقبل، وفيما شعرت بتغيُّر حركة الرياح صرحت قائلة: «أنا
هنا من أجل تقديم العون لكم، فلا تهاجوا».
لتهداً الرياح والأمواج، فتردف قائلة:
«أخبروا قائدكم أنني قادمة إليه بطيف الماء».

ما كانت إلا لحظات ليخرج إليها ميزويا كالمجنون المتعطش. في
لحظة واحدة باتت سيكاي محاطة بجدران من الماء تُطبق عليها؛ لم تحاول
المقاومة، فلا فائدة من ذلك لأنها فوق الماء وفي منطقة العدو وكل الماء له
الآن. كما أنها أيقنت أن ما يقوم به ميزويا هو ليصيبها بالذعر فحسب،
فجشع مثله لن يتخلى عما رغب به منذ أزل. فثبتت سيكاي على قاربها
الورقي دون أن تتزعزع، وقبيل إطباق الجدران المائية عليها انفلجت



بسرعة لتجد وجه ميزويا ملاصقًا لها، وعيناه تشتعلان نهما. كم هو كرهه!
حنيفة أن ثادياس قُتل على يدي هذا المخلوق أصابتها بالسقم.

ميزويا: «أين هو؟ أين طيف الماء؟»

سيكاي: «ليس معي...»

قالت هذا لتجد جسدها كله يُجذب من على القارب، وبحال من الماء
كادت تمزق أطرافها، لتردف بسرعة:

«أنا أعلم مكانه».

توقفت الحبال فورًا عن جذب أطرافها، لتهوي بسرعة نحو الماء
وتقابل ميزويا وجهًا لوجه.

ميزويا: «أين؟»

«قامت تابعة لـ ثادياس بإخفائه في مكان ما في المحيط».

«قوديني إليه».

«لم قد أفعل؟ أنت ستقتلني ما إن تضع يدك عليه».

ميزويا: «سأفعل إن لم تخبريني».

«لا لن تفعل، فأنت بحاجة إليّ لأمنحك الطيف».

تبسم ميزويا بخبث قائلاً:



«لا بأس إذن، سأنتزع أطرافك وأعذبك حتى تبوح بي بكل شيء».

«لتفعل إذن، يمكننا البقاء هنا وتعذيبى، وبينما تفعل ذلك نكرز

جيش أورا قد أطبقت عليك وقتلتك».

ارتعد ميزويا حيث هو قائلاً:

«لعلك لا تعلمين، أنا حليف أورا». كذبة قالها ليُطمئن ذاته المذمومة.

«بل أنت من لا يعلم! تابعة ثادياس تلك أقسمت على الانتقام لـ

منك؛ هي تخبر أورا أن الطيف معك، ومعها ذكريات قتلك وانتزاعك

قلب ثادياس كدليل. أورا ستعتقد أنك خنتها وستأتي خلفك الآن، وما لم

ترغب بالموت وفقدان كل ما عملت عليه، دعني لأدلك حيث الطيف».

ميزويا: «لماذا قد أصدقك؟»

«أفضل الانتظار لتقع بين يدي أورا وترى ما هي صانعة بك؟»

«ليأت جنودها إذن، لن يجدوا الطيف معي».

محاولات ميزويا البائسة لطمأنة ذاته لم تأتِ بنتيجة، فالذعر قد تمكّن

منه.

سيكاي: «طبعاً لن يجدوا شيئاً، لكنهم لن ينتظروا الإجابة؛ هم

سيقتلونك ثم يبحثون عن الدليل بأنفسهم. بالنسبة لأورا، أنت خائن

وعقبة في طريقها لتملك الأرض، ثم دعنا لا ننسى حقيقة إزهارك للنبؤ



في البحر بمساعدة من طيف الماء، هل تعتقد أنها تهتم بامتلاكك الطيف حقاً أم لا؟ لقد تم منحها عذراً لقتلك، وستأخذه».

نسلت سيكاي في عقله كطفيلية، تمكنت منه وسيطرت عليه؛ هي تشهد اضطرابه الشديد كما تشهد تصديقه لكل حرف تتحدث به، إلا أنه تحدث قائلاً:

«لماذا قد ترغب بتلك البين أن تُقدم الطيف لأورا؟ ولماذا تقدمين المساعدة لي؟»

«هي تبغضك لقتلك نادياس، ترغب في الانتقام له ولا يهمها أي أمر آخر، فهي ستختار الجبهة الأقوى لتدميرك، وأنت مجرد عقبة في طريق أورا لتكون هي الأقوى. أما أنا، فأبغض أورا على ما ارتكبته بنا نحن الجيل الضال؛ ما قاسيناه منها ومن تابعها حورا أمرٌ لا يُغتفر، أفضل رؤيتك أنت تحكم الأرض عوضاً عنها. هل يكفيك هذا؟ أم ترغب بإضاعة المزيد من الوقت في الأسئلة والشك؟»

الآن تمكنت سيكاي من ميزويا، الذي أحاطها بجدران مائية ليهوي بها للأعماق وحيث مدينته، ليدعو البين المائي مخاطباً إياهم: «أورا أعلنت الحرب علينا، وهي قادمة من أجلنا الآن. ستخلى عن هذا البحر لننتقل لبحر آخر حيث أعلم أننا سنمتلك قدرة لا محدودة؛ هنالك ستغلب على أورا ونمتلك البحار، المحيطات، وكل قطرة ماء على الأرض وفيها. هيا بنا لنرحل من هنا فوراً».



دون أي صوت أو نقاش، ارتحل البينُّ مُخلفين خلفهم ديارهم
مديتهم، وكل حياتهم؛ كانت هذه سيطرة ميزويا المرعبة عليهم، لم يخبر
أيُّ منهم على الحديث، منطلقين حيث يأمرهم قائدهم. انطلق البينُّ الذي
ومعه كانت سيكاي في فقاعتها المائية، تقودهم حيث طيف الماء، ليُعبِّر
مضيّقًا بحريًّا ومنه لبحر الجزر.

لقد احتوى البحر على المئات من الجزر، إلا أن المكان المقصود جزيرة
واحدة هي المنفذ لطيف الماء. بالرغم من أن سيكاي لا تعلم أين تجب
بالتحديد، وهو الأمر الذي أقلقها بشدة خشية أن تكون معلوماتها كافية
عما سيؤدي بها للموت، علمت أخطار ما تقوم به فور أن قررت تقديب
معلوماتها لميزويا، لكن الآن تسلل الشك لفؤادها؛ فكيف يمكنها
أن تجد جزيرة واحدة من بين المئات؟ ودليلها الوحيد هو: «بين ظلمات
البحر، هنالك يقبع كالفنديل المضيء».

أخيرًا، وبعد أقل من نصف يوم، وجدت سيكاي المنارة المضيئة في
الظلمات، إلا أنها بعيدة جدًّا، ووفق ما قصته عليها سينا لا يمكن الوصول
إليها إلا عبر اليابسة. ومن داخل فقاعتها تحدثت سيكاي:

«تلك هناك، هي ما نصبو إليه، لكن لا يمكننا الوصول إليها إلا عبر
اليابسة».

نظر ميزويا حيث تشير لتعلو وجهه نظرة الغضب العارم؛ بالتأكيد هو



غاضب، لقد أمضى حياته كلها يبحث عن هذا الطيف، وقد كان هنا طيلة الوقت بجواره، لم يبعد أكثر من نصف يوم ليصل إليه. ليس هذا فقط، هو يكاد يلامس مسار أوراء، ومع هذا لم تشعر بالطيف من حولها؛ لا بدَّ أن بينا مأكرة أو حمقاء لوضعها الطيف هنا.

ميزويا: «كيف نصل إليه عبر اليابسة؟»

«هل يحتاج الأمر لتفسير؟ اصعد لليابسة لنجد المدخل من الحفرة في السطح».

في الحقيقة حتى سيكاي لم تعلم كيف تصل إلى هناك؛ أخبرتها سينا أن نجد فوهة بركان غارقة، فهي مدخل المدينة، لم تع حقًا ما معنى هذا، كل ما عَلمته أن عليهم إيجاد فوهة بركان خامد.

أحاط ميزويا ومن معه أبدانهم بالماء، واعتلوا اليابسة، ليحرر سيكاي التي أبصرت مرتفعًا وحيدًا على هذه الجزيرة الخاوية، ليبدؤوا السير نحوه، وصوت الحصوات أسفل أقدامهم هو كل ما يصاحبهم. وحين وصلوا القمة بُهتوا بعدم وجود بركان خامد، بل بحيرة زرقاء فاتنة عكست عليها السماء كما السحب. في تلك اللحظة علمت سيكاي أنه ثمت خيانتها من سينا لتقودها مع ميزويا للموت، لا بدَّ أنها الآن حيث أوراء تطلعها على ما يدمر ميزويا، وهل طيف الماء هنا حقًا؟

لقد سارت سيكاي صوب فخ يقودها للموت، وقد فعلت طواعيةً،



ليباغتها ميزويا مطبقًا عليها بحباله المائية محطّمًا أضلعها، ومن أنفاسه
اللاهثة همست أول ما طرأ على بالها: «علينا أن نهبط لنصل».

«لن أصدقك».

بدأ الهواء يتلاشى من صدرها وأظلمت رؤيتها، لتهمس بآخر أيام
لها:

«في الأسفل ... إنه في القاع».

لتنفث دماء أحشائها المعتصرة من فمها. لم يزد ميزويا من ضغط سيل
الماء، إلا أنه لم يخفف منه أيضًا. فجأة سمعت سيكاي صوت ارتطام في
الماء، وبها لديها من قوة نظرت نحو البحيرة لتجد أحد أتباع ميزويا ينفذ
في الماء نحو الأعماق.

كانت اللحظات التالية هي الأطول في حياتها، بل هي بمداد ألقبات
حياتها البائسة؛ لتشهد كل لحظة عاشتها منذ أزهرت وحتى هذه الثانية،
وتمنت لو أنها لم توجد، لقد كانت حياتها حقًا بائسة. إلا أن الفرج أتاها
عندما أقبل البين من الأعماق قائلاً:

«ميزويا، في الأسفل مدينة كاملة وخاوية».

مع هذا تحررت سيكاي من أسرها لتهوي أرضًا متجرّعة أنفاسها
بقوة وسخطها يعصف بها من ميزويا، لتدرك أنها اختارت الجبهة الخاطئة

لإبصال المعلومات إليهم. اتجه ميزويا للبحيرة قائلاً لأحد معاونيه:
«أخبرها معك».

لتصرخ سيكاي قائلة:

«لا، ليس الآن! لقد حطمت أضلعي أيها الهمجي، عليك منحي بضع دقائق لأشفي ثم ألحق بك».

ميزويا: «هل تعتقدين أنني أحق؟ سوف تهربين منا فور هبوطنا».

«والى أين أذهب؟ نحن محاطون بالماء، ستقتلني ما إن أطأ بقدمي عليها. أنا أسيرتك الآن، فأظهر شيئاً من الثقة، لقد أوصلتك لهذا المدى، ما كنت لتحلم يوماً بالوصول إلى هنا، فدعني ألتقط أنفاسي وارجل أنت، فما ابتغيت طيلة حياتك في الأسفل».

رأت سيكاي أنها تسللت لعقله مجدداً، ليتحدث قائلاً لتابعه:

«لا تُطِل الأمر، إن حاولت الهرب فاقتلها فوراً».

مع هذا قفز ميزويا للماء متلاًشياً للأعماق مع كل أتباعه إلا اثنين ممن بقوا للمراقبة، لتستلقي سيكاي أرضاً ملتقطة أنفاسها ساحة لأضلعتها بالشفاء. في ذلك الصمت المهيّب علا صوت احتكاك الحصى ببعضها بعضاً، في ذات اللحظة التي استدار فيها البين المائي لرؤية من يصاحبهم على الأرض، ألقي عليهما صخرتان مهولتان؛ أصابت أحدهما ليتهشم في



مكانه تحت وزر الصخرة فتتناثر دماؤه أرضاً، بينما تجنبها الآخر لبطون
سيكاي بأحزمة من سيل مائي جازاً إياها للبحيرة، وقبل أن تطأ الله
الماء، خرّ بجسد يتخبط أرضاً؛ لتداعى أحزمته من حولها حيث إن
سمّته بأزهارها، ولم تتوقف بعد أن خرّ أرضاً، بل استمرت في وضع
السم فيه حتى تصبغ جسده باللون الأحمر القاتم. إلا أنها انتفضت عندما
عاودت سماع صوت الخطوات من خلفها، وحين التفتت رأت مخلوقين
من البين، أحدهما من الجيل الضال مثلها، أما الآخر فمن الجان المهجين
أقبل إليها من هو من الجيل الضال بجسد أبيض موشوم بالسحب
الزهري وأوراقه الخضراء، تحدّث معها قائلاً:

«غاب القمر».

علمت سيكاي أنهم حلفاء لها، لتجيب:

«خسوفاً فوق أطلس».

«أنا حليف لك، علينا التحرك من هنا الآن».

دون أي تأخير انطلقت تتبع منقذها، إلا أن هذا لم يمنعها من السؤال:

«إلى أين؟ نحن فريسة سهلة في الماء».

أجابها المهجين قائلاً:

«إذن سنستخدم الساء».



ما إن قالها حتى فرد جناحين ورقين من ظهره وحلّق للسماء، محرّراً
جبالاً ورقية غليظة تعلق بها البِنُّ، لتفعل سيكاي المثل بلا تردد، فالبقاء
هنا يعني الموت الآن. وللسماء ارتفعوا وبين الغيوم تلاشوا، وحين شعرت
بأنها بعيدة عن الخطر عاودت التساؤل: «ماذا الآن؟»

«لا شيء»، لقد انتهى دورك وسوف تُودعك في مكان آمن، ومن هنالك
نلاشي بعيداً.

«لماذا؟»

البِنُّ: «لا يمكننا اصطحابك لأثران، ولا يمكنك الذهاب حيث
سبنا؛ من هنا عليك معرفة خطواتك التالية بمفردك».

«ماذا عن سبنا؟»

«لا علم لنا بها، لكننا فعلنا ما طلبته منا؛ لقد أخلينا مدينتنا لها، ونُصب
الفخ لـ ميزويا بفضلك، والآن كل ما تبقى هو انتقام سبنا وسخط أورا
أن ينهال عليه».

أجل، لقد وقع ميزويا في الفخ الذي نصبته له سبنا، والآن لا بد أن
جيوش أورا تتجه حيث يُزعم وجود طيف الماء؛ الآن ستحل نهاية ميزويا.

العاقبة

اتخذت أورا مكانها على الأرض محاولة استخدام طيف الربيع. يمضٍ إلا بضع ساعات منذ حملته داخلها، إلا أنها مُنهكة منه؛ هو رزٍ ثقيل عليها، وقد علمت بذلك من تجربتها السابقة، إلا أنها ظنت أن الأمر سيكون مختلفاً هذه المرة لأنها تملك جسداً وليست مجرد طيف. في كل مرة حاولت تسخير قواه قاومتها الطيف بصددها بقوة كادت تُشطر كيانه لأشلاء، ومرة أخرى كادت أن تستحوذ عليها لولا إنقاذ سينا لها، وحر الآن لم تتمكن من قراءة هذه الين.

بعد أن علمت أورا أن طيف الماء مع ميزوبيا أرسلت جنودها إليه، لتأمر سينا أن تنضم إليهم وتستعيد الطيف معهم، إلا أن الأخيرة رفضت. «لن أرتحل من أجل طيف الماء؛ أنتِ ترغبين بالسيطرة على الربيع بأقصى سرعة، وأنا هنا لأقدم هذا لك، رحيلي سيؤخر تأقلمك فحسب». حورا: «هل تجرئين على عصيان أوامر أورا!»

سينا: «أعتقد أنني كنت واضحة في أنني سأفعل ما أرغب به أنا؛ إن كنت حريصاً على الطيف لتذهب أنت وتحضره».

رأت سينا الغيظ في عيني حورا، لتحاول إشعال نار سخطة أكثر قائلة:



«أوه صحيح، أنت تخشى طيف النار داخلك؛ إن ابتعدت عن مسار أوراسي حرقك، أليس كذلك؟ حورا أيها المسكين الذليل، أنت لا تملك مكاناً لك على هذه الأرض».

بالرغم من الحق المتأجج من كل كيانه، إلا أن ذعره من سينا أكبر من أي كره أو سخط يحمله؛ لقد آذته كما لم يؤذِه أحد من قبل، بل لقد تلذذت بهذا مما جعله ينجشها. والأسوأ أن أوراسي لم تحمِ منها أو تحاول فرض مكانته عليها، بل سمحت لهذه البين بالدوس عليه، واستحقاره واستصغاره كيفما شاءت. تمنى لو أنه يقتلها هنا والآن، ليس فقط بسبب ما قامت به حتى هذه اللحظة، بل لما تحاول القيام به وهو سلْبُه مكانه بالقرب من أوراسي؛ هو مَنْ كان دائماً وأبداً صوتها وخادمها، منفذ رغباتها، لقد قدّم حياته من أجلها ولا يندم على هذا، بل سيفعل كل شيء من أجل أوراسي حتى آخر رمق في روحه المخلصة، إنها لن يسمح بمخلوقة نجسة من الجيل الضال بأن تدنسها.

ترأس واردون الغارة على ميزويا، وقاد قواته من بِنُ الماء فحسب دون أي عون من الجان؛ وذلك لأن أوراسي لم ترغب بأن يعلم الجان عن الأطياف، كما أنها تريد الحدّ من التعاون بينهم، فلا تنتهي بحمل دَين للجان، بل ستجعلهم هم مَنْ يحملون الدَين لها؛ وقد فعلت حين أنقذت أحدهم من براثن الموت في باسيلييا، والآن أحد أقوى الجان يدين لها



٤٠. وهكذا سيظل الأمر بينها وبينهم؛ الجان هم من سيلينون فـ
يجرؤون على الانقلاب ضدها؛ وذلك حتى تبيدهم جميعاً دفعةً واحدة
على وجه الأرض.

انطلق واردون مع جنوده حيث أشارت سينا، أما هي فقد طلبت بعض
الوقت للتخلص من جسد ليبين بعيداً. وبالتأكيد كان حورا لها بالمرصاد
متهما إياها بالاهتمام بهذه المخلوقة، وأنها غير مخلصة لهم في ذلك.

سينا: «لقد جعلتكم تتزعون فؤاد الفتاة التي ربيتها منذ نعومة
أظفارها؛ والدتها حملت فؤاد طفلي داخلها، مما يجعل هذه الفتاة من نسل
لعلي أنانية ومتحجرة، إلا أنني أملك شيئاً من التعاطف لمن ترعرعت في
كنفي، أقل ما يمكنني فعله هو منحها دفناً لائقاً، فلا أرغب في رؤية
جسدها يتحلل أو يتعفن على مرأى مني. كما أنني لست بحاجة لإثبات
ذاتي أكثر من هذا، لقد جعلتكم تقتلون نسلِي».

أورا: «لتفعلي إذن، فلا رغبة لي بوجود جسد قدر بالقرب مني، لكنك
ستصبحين حورا معكِ، فقط كضمان».

شعر الآفاري بنشوة الانتصار على سينا؛ أخيراً نصّبه أورا عليها.
وافقت سينا دون جدال، وبحبال ورقية مزهرة بالهالوك حملت جثة ليبين
وصعدت بها خارج القوّة ومنها للشاطئ، مُستخدمة زورقها غامرت
بعيداً عن الشاطئ، وحورا المشؤوم يراقبها كمفترس ينتظر التهام فريسته.

أخيراً وحين وصلت الهالوك حيث ترغب، طوقت جسد ليّين بحبالها
الزهرية بأزهارها، وحملتها نحو الماء واضعةً إياها فيه بكل لطف هادئ،
لتراقب فتاتها تغوص داخل المحيط، وبصوتٍ خفي همست كلمات بلغة
لا يفقهها حورا، ليستفص إليها قائلاً: «بماذا تحدث؟»
«لا يعنيك».

«بل يعنيني، لقد عيّنتني أورا عليك؛ لذلك أجيبي فوراً».
«والأماذا؟ هل ستذهب كالطفل الصغير تشكوني لها؟»

نمى لو يقتلع لسانها من فمها ويُنكل بها أسوأ العذاب، وحين ينتهي
منها سيجعلها من جنود أورا الصامتين، لتكون حبيسة جسدها في وَصَب
بلا نهاية، وسيفعل هذا يوماً ما، عندما يحين الوقت المناسب سيتلذذ
بسلب حياتها منها عبر الألفيات.

لدى وصولهم للشاطئ ابتعدت سينا عن حورا، ليستنكر عدم عودتها
لمساعدة أورا في الطيف:

«إلى أين تذهبين؟»

«لأرى جيوشكم».

حورا: «عليك العودة ومساعدة أورا في الطيف».

«يمكنني فعل هذا، إلا أن الاستعجال في أمر كهذا سيضعفها، مما
سيُمكن الطيف منها، أترغب بهذا؟»

صمت الآخر؛ بالتأكيد هو لا يرغب بهذا، إلا أن هذه المخلوقة؛
إلا بتحديه وعصيانه منذ وصلت هنا، لتُردف قائلة:

«سأعود قريباً، دع أورا تسترخي؛ فالاستعجال مع الأطباء ليس
حلاً».

تولت سينا عن الأفاري مبتعدة تراقب جيشها الجديد، فيها عاد الأمل
لسيدته ممتعضاً من كل شيء، لاعتنا هذا اليوم المنحوس.

في ذلك الكهف الصغير مكثت هيرانم، بعيدة عند بقعة الضوء الوحيدة
التي ألقت بأشعتها على أرض الكهف المظلم. في هذا المكان وقبل أن تبدأ
التفت به بالاي؛ على أرض هذه الجزيرة بالتحديد حيث وجب عليه
زراعة فؤادها، نبت حبهما، والآن هذه الأرض هي منبع أورا الجديد كم
هي مدفن رابطتهما. لا بد أن بالاي علم الآن بخيانتها، هل نبأه زالجون
بهذا؟ كيف تفاعل بشأن هذا النبأ؟ لم تشعر هيرانم بشيء من مشاعره، فلا
علم لها كيف شعر نحوها؛ هل غَضِب؟ أم شعر بالحزن عليها؟ هل طرح
ذات التساؤل الذي خالجهما: كيف انتهى بها الأمر هنا؟ أين أخطأ؟ ألم يكن
بعضها البعض؟ هل يبحث عنها الآن؟ وإن فعل، فهل لأنه يريد إنقاذها
والاعتذار؟ أم لأنه يرغب في قتلها على خيانتها؟ ثم ماذا عن زالجون؟ لعلها
لم تشعر نحوه بحب الأم، إلا أنه كان ابنها، لا بد أنها أحبه في مكان ما داخل
فؤادها، ومع هذا لم تشعر بال...

حين هرب جيفاً عنها محتالاً، الله.



لا بد أنه معه الآن في باسيلييا، هذا إن بقي شيء منها؛ لقد قُتل الملك زابيل واعتل ابنه العرش، والآن الحلفاء سيردون عليهم الغارة، فهم لن يدعوا خسارة وفقائهم تذهب سُدى. هل هذا يعني أنها ستقابل بالاي وزالجون؟ هل فعلاً سيقتلون وجهًا لوجه؟ لا تعلم هيرانم ما الذي يجعله لها غدها، إلا أنها موقنة بأن ما ارتكبته من خطايا لا يُغتفر؛ إن لم يقتلوا فلن يكون لها مكان معها، ولكن هل ترغب حقًا بمكان بينهما؟

«إذن أنت هنا، هيرانم.. لم أرك منذ ألفيات».

ارتعدت لدى رؤيتها سينا تطرق برأسها من مدخل الكهف، ووجهها لم يُخفِ مدى الضغينة التي تحملها لها.

لقد سمعت أنها تمتلك المشاعر الآن؛ لعلها تبغضها لما فعلته بالين واستغلاما أفندتهم. لقد كانت موجودة عندما أقبل إليها نادياس قبل وقت طويل جدًا مُواجهًا إياها بفعلتها نحو الين.

في ذلك اليوم أقبل إليهم الأفاري بعد غيابٍ طال قرونًا، ليطلب منها الحديث بانفراد، ليلتقيا على قمة أحد الأعمدة الجبلية، فيما أحاطتهما الضباب بدأ نادياس حديثه:

«أعلم نوع الصفقة التي عقدتها مع ميزويا، كيف أمكنك فعل هذا؟»

«فعلت ما يتحتم علي فعله لأنجو، فهو يحمل قلبي بين يديه، ولم أرغب في الموت».



ثادياس: «هل الحياة بذنب كهذا أفضل من الموت؟ لقد حكمت على أفئدة البين بالأسر طيلة حياتهم، هل تستحق حياتك هذا الثمن؟ ولماذا تخبريني بهذا عندما التقينا مجددًا؟ كان بإمكانني فعل شيء لك، أي شيء، لإنقاذك عوضًا عن إيذاء كل هؤلاء البين».

«وماذا عنك أنت يا ثادياس؟ ألم ترسل البين إلى ميزويا من قبل رغم علمك بأنه مخلوق دنيء؟ أنت من حكمت على البين بهذا مثلي تمامًا».

ثادياس: «لم أرسل إليه البين بعد أن علمت بفعلته، فأنا أعلم أنه مخلوق جشع، نجس، وذليل».

هيرانم: «ومع هذا لم تقتله، بل تركت له البحر يرتع فيه كيفما يشاء. لا تتظاهر بالقدسية أمامي؛ أنت لم تحم البين من أوراء يومًا، تتظاهر بفعلك هذا لإراحة ضميرك، إلا أنك لم تتخذ خطوة واحدة بعد نيدرین. أليس هذا لأنك خائف؟ ترتعد من فكرة الموت، فلا تتظاهر بالبطولة وأنت من تركنا تحت رحمة طاغية مثل أوراء وميزويا».

«لقد فعلت كل ما يمكنني لتلافي الإبادة لكل البين. أنت تعلمين ما صنعت بكم بعد نيدرین؛ كل ما عليها فعله هو إرسال حقيقها أو إحاطة أغصانها بأفئدتكم وقتلكم، ما كنت لأسبب إبادة كاملة لكم».

هيرانم: «ومن كان السبب في هذا؟ أليس أنت؟ أنت من طلب من نيدرین الثوران على أوراء، وبسبب طيشك بتنا أسرى لديها».



نادياس: «ليس أنا مَنْ طلب من نيدرلين الثوران ضد أوراء، بل هي مَنْ فعلت من تلقاء ذاتها؛ كل ما فعلته هو إنقاذ فؤادها منها وإخبارها الحقيقة، طلبتُ منها الحرب بعيدًا لتصنع موطنًا للينِّ مَنْ سأنقذهم، إلا أنها رعناء وطائشة رغبت في المجد دون الاهتمام لعواقب أفعالها. بالرغم من معارضتي لفعلتها، إلا أنها تمكنت من إنقاذ الكثير من الينِّ خلال الألفيات التي تلت ذلك، سواء قبل أو بعد احتراق أوراء، ولهذا غضضت الطرف عن فعلها الأرعن. أما أنتِ، فلا تبالين إلا بذاتك؛ فعلتكِ بالينِّ ليست رغبة منكِ بتحريرهم، بل لتحرير ذاتكِ، فلا تُحوري الأحداث والحقائق لما يتناسب معكِ».

«إذن ما أنتِ فاعلٌ بي نادياس؟ هل ستخبر عني بالاي؟ أم زائيل؟ هل أنتِ مستعدٌ لما سيحدث بعد هذا؟ سيُعلن أن الهُجَناء خائنون لأنني أنا عشيرة القائد التي تتولى دعمِ ينِّ الماء؛ من المستحيل أن يفضوا الطرف عن عملي، كما أنهم لن يثقوا بـ بالاي أو الهُجَناء مجددًا، ولعلهم يُغيرون علينا بالموت، فهل أنتِ مستعدٌ لتحمل هذا الذنب ما تبقى من حياتكِ؟»

نادياس: «أنا ذو قلب ضعيف، بلا شجاعة أو جرأة تشتعل في روحي. كما دُكرتِ، أنا أظل أراقب عن بُعد خوفًا من أن تحمل روحي ذنوبًا لست بأهلٍ لأحملها. بالرغم من هذا فإن ذنوبي تزداد يومًا بعد يوم، ومعها يزداد خوفي؛ سيأتي يوم تنهار فيه كل عزيمتي من الاستمرار، وحين أوقن أن وجودي يعرقل تحرك عجلة القدر مؤخرًا ما هو محتوم، حينها سأذهب



للموت بقدميَّ الاثنين، لعل دمائي المندلقة تكون غفرانا لخطاياي. لكن الآن، سألتزم الصمت هيرانم، فكلانا مخلوق واهن».

كانت تلك آخر مرة ترى فيها هيرانم الآفاري أو تتحدث معه، وذلك حتى علمت بموته على يدي ميزويا. لقد أوفى بوعده وأقبل على الموت. ومنذ اليوم الذي فارق فيه ثادياس الحياة لم تذُق النوم؛ لقد علمت أن موته حرّك عجالات القدر، ومعها ستهبُّ رياح التغيير. وها هي الرياح عصفت بشدة، وتحرك الزمان ليوم الميعاد؛ فبعد تلك الإغارة لن يعود شيء كما كان، وهيرانم تعلم أن الموت المأساوي هو نهايتها، وتلك البرية المشؤومة أمامها إثباتٌ لذلك.

هيرانم: «ما الذي تفعلينه هنا أيتها الهالوك؟»

«أتيتُ بصفقة لأورا، لقد قدمتُ لها طيف الريح».

«فعلتِ ماذا؟ هل فقدتِ عقلك؟ بهذا أنتِ تمنحينها القوة للسيطرة

على الأرض».

ارتعدت هيرانم عندما أدركت خطأها؛ ما كان يجب عليها ذكر

الأطياف، إلا أن سينا أجابت:

«إنه ميزويا، أليس كذلك؟ أخبركِ أن تمنحني أي معلومة قد تتوفر عن

الأطياف، وبهذا بتُ تعلمين ما هي. لكن عزيزتي هيرانم، لا تصطنعي

الاهتمام بما يحدث للأرض أو المخلوقات، فأنتِ لا تأبين إلا بذاتك».

هيرانم: «هل ستخبرين أورا؟»

الماذا عليّ أن أفعل؟ فلا فائدة تعود لي من هذا.

«هل خنتِ رفقاءكِ؟»

نبدلت اللامبالاة في عين سينا لاستحقار مبطن بازدياد من البنّ امامها بحبيبة:

«هل تحكمن عليّ الآن؟ أنتِ مَنْ خانتِ عشيرها، وطنها، قُرناها،
وذوي جنسها، أنقفين هنا بلا خزي وتحكمن على فعلي؟ لا تجرّئي يا
هيرانم! وقريناً ستدركين الثمن الذي تم دفعه نتيجة أفعالكِ الشائنة، فابقي
حيث أنتِ، متوارية في الظلام والنكران، فكلُّ خطاياكِ ستُدفع قريباً».

توجس الخوف في هيرانم التي همست ذعراً قائلة:

«ماذا تعنين بهذا؟»

نولت عنها سينا قائلة:

«ثمن خطاياكِ تم دفعه من مخلوق آخر، ولكن حين تعلمين الحقيقة،

هل سيتحرك فؤادكِ المتحجر؟ أم هل سيفيدكِ الندم حينها؟»

في طريقها للعودة توقفت سينا عند أحد المخيمات حيث البنّ؛ هؤلاء هم
جيشها الجديد. وقد راقبت مجموعة من المخلوقات ما قامت به لـحورا، مما
منحهم الكثير من السعادة وألقى في قلوبهم الذعر منها؛ لقد تحدّث جبار
البنّ دون هوادة، جعلته يتلوى وَصَبّاً كما لم يفعل أحدٌ من قبل، حتى أورا
لم تُقم بما قامت به سينا. وقف الجنود مُظهِرين لها الاحترام لدى دخولها
المخيم، إلا أنها لم تلتق بالآ لأحد وانجهمت صوب مخلوق واحد.

أحس أتوم بالموت يقترب من خلفه دون أن يعلم مَنْ يحمله إليه، الفزع
بسرعة ليرى مَنْ يقصد حياته، ليُبصر سينا أمامه ويسقط أرضاً فوراً
فرط جزعه، وعيناه المرتعدتان تنظران صوب تلك العينين البنفسجيتين
اللتين حملتا كُلَّ سُخط وبغضاء العالم، بل لقد كادت عيناها تفتلانه
انحنى إليه وتقابلت عيناها دون أن تنبس بكلمة واحدة، وبسرعة فالتقا
اقتربت من أذنه هامسة:

«هم يعلمون أنك مَنْ فعلها.. سيون يعلم.. يا تُرى ما الشمس فاعلة
بظلمها الذي خانها؟»

تراجعت سينا بهدوء ناظرة في عيني أتوم الذي بات يلهث الآن ذعراً،
لتنهض متبسمة ثم تتولى عنه.

أيقن أتوم أنه أحق؛ لم يفكر ولو لثانية ما إذا كانت خيائته ستُكشف،
اعتقد أن كل أثران حقى مثله، وأنهم سيعتقدون أنه قُتل في الغارة، بل لقد
آمن أن سيون سيرثي صديقه الراحل. والآن هم يعلمون، لا بل سيون
يعلم؛ لم اعتقد لثانية واحدة أن رأيي سيون فيه غير مهم؟ بل إن حياته
كلها تتمحور حوله، والآن شمس غاضبة منه ولن ترضى إلا بحياته ثناً
لما فعله. إلا أن لهذه الشمس نارا ذات لهيب أكحل، سيتأجج هذا اللهب
حتى يُزيل ظل الشمس، ومع هذا اللهب سيتلاشى أتوم.



ميزويا

سبح ميزويا في البحيرة في جهلٍ لما يحدث في الأعلى وهروب سيكاي من قبضته، لقد جعل تابعه يقود الطريق لمدخل المدينة المائية. من القاع المظلم لمع ضوء وحيد، كنجمة في سماء الليل، ومن الأعماق اندفع تيار مائي عارم دفعه صوب الضياء قهراً، لم يقاوم ميزويا التيار، بل استخدمه لبسار صوب هدفه حيث القاع، وفي مرحلةٍ ما شعر بأنه يهوي عوصاً عن الانجراف، ليوقن أنه بات داخل شلال مائي، فعلم أنهم يقتربون لدخول المدينة. وفي لحظاتٍ غمرهم الضوء مغشياً على أبصارهم، وقبل أن يصلوا للقاع أرغم ميزويا ذاته لفتح عينيه؛ فلا علم له ما ينتظره في المدينة أو إن كانوا يهوون نحو فخ، ليفتح عينيه على مشهد لم يعلم مثيلاً له بالوجود.

تساقط الشلال على عشرة أنهار مائية جارية في خنادق حفرت في أرض حجرية بيضاء وملساء لم تكن من صنْع الطبيعة، بل من جِرْفَة مخلوقٍ ما، بالرغم من جريان الأنهار إلا أنها لم تكن عارمة فلم تُجرف مَنْ يقف عليها بعيداً، كل نهر جرى نحو ممرٍ ممتد لأبعد مما يبصرون. نظر ميزويا من حوله ليعلم أنهم في بهوٍ كبير بجدران حجرية بيضاء تخللتها تشققات متفرعة من الذهب، على مدار البهو الدائري تراصت رماح ذهبية ثلاثية



الرؤوس، كل رأس منها مشعل يحمل عليه هيب نار، أما سقف البهو فقد كان غير مرئي إلا أنه وُجد. عَلِمَ ميزويا هذا عندما لم تندفق المياه إلى البهو إلا عن طريق الشلال، وبالرغم من الظلام الذي دثرهم وأحاط بهم إلا أنه تلاّأ بتناثر قناديل البحر المضيئة من حولهم، والتي من حين لآخر اصطدمت بالسقف الخفي.

لم يعلم ميزويا أين يتجه، فهناك عشرة ممرات مختلفة، إلا أنه قرر أن يفرق قواته أمراً إياهم بالتناثر بحثاً عن أي شيء مميز في هذه المدينة، وأمرهم بقتل أي مخلوق في طريقهم. تفرّق التابعون وفقاً لأوامر قائدهم الذي اختار مساراً له هو الآخر، اختلف هذا الممر عن بقية ليُنش على مدخله المقوس كتابات بشرية لم يفقهها (Atlantis νῆσος)^(١).

عبر البِنُّ البوابة سائراً فوق السيل المائي الذي شق الممر، على كلا جانبيه أرض جافة حملت عليها العديد من الأعمدة المترصفة، والتي حملت قممها نقش أزهار الكالا، بالرغم من وجود هذه الأعمدة الممتدة إلا أنها لم تحمل فوقها أي سقف، تمكّن ميزويا من رؤية ما يوجد خلف هذا الممر، إنها دهاeliz أخرى تشابه الذي هو فيها، لقد رأى بينما ركض أتباعه بين هذه الممرات التي تنتهي بحجرات صلبة الجدران، رفع رأسه للأعلى فتفاجأ أن المدينة كلها تقع تحت سقف محدب زجاجي، أخيراً وبعد قليل

١- مدينة أطلس.



من الترحال بلغ مبنى حجرًا انتصفته بركة مياه تفرع
أخرى كل منها يؤدي ليهو آخر، لا بد أن هذه المدينة صُنعت لإصابة مَنْ
يَجْرُفُهَا بالإحباط من السير المستمر دون هُدًى، إلا أن ميزويا لن ييأس
الآن، ليس وهو قريب جدًا من حُلْمه، ليندفع فوق الأنهار مسرعًا يَخْتَرِقُ
مِرْاثِلُو الآخر، وفي كل عمرٍ يجتازه يشعر كما لو أن الماء يجري نحو مهبط، لم
يَعُدَّ السيل أنقيًا بل منحدرًا، هذه السيول تقوده للقاع أكثر.

أمر آخر لاحظته هو أن الممرات تغطت بالجدران الآن فلم يَعدَ يمكنه
رؤية ما يحدث في الخارج، فجأة حدث ما لم يكن بالحسبان، سبيلُ الماء بات
شلالًا، إلا أنه ليس شلالًا هابطًا نحو الأرض، بل صاعدًا نحو القمة، لم
يَزِدْ ميزويا الماء يتحرك هكذا من قبل، ليقن أنه في المكان الصحيح، لا بد
أن طيف الماء هنا، ليتبع العمود المائي نحو الأعلى فيجد ذاته في بهو ساحر
الجمال، ذي جدران صُنعت من قشور اللؤلؤ لتعكس الضوء عليها ألوانًا
مختلفة، أما الأرض فهي مصنوعة من حجر بركاني أسود عكست عليه
أمواج المياه المتلاطمة في الأعلى.

رفع ميزويا عينيه ليرى أن ضوء الشمس يتخلل المياه الآن، وتحركات
الأمواج كسرت ضوء الشمس عليها منعكسة على الأرض السوداء،
ومن بين كل هذا الجمال اختطفت نظره شجرة مرجانية سوداء تُزهر من
نوع مياه مليء بأزهار الكالا السوداء. أقبل ميزويا نحو المرجان مترنحًا،



ها هو حُلْمه يتحقق الآن، الطيف له، وهذه الكالا إثبات لهذا؛ إنها أزهار
ثادياس، هنا يرقد طيف الماء الذي سلبه منه الكالا الأسود، الآن سيصبح
سيد الماء، ثم سيفتك بأورا حتى تصبح الأرض كلها له. بيد مرتعشة
مد يده نحو المرجان، وما إن لمسها حتى سقطت منها كرة مائية سوداء،
ليصرخ ميزويا داخله: «هذا طيف الماء!»

حمله بين يده، وإذا بالكرة تسيل مخترقةً شرايينه بعنف ليشعر بجسده
يحترق من الداخل، وكالوميض انتابته ذكرى لمخلوق لم يره قبلاً، إنها إن
من الجيل الضال، حملت في عيناها البنفسجية حنقاً مظلماً، لتقول بابتسامة
رضا:

«هذا انتقام ثادياس».

خرّ ميزويا أرضاً، ومن حوله تزلزلت البنيان، وتصدّع السقف
المخفي.



أشـران

أشـرقت شمس اليوم الثالث لاختفاء لـيـيـن، وغـدًا هو اليوم الموعد للقتال، لم يُجَافِ النوم أربو منذ ثلاثة أيام، بالكاد يغطُّ في النوم لبضع دقائق قبل أن يستيقظ بكوابيس تقضُّ مضجعه، أحيانًا يرى لـيـيـن تسير نحو والـديـها المتظرين، مرات أخرى يرى جثة والدته الدامية تنظر إليه قائلة:

«لو أنك لم تكن ضعيفًا».

ولكن أسوأها هي تلك التي يرى فيها فؤاد لـيـيـن النابض والدامي بين يدي أورا القابعة فوق جثتها الهامدة، وعيناها مفتوحتان تنظران مباشرةً إلى أربو، ليتعالى صوتها بغضب قائلة: «لماذا تخليت عني؟»

خلال اليومين السابقين طلب الجميع منه الثقة بـلـيـيـن والانتظار، عدا أن عذابه لا يكمن في عدم ثقته بها، بل في ذعره من مصابها حيث تم اقتيادها:

«هل وصلت لـهـناك؟ لا بدّ أنها فعلت، فبالنسبة للـيـيـن المسافة لأورا ليست بعيدة، ولكن سينا لم تتجه للبحر الغربي، إنما للشرق، في الاتجاه العاكس تمامًا لأورا، هناك حيث الشرق يوجد ميزوريا، ومع هذا عداوة سينا مع ميزوريا كبيرة جدًّا، هذا إن صدق قولها بهذا الشأن، فلماذا تأخذ

ليبين إليه؟ هل ترغب باستئصال فؤادها؟ ولأي سبب؟ صحيح أنها وجود مميز، ومع هذا فما فائدة فؤادها لميزويا؟ وعلى أي حال، أليس ميزويا حيث أورا؟ ولكن في اجتماع البارحة أخبرهم مينوس أن ذلك البين المائي وأتباعه في بحرهم، هل صدق مينوس؟ ولماذا قد تسمع أورا لميزويا بالابتعاد عنها وعن حماية بحرهما؟ أين هي الحقيقة من كل هذا؟.

مهما طرح أريو من أسئلة لم يجد لها من إجابة، وعندما جافاه النوم خرج للسير في الأرجاء على بزوغ الشمس يزيل عنه كربيه، أو لعله يفرق ذاته في الاستعداد للحراك القادم فجر الغد. والآن بدأت الشمس بالتجلى في الأفق، علم أن الجميع سيجتمع حيث الهرم، عليهم دراسة خطتهم بشكل أكبر قبل الانطلاق، فكما تم الاتفاق إنها حرب واحدة فاصلة.

داخل الهرم، وفي محطة الاستشارات، تم توزيع المهام لكل قائد وعددهم ثمانية، أما أريو فلم يكلف إلا بمهمة واحدة لا غير؛ إيجاد ليين وإحضارها، ليتساعد سؤال طرحه رابولا:

«هل حقاً ليين حيث أورا؟ لقد اتجهت سينا للشرق حيث ميزويا، فلم ليست هناك؟»

مينوس: «سبق أن أخبرتكم، لقد اطلعت على الماء والهالوك ليست هناك، كما أن ميزويا ومن معه قد هجروا بحرهم لمكان آخر».

نامار: «لماذا قد يفعل ذلك؟ أليست شجرته في البحر الذي يقطه؟»



أطراف

رابولا: «تلك الشجرة توقفت عن إزهار البين، فلا حاجة لهم بها، عدا أن ما يُحيرني هو حقيقة ابتعاد ميزويا عن بحر، لقد حمل الكثير من الفخر بها إنشاء بذاته، ما كان ليرحل لولا أن أمرًا مهمًا طرأ».

مينوس: «لنقل إنه تم إرساله حيث المدينة التي صنعتها أنا، بحجة وجود طيف الماء هناك».

سيون: «هل خططت لهذا؟»

مينوس: «لقد قتل ثاديئاس بأبشع الطرق، حتى هذا اليوم ما تزال الذكرى التي رأيته من المالك تورق نومي؛ لذلك فعلت ما عليّ فعله، بهذه الطريقة يبتعد عن طريقنا نحو أورا».

رابولا: «ماذا سيحلُّ به هناك؟»

«إن سارت الأمور على ما يرام، فستكون نهاية ميزويا هناك».

أريو: «لماذا لم نخبرنا بهذا من قبل؟»

«أردت التأكد أن خطتي ستنجح، أنه سيترك بحر، وقد فعل».

أريو: «ومع هذا كان عليك أن...»

في تلك اللحظة هوى أريو على ركبتيه قابضًا على صدره حيث وجدانه، لاشًا بعنف كأن فواده يُسرع منه، شعر بالعروق فيه تُجذب بعنف للخارج جسده، شيء ما يعتصر فواده حدّ التمزق، كل الدفء في دمانه تلاشى

لجليد متجمد، وفيما يتم جذب فؤاده منه بالقوة رفع رأسه للسماء رغمًا عنه، ليرى قصاصات أوراق ذهبية وفضية، في مشهد خلّاب تراقصت مع الريح، ثم شعر بقوة ساحقة تجذب جسده للأمام، ليهوي أرضًا فيرى أزهار الهالوك تلتفُّ على كيانٍ أصفر اللون تحملهم يدٌ دامية، ثم تلاشى العالم لسواد.

أمام نظر الجميع وعلى حين غرة سقط أريو نحو الأرض وعلامان الموت تعتريه، شعر الجميع بالذعر، وأولهم سيون ليهبَّ إليه، لم يعلم إن كان فاقد الوعي أم لا، فعيناه مفتوحتان، ليهتف بجزع:

«أريو ما الأمر؟ أريو أجبني؟»

لقد شل تفكيره تمامًا، كلُّ نبض له تجمد لدى رؤية ابنه بهذه الحالة، وبذات السرعة التي خرَّ بها رفع رأسه للسماء، إلا أن عينيه لم ترَ بما كان حوله بل شيئًا آخر، لتتحول أنفاسه اللاهثة لصوت اختناق كما لو أن الهواء يُسلب من صدره، لا يهمُّ كم مرَّة نادى سيون على أريو أو مدى العنف الذي هز به جسده، ببساطة لم يستجب ابنه، وبالرغم من أن كل ما حدث كان لحظيًّا إلا أنه بدا أبدئيًّا لـ سيون، وفي ذعره رفع عينيه نحو نامار في رجاءٍ لنجدته أو منحه إجابة لما عليه أن يفعل، إلا أن نامار بدور مضطرب، كذلك كلُّ مَنْ شهد ما يحدث، ليصيب الذعر الخالص رفاقه في رجاءٍ عدم خسارة رفيق آخر لهم. الجميع وبيقين متقطع النظير علوا

ما يحدث، شيءٌ ما أصاب لِيَيْن ليُشعر به أريو، لم يَدُم الأمر إلا ثواني،
ليختر أريو أرضاً ملتقطاً أنفاسه، لم يفقد الوعي إلا أنه لم يتحرك، كلُّ ما
فعله هو القبض على وجدانه، وبصوتٍ يحتضر صَرَخ حرقه أَلته:

«لِيَيْن!»

طأطأ سيون رأسه للأرض، لتحبس غاريناً أنفاسها جزعاً، ليتجمد
سكارم في مكانه بعينين جاحظتين، أما إيلهاب فقد ولَّى ظهره لهم، ونامار
لم يبرح مطرحة بالقرب من أريو وسيون.

رغمًا عن الحزن، الوَصَب، الخواء الذي اجتاحت أريو، إلا أن الغضب
هو ما تاجع لهيئاً حارقاً، وأريو سيحرق الجميع معه وأولهم سيون. نهض
مرتعداً ليمسك سيون من عنقه صارخاً:

«لقد وثقتُ بك! لقد أخبرتني أن أثق بك، أقسمت لي بأنك لن تتخلى
عنها، كيف أمكنك الكذب عليّ هكذا؟ كيف يمكنك أن تكون متبلاًد
المشاعر هكذا؟ لقد فقدتها! لقد فقدت لِيَيْن! لقد وثقت بك، وأنت
خُتتي، لقد أقسمت لوالديها بحمايتها، لقد أقسمت لـ شاوران بهذا،
والآن هي رحلت، لقد شطرت أورا كل كيائها، لقد انتزعت الطيف منها،
شعرت بفؤادها يُنتزع منها، وكل هذا لأنني وثقت بك، لا بل وثقت بكم
جميعاً، الجميع أخبرني أن أنتظر، أن أثق بـ لِيَيْن، فما هي فاعلة أمام شر
أورا؟ أنتم لم تهتموا إلا بالحرب، لم تهتموا بها أوبي، لم يَعْنِكُم أن أفقدها أو

أن يحترق فؤادي معها، جميعكم ختم ليبي وإيبي، لكن الخائن الأكبر هو أنا، أنا الجبان الذي تركها لموتها، أنا المسبب لكل هذا...»

انتزع أريو يده من عنق سيون المحطم، ليستفض من مكانه، وعلى قدميه وقف قائلاً:

«سأنال منها، ثم أتبع ليبي».

وفيا تحرك وقف نامار مقابلًا له محيطًا إياه بالدخان، إلا أن سخط أريو لا يمكن احتواؤه، ليُزهر النيلوفر من كل جسده أزهارًا، ثم فروغًا، وجذورًا، ثم هجم على نامار ليُشعل نيرانه محرقة جبال أريو فيطلق سبلاً مائيًا غاضبًا مزق شيئًا من جسد الجان الدخاني. وفيها ركض إلهاب نحر أريو ليوقفه، نهره نامار قائلاً: «لا تفعل».

يمكن لنامار صد هجوم أريو بسهولة أو تفاديه حتى، إلا أنه لم يرغب بهذا، أراد أن يجعل الفتى يصب جام غضبه عليه عوضًا عن إيذائه ذاته أو تحطيم سيون بكلماته، فنامار وسيون يعيان جيدًا ما يمر به أريو في هذه اللحظة، لكن تدمير ذاته ومن حوله لن يفيد أحدًا، وأكثر من سيتضرر من هذا هو أريو أولًا، ثم سيون المحطم كليًا هو من تسبب في مقتل عبدة ابنه، هو من سمح لابنه أن يشعر بهذا الألم الذي لا يتلاشى أو يذبل، هو وصَب يتعاضم مع الأيام، إنه أبدي بلا نهاية، وهو من تسبب بهذا لأريو! ثم ليبي تلك المخلوقة الرقيقة، القوية، المقاتلة، من تحمِل ابتسامة تقي!

ظلام الليل، ومعها انتزعت ظلال الموت من حول ابنه، قدر حلت ومعها
حلت ظلال الموت أحلك مما كانت. لقد أقسم لوالديها بحمايتها، وقف
حيث اندثرًا مُقيسًا بذلك، إلا أنه لم يفِ بالعهد، هو حقًا غير قادر على
حماية أي مخلوق، هل حقًا يحقُّ له أن يكون أسطورة البن؟

أفاق سيون من الرثاء على حاله عندما صرخ عليه نامار:

«سيون، افعل شيئًا».

لبنظر فيجد أن أريو في حالة هياج قاتل، انتفض من مقعده فورًا
وصوب ابنه، لعله خسر ليبين إلا أنه لن يخسر ابنه الآن، ليبغضه بقدر ما
شاء، ليمض سنين حياته يلعن سيون لا يهم، فهو سيحمل كل هذا عنه،
كل أساء، سخطه، وحدته، كما حنينه، كل هذا سيحمله سيون عوضًا
عنه. وفيما اقترب من ابنه الهائج، أطلق النيلوفر نحره ليخدره، إلا أن
مبوس انطلق مواجهًا لـ أريو قائلاً له بأعلى صوته:

«هي لم تمُت، الفتاة لم تمُت».

توقف سيون حيث هو في إنكارٍ لما سمعه، لعله يكذب ليحمي أريو،
لجيب سيون قائلاً:

«لا تمنحه أملًا كاذبًا».

لا شيء أكثر ألماً من التماس بصيص أملٍ من الحياة، ليسلب منك هاءياً
نحره مظلمة بلا قاع.

مينوس: «هي حقًا لم تمُت، أريو استمع لي، ليبيّن حية، أشعر بها عبر الماء».

إلا أن نداءات مينوس لم تصل إليه، فلقد فقد عقله، مما لم يمنع سيون أيّ خيار سوى الانطلاق مسرعًا نحو ابنه غير آبه لتفرعات النباتات التي تمددت مفترشة الهرم مهاجمة من يقترب منه، وفي انطلاقه أصيب سيون عدة إصابات بليغة إلا أن هذا لم يوقفه، بل هو لا يشعر بها، ليحرق نمار نباتات أريو متيحًا الطريق لـ سيون، أطلق سكارم سُمّه الحارق نحر النيلوفر الممتد مذيّبًا إياها للأرض، غارينا نفثت القليل جدًا من سُنها نحو ثغرات اللحاء المحيط بـ أريو لعل عقله يتوقف عن العمل، أما إيلهاب فقد حلّق لأعلى الهرم محرقًا كل النباتات المتسلقة للأعلى، أخيرًا تمكّن سيون من اختراق حاجز أريو واضعًا يده عليه، وبكل ماله من قدرة ضخّ رحيق النيلوفر فيه، مسيّبًا له الحذر التام، ليخرّ أرضًا فائنا الوعي، ومعه انهارت كل نباتاته أرضًا.

قرب سيون ابنه لحجره محتضنًا إياه بقوة، ليرى الإنهاك والوصب يحتلان حُياه، فيما اتخذ رفقاء أريو من الأرض مقعدًا لهم بعد بذلهم كل مجهوداتهم لإنقاذ صديقهم، هم في حالة بهتان لما يحدث، قبل ثوانٍ شعر أريو أن ليبيّن تُقتل، والآن مينوس يحبرهم أنها حية، بالتأكيد هم لا يرغبون في أي شيء أكثر من أن يكون محقًا، لكن ماذا لو أنه لم يكن كذلك؟ ولماذا قد يشعر أريو بانتزاع فؤاده إن لم يحدث الأمر حقًا؟

انجه نامار فوراً نحو مينوس ليلاصق وجهه قائلاً بسخط:
«أقسم لك إن كان ما قلته كذباً، لأحرقنك أسوأ مما سأفعل مع تلك
الشجرة الملعونة».

مينوس: «أقسم لك باسم ثادياس أني لم أخدعكم».
إلهاب بسخط: «لا تُقسم لنا باسمه، فلم يجلب لنا الشقاء إلا هو».
غضب مينوس من قول إلهاب، بالرغم من أن علاقته بوالده لم تكن
وطيدة إلا أنه يظل والده، مخلوقٌ ضحى بالكثير من أجل الآخرين كما
الأرض، ليُردف قائلاً بحزم:

«أنفهم غضبكم، لكن لا تُفحم أبي في هذا مجدداً، ولا تتحدث عنه
بالسوء، فكما تتألم أنت من فقدان أبي لم تره، فأنا أحنُّ لأبي عرفته لأزمان
طويلة».

شعر إلهاب بالذنب لحديثه، إلا أنه لم يعتذر وما كان ليفعل، وفيما ظل
سيون يضم ابنه إليه تحدث قائلاً:

«كيف لك أن تعلم أنها حية؟ ولماذا شعر أريو بموتها؟»

مينوس: «في كهف أورا، هنالك مياه تتدفق من الجدران، فنظرت
عبرها ورأيت أورا تنتزع الهالوك المرتبط بطيف الريح، لكن الجلنار في
الفتاة ما تزال موجودة، ما شعر به أريو هو ألم انتزاع نصف الفتاة منها،

إلا أنها حية، و أورا لا تعلم بهذا أنفاسها ضحلة، ونبضاتها تكاد تكون معدومة، مما يوحي بموتها؛ لأن الفتاة فقدت الهالك بها، فهي الآن هجينة فقط ليست مميزة، إنها نصف بشري ونصف إن.

شعر الجميع كما لو أن وزر الكون قد أزيح من عليهم، ليبين حية، لربما هي تتألم، وما خاضته كان وحشيًا، لا بدّ أنها تكبدت الكثير من الآلام، هذا ذاته ما شعر به أريو، لقد شهدوا ألمها بأعينهم، شهدوا كيف تحرك جسدتها بعنف، لقد شطر نصف وجودها، لا يمكن لهم تخيل ما مرت به، إلا أنها حية وهذا يكفي.

سكارم: «علينا إنقاذها سيون، لا بدّ لنا أن نتحرك الآن».

غارينا: «حياتها في خطر، إن كانت أنفاسها ضحلة، كما فؤادها بالكاد ينبض، فلا بدّ أنها على شفير الموت، وإن لم تكن الآن فإن أورا ستفك بها لحظة استعادة وعيها».

مينوس: «لا يمكنك ذلك، فأورا تملك طيف الريح الآن، لقد دفعت بالطيف إليها، لا يمكنكم مغافلتها الآن».

أطلق نامار هيبًا أسود غطى به جدران الهرم من الداخل، لينفل بارموث الأمر ذاته، مُشكلاً طبقة أخرى.

نامار: «بهذا لم نسمعنا اللعينة».

أنثوس: «هل يمكننا الانتصار الآن؟ طيف الريح لديها، هذا يمنحها القوة المطلقة».

إيلهاب: «هذا لا يهم الآن، علينا إنقاذ رفيقتنا منها».

سيون: «مينوس، هل رؤيتك ما يحدث يُشكل خطرًا عليك؟»

«أجل، لكنني توقفت عن النظر ما إن ابتلعت أورا الطيف، وأنا الآن استمع للذبذبة أصواتهم فحسب».

سيون: «ماذا يقولون عن ليبين؟»

«سبتم إلقاء جسدها في البحر».

غارينا: «سيون، علينا فعل شيء ما، إن ألقيت في الماء فالموت مصيرها دون محالة».

بنوس: «ساحبها أنا، ما إن يتم إلقاؤها في الماء، سأحضرها إلينا، لن يشعر أحد بهذا أو يراها، فالماء لي».

نامار: «يمكنك فعل هذا بسرعة؟»

«أجل سأفعل ما يمكنني لإعادة رفيقتكم لكم».

بارموث: «إن طيف الريح مع أورا، فما هي الخطة؟»

سيون: «لن نغير شيئًا، تقديم الطيف لـ أورا هو هدفنا منذ البداية، خبيثة أنها ترى ما نقوم به أمرٌ كنا نعلمه، فما إن ندخل مسارها سكون».

تحت أنظارها، ما يختلف الآن هو أن مهمتنا للاقتراب منها باتت أصعب فحسب، إلا أننا سننطلق دون هوادة، علينا جميعًا القتال بكل ما أوتينا من قوة، لتُفسحوا لنا الطريق، فيما نتقدم أنا، نامار، ومينوس نحو أورا، يوكيم أنت ستنتهي كل ما يرتبط بها في مسارها، وأيها الملك سندع أمر الجان لك».

بارموث: «لقد خططنا لهجمة واحدة فقط، فلا مجال للخطأ».

نامار: «سأستخدم نيراني لأضع حاجزًا ضد أورا حول أثران، فهذا أفضل».

سيون: «ستنهك ذاتك قبيل المعركة».

«لا تقلق على أدائي سيون، فعندما يحين موعد إحراق تلك الملعونة لن أذخر أي قوة».

مينوس: «سأنطلق حيث البحر، ما إن أشعر بالفتاة فيه سأتحرك».

إلهاب: «أنا قادم معك، ستحتاج لنار تحبثك من عيني أورا».

سيون: «أنا أيضًا، سأنتظر بالقرب من مسار أورا لأحضر ليبي».

قدّم سيون ابنه لـ نامار قائلاً: «لا تدعه يغيب عن عينيك».

«تقصد لا تدعه يتصرف بجنون».

أحاط نامار أريو بدخان منه منطلقًا حيث يقطنون، لعلها هذه أول

مرّة ينام فيها أريو منذ اختطاف لِيَيْن، بالرغم من سوء الحظ الذي أحاط به مسبقًا فقدانه الوعي، لكن كل شيء سيتلاشى ما إن يرى لِيَيْن أمامه حبة، وفي نفس نamar رجاء قائل:

«لا تُرخي قبضتك على الحياة يا فتاة، إياك أن تُرخي قبضتك».

على شاطئ البحر وقف سكارم وغارينا مع أريز، فيما انطلق سيون في البحر يرافقه مينوس، الذي لم يتعد كثيرًا عن الشاطئ كوقاية احترازية، فإن شعرت أورا بتواجده في الماء ستبعث بجنودها نحوه؛ فأخّر ما يرغبون به هو خسارة طيف آخر لـ أورا الآن. رافق إلهاب سيون للأعماق حيث أعانه التبلوفر على التواجد في الماء، في حال تمّت ملاحظة تحرك لِيَيْن داخل الماء فعلى إلهاب أخذها والهرب بعيدًا فيما سيصدّ سيون أي هجوم ينال إليهم، فلديهم هدف واحد فقط الآن هو استعادة لِيَيْن وتجنّب أي قتال ما دام الأمر ممكنًا.

انطلق سيون بسرعة كبيرة صوب مسار أورا، ولأول مرّة يلحظ إلهاب أن سرعة القائد في الماء أضعاف ما هي عليه على اليابسة، لولا وجود الحاجز الذي أحاطه لعانى جسده من سرعة تدفّقه في الماء. أخيرًا نوق سيون عن الحراك، هما على مشارف مسار العدو، أي خطوة خاطئة سيجعلهم مكشوفين لـ أورا؛ لذلك عليهم الحذر إلا أن المهمة الأكبر تقع على عاتق مينوس الآن، بالرغم من أن سرعة الينّ الكبيرة تجعل المسافة

بين أورا وأثران ليست بالشاسعة، إلا أن استخدام طيف الماء من هذه المسافة ليس أمرًا يسيرًا كما عليه أن يكون سريعًا، دقيقًا، وبقظًا.

مضت ساعة منذ وصل النيلوفر وإيلهاب حيث ينبغي لهما وحتى الآن لا أثر لـ لِيَيْن، ازداد اضطراب الجميع خوفًا من أن مكروها أو سوءًا قد وقع، لم يُعدّ سيون يتحمل أكثر، لقد أضاعوا الكثير من الوقت من قبل مما تَسبَّب بإيذاء لِيَيْن، وهذا الانتظار الآن قد يقتلها، إلا أن كل صون منطق في عقله يخبره أن ينتظر قليلًا فحسب، للحظات فحسب، عدا أن الانتظار وحده لا يكفي، فأطلق سيون حبال النيلوفر من كامل جسده متشرة في الماء، أراد استخدام أقصى ما لديه من قدرة لاستشعار الماء دونًا إخطار أورا، لكن حدث ما لم يكن في الحسبان، شعر سيون بحركة غريبة في الماء، الآلاف من المخلوقات يسبحون مرتحلين بسرعة كبيرة، لم يجرؤ النيلوفر على الحراك ولو بقيد أنملة، بالرغم من أنهم ينطلقون في الاتجاه المعاكس له، إلا أنه يكاد يكون ملاصقًا للرب أورا، إن أخطأ فكلُّ هذا الحشد الوفير سيُبدل اتجاهه وينطلق حيث هو، لم يبال سيون أين ينطلق هذا الجيش أو وجهته طالما أن طريقهم وهدفهم لم يكن هو؛ فهذا كل ما يهم الآن، إلا أن إيلهاب طرح سؤالًا أصاب سيون بالذعر:

«هل يتجهون لأثران، من البحر الشرقي؟»

فكرة لم تخطر على بال النيلوفر، هذا صحيح فاتجاههم قد يفودهم إلى

البحر الشرقي أو الشمالي لأثران، هل يعني هذا هجومًا جديدًا؟ بسرعة
أخرج سيون حجره الملون متحدًا لـ نامار:

- الشمال. الشرق. بحر. أثران.

إيلهاب: «ألن نذهب لمعاونتهم؟»

«لا يمكننا التخلي عن لييين هذه المرة، لعل هذا السرب لا يتجه نحو
أثران، وعلى كل حال يستطيع نامار ومن معه صد الهجوم. عليّ الثقة بهم،
ونحن سنظل هنا لاستعادة رفيقتنا».

في الطرف الآخر من أثران تحركت حجارة نامار برسالة من سيون،
بنظرة مُخْلِ قَبْلَ الجان المهمة ليس لأنه لا يرغب بها، بل خوفًا من تهوُّر
أريو إن استيقظ، ولا يمكنه الاستغناء عن أي جندي الآن لمجالسة هذا
الأرغن، فعليهم جميعًا الاستعداد لهجوم مُحْتَمَل صوبهم، وكل رجائه الآن
أن يكون غدر سيون قويًا بما فيه الكفاية ليظل أريو فاقدًا الوعي. انطلق
نامار للساحة، أمرًا يوكيم باستدعاء بارموث لخطر مُحْتَمَل على أثران، لم
نكن إلا لحظات ليُقبل إليه سكارم بهيئته الوحشية ليتولى حماية المدينة، فيما
تطلق أنثوس، إيباي، وديفينا نحو البحر الشرقي حيث رابولا، ليتولى
نامار حراسة الشاطئ الشمالي، ليقف معه بارموث وحفنة من الجان،
والجميع يرتقب.

ظل سيون حيث هو مع إيلهاب في انتظار وترقب، الآن أكثر من أي
وقت مضى عليهم الحذر، عليهم الانتهاء من هذا بسرعة والعودة للدفاع

عن وطنهم إن كانت تلك الجيوش الماتية نعمةً لقاتلهم، بعد قليل من الوقت شعر سيون بتحرك على المياه في مسار أوراء، لقد كان قاربنا ورقياً يطفو على وجه البحر، توقف القارب فجأة ثم تم إلقاء جسد في الماء. عَلِمَ يقيناً أن هذه لييين، لقد حان الوقت ولا بد أن مينوس شعر بهذا أيضاً، حيث إن قوة حامل الطيف أعظم من قوة سيون بعدة أضعاف وفيما تلاشى الجسد داخل الماء شعر الثيلوفر بذهلبة صوتية ترتغل عبر الماء، لقد كانت رسالة بلغة البشر السريانية: «لِتُخَبِّهَا».

هذا كل ما وصل لـ سيون، كلمة واحدة كالمس الراجي، يكاد يُقَسِّمُ أن هذا صوت بيينا، إلا أن الأمر مستحيل؛ لو أنها تهتم حقاً ولو بمقتل ذرة لما أخذت لييين حيث أوراء مصية إياها بوصف كالذي وقع عليه فانتزاع نصف كيائها أمر لا يتم على أي رحمة أو شفقة، أمر كهلا متوق من أوراء، أما بيينا التي رعت لييين طفلة حياتها فكانت أسوأ من أوراء بمراحل، بل إن الكلمات لا تكاد تفيها حقها من الوحشية.

الآن بدأ مينوس عمله، ما إن أخبره العليف بإلقاء جسد لييين في الماء حتى أحاطها بكثرة من الماء محتجراً الهواء في الداخل، ساعداً فبالنفس. ثم هوى بها للقاع الأكحل حيث يعلم أن أوراء لا تشعر بهم، وسرعاً تسأل عبر المسار، بالرغم من عدم وجود أحد في القاع إلا أن الخد مهم، وخاصة أن عدد البراكين في البحار أكبر من الموجودة على اليابسة.

تجرب، ولأن طيف النار ليس له مكان في هذا المسار فلا يمكن التحكم
ببري هذه الراكبن التي قد تنفجر من غير سابق إنذار.

من القلق لى تصاعد لدى سيون وإيلهاب الآن، باتت رفيقتهم على
مذبة سهم، من دون أثر لأي مخلوق يتبعها، واقع أفضل من أن يكون
خلفه بالرغم من هذا عليهم التأهب، والأمل أن الأمر سيتتهي على ما
يرى سيون يستشر اقتراب ليين منهم، ولأنه لم يعد قادرًا على الاحتمال
في هوى هذه وإيلهاب للقاع المظلم، فغشيهم الظلام الحالك، في
حذل كلامها لا يرى شيئًا قرّر إيلهاب وضع ثقته في قائده الذي هوى
نقطة كبيرة جدًا، حتى أضاع قاع البحر يسيل من الحمم التي شكلت
إبر، يشعر بضالة حجمه في هذا الكون الفسيح ليعتريه سلام لم
هم وجود من قبل، كما لو أن هذه الأرض ستكون بخير من دونه هو
بشر للخلوقات، فما هم إلا نبضات لثوان في حياة هذه الأرض، هي
دعهم وستظل هنا بعدهم.

لأننا السلام نيا سيون لإمساك ما هو مقبل إليهم بسرعة كبيرة،
لأننا، منحهم عليه الإمساك بها والانطلاق دونما إيقاف حركته
لأننا، التاجر بهذه السرعة سيؤدي لانشاق الفقاعة التي تحيطها،
لأننا، الأمل في ذون حماية سيؤدي بحياتها فورًا. استعان سيون
مفسرهم، وما إن تحطت ليين مسار أوررا حتى أحاطها بحباله

مندفعًا بسرعة كبيرة للأعلى، وفي ذات الأوان دمج بين فقاعة ليبين وإيلهاب ليُمسيا معها في ذات المكان.

اقترَب إيلهاب من ليبين فوجدها شاحبةً كالموت، فورًا أحرق الهالوك الذي أحاط جسدها، ليجد عددًا كبيرًا من الثقوب الصغيرة التي تنثرن على بدنِها، لقد كان الهالوك يضخُّ شيئًا في دمائها، لا بدَّ أنه سُمٌّ من نوع ما، ليستشيط غيظًا من وحشية سينا التي لا تعرف حدًا، ثم وضع يده على عنقها ليشعر بنبضاتها فلم يجدها، ليرتعد خوفًا، صارخًا:

«أنا لا أجد نبضًا لها».

سيون: «لقد أخبرنا مينوس أنه خافت، بل شبه معدوم؛ لذلك استخُز شيئًا من الثيلوفر واسقيها إياها».

تسللت حبال من أزهاره لداخل الفقاعة ليستزع منها إيلهاب ما يحتاج ساحقًا إياها لسائلٍ جعله يقطر في فم ليبين، فيما تحدث راجيًا:

«هيا ليبين أرجوك، لتبتلعي السائل، هيا».

الآن كل لحظة يتأخرون فيها ستكتب قدر ليبين.

من بين كوابيسه اللامتناهية، سمع أريو همسًا يخبره:

«هي حية، ليبين حية».

ليتنفّض مستيقظًا من سُباته، نظر من حوله ليجد أن الشمس لم تَغِبْ بعدُ، إما أنه لم يَنَمْ طويلًا أو لعله مضى أيامًا فاقداً للوعي، ولا بدّ أنهم انطلقوا للحراك الآن، مُحلفين إياه في الخلف، وفي استلقائه انجرفت دموعه من عينيه رغماً عنه، هو حزين، يائس، مُنهك، كما وحيد، ولكن لماذا لا يشعر بالخواء؟ لقد قيل له إن الخواء هو ما يصيب فقدان الرابطة، بالرغم من أنه قدّ عشرته لتنهش كلّ هذه المشاعر روحه إلا أن الخواء ليس منها، لتعاوده ذكرى من مشهد لا يذكره، مينوس يقف أمامه صارخاً:

«هي حقاً لم تمُت، أريو استمع لي: لييين حية، أشعرُ بها في الماء».

يا لها من مزحة قاسية! كيف لها أن تكون حية، لقد انتزع فؤادها منها، مشهد الهالوك بين يد أورا هو آخر ما رآته لييين، لا بدّ أنها كانت جزعة، لا الجزع لا يكاد يصف ما خالجهما آنذاك، إلا أنه لم يشعر بها، لقد شعر بالها الجسدي، أما ما حاكه فؤادها فلم يكن لأريو منه نصيب، حاول تذكّر آخر شيء حدث إلا أن كل ما استعاده هو قبضته على عنق سيون ملقياً إليه بكل التُّهم، نافثاً عليه غضبه. لا يجب على أريو أن يشعر بالأسى عليه، فهو مَنْ تسبّب له بهذه الخسارة، إلا أن فؤاده يحترق بما صنع، لماذا عليه أن يأسى على مَنْ تسبّب له بهذا الألم؟ بل لماذا اعتبر سيون والدًا له ولو للحظة؟ كلّ هذا لا يهم الآن حقاً، هو مُرهق، روحه مثقلة بأغلال الخسارة والفقدان، وكل ما يرجوه هو قليل من السلام، هو ذات السلام

الذي شعر به لمدة قرنين على تلك الجزيرة منعزلاً، إلا أنه لن ينتظر قرنين للحصول على السلام، ولم يعد يهمه الثأر حقاً.

نهض متاقلاً من على فراشه، متخلياً عن سيفه خلفه، سار بهدوء في أثران الخاوية على عروشها، لا بدّ أنهم حقاً انطلقوا للحراك من دونه، إما أن النصر هو حليفهم أو أنهم فنوا في ذلك الحراك العقيم، أما هو فلن يفكر في أحد بعد الآن، يحيا من يحيا وليموت من قضى عليه الأجل.

أكمل طريقه لخارج أسوار المدينة ومنها لحقل غارينا الأفيني، وبين ظلال الأشجار مضى نحو البحر الغربي، سيُحر حيث أورا، لن يقانلها فلا يهمه هذا، سيطالب بجسد لييين، هذا إن بقي شيء منها، سيحتفظها فيما يدع أورا تسلبه حياته، وإن لم يبق أثر لجسدها فسيرجو أورا قتله في ذات البقعة التي فارقت فيها محبته الحياة، وحين علم أنه سيلثم مع لييين قريباً، سارع الخطى ليعدو منطلقاً للشاطئ.

خطوات فحسب، قليلاً بعدُ وسيتجلى الشاطئ أمامه، وحين أعيت عيناه من بريق الشمس المنعكسة على أمواج البحر، تهلل فؤاد أريو بُشرى باقتراب نهاية حياته التعيسة والبائسة، خطوة أخرى وتصبح قدمه على الماء، إلا أن آماله سُلبت منه عندما تم جذب جسده بعنف شديد بعيداً عن الشاطئ ليُلقي به على الرمال. أطلق أريو حبلاً من التيلوفر قبل أن يتبين من خصمه، وحين نظر وجده أريز يحول بينه وبين قدره، لم يمهّل

أريو يحتمل تدخلات أريز المستمرة لإيقافه عن كل شيء، وبغضبٍ عارم انطلق صوبه بنوي قتله، إلا أن غارينا حالت بينهما، ليتوقف أريو في مكانه بسرعة قائلاً:

«ابتعدا عن طريقي الآن، لست أمانع قتلكما معاً».

«هم يحضرون ليبين لنا الآن، فانتظر».

بحق غامر صرخ أريو: «ما فائدة إحضار جثمانها بعد موتها؟»

«هي لم تمُت، ما تزال حية، فانتظر».

لم يُرد أريو التصديق، لُيردف:

«هل طلب منكم سيون فعل هذا؟ أخبركما أن تتخلفا عن الحراك لنساعني من الذهاب وقتل ذاتي؟ أحقاً تعتقدان أن هذه الأكاذيب ستنتظلي علي؟ لقد شعرت بفؤادها يُنتزع منها، لقد قُتلت ليبين فلا تمنحيني أملاً زائفاً يبقاها حية».

اقتربت غارينا من أريو المرتعد من عظيم سخطه قائلةً:

«انظر إلي، ما كنت لأكذب بهذا الشأن، ولو أننا ذهبنا للحراك لكنك أنا أول مخلوق يتجه هناك من أجل الانتقام لـ شاوران وجلنار، الحراك غداً، وسيون الآن مع إلهاب ومينوس يحضرون ليبين، فانتظر قليلاً بعد، جميعاً نفعل».

رغب أريو بتصديق هذا، هو حقًا لا يرغب بأي شيء أكثر من أن تكون لييين حية، ولكن هل سيمنح ذاته أملًا مستحيلًا؟ وبخوف كالطفل أردف:

«لكنني شعرت بموتها».

«لقد انتزعت أورا الهالوك منها فقط ومعه طيف الريح، أنت لم تر فؤادها يُنتزع، أليس كذلك؟»

صمت أريو قليلًا ليُردف:

«لقد رأيت الهالوك في يد أورا فقط».

«أجل هذا ما أخذ من لييين، الهالوك الذي يحمل طيف الريح، الآن لييين هجينة مثلك، وبالرغم من بقائها حية إلا أن حياتها ما تزال في خطر؛ لذلك انطلق سيون لإحضارها».

«ذهب إلى أورا بنفسه؟»

شرحت له غارينا ما يحدث وكيف سيتم استعادة لييين، وبين رجا وتخوف سمع أريو تفاصيل ما يحدث، ومع هذا تضخم أساه على ما قام به تجاه سيون، لا يعلم كم سيحتمله والده قبل أن يهجره. ما إن أنهت غارينا شرحها اتجه أريو صوب البحر، واضعًا قدميه على الماء، سائحًا للألواح ملاطفة قدمه، لحظة ثم الثانية وانبثق من البحر عمود مائي تطاول للسماء ومنه برز سيون يجذب معه فقاعة مائية، ومن بعده مينوس.

ما إن رأى أريو هذا المشهد حتى تباطأ الزمن، ولسببٍ يجبهه تمكّن من رؤية أصغر التفاصيل، شهد قطرات الماء المتطايرة من البحر والتي كسرت أشعة الشمس من خلالها، راقب فيها تضاءل العمود عائداً للماء، ودرس تفاصيل وجه سيون، بعينه الذهبية، جسده النحيل القوي، وشعره المتلألئ بين أشعة الشمس، وفي مُحياه حَمَل القلق، الاضطراب، الإنهاك، والخوف، وفي تلك اللحظة التي تقابلت فيها أعينهما تلاشى كل شيء ليُشرق وجهه بالسعادة والطمأنينة، كم هو عظيم حُب سيون له! لقد خاطر بكل شيء متجهاً لأقصى مدى، ليقترّب من مسار أورا فقط ليستعيد ليبين. يعلم أريو جيداً أن والده ما كان ليفعل هذا من أجل أي مخلوق آخر، إلا أنه فعل من أجله هو، حتى لا يشهد ألم ابنه، فتفارق ذنب أريو حتى كاد يبتلعه.

بالرغم من بُعد المسافة التي تفصل بين الشاطئ وحيث انبثق سيون، إلا أنه تمكّن بوثبة واحدة أن يكون على الشاطئ وكتفه ملاصق لكتف ابنه، ما إن وضع قدمه على الأرض حتى خرّ على قدميه لاهثاً، ومن بين أنفاسه تحدث قائلاً:

«امنحها من التيلوفر، فلا أقوى على خسارة المزيد».

ثم انفثت الفقاعة مظهرة إيلهاب وليبين، ليشلّ تفكير أريو، لم يعلم ابنه نحو ليبين أم يُقدّم العون لـ سيون المُنهك حدّ الموت، إلا أن الإجابة قدمت إليه عندما دفع والده ساقه قائلاً: «ما حطّبك؟ اذهب الآن».

حينها لعن أريو ذاته كما سخطه، متجهًا حيث ليبين التي لا تبعد خطوات عنه، فيما ألقى سيون ذاته على الأرض ملتقطًا أنفاسه كما فعل مينوس، استدعى سيون غاريننا قائلاً:

«اتجهي بسرعة لنامار، أخبريه أن الخطر قد زال، هؤلاء البنُّ متجهون حيث ميزويا، ليعودوا أدراجهم الآن».

غيرت غاريننا هيتها مُحلقة للسماء وللطرف الآخر من الجزيرة. أما أريو فقد جلس بالقرب من ليبين فاقدة الوعي ليُقدم لها من أزهاره، علّا أن هيتها لم تكن بالسوء الذي توقعه، نظر إلى إيلهاب متسائلاً:

«ما مقدار ما قدمه سيون لها؟»

«ظننت أنه سيذبل من عدد النُيلوفر الذي قدمه لي في فترة قصيرة، عندما وجدناها بدت على مشارف الموت، لم أجد نبضًا لها كما أنفاسها كانت متلاشية، إلا أنها استعادت نبضها الآن كما أنفاسها».

«ما الذي حدث لكم؟ هل واجهتم العدو؟»

إيلهاب: «لا لم يتبعنا أحد، لقد تمكّنا من إخراج ليبين بمساعدة طين الماء، لقد كانت مخاطرة كبيرة، إلا أنها واحدة قرّر سيون اتخاذها».

طأطأ أريو رأسه قائلاً: «أخجلُ من النظر إليه بعدما قمت به».

«لتصحح من خطئك إذن».

صمت أريو وظل يُقدم النيلوفر لـ لِيَّين حتى بدت أفضل حالًا،
وحيث إن كل ذعره قد تلاشى إلا أنه غير قادر على الشعور بالسعادة،
فدَّبه نحو سيون يلتهمه، ومن حينٍ لآخر استرق نظرات حيث والده
الملقى أرضًا، وحين يراه منهكًا يتعاضم أسفه؛ لذلك أقسم بذكرى والدته
اللاخطى في سيون ما دام حيًّا، وحين انتهاء كل شيء سيدعوه «أبي».

إلهاب: «لنعد أريو فالحرارة غداً، وجميعنا نحتاج للراحة».

«أبمكنك أخذ لِيَّين عني؟ أرغب في مساندة سيون».

أوما إلهاب بالموافقة، ليحمل لِيَّين على سرير من أوراقه، فيها اتجه
أريو نحو والده، الذي ما إن رآه حتى قال:

«أهي بخير؟»

أوما أريو صامتًا، ثم مد يده نحو سيون في طلب صامت ليمسكه،
ليسم فيها مدُّ ذراعه ممسكًا بيد ابنه الذي جذبه للنهوض ليترنح قليلاً،
إلا أن أريو أمسكه جيدًا واضعًا ذراع والده على كتفه يسنده، نظر إليه
سيون إلا أن أريو تلاشى النظر إليه، أشاح والده بوجهه قائلاً:

«الآن أرغب بأن تكون مع لِيَّين الآن؟»

«لقد اطمأنت عليها».

«أهل هذه طريقتك للاعتذار؟»

«ريو، إلا أن سيون يعلم إجابة هذا السؤال قبل طرحه حتى لم يكن ابنه جيدًا في التعبير عن مشاعره يومًا، وفي الحقيقة سيون لم يكن بحاجة لأي مساندة، لقد استعاد قوته بعد لحظات من هبوطهم للشاطئ، إلا أنه يعلم أن هذه طريقة ابنه للتكفير عما قام به، ليس وكأنه غاضب منه، إنما موازنة ابنه له كان شعورًا قويًا، جميلًا، كما فخر لا يضاهيه فخر، ليرد قائلًا:

«حسنًا بُني، سأعتمد عليك».

في المنزل تم وضع لييين في فراشها وعلامات الحياة بدأت تعلوها، كما أن الجلنار ارتسم على جسدها كشاهدٍ لأنه يُطلق خواصه العلاجية الآن. أقبل نامار وسكارم للمنزل، وما إن رأوا لييين حتى اعتلت وجوههم نظرة الراحة.

توجه نامار حيث إيلهاب قائلًا:

«هل ترصدكم أحد؟»

إيلهاب: «لا».

نامار: «أحسننت العمل».

«لن أفعل شيئًا حقًا».

سيون: «لقد كنت سريع البديهة في التعامل مع لييين، وهذا يكفي».

نامار: «ما كان سبب اندفاع بِنُ الماء؟»

مينوس: «إنهم مندفعون حيث ميزويا».

سكارم: «لكن ميزويا ليس في بحرهِ كما قلت لنا».

مينوس: «هذا لا يعني أنهم ليسوا متجهين حيث هو الآن».

سيون: «ماذا فعلت؟»

«لم أفعل شيئاً، أنا أراقب تحركهم في الماء وهم متجهون حيث ميزويا».

نامار: «كيف علمت أورا عن موقع ذلك المخلوق؟»

مينوس: «لا أعلم لي، لربما أخطرها أحدٌ من جنوده، أو أنها زرعت جاسوساً لها بينهم، لا أعلم لي حقاً».

سكارم: «أنت لا تُخفي شيئاً عنا، أليس كذلك؟»

«ألا يمكنكم أن تثقوا بي الآن؟ فأنا حقاً لا أقصدكم بِشَرٍّ، أو أنوي الخيانة، ما دام هدفنا واحداً فلا خوف عليكم مني».

سيون: «سنأخذ بكلامك، فلقد ساهمت في إنقاذ ليبين؛ لهذا نحن مدينون لك».

فيما ظل الجميع يتحدث في الخارج، قبع أريو في الحجرة مع ليبين، يحمل يدها بين كفيه والدمع يتساقط عليها، متمتاً كلمات الاعتذار لتأخره، كما الشكر لبقائها حية. الأيام التي لم تكن فيها ليبين معه كانت أسوأ من أي

جحيم عاشه، لم يعلم عمق تعلقه بها قبل تلك الأيام، ولا مدى الألم الذي
يخلفه فقدانها، حقيقة أنه قد يضطر خوض هذا مجدداً يوماً ما يُخيفه.

لعلهما هجينان ذوا حيوات طويلة، لكن الموت هو نهاية الجميع.؟
هم كم يحبون، في النهاية الموت طائلهم جميعاً، سينتحم على أروى وقد
حياته الطويلة في خوفٍ من هذا الألم أن يزوره مجدداً، هل سيمكنه العبر
هكذا؟ وإن لم ترحل ليبين عنه أولاً وفقد هو حياته قبلها، فتشعر
بجحيم الفراق، هذه الرابطة تأتي بثمر غالي، بقدر روعتها، سحرها
وإخلاصها، إلا أن الثمن هو وَصَب لا يعرف الرحمة.

صوت طَرَق الباب جعل أروى يلتفت ناظراً لمن يقبع خلفه، ليجد
سيون الذي دخل للحجرة متخذاً مقعداً له بالقرب منه، ليمدّ يده صوب
رأس ابنه يُربت عليه، فيستفض بدن أروى ويشعر بالخزي يكتسح وجوده.

سيون: «شكراً لتحملك كل هذا».

اشتعل غضب أروى حينها قائلاً:

«ألا يمكنك الغضب مني ولو قليلاً؟ لقد نفثت جامَ غيظي عليك،
نعتك بكل الأوصاف المسيئة، لقد أحطت عنقك بيدي، بسببي ارتحل
للخطر، فقط كي لا تراني حزيناً، ثم تأتي إليّ تشكرني على جهدي أيُّ
جهد قمت به أنا غير الجنون؟»



نظر سيون لعيني ابنه جيئاً:

«يومًا ما ستعي ما هي أن تكون أبًا يا أريو، بقدر حلاوة الرابطة التي
نجمعك مع عشيرتك، إلا أن ما سوف تحمله لأبنائك مختلف، هي أقوى،
أعظم، وأشد حلاوة من أي مشاعر أخرى، سأنتظر لأراك تصبح أبًا،
سأخلد الآن للراحة قليلًا، وافعل أنت المثل، فحراكننا غدًا».

«شكرًا لك، وأنا آسف».

قالها أريو كمن ينبذ آخر قطرة ندم حملها، بينما عبث سيون بشعر ابنه
كعلامة رضا.

انفضت ليبين من نومها فزعّة، لتجد ذاتها في مكان مظلم، إلا بقليل
من ضوء الفوانيس، لم تعلم أين هي، أو لماذا ما تزال حية، ولسبب الآن
بلا جسدها أخفّ من نسمة الريح، ومع هذه الفكرة ارتعدت لمصير
طيف الريح فيها، هل حقًا سلبته أورا منها؟ أغمضت عينيها محاولةً إيجاد
الطيف، نادته من داخلها، بلا فائدة، لتحاول استخدام قوته في رؤية
العالم، لكنها لم تنجرف أو تنفصل عن جسدها، لم يعد للطيف مكان فيها،
شعرت بالكثير من الذنب على تفريطها بالطيف، ما الذي سيحل الآن
للمخلوقات والطيف لدى أورا؟

حركت جسدها لتنهض، لعلها تعلم أين هي، إلا أن يدها اليمنى



لم تتحرك، فشيء ما يقبض عليها، فتوجست خيفة، متترعة يدها بقوة
ليتحرك جسدٌ بالقرب منها ومعه نطقٌ صوتٌ ملاء التعب:

«ليبين، هل استيقظت؟ هل أنت بخير؟»

إنه صوت أريو، عشيرها الذي تخطى عنها لأسابيع طوال، لا بد أنها في
أثران، أجل بعد النظر مجدداً هي فعلاً في منزلها. شعرت بالغضب يعزها
من أريو، ومن كل الذين تخلّوا عنها لتعاني الوَصَب مع سينا وأورا. مد
أريو يديه ليمسك بيديها، لتجذبها بعيداً عنه، فيذعر الأخير من نصرتها
متسائلاً:

«ما الأمر؟ هل تتألمين؟»

نهضت من على الفراش مبتعدة عنه متجهة نحو الباب دون تقديم أي
إجابة لـ أريو الذي تبعها في قلق، وقيل أن تفتح الباب قبض على ذراعها
بلطف قائلاً:

«ليبين هذا أنا أريو؟ ما الأمر؟ ألا تعلمين من أكون؟»

نظرت إليه والغيط ملء عينها حمية:

«بلى أعلم من تكون، أنت الخائن الذي تخطى عني لـ أورا، كيف أمكنك
فعل هذا بي؟ لأسابيع طوال ظللت أنتظرك، إلا أنك لم تهتم بالبحث عني
أو استدعائي من داخل»



ثم دفعت به بعيداً عن الباب، لتفتحه في عَجَل لتعبر منه نحو مجلس
الترل المظلم إلا بقليل من أشعة القمر التي تخللت النوافذ، وفيما اتجهت
لخارج المنزل وجدت سيون ونامار يقفان هناك، ما إن رأياها حتى انشرح
اساريهما سعادة.

نامار: «انظروا من عادت إلينا من الموت».

سيون: «هل أنت بخير؟»

نجاهلتهما ليبيين مبتعدةً عنهما، يتبعها أريو قائلاً:

«انتظري، أنتِ لا تدركين الأمر، لم تكن أسابيع، ما كنا لندعك مختطفةً
لأسابيع».

أكملت ليبين سيرها هاتفةً:

«أكاذيب! الآن وقد انتزع طيف الريح مني فلا فائدة لي لديكم،
ولست بحاجةٍ لأتواجد معكم بعد الآن».

نامار: «ما الذي يحدث؟»

أريو بذعر واضطراب: «هي تعتقد أنها مختطفة منذ أسابيع طوال،
عُسبنا نُخلِّينا عنها».

انطلق سيون قاطعاً عليها دربها، لتحاول ليبين الابتعاد عنه، إلا أنه لم
يسمح لها قائلاً بحزم لطيف:

«لم تكن إلا يومين، واليوم هو مساء اليوم الثالث، ما كنا لتخلى عنك بوجود طيفٍ أو لا، لقد جُبنا الأرض بحثًا عنك خلال هذين اليومين لييين، وعندما عَلِمنا بوجودك في مسار أوراء، تابحشنا طريقة استردادك من دون إخطار أوراء بك».

نامار: «يا فتاة لقد مررنا بالكثير معًا، وما كنا لتخلى عن أحدهما، أتذكرين؟ لنحيا معًا ولنموت معًا».

«لو أنكم بحشتم حقًا لوجدني أريو عن طريق التواصل بيننا، إلا أنه يكلف ذاته عناء البحث عني بهذه الطريقة، كما لا يهمني الموت أو أجرة معكم بعد الآن، فأنا بلا طيف، ومن دونه لا فائدة لي».

أريو: «لقد حاولت إيجادك عبر رابطتنا، أقسم بهذا، لكن كل ما شعرت به هو أنك حية، ومهما ظللت أنادي لم يَصِلْ صوتي، خذي انظري بنفسك لتُصدقني ما أقوله لك».

مد أريو يده نحو لييين ليشاركها ذكرياته، إلا أنها ارتعدت في تلك اللحظة مبتعدة عنه، وسرى بها دعر أصاب أريو في صميمه، لينشط غضبًا قاتلًا:

«ما الذي فعلته بك أوراء وسينا، لتخشي مشاطرة ذكرياتك؟»
انكمشت لييين على ذاتها ليستفرض بدنها بقوة، لتعاودها ذكريات ما

إبرن، تلك الذكرى التي قُهرت على النظر إليها، ودون رغبة منها
سالت دموعها وَصَبًا، لتهمس من بين أنفاسها المتثاقلة:

«ما كنت لتفهم».

خطأ أربو خطوات قليلة نحوها لتراجع للخلف ذعرًا، مما حطَّم
وجدانه وسحق روحه، إلا أنه تمالك ذاته مردفًا بما تبقى له من قدرة على
تمالك ذاته:

«لقد كنتُ هنالك من قبل، أتذكرين؟»

لم ترغب قولها، لم ترغب الاعتراف بما شهدت، لربما إن صمتت عنها
لأبقت أنها واقع، إلا أن الكلمات تأبى السكون داخل وجدانها الذي
لا يكاد يتحمل المزيد من الوَصَب، لتحيط ذاتها بذراعيها كمن يبحث عن
شيء من اللطف والسلوى:

«لقد شاطرنى ذكريات قتله لأمي، شعرت بقلبيها النابض بين يديه،
دماؤها تسيل بين أصابعه، أنفاسها الدافئة تغادر صدرها، رأيت جنون
أبي لفقده أمي، شعرت بكل شيء فعله بها، كما لو كنتُ أنا من يقتلها،
ونشوة الانتصار السقيمة التي سرت به اكتسحتني أيضًا، لقد شعرت
بسعادته من قتلها، لقد شعرت السعادة من رؤية حياتها تسلب منها».

اشتعل حنق نامار كما لم يفعل من قبل قائلًا:

«مَنْ فعل؟»



«واردون».

انطلق أريو إليها مسرعاً، محتضناً إياها، لترتعش لثوانٍ، ثم أجهز
بالبكاء فيما سندت رأسها حيث فؤاده النابض المألها وعليها. لا ير
لأحد رؤية موت والديه، لا أحد، ومع هذا فإن الجميع شهد موت أم
والديه؛ إيلهاب راقب فيما تلاشت أنفاس والدته أمامه، وسكارم وقد
يراقب انتزاع فؤاد والدته من آفوسيانا، كما فعل أريو، هذه نذبة لانت
أو تزول مدى الحياة. أقبل سيون إلى حيث ليبين وأريو واضعاً يده
رأسها ليُردف بهدوء قائلاً:

«سنجعلهم يدفعون ثمن كل قطرة دماء نزفتها المخلوقات، كل دماء
ذرفت جوراً، بهذا أنا أقسم لك. لكن ليبين، أريدك أن تُصدقني قولنا بأنك
لم تتخلَّ عنك، فأنتِ عائلتنا جميعاً، كما أن وجود طيف الريح من عدم
لا يهمننا، فأنتِ به أو بدونك تظلين ليبين، فرداً مهماً لدينا، ما كنتُ لأفترق
في أحد منكم».

لطالما علمت ليبين أنهم ما كانوا ليتخلَّوا عنها، لكن اليأس الذي مر
به حطَّمها، والخيانة التي تلقَّتها قدَّمت من أقرب المخلوقات لها. فما لك
ليبين ذاتها مبتعدة عن أريو بحجة:

«أكاد أقسم أنها أسابيع، لقد شهدت الليل والنهار عدة مرات».

نامار: «هل سمَّتك سينا؟»



«أجل، لم أكن قادرة على الحراك أو التحدث، ظللت أفقد وعيي واستبدت عدة مرات».

أريو: «هي تحمل داخلها العديد من السموم، لعلها استخدمت الكثير منها عليك».

سيون: «ليين، كم يوماً قضيت لدى أورا؟»

«لم تكن أياماً، لقد كنتُ بكامل وعيي لدى هبوطنا الجزيرة، لتستلّ ليّ الطيف مني فور وصولي، لربما أقل من ساعة حتى».

أريو: «لقد تم استئصال الطيف منك اليوم، لقد شعرتُ بهذا، إذن لقد ظلتُ تجوّين الماء ليومين كاملين، لماذا؟»

نمار: «تلك البِنّ ليست مائية، لعلها احتاجت الرياح لتصل».

ليين: «لا، لا سينا القدرة على التحكم بقدراتها لأيام، وليس مثل باقي الأعمار الطفيلية حيث إن الحد الأقصى لهم هو عشر دقائق».

سيون: «هذا يعني أنها طافت بك من مكان لآخر؛ حقيقة أنك رأيت الليل والنهار عدة مرات تعني أنها أبحرت من الغرب للشرق، ثم للغرب مجدداً، لتتفاوت عليك الأيام».

أريو: «أتذكّر إن أي شيء على الإطلاق؟»

«لا شيء على الإطلاق، نحن لم نهبط حتى إلى يابسة، بل ظللنا نُبحر طيلة الوقت».

سيون: «حسنًا، هذا يكفي للآن، عليكِ العودة والراحة فلقد عجزت الكثير».

ليبين: «ماذا عن الحراك؟ متى سننتقل إليه؟»

نامار: «أنتِ لن تأتي معنا، فلقد عانيت الكثير كما أنكِ بحاجة لاستعادة قوتكِ».

ليبين: «لن تُبعدوني عن هذا، سأتي معكم وأقاتل كما ينبغي».
لقد واجهنا الكثير لنصل لهذا اليوم، كلُّ مقاتل يُشكّل فرقًا، ولن يتعب استبعادنا».

سيون: «هل تعتقدين أنكِ قادرة على القتال؟»

«يمكنك اختباري لو شئت».

تبسم سيون مجيبًا: «لا، لن أحتاج هذا، لكنني سأمنحك هذه استخداميها الآن لتُعزز من قوتكِ وتسارع شفاءكِ».

بسط سيون كفه مُزهرًا نيلوفر كبيرة قدمها لـ ليبين، لتتناولها بين يديها بحيلةٍ إياها لسائل قامت بشره، ليُردف سيون قائلاً:

«حراكنا في الفجر، عودا للداخل واحصلا على قليل من الراحة».

أمسك أريو يد ليبين متجهين للدخل، وما إن أغلق الباب خلفهما حتى أحاطها بكلا ذراعيه بقوة، راغبًا في طمأنة ذاته وإياها أنها بأمان



الآن بين أحضان بعضهما البعض، قائلاً: «اعتذر عن التأخير، أنا حقاً
أنا لا اضطرارك للمرور بكل هذا».

سرى دفء مألوف في قلب ليبيين، أجل هذه الرابطة بينهما ما تزال
قوية، كما أنها شعرت بصدق فؤاده نحوها. كيف أمكنها الشك به أو بكل
أصدقائها؟ لا بد أنهم قلقوا عليها حد الموت، وحقيقة مخاطرهم لاستردادها
أكبر دليل على هذا. أحاطت ليبيين ذراعيها حول جسد أريو بحبيبة:

«جميعكم مررتم بذات الأمر مسبقاً، سأنجو منه قريباً أيضاً، كما أنني
اعتذر عن عدم تصديقك».

قُبِلَ أريو رأسها قائلاً:

«لا يوجد ما تعتذرين عنه، يكفي أنكِ عدتِ إليّ حية، شكراً لك».

ليبيين تعلم أن ما مرت به من أهوالٍ هناك ستطاردُها لوقتٍ طويل،
ولعلها لن تنسى يوماً أو تتجاوز ما أجبرت على رؤيته والشعور به، إلا
أنها ستجمع شتات نفسها، وتغلق على مشاعرها لبعض الوقت حتى
يتسهي الغد، وبعد ذلك ستدع روحها التي لم تفقه كل ما مرت به من
فقدان وخيانة تسكن للراحة، فقط عليها التماسك لوقت قليل بعدُ.

في الخارج ابتعد سيون ونامار عن المنزل ليتحدّثا دون استماع أحد
لها.

نامار: «ما معنى ارنحال سينا بهذه الطريقة؟»

«لعلها تغطي آثارها.»

«آثار ماذا؟»

سيون: «لعلها تعلم شخصًا ما قادرًا على التلاعب بالذاكرة.»

«أرغبت في محو ذكريات لييين؟»

«لربما ذكرياتها أيضًا.»

نامار: «إذن مينوس مُطلع على هذا؟»

«لست أستبعد هذا، فكلُّ مَنْ له علاقة بـ نادياس ينشركون رابطة

مميزة.»

نامار: «لكن ما الذي رغبت سينا في إزالته من ذكرياتها؟»

سيون: «مينوس؟!»

«لكيلا تعلم أورا مَنْ صاحب طيف الماء؟»

سيون: «ولكن يظل السؤال: لماذا اصطحبت لييين حيث أورا مترنًا

الطيف منها؟»

نامار: «إن كانت رغبتها مَنح الأطياف لأورا، فما كانت لتحم

ذكرياتها عن مينوس ولقدّمته لأورا، ما الذي تفكر به تلك البنُّ؟ كل

شيء لا يبدو منطقيًا.»

سيون: «لربما مينوس مُحق بقوله إنها لا تذكره، ولربما نحاول إيجاد الشك فيه خوفاً من الخيانة، إلا أنه أثبت ذاته لنا حتى هذه اللحظة، أما سينا فقد أثبتت خلاف ذلك؛ لأن كل الدلالات تشير أنها خانتنا بمنح الطيف، أنا حقاً لا أفقه ما يجول في عقلها، أكاد أقسم أنني سمعتها تحدث بلغة أهل بابل فيما ألقت بجسد ليبين في الماء».

«ماذا قالت؟»

«لتحيمها».

نامار: «أكره هذا الجهل الذي نحن فيه، ولكن أكثر ما أبغضه هو منحه الثقة لأحد نشك به ليغدرنا مجدداً».

سيون: «اتفق معك، نحن لن نمنحها ثقتنا، فلشكنا بها مبرر».

نامار: «كن حذراً غداً، كن حذراً من تلك الشجرة».

«أنت تعلم أبي قادر على إنهاؤها، فلا تقلق».

نامار: «ليس هذا ما أعنيه، إنها مجنونة بك، من يعلم ما قد تُقدم عليه في سبيل الحصول عليك».

«إن زالت، زال خطرنا معها».

تبسم نامار قائلاً:

«انظر أين يتنا، بدأنا هذه المعركة منفردين، والآن بات لدينا كل هؤلاء الحلفاء الذين يقاتلون لذات القضية».

سيون: «بدأ كل شيء في سبيل حماية نسلنا، والآن هما يقاتلان معًا جنبًا إلى جنب، ما كنتُ لأرغب في الأمر بأي سبيل آخر».

نامار: «غداً تنتهي الحرب التي دامت ألفيات، منذ أول قطرة دماء سالت بين الجان والين، وغداً ستكون آخرها».

«كم أتوق لبعض السلام».

نامار: «ما أنت فاعل بهذا السلام؟»

سيون: «أظُلُّ في أثران، أرى نسل ابني، ومن حينٍ لآخر أنتقل لأرى الأرض، وأنت؟»

«سأفعل المثل، حتى يوافيني الموت، لكن الأبدية تبدو مملة بالنسبة لمخلوق لا يقنى مثلك».

سيون:

«لست أرغب بأبدية، كما أني سبق وقررت طريقة موتي».

نامار: «وكيف يخطط الخالد أن يموت؟»

تبسم سيون قائلاً: «سأخبرك لاحقاً، رفيقي».

بزغت شمس الصباح تناديهم للحراك.

الحرّاك

اهتزت أثران جرّاء قرع طبال الحرب، صداها تعالى وتضخّم حتى تناثر
إلى بعد أسوار المدينة، مرتحلًا حيث يمكث الجان الذين أظهروا عزيمتهم
أيضًا، ملتفين حول بركانهم بحلقات كبيرة، بادئين نداء الحرب، لتمتزج
الطبول مع النداء في تناغم غثيف، حتى إن الحيوانات على الأرض بدأت
بالفرار، كما فعلت قبائل البشر الذين تناثروا في الأرجاء المحيطة بهم؛ لقد
اعتقدوا أن نهاية العالم قد آتت، وقد تكون كذلك، فاليوم هو يوم الفصل،
إما أن يتصروا في القضاء على أورا أو كل المخلوقات على الأرض محكوم
عليهم بالهلاك.

في الميدان اصطف الجنود متراصين، كلّ خلف قائده، ثم تلاشت
أصوات الطبول عند إقبال سيون ونامار ومنّ معهما. كل أثران تنظر إليهم
بترقب ورجاء بأن يُلقوا عليهم كلمات تمدُّ أفئدتهم بالشجاعة، ليقف كلُّ
من سيون ونامار في المقدمة، ومن خلفهم أريو، ليبين، سكارم، غارينا
وأريز. خيم الصمت التام، حتى إن أصوات الأفئدة المتسارعة في نبضها
من الاضطراب تكاد تُسمع من تحت الصدور، ثم فتح سيون فمه مخاطبًا:
«أرى في أعينكم ذات الخوف الذي يسلبني فؤادي، فما نحن مُقبِلون
عليه هو الموت؛ ستتراشق الدماء، وتتمزق الأوراق، ستعالى فرقة

السياط، وستلاشى نبضات الأفئدة. لعله يأتي يوم تزول فيه شجاعة المخلوقات، يومٌ تخبو فيه أصوات الحرية، فَعَجْرٌ لا تتأزر فيه المخلوقات معًا، أزمان تتقهقر فيها البسالة خوفًا عوضًا عن الموت بشرف، إلا أن ذلك الزمان لم يَحِنْ بعدُ. نحن اليوم نمهد درب غدنا، بدمائنا تشرق الشمس بيوم جديد على الغبراء، يوم نكون فيه أحرارًا من الخوف والقمع، يوم هو ملك للمخلوقات، فهل أنتم مقاتلون معي؟ لنحيا معًا ولنموت معًا.

بصوتٍ واحد زلزل السماء هتفت أثران:

«لنحيا معًا، ولنموت معًا».

لتعاود الطبول قرعها مادة المخلوقات بقوة قهرت الخوف.

حيث الجان اصطفوا حول بركانهم يسمعون خطبة ملكهم بارموث الذي أشعل ذاته نارًا بيضاء، وفي يده حل فأسه، ناظرًا للجان ومَن معهم من قليل الهُجَناء، ومن خلفه إلهاب، ليبدأ بارموث حديثه:

«أيتها الجان، لأيّ عشيرة كنتم، ليحترق لهيكم لونا واحدا البرم وهو نار سخطنا السعير. ليعلم الجميع أن باسيليا أبيّة لا تحترق، أن الجان يشتعلون كلهيب واحد لا يمكن إطفاءه. اليوم هو يوم يُجَلد فيه التاريخ انتصارنا، لتقاتل أكبر معركة عرفتها الأرض ييقين لا يُرام وعزيمة لا تُهزم. اليوم يبطش الجان بكل أعدائهم، لتشتعلوا نارًا تحرق دون رماة».

التفت بآرموت نحو إيلهاب قائلاً:

«ألدبك ما تضيفه؟»

تقدّم إيلهاب هاتفاً:

«التحقوا بفخر، لتشتعلوا بغضب، لنحيا معاً ولنموت معاً».

هتف الجان صارخين بعزيمة أثارت البركان، لتمتزج حممه مع لهيب الجان، فبسطوا أجنحتهم محلّقين في السماء.

اصطفت المخلوقات صفوفًا متقاربة، كلّ منهم يعلم قائده ومهمته؛ لم تصطف المخلوقات معاً في حربٍ كهذه من قبل، الجميع متساوون في الحياة والموت، كلهم يصبون لهدف واحد: الحياة. انطلقت أثران لخارج أسوارها بوعده للعودة، وصوت خطوات المخلوقات زلزل الأرض من تحتهم، حاملين راياتهم الخاصة منطلقين للبحر الغربي، لتهبّ الرياح من حولهم عاصفة؛ إنها تعصف حماس الجان المحلّق في السماء كالغربان السود. بالرغم من أنهم يقاتلون في جبهة واحدة، إلا أن للجان معركتهم الخاصة، ولأثران أرض معركة هي جزيرة أورا. من الأرض رفعت أثران أعينها للرؤية حلفائهم يُخلّقون في أعالي السماء براياتهم المشتعلة، كما فعل الجان لأقرانهم على الأرض.

لدى وصولهم للبحر توقفت أثران متظرين سفنهم، لِيُبرز من البحر سفن ورقية عظيمة، صُنعت من قِبل رابولا ومَن معه من البِنّ المائي.

أبحرت السفن للشاطئ لتُلاقي مَنْ ستحملهم، وبكل انسيابية صعدت
أثران على السفن، كلٌّ يتبع قائده، وما إن خلا الشاطئ من المخلوقات
حتى أبحرت السفن منطلقَةً حيث المعركة، تقود كلُّ سفينة مجموعة
من البِنِّ المائي من أسفلها. وفيما ابتعدت السفن عن الشاطئ، أدارت
المخلوقات أعينها لليابسة، ليس حزناً أو خوفاً من الموت، بل برجاء
خالص للعودة لأثران حيث يتمون.

في صمتٍ أبحروا، كلٌّ يحاول أن يهيم نفسه للموت؛ الآن بات الحراك
الذي تحدثوا عنه طويلاً واقعاً يعيشونه. أصغر السفن في المقدمة حملت
عليها سيون، أريو، ليبين، سكارم، ومينوس، ومن فوقهم نامار. هذُ
هذه المجموعة هو حماية حاملي الأطياف وعدم السماح لأحدٍ باغتراف
سبيلهم، ليكون سيون في المقدمة فيما يتواجد الثلاثة الآخرون في الخلف.
قد يُسفر تقديم الأطياف عن الكثير من المجهود، فمن الأفضل عدم
استنزاف الكثير من قوّتهم قُبيل إنهاء أورا.

بالرغم من أن سيون يعلم يقيناً ما سيصنع نامار، هو لن يتوق
عن القتال كالمسحور مهما حدث، فلقد كتم غيظه من صنع أورا بقلها
دارسون وزمارنا لأكفيات لا تُحصى، تمالك ذاته طويلاً من أجل إلهاب
والآن وقد حانت الفرصة له فلن يتوانى عن البطش بها ويكلّم ما يتعلّق
بها، وخاصةً أن إلهاب ليس معهم في هذه المعركة، فقلقه اللاتماهي

عليه سيجعله يتصرف برعونة، وأحيانًا قد يكون هذا مفيدًا، ولكن ليس اليوم.

اتجه سيون حيث نامار يُخلق بآدنا الحديث معه:

«نامار، أعلم أنك انتظرت هذه اللحظة منذ وقت طويل، إلا أنني أريد منك عهدًا بعدم التسرع».

«لأنني أنتظرها منذ وقت طويل فلن أخطئ هذه المرة، أريد الانتهاء من هذا بسرعة حتى لا يضطر إيلهاب للقتال طويلًا».

«أعتقد أن إرساله للقتال مع الجان فكرة جيدة؟»

نامار: «لا يمكنني إبقاؤه تحت ظلي طويلًا سيون، هو مَنْ يقود جيش الجان عوضًا عني، ثم إن حدث الأسوأ ولم أنج...».

«لا تقل هذا! لن أدعك تُقتل الآن، فلديَّ خطط مستقبلية لك».

نامار: «استمع لي، إن حدث الأسوأ وفقدت حياتي باستخلاص الطيف مني، لا أرغب له في رؤية هذا، يكفيهِ رؤية موت لا يبالا».

سيون: «إذن لا تمت، توقف عن القلق، فهذا ليس من شيمك».

«أعتقد أنني تقدمت في السن».

نسم سيون قائلاً: «أتذكر؟ لقد عشتُ ضعف حياتك، أنا مَنْ يجب عليه قول هذا».

«لقد تقبّل إيلهاب قرار بعثه مع الجان كجندي، لم يعبس أو يعترض، بل تقبّل واجباته بإخلاص ويقين. لقد نضج منذ أول مرة رأيته بها، هر حقًا فخري كما كان والده، وذلك الجان أيضًا».

«لم أسمعك تذكره منذ وقت طويل».

نامار: «أشعر بالخزي منه، فلست أرغب في أن أظهر وجهي له بعد، ليس وكأنني أعلم أين هو».

سيون: «لعل بارموث يعلم».

نامار: «هو يعلم بالتأكيد، لكنني لا أرغب بإجابة الآن، أريد لقاء حين أحصل على الثأر، حينها فقط سأتمكن من النظر إليه».

توقف الاثنان عن الحديث عندما اقتربت منهما ثاوي أصغر سفينة والتي حملت عليها الكتبية الأولى، بجنود لا يتجاوزون المائة يقودهم يوكيم:

«من هنا تفرق طرقنا أيها القائدان، سأمضي في مهمتي مع كيتيني، لن أخذلكم، أتمنى لكم التوفيق في معركتكم، سررت بمعرفتكم جميعًا، ولأنه لشرف عظيم لي العمل معكم، أقول لكم: إلى اللقاء، وحتى نلتقي مجددًا في هذه الحياة أو غيرها، لنحيا معًا، ولنموت معًا».

قال قوله مفارقًا إياهم بسرعة، فلم يرغب في إطالة الوداع المريب، إلا أن صوت من في القارب تعالى ليصل إليه قائلين:

«لندخل معاركنا أحياء، لنخرج منها أحياء».

شعر يوكيم بالطمأنينة تَسري في روحه، ومن دون الالتفات رفع
نِزاعه للأعلى مُلوّحًا بالوداع، لتختفي سفينته عن الأنظار، مُبحرة حيث
مهمتهم.

افترقت كتيبة يوكيم عن باقي أثران قبيل عبورهم مسار أوراء، مبحرين
للشرق حيث اليابسة، والآن هم أيضًا يدخلون مسار أوراء. بدا القلق
والتزعزع على كل الكتيبة، فهذا المسار الذي لم يجروا على العبور عليه
يَوْمًا، والذي لطالما كان ذعرهم، هو ذاته مهمتهم اليوم، عليهم تدمير ما
تواجد عليه من أشجار.

ما إن دخلوا للمسار حتى حلّوا أحزمة ورقية عقدوها على الصواري،
ثم أحكموا تثبيت أبدانهم إليها، وحين فعلوا صرخ يوكيم لِبَنِّ الماء
الذين يحرون بقاربهم:

«انطلقوا!»

لتطلق السفينة بسرعة كبيرة، لولا تثبيتهم أبدانهم لتطايروا من عليها.
ين دقيقة وأخرى باتت اليابسة على مرأى منهم، والآن تبدأ معركتهم،
فإن لم تشعر بهم أوراء على البحر، فبالأكيد هي ستعلم بوجودهم على
اليابسة. وفيما بدأت المياه تضحل، قام البَنُّ المائي بصُنع موجة واحدة
كبيرة حملت السفينة عليها نحو الشاطئ فيما ظلّ المائون في البحر

لعجزهم عن التواجد في اليابسة، ولحماية أيّ هجوم قد يقدم لهم من البحر، فلا يجب أن يعرقل أحدٌ سير هذه المهمة.

حلّت الكتيبة الأحزمة من عليهم بسرعة، هابطين لليابسة متخفين تشكيلتهم التي تدربوا عليها، كانت تشكيلة الكتيبة بسيطة؛ في المقدمة يوكيم وجوام، وفي الصفوف الأولى البين والهُجَناء منهم، في المتصف الهُجَناء من الجان، أما الصفوف الأخيرة فهُم من البين أيضًا. لدى هذه الكتيبة مهمة واحدة فقط، ألا وهي إحراق أشجار أورما المتناثرة في الأرجاء، لا يهم إن حُلّت عليها البين أم لا، ليحرقوا الأشجار حتى تُحال جذورها لهشيم، وهذه المهمة تقع على عاتق مستخدمي النار من الهُجَناء؛ لذلك حمايتهم هي الأولوية.

وقفت جوام على هذه اليابسة مجددًا، هنا حيث خاضت أول معاركها مع الأولين، حين حرروا الضالين، كيف هي الأقدار غريبة، أن تكون أرض معركتها الأخيرة هي ذاتها أرضها الأولى، لتشهد قائلًا:

«ما تزال هذه الأرض جرداء بفعل أورما».

يوكيم: «سمعت أنك كنت مع مَنْ حرَّر الضالين، أهذه هي ذاتها تلك الأرض؟»

أومأت جوام لتردف: «أتمنى ألا تطول معاركنا».



أطراف

انطلقت الكتيبة عبر المسار بسرعة وحذر، كلُّ الأعين تبحث عن وجود شجرة تخص عدوتهم، ابتدأ سيرهم بصحراء جرداء، بالنسبة للبنّ التواجد في الصحراء الحارقة مُنهك للغاية، كما أنهم يستهلكون الكثير من ثوتهم في التنقل السريع، إلا أنهم محاربون فلا بأس بقليل من الحرارة. أثناء عبورهم لاحظ يوكيم وجود نقوش على الأرض لم تكن طبيعية للنشأ، حينها حلّق للسماء محاولاً معرفة مسببات وجودها، ليصاب بالدهشة؛ لم تكن مجرد خطوط عشوائية، بل هي مخطط لمدينة كاملة، لقد امتدت الخطوط لمسافات طوال، هبط يوكيم للأسفل حيث جوام قائلاً: «إنها مخطط لمدينة، لا بدّ أنهم أرادوا صنع أرض للبنّ هنا».

جوام: «أجل، لقد كان هذا هو الهدف، إلا أن أورا قتلت الأرض، ليرحلوا عندها»^(١).

تابعت بعد ذلك نقوش لرسومات عديدة، هي قصة تُحكى، تبدأ بزهرة واحدة، تليها شجرة ضخمة، ومن بعدها بنّ يحيطون بالشجرة؛ هذه قصة اررا، ولا بدّ أنها تخدم أيضاً كدلالات على الدرب الذي يقود إليها.

حتى الآن لم تصادف مهمتهم أيّ عقبة، لكن لا يعني هذا أن الأمر سيستمر طويلاً، فالآن هم يعبرون بين الجبال الخضراء، متسلقين إياها بسرعة كبيرة. في تحركهم أبصر يوكيم قمة جبلية مختلفة، بدرجات خُفرت

١- حُلفاء: خطوط نازكا.

على الجبل ذاته، وعلى أرضها نشأت مبانٍ حجرية. أشار لكتييته بالتوقف، ليُحلق هو منفردًا ببطء حَذِرٍ، محاولًا الاقتراب أكثر ليتبين مَنْ يسكن هذه الجبال، إلا أن الإجابة أتته بسرعة حين أبصر شجرة ضخمة تبرز من منتصف القرية الصغيرة. كان جذعُ الشجرة عظيمًا للغاية، كما أن فروعها حملت العديد من الأزهار مختلفة الهيئات والألوان؛ بالتأكيد إنها شجرة لأورا. عاد يوكيم لكتييته قائلاً:

«توجد شجرة هنالك، لم تُزهر بالبنّ بعدُ إلا أنها تكاد تفعل، لا أعلم عدد المخلوقات المتواجدة حولها أو أصلهم؛ لذلك علينا الانقضاfer عليهم بسرعة وإنهاء الأمر، لتكن مهمتنا الأولى هي إحراق الشجرة، ولنفعل الأمر كما تدربنا عليه، جوام سادع لك أمر حمايتنا».

«لك هذا، أحرقوها لرماد».

أعادوا تشكيل صفوفهم، تقودهم جوام في المقدمة، وبسرعة كبيرة انطلقوا بين قمم الجبال واثبين، ونحو تلك الشجرة قاصدين. علمت جوام يقينًا أن مَنْ يحرس الشجرة بنّ، فما كانت أورا لتثق بغيرهم في هذا الأمر. مع كل وثبة اقتربوا من القرية، ومع آخر ثلاث وثبات انبثق البنّ من المنازل الحجرية، متناثرين حول شجرتهم، فيما قام آخرون بالوقوف على أسطح المنازل، مُبَتِّين من أيديهم عصيًا خشبية مقوّسة، ومنها أطلقوا السهام محمّلة بأزهارهم السامة.

وفي غفلة أصيب أحد البين من صفوفهم؛ اخترقه السهم في قدمه،
ومنه تفرعت الأوراق بسرعة محيطة بجسده، لتزهر منها أزهار النسلية^(١)
التي تُحولهم لبين فاسد. وهذا ما حدث؛ ما إن تساقطت الحبال التي قيدت
البين، حتى تغيرت هيئته جذرياً، فتلاشت ألوان أزهاره الزاهية، متحولة
لوشم أسود غريب الهيئة. لون شعره الذهبي كما عينيه اللتين ميزناه كبين
من جيل الأولين تبدلاً للون الأبيض، وأي عقل به قد ذهب. كل هذا
حدث في وثبة واحدة فقط؛ تغير من بين جميل لوحش كربه الرائحة كما
الهيئة. انقضَّ عليها جرم رفاقه، لترتعد جوام من هذا المشهد حتى كادت أن
تزل قدمها عندما لامست قمة الجبل، لولا أن يوكيم هتف بها قائلاً:

«قودي جيشك يا جوام، وانتقلوا لوضعية الدفاع».

ليستل الجان المهجن من المتصف إلى المقدمة مُحرقين الأسهم التي
تنال عليهم، بينما تمالكت جوام ذاتها منتقلة للبين الذي فسد، لتطلق
وابلاً من أشواكها الغليظة والطويلة لتخترق جسده من كل مكان مُثبتة
إياه على إحدى القمم، ليتوقف جسده عن الحركة ميتاً مما أصابه. لم يتسنَّ
لما الشعور بالأسى عليه، فهي لا تملك الوقت.



أعادت التركيز على ذاتها، أمرّة البين بالتدرع، ليطلقوا لحاءً من الأشجار على أجسادهم مانعين أي سهم من أن يلامسهم، إلا أن البعض منهم كان بطيئاً ليصابوا بالسهم، ولم يكونوا من البين فقط، بل من الجان أيضاً، ليقوم يوكيم بعمله، ألا وهو إحراقهم فور أن تغطيهم النباتات وقبل أن يتحرروا منها.

كما فعلت جوام، لم تتصور يوماً عيش كابوس كهذا؛ هي لم تخضر حرباً حقيقية من قبل، كل ما فعلته هو الفرار بحياتها، والآن هي تفل بني جنسها دون تردد، لم يتخيل إليها أن هذا هو نوع المخلوقات الذي ستمسي عليه.

الآن هم في الوثبة الثالثة والأخيرة، ليهبطوا حيث القرية. ما إن وطئت قدم جوام الأرض حتى زلزلتها من تحتهم متصدعة، ليهوي معها بفجر البنيان التي حملت أعداءهم. انطلق يوكيم مع الجان المهجين نحو الشجرة لتتصدى لهم دفاعات الأعداء فيطلقوا من الأرض أشجاراً مهولة الحجم مسمومة، تتفرع بسرعة لتصيب هُجَناء الجان وتحجبهم عن هدفهم، فإنا كان منهم إلا التشتت لتلافي الإصابات القاتلة. عَلم يوكيم أن تشبهم هو غاية الأعداء؛ لذلك أمر الهُجَناء قائلاً:

«جِدُوا ثغرة من بين هذه الفروع وانطلقوا منها للشجرة».

أزهر يوكيم الحريق من كامل جسده، ثم أطلق أشواكاً دقيقة للغاية محمّلة بالسّم لداخل الثغرات التي وُجدت بين الفروع المتشابكة، أملاً

أن تصيب أيًا من البنّ في الطرف الآخر، ليتحقق رجاؤه عندما تعالت أصوات الصرخات من خلف الفروع ليهوي جزءٌ منها فورًا، ليُشعل يوكيم بدنه بنيرانه متغلغلًا من بين الفروع مُحرقًا كل ما يلمسه لهيبه. شيئًا نشيئًا ضاقت الفروع من حوله، حتى كادت أشواك مسمومة أن تصيبه، حينها ترددت عبارة في ذكرياته قائلةً:

«للتشتعل بفخر، لتحرق بغضب».

ليضاعف نيرانه حتى ما عاد يعلم إن كان هو من يشتعل أم أن هجينًا آخر هو من يفعل! تآجج لهيبه ليحرق الفروع من حوله لرماد متطاير، انطلق يوكيم سرعًا نحو الشجرة متجاهلًا البنّ من حولها، وفيما اقترب من هدفه ومن حيث لا يعلم انفلجت الأرض بـ بنّ ينبثق منها مطلقًا سمّه عليه. أيقن أنه لن يتمكن من تلافي الهجوم، وفيما هيأ ذاته لفقدان حياته، إذا برمحٍ غليظ يصيب البنّ في صدره ويقذفه نحو الشجرة مثبتًا إياها، ومن خلف يوكيم صرخة قائلةً:

«لا تتوقف يوكيم!»

عظم من نيرانه، متسارعًا بكل ما لديه من عزم نحو الشجرة واضعًا يده عليها ناقلًا لهيبه إليها. وبالرغم من أنها اشتعلت إلا أنها لم تحترق، لبرجج نيرانه أكثر فأكثر حتى ظن أنه سيخبو، وفكرة واحدة تراوده: كيف فعل نأمار هذا بمفرده؟.

وفيا هو منغمس بإحراق الشجرة شعر بهجوم يُقبل عليه من الخلف،
إلا أنه لم يتحرك موقناً بوجود مَنْ يحميه، ومع هذا اليقين تزلزلت الأرض
حول الشجرة لترتفع جدران ترابية عظيمة فصلت بين يوكيم وخصومه؛
عزلته جوام عن باقي الأعداء لينهي عمله، وخلال لحظات هبط الهُجْناء
من السماء واضعين أيديهم على الشجرة مشعلين لهيبهم بها، فهتف بهم
يوكيم:

«لتشتعلوا بفخر، لتحرقوا بغضب».

فتعاضم غضبهم كما لهيبهم حتى بدأت الشجرة بالاحتراق.
خلف الجدار وقفت جوام حاملةً رعين في كلتا يديها، مسلحةً جسداً
بأشواكها، ضربت بقدمها الأرض قائلة لأعدائها:
«لن تتخطوني أبداً».

لتدفع من تحت الأرض أشواكاً عظيمة انبثقت بعنف صوب أعدائها،
لتحتجزهم في فخ من أشواك لا تفتأ تتمدد وتتفرع حتى اخترقت أجساد
الخصوم، فجأة باتت الأرض من تحتها ساخنة، لتعلم أن عليها الانبعاث
فوراً، فقفزت بسرعة إلى أحد فروع أشواكها متشبثة بها، وما إن نعلت
حتى تشققت الأرض مشتعلة بالنيران. رفعت جوام عينيها للسماء، لئلا
أنها تغطت بدخان أسود حجب الشمس، بات التواجد هنا مميتاً للجن؛
فالأرض تشتعل بنيران الجحان التي امتدت للجذور، وهي تتصاعد للسماء

اشواكها أيضًا، وبالرغم من أن الشجرة احترقت على ما يبدو لها، عدا أنه لا يمكن الجزم بهذا الأمر، فنامار العظيم لم يتمكن من إزالة أورا عبر إحراقها فقط.

بحثت جوام عن ثغرات من بين النيران لتذهب حيث يوكيم، وحين وجدت قفزت للأرض منطلقة بسرعة صوب الجدار الذي يفصل الجان عنهم، لتحطمه بقبضتها، وهناك وقع مشهد جميل، ساحر ومهيب؛ كانت الشجرة تشتعل بكل ألوان النيران التي امتلكها الجان، أيديهم مثبتة على الجذع دافعين بنيرانهم ككيان واحد، وفيما احترقت تطاير رمادها للسماء، وصوت النقيض^(١) من حولهم كلحنٍ كظيم حميم، لتضيء هذه النيران عتمة الظلام من بين الدخان، بلهيب ساطع أضاء الجبال كلها، حتى في هذا الموت المحيط بهم بدا المشهد مليئًا بالحياة، الدفء، والأمل، وحين هوت بقايا الهشيم للأرض معلنةً عن نهاية الشر، توقف الهجّناء عن الاحتراق بتناغم مثالي، وللحظات عمّ الصمت التام، ومعه فرض السلام ذاته في الأرجاء.

أقبلَ البِنْ لـ جوام قائلين لها:

«مانحن فاعلين بهم؟»

نظرت لترى أن مَنْ تبقّى من أعدائهم تم القبض عليهم، وتسيدهم

١- صوت خرّق الحطب.

بحبال، هي تعلم ما الواجب عمله: «لا يبقى أحد ليردد صدى اسم أورا مجدداً». كانت هذه التعليقات، ولكن لم تقوَ على قولها، فهذا يعني إبادة الكثير من المخلوقات، فوقفت في صمت، ليقبل إليهم يوكيم المنهك قائلاً:

«هم أعداؤنا، وعلينا إنهاؤهم».

نظرت إليه جوام قائلة:

«إلى أي مدى سنصل بهذا؟»

«إلى أن لا يبقى لـ أورا مكان أو ملجأ في الأرض».

«سنصبح مثلها إذن».

رد يوكيم: «لسنا مثلها ولن نكون كذلك، انظري ما فعلوه بجنودنا، لقد جعلونا نقتلهم لأنهم باتوا بناً فاسداً، أي وحشية هي هذه؟ هم لا يتحلون بالشرف الكافي لمنح أعدائهم موتاً مشرفاً، وإن واتهم الفرمة لفعلوا المثل بنا، فلا تأخذك بهم رحمة، وتذكّري نخبتها الصامتة، لعل أحدنا يمسي واحداً منهم إن تهاوناً في هذا الأمر».

أجل، هي تذكّر هذا جيداً، وتدرك وحشية أورا، لعلهم ليسوا مثلها، إلا أن التفكير في أنهم قد يمسون مثلها يخيفها حدّ الموت، لتشج بعينها بعيداً، فيما اتجه يوكيم والبنُّ صوب أسراهم، مُقدمين لهم موتاً رحماً، وفصل رؤوسهم عن أعناقهم.

أمسك يوكيم بحجارة بركانية حصل عليها من نامار، ثم أشعلها
بإلهيه باعثاً برسالة مفادها:

- شجرة. واحدة. احتراق.

ثم تهبوا والانطلاق لنقطتهم التالية.

خلق الجان مبتعدين عن اليابسة، يقودهم الملك بارموث وإيلهاب،
مُلقين للجزيرة التي يعسكر عليها أعداء باسيليا من ثوار الجان، وفق
بنوس تلك الجزيرة ما تزال في مسار أورا إلا أنها أبعد قليلاً عن حيث
هي؛ لذلك تحرك الجان سابقين أثران بلحظات قليلة، لمخلوقات مثل
الجان والبُنى الومضات بين الثواني تُشكل الفرق بين الانتصار والفشل،
بين الحياة والموت، فسرعتهم الكبيرة تؤهلهم لهذا، وما كانوا ليعلموا
بفاس سرعتهم لولا أنهم قارنوها بالبشر، الذين يمضون وقتاً طويلاً
لنقطع أشواط قصيرة، إلا أنها كلمح البصر لباقي المخلوقات.

إيلهاب قاد جيشه بقلب مثقل، حقيقة أنه لن يقاتل جنباً لجنب مع
رفائه كان أمراً مريئاً، إنما ما أثقل روحه حقاً هو قلقه اللامتناهي على
نامار، بالرغم من أن ليبين نجت من انتزاع الطيف منها، لكن هذا لا يعني
الأمر ذاته لنامار، لعل قدره مختلف، فلطالما تراقصت ظلال الموت حول
سلفه، تنتظر اللحظة المناسبة لسلبه روحه. قبيل انطلاق إيلهاب لقيادة
الجيش حادث سلفه قائلاً:

«أنت متأكد من عدم حاجتك لي معك؟ ألا تزال مصمماً على عدم السماح لي بحماية ظهرك؟»

نامار: «من قال شيئاً عن عدم احتياجي لك؟ لم أرغب بأمر أكثر من وجودك معي تحمي ظهري، إلا أنني لا أثق بأحد لقيادة جيش الجان غيرك. عليكم صد هجوم الثوار ومنعهم من مبارحة جزيرتهم لدعم أورا، بوجودك في أرض معركة أخرى فأنت تحمي ظهري، لأتمكن من إنهاء مهمتي مطمئناً».

إيلهاب: «ما زلت أشعر أنك تحاول إقصائي».

«ولم قد أفعل هذا؟»

«لأنك تخشى الموت أمامي».

علم إيلهاب أنه أصاب في افتراضه، بالرغم من أن نامار ماهر ومدرب لإخفاء مشاعره، إلا أنه لطالما فشل أمام نسله، الأمر الذي منحه الكثير من الراحة، أن يعلم أنه يعني الكثير لنامار حتى إنه يفشل في أبسط الأمور، ولكن ليس اليوم؛ لأنه يعلم ما يخفيه سلفه، هو متجه للموت. نامار: «لن أكذب عليك، الأمر بين هذا وذاك، أريدك أن توقف نمرك الجان، كما أرغب حماية فؤادك».

«أي جزء من موتك يحمي فؤادي؟»

«أتثق بي؟»

إيلهاب: «تعلم أنني أفعل».

نامار: «إذن ثق باني لن أسلم ذاتي للموت بسهولة، ومهما حدث لن أفقد حياتي حتى أراك مرة أخرى، هل هذا يكفي؟»

إيلهاب: «لا شيء من هذا يكفي، ولن يكفي يوماً، ونظرًا لكوني أعلم مدى ما تحمله لي في فؤادك سأخبرك بالتالي: لا تمت، مهما حدث لا تفنى؛ لأنك ستحرق روحي».

علم إيلهاب أن نامار يبتسم من بين دخانه قائلاً:

«إنها لأمانة ثقيلة، بُني».

إيلهاب حزم ويقين: «وعليك أن تؤديها نامار».

نامار: «أحملك ذات الأمانة إذن، فهل أنت أهل لها؟»

«ما كنت لتُحملني إياها لو لم تعلم أنني أهل لها».

مع هذا ذهب إيلهاب ليرودع رفاقه، في الحقيقة لم يكن يعلم أن لبيبن سنبقظ قريباً، فكيف بالأحرى القتال معهم، إلا أنها بدت عازمة؛ لذلك كانت هي أول من تحدث معها قائلاً: «أنت من أشجع المخلوقات التي عرفتها، ولكان فخراً لي القتال معك».

لبيبن: «لا نتحدث وكأنك تودعنا».

«لست أفعل، ولكن سأخبرك بهذا، أنت ابنة العظيم شاوران وجلنار، اذهبي وقاتي كمقاتلة وليس كمنتقمة، لا تدعي الغضب يضللك، ولا تدعي الخوف يكبل أطرافك، قاتي كما عهدتِك تقاتلين، ولكل دِين أوان لتسديده، لكن ليس اليوم ولا على حساب روحك، أتعين ما أقوله؟»
مدت ليبي يدها نحو إيلهاب الذي قبض عليها مصافحاً إياها لتجيه:
«سأنفذ هذا، سأقاتل بطريقة تجعلك فخوراً بي، وأنت كن حذراً»
أوما لها مبتسماً فيما ترك يدها لتبتعد عنه فاسحة المجال لغيرها، ليقبل سكارم قائلاً:

«سنعتمد عليك إيلهاب، لتحمي ظهورنا حيث الجان»
إيلهاب: «لا تقلق، سأنهي أمرهم وآتي إليك لأنقذ حياتك»
ضحك سكارم بصوت زائف، إلا أنه صافح إيلهاب بقوة بيناربت يده الأخرى على كتفه، ثم حان دور سيون قائلاً:
«إيلهاب، لا تنهور، وعُد إلينا سليماً»
«سأؤمنك نامار، تأكد ألا يرتكب أي حماقة تفقده حياته»
سيون: «سأعيد لك عائلتك سليماً»
«شكراً لك سيون، على كل شيء»

عنى إيلهاب هذا من صميم فؤاده، لطالما حل الكثير من الودل بينه

كما أن أفضاله عليه كبيرة، لقد تقرب منه عندما كان جنديًا لـ أورا في محاولة إنقاذه منها، ثم أنقذ والدته مانحًا إياهما لحظات للوداع، لقد دربه لوقت طويل، وعوضًا عن كل هذا، سيون الرفيق الوحيد كما الأكثر إخلاصًا لـ نامار، مادام النيلوفر يقاتل بجانبه، فإيلهاب مطمئن ولو قليلًا.

أخيرًا أن أوان وداعه أريو، يتذكر إيلهاب قول جلنار لهما من قبل: «اعلم أنكما ستكونان ثنائي قوي مثل سيون ونامار»

وكم كانت محقة! ما يحمله إيلهاب من مشاعر صداقة لـ أريو كانت مميزة عن باقي ما حمله لسائر البعثة، لربما لأن علاقتهما بدأت من بغضاء وحق شديدتين، لربما هي آثار الخطايا التي يحملها إيلهاب في وجدانه نظير ما صنع بـ أريو^(١)، لا يمكن تحديد ما يجعل علاقتهما مميزة ولكنها كانت كذلك، وجدا طريقهما معًا، تقاتلا متعاضدين معًا، ضحكا وتقاتلا أثناء البعثة، كلاهما أبصر الآخر بضوء مختلف، لم يكونا بنًا وجانًا ولا مجنين، هما فقط حليفان، رفيقان، عضد، إخلاص، وثقة لا تفتأ ترسخ أكثر في روحيهما، عدا أن كلاهما تشارك أمرًا واحدًا، هو أنها سينان في استخدام كلماتهما، ولم يكونا بحاجة لهذا في هذه اللحظة. لقد أبصر كل منهما اليقين المطلق في عين الآخر، ليكتفيا بمصافحة بعضهما البعض بقبضة حازمة قائلين:

١- مُجَنِّد: حين تم أسر أريو في جزيرة أورا وتعذيبه من جنودها بما في ذلك إيلهاب.

«لندخلها أحياء، ولنخرج منها أحياء».

بهذا انضم إيلهاب لجيش الجان، وفيما حلقَّ عابراً الشاطئ، نظر أسفل منه مودعاً رفاقه لآخر مرة، كلٌّ مثقل من هذا الوداع الذي يتمنون أن ينتهي بلقاء.

الآن وهم على مسار أورا تسارع الجان بحذر، حلَّقت مجموعة منهم في السماء فيما غاصت الأخرى تحت الماء، بهذه الطريقة لن يعلم أعداؤهم على اليابسة حقيقة أعدادهم. باتت الجزيرة الآن على مرأى منهم، ليصرم الأعداء متهينين لهجومهم والمركة.

تقدمت مجموعة من الثوار قاذفين نيرانهم لتحيط الجزيرة وتتطاول للسماء فيما حلَّقت مجموعة أخرى للسماء لصدِّ هجوم جيش باسيليّا، لبدا معركتهم. أطلق الأعداء النار على الجنود كشهب حارقة مختلفة الألوان ليفعل الجنود المثل فيصطدم اللهب من الجبهتين ليخمد كلُّ لهيب الآخر مُحلفاً غيوماً من دخان حجب الرؤية، عدا أن هذا لم يوقف أو يبطئ جنود المملكة، فلقد درَّ بهم نامار^(١) على القتال باستشعار خصومهم دون الاعتماد على أبصارهم فحسب، ولقد كان هذا حليفهم في هذه المعركة. أرمم إيلهاب بالالتفاف حول أعدائهم مطوقين إياهم في السماء، ليرتفع عددُ من الجنود نحو السماء محيطين بالأعداء من الأعلى، بينما التفَّ آخرون من حول

١- هُجَناء: حين قضى نامار قرنين في مملكة الجان بعد أن عقد صفقة مع زابنيل لحياة إيلهاب الذي كان جندياً لأورا.

منلقين عليهم طريق العودة للجزيرتهم. أمر بارموث بإطلاق النيران، لتندفع
نوافذ من نيران متفاوتة الألوان التقت والتحمت حيث خصومهم،
لجذوا أنفسهم محاصرين من هيب يُقذَف إليهم من كل الأرجاء، ولا مجال
للاندفاع للأعلى؛ فجنود باسيلييا يحيطونهم من السماء أيضًا قاذفين لهيهم
إليهم، لتعالى أصوات صرخات الثوار المتعذِّبين، وتمتلئ الأرجاء برائحة
أجسادهم المحترقة وريش أجنحتهم المتناثر في الهواء.

ومع هذا الاحتراق ازدادت كثافة الدخان فلم يعلم الأعداء على
الجزيرة مَنْ يُقْتَلُ وَمَنْ ينتصر، أما المنشقون المتخبطون في الحصار الحارق
فحاولوا الهروب للبحر، لعله يطفى أجسادهم المحترقة، ليقابلوا بسيل
من الماء يقبض على أجسادهم يعتصرهم حدُّ الموت، أو حبال ورقية تمزق
أبدانهم، هذا فعل الهُجَناء من الجان.

ثم تلاشت أصوات الصرخات، وتوقفت الأجساد عن الارتطام
في الماء، لتفزع من بين غيوم الدخان جيوش باسيلييا مندفعين للجزيرة
بسرعة عظيمة، ليتناثر الدخان من حولهم بفعل صفقات أجنحتهم التي
لحَّت صوتها كطبول في الأرجاء، ومن تحتهم حرك الهُجَناء الماء مُحدِّثين
موجة عملاقة تحركت لتبتلع مَنْ على الجزيرة، إلا أن نيران الأعداء كانت
لها بالمرصاد، ليتبخر جزء من الماء، أما ما تبقى منها فاصطدم باليابسة
جرفاً معه عددًا قليلًا من الثوار الذين كانوا أبطأ من الابتعاد عن الموجة.

ومن بين الأمواج المرتظمة انفلج جنود الجيش بلبهيمهم مكتسجين الشاطئ، كما فعل الهُجَناء حيث أطلقوا سيلاً مائياً عارماً محملاً بسم الأرجون الذي منحه إياهم إيلهاب؛ قام الجان بإصابة مَنْ يقابلونه ولو إصابة طفيفة، فيما حرك الهُجَناء الماء المسموم، وما إن يلامس الجروح حتى يتغلغل الماء لأجساد الأعداء مصيباً إياهم بوصب سم إيلهاب المميت. هبط إيلهاب وبارموث على الجزيرة لبدأ بالهجوم قبل أن تطأ قدماه الأرض؛ حمل إيلهاب بإحدى يديه سوطاً شوكتاً مشتعلًا يقطر بسم الأرجون، أما يده الأخرى فقد استمرت بنفث النيران دون هوانة، في حين أن بارموث أشعل فأس والده لهيباً أبيض كإيّا، ملوحاً به بتفانٍ فيمزق أجساد كل مَنْ لامسه الفأس إلى جزأين، ومع كل جان قتلوه ازداد الدخان المتصاعد في الأرجاء.

ثم نُفِخَ على البوق نفخة واحدة، فراجع كل مَنْ على الشاطئ، متقهقرين للتلال، انطلق الجنود خلفهم، إلا أن إيلهاب صرخ عليهم: «لا تتبعوهم، إنها مكيدة».

ليتوقفوا حيث هم، لتُنفخ نفخة ثانية فيظهر من خلف التلال العديد من الأعداء محملين بضُرر كبيرة في أيديهم ومن خلفهم برز زاديقي^(١).

١ - حُلَفَاء: قائد جنود باسيلييا السابق، خائن متواطئ مع أوراء، وهو مَنْ قاد الغارة على باسيلييا، مما تسبَّب بموت الملك، حاول الحرب من منجل نامار، إلا أنه نسَّم من قبل إيلهاب.

ارتعد إيلهاب لرؤيته حيًّا هناك، كيف أمكنه النجاة من سمِّه؟ ليس هذا فقط، بل إن نامار قد دمرَّ جسده، أطلال إيلهاب النظر ليصدق ما نراه عيناه عندما رأى إحدى عينيَّ زاديق مفقودة، هي ذاتها التي فقأها نامار. أما بارموث فقد انطلق بموجة غضب عارمة مشعلًا لهيبه حتى كما كامل جسده به، ثم ضرب بأجنحته متجهًا حيث زاديق، هذا من خان باسيلييا، مَنْ قتل والده، فقدَ الملك كل منطق فيه، ولم يرغب إلا بشيء واحد وهو سفك دماء عدوه، لسلبه مَنْ أحب. ومع أول ضربة لجناحيه، اطلق البوق نفخته الثالثة ومعها حلقت مجموعة من الأعداء فوق جنود الملكة، مرفقين بأجنحتهم محدثين تيارًا هوائيًا، فيما أشعل الباقي منهم الشرر في أيديهم قاذفين بها نحو الجيش، لتنفلق في الهواء فيتطاير منها غبار دقيق تحرك مع الرياح التي أحدثتها أجنحة الأعداء، ما إن لامست الجنود حتى خرُّوا أرضًا صرعى ما بين ألم أو موت.

اندفع إيلهاب بسرعة حيث بارموث ليطرحه أرضًا فيما طوقه بجدار من حبال وأوراق حجزت المالك داخلها، ليصارع هذا محاولًا الخروج لأرض المعركة، فيما حاول إحراق حبال إيلهاب؛ إذ هو يهتف له من الخارج:

«إنه فضة، لقد ألقوا الفضة علينا، إن خرجت من هنا الآن فهي نهايتك كما نهاية باسيلييا».

بارموث: «لا يهمني، إن كنت سأخذ زادي معي للموت فلا أهتم».

صرخ عليه إيلهاب من الطرف الآخر:

«أحقاً ترغب نبذ ميراث والدك من أجل انتقام؟ إن انتهيت انتهى
ملكك والدك معك، فكّر كملك، وليس كابن غاضب».

ارتعد بارموث من حديث إيلهاب، كيف أمكنه أن ينسى ما ورّثه له
والده؟ إن قُتِلَ الآن فكل ما عمل عليه الملك زائيل سيكون بلا فائدة،
حقاً كيف يمكنه أن يكون بهذه الرعونة؟ تمالك الملك ذاته مجيئاً من بين
سخطه:

«ماذا عنك؟ هل ستكون بخير؟»

«أنا نصف بنّ، أتذكر؟»

«أعتمد عليك إيلهاب، جد طريقة لإنقاذ الجان وإخراجي».

«أمرك أيها الملك».

أقبل حلفاء إيلهاب من الهُجَناء إليه، ليأمرهم باستخدام طحالهم
لإنقاذ ما يمكنهم من جنود باسيليا، أما هو فقد أشعل كامل جسده نازاً
سوداء متدنراً بها، في هذه اللحظة هو ليس جاثاً أو بنّاً هو قائد ومقاتل،
لن يفكر بكيفية الهجوم، بل سيهاجم فحسب، فرفاقه يعتمدون على
لصده هجوم الثوار، وقسمًا بحياة والديه سيصد الهجوم مهما كلفه الثمن.

من النيران التي أحاطت جسده أطلق أجنحة ملتهبة، ومن يديه صنع
منجلين نارين تتدفق من بين ألسنتهما سُمُّ الأرجون، في أعين الجميع
اختفى إلهاب لسعير أسود بلا هيئة، بل إن الأعداء ارتعدوا خوفاً ظناً
منهم أنه نامار، وبسرعة تلاشى إلهاب عن الأنظار، فلم ينتج من اختفائه
إلا صوت الريح تتمزق من سرعته، اندفع لأعدائه في السماء متزعجاً أو
مجتزأً أجنحتهم من ظهورهم ليهووا من أعالي السماء قبل أن يدركوا ما
حلَّ بهم، وقيل وصولهم للأرض يتلاشون لرماد متطاير بعد أن تحرقهم
نيران السعير الأكحل الذي يطلقه إلهاب.

بعد أن انتهى من أعدائه في السماء اندفع للثوار على التلال، يطوقهم
بنيرانه المتطاولة للسماء، فلا هم يتحركون أو يطلقون الفضة مجدداً، ثم
اندفع صوب أحد خصومه ليغرز مخالبه الحمراء حيث وجدانه قاتلاً
أباه، ثم يتشل منه صُرة حملت داخلها غباراً من فضة، ليقذفها حيث
بقي الثوار فيما ضرب بجناحيه مثيراً الرياح لتحمل الفضة إلى الخصوم،
ليصيب الأعداء ما أصاب جنوده من باسيلييا. انطلق إلهاب صوب
الثوار همس من الموت، وبطرف عينه أبصر الصرر المتكدسة والمحملة
بالفضة ليتجاهل أعداءه منطلقاً إليها رغبة في إحراقها وإزالة خطرهما عن
جيشه، بفتة انبثقت من أمامه حمم بركانية من زاديق تطاولت كالأمواج
لتهوي عليه، إلا أنها تجمدت لصخور قبل أن تظاله، ومن دون أن يتوقف



أو يلتفت أكمل إلهاب طريقه بصوت يهتف له:

«لا تتوقف يا همس الموت».

وبالرغم من عظيم ما هم فيه الا ان دعوته بهذا اللقب اجج فيه نيران
فخر اضرمت كل وجوده.

أوقف الهُجَناء من جنوده الحمم بإرسال الماء إليها وتجميدها فوراً،
ليندفع إلهاب عبرها محطماً إياها، ومن حوله دعمه الهُجَناء بالماء مانعين
الحمم من إصابته، فتعالى أصوات صرخات بعضهم عندما ابتلعهم
الحمم مذيبة أجسادهم، ليُقسم إلهاب:

«لن يذهب موتكم سُدى».

فتسارع أكثر حتى إن الرياح المتمزقة من حوله لم تتمكن من مجاراة
سرعته فتأخرت عنه لحظات، أخيراً وصل حيث الصرر مطلقاً عليها
لهيب سخطه، وفي طرفه عين تحول غبار الفضة لسائل مانع على الأرض.
على حين غرةً تزلزلت الأرض من تحت إلهاب، لتنبثق منها حمم بركانية،
تطاوالت للسماء ثم هوت على ذاتها وعليه، ليندفع نحو السماء محاولاً
تلافيها، إلا أنها أطبقت عليه، وحين علم أنَّ النهاية أزفت شَرَبَفَوْا
عظيمة تجذب جسده بعيداً عن الحمم، نظر ليرى بالاي يمسك به مندفعاً
لخارج جدران الحمم فيما قال له:

«لتشتعل لهيباً لا ينطفئ».

لم يعلم إلهاب إن كان قادرًا على الاشتعال والتأجج أكثر، إلا أنه ما كان ليُقتل الآن، أغمض عينيه داعيًا:

«أبي، امنحني قوتك».

وكانَّ دارسون يحيط به، اشتعل إلهاب لهيبًا ليمزق جدران الحمم، ليُذَفَّ هو وبالاي لخارجها بسرعة، ليصل إلى مسامعه أنين بالاي الذي احترق شيء من بدنه، ليستدعي القائد أحد الهُجَناء لعلاج المصاب، إلا أنه لم يستجب له واكتفى بالنظر للسماء في بهتان وذعر خرس، ليشيح إلهاب بنظره ليرى ما يحدث، ولأول مرة في حياته يُصَعِّق بهيبة خفيفة؛ مُلَّتِ السماء الزرقاء بمشاعل سوداء اللهب متناثرة، وأجنحة سوداء عظيمة ضربت بفخر الرياح، محدثة أصوات اصطفاق تعالت كأنها طبول الحرب، كل لهيب حمل عينين حمراوين دامتيتين. نهض بالاي من الأرض قائلاً بصوت مرتعش:

«إنهم عشيرتك إلهاب، إنهم آل عنقال».

نجعدت الدماء في جسده ليس خوفاً، بل فخراً، اقشعرَّ جسده ليتنفض

برفق حميم.

«هذه هي عشيرتي!»

منف بالاي: «آل عنقال هذا سليل نامار، فما أنتم فاعلون؟»

تهاوت الشعلات فوراً للأرض هابطة أمام إيلهاب، الذي كاد أن يقع أرضاً لولا أنه تمالك ذاته مذكراً نفسه:
«أنت نسل نامار، قف بفخر».

أقبل أحد الجان إليه راكماً على إحدى ركبتيه مُظهرًا الاحترام، لتمثل باقي العشيرة بذات فعلته، متحدثاً:

«نامار كان وما يزال قائدنا الذي نخلص له، زعيمنا الذي أقسمنا به، هجين أم لا فأنت نسله وفخره، في عروقتك تمجري دماؤه ودمائنا، هذه دماء آل عنقال، لتحملها فخراً ما دمت حيّاً، ولتأمر سليل نامار تلك الطاعة المطلقة، لك وبك نُقسم، نحن لهيبك الذي لا يُحمد أبداً».

عُقد لسان إيلهاب، فقد كل كلماته وحروفه، لم يُحِيل إليه يوماً أن تقبل العشيرة به، لم يجرؤ أن يحمل وجدانه هذه الأمانة المستحيلة، بل لقد هبّ ذاته للموت في حين التقت طرقه بأحد من العشيرة، ولكن هنا وأمامه تركع العشيرة كلها عند قدمه. هؤلاء الجان الذين لا يُعرف عنهم إلا قسوتهم، وفخرهم، وجبروتهم، وكبرياء ملأ الكون، هم ذاتهم يركعون له مقسمين بالولاء والطاعة. هذه هي عشيرة عنقال التي هو من صلبها، هم من يحمل في عروقه دماءهم، بين هذه الأجنحة ومعها نشأ والله وترعرع، لا عجب أنهم جبابرة الجان وذعرهم المطلق، هم عضد واحد بالرغم من اختلافهم.

نظر إيلهاب إليهم بفخر قائلاً:

«نامار يقاتل معركته على أرض أخرى، وواجبنا هنا هو منع الأعداء من الارتحال حيث نامار، وذلك حتى ينتهي من حربه وينتصر، فلا تَدْرُوا على الأرض للأعداء موطنًا، أبيدوهم لدخان».

وبحركة واحدة انتفض الجان على أقدامهم منطلقين نحو الأعداء، الذين تفهقروا هارين، منهم مَنْ حَلَّقَ للسماء لتطالهم حبال نارية تقتص أجنتهم وتهوي بهم للأرض، وآخرون فرُّوا للماء، إلا أنَّ كل شواطئ الجزيرة اشتعلت لهيبًا أسود تطاول للسماء حتى لم يُرْ نهايتها، وكل مَنْ حاول اختراق اللهب احترق لدخان، ومَنْ امتلك منهم القوة للقتال تمَّ نطره لنصفين من قبل آل عنقال.

أما إيلهاب، فذهب حيث الملك محرِّراً إياه من حصنه الخشبي، ما إن أبصر بارموث آل عنقال حتى شعر بأن الحرب قد انتهت الآن، إلا أنه ما كان ليقف هنا يتأمل الانتصار، فهو الملك وعليه أن يخوض القتال قبل جنوده. وفي الأفق لمح زاديقي يحاول الفرار، فتردد بارموث في الانطلاق إليه، ليتحدث إيلهاب قائلاً:

«هولك يا ابن أمتي».

لرد بارموث بجناحيه منطلقًا خلف زاديقي الذي يقاتل ليفر من الأرض، لُبْشعل الملك من حول زاديقي حلقة نارية بيضاء احتجزته

داخلها، ليهبط إليه الملك مواجهًا إياه قائلاً:

«ستدفع ثمن كل روح خسرناها بسبب خيانتك».

«لقد قَتَلْتُ والدك العظيم، فهل تعتقد أنك قادر على مجابهتي، أيها الأمير؟»

«أنا لست والدي».

شطر بارموث بفأسه ذات الحدين فباتت له فأس في كل يد، كلناهما مشتعلة بلهب أبيض نقي، لَوْح بارموث بفأسه نحو زاديق الذي صُلِبَ اللحم في جسده فلم تحترقه الفأس، ليلوح الملك بالأخرى نحو عنقه، مما جعل زاديق يتراجع للخلف، حينها ابتسم بارموث قائلاً:

«إنها عنقك، أليس كذلك؟ هي نقطة ضعفك».

فتح زاديق فاهيه، ليبصق من أحدهما حمًا ومن الآخر لحيانًا أصفر، ليجمع بارموث بفأسه معًا ملوحيًا بهما بقوة مانعًا اللحم أن تصيبه. بعد كل ثلاث هجمات من اللحم أغلق زاديق فمه، ليعود بثلاث هجمات أخرى، استغل بارموث هذا، وعندما أغلق خصمه فمه مجددًا انطلق إليه الملك ملوحيًا بفأسه نحو عنقه، إلا أنَّ زاديق أمسك بالفأس، فأنشأ كلاً فَمَيَّه للهجوم مجددًا، حينها مدَّ بارموث قبضتيه المشتعلتين، دافعاً كل واحدة منها في فم زاديق، الذي ذعر وقام بجمع حدتيه معًا في إشارة لتحويل جسده لحم، وهذا ما كان ينتغيه بارموث.

سِرُّ قوة عشيرة أكين الثانية^(١) أنهم قادرون على التلاعب بحرارة نيرانهم من سعي حارق لصقيع متجمد في أسرع من نبض القلب. في تلك اللحظة تحول لهيبه من نار بيضاء حارقة لصقيع بارد، ليبدأ تجمد زاديق من الداخل إلا أنه أمسك بذراعي بارموث دافعاً إياه بعيداً عنه، عدا أن الملك تشبث بقوة مطلقاً كامل قوته. وفيما خرَّ الخصم المتجمد للأرض، تحلّى بارموث عن قبضته عدا أنه خسر إحدى ذراعيه التي التحمت مع الحمم داخل جسد العدو لتنفصل عن بدنه وتظل داخل بدن زاديق الذي خرجت أنفاسه دخاناً أبيض متجمداً، ليتعد الملك عنه قائلاً:

«أخبرتني أنك لست والدي، ولست أميراً، أنا ملك الجان، وأنت لست بعفيف».

حمل فأسه ملوّحاً بها نحو عنق زاديق، ليتحطم كامل جسده متناثراً لقطع جليدية على الأرض. أطفأ الملك النار من حوله ليرى ما آلت إليه الحرب، ليجدها قد انتهت، لقد تمَّت محاصرة كل الأعداء وأسَّروهم في مكان واحد، فيما وقف يلهب عليهم كما فعلت عشيرة عنقال، أما الجان من جيشه فهم يتلقون العلاج من الهُجَناء. أقبل بارموث نحو بالاي قائلاً: «علمت أنك قادر على إنجاز المهمة».

١- حُلَفَاء: ير قوتهم الأولى هم أنهم قادرون على التشكُّل لفترات طويلة جداً.

«لم أفعل شيئاً في الحقيقة، فولاء العشيرة لنامار كبير جداً، بل لقد تم تهديدي بالموت ان نطقت اسمه بلا مبالاة، ما إن علموا بأنه حر يقاتل، حتى حشدوا جنودهم وانطلقوا للقتال معه».

إيلهاب: «أيها الملك، أعلم أنكم مصابون ومنهكون، إلا أني لا أطيع صبراً لأبقى هنا، سأتجه حيث أورا، مقاتلاً مع نامار».

«ألست منهكاً؟ لقد قضيت على معظم الجيش بنفسك».

إيلهاب: «ما دام نامار يقاتل فلن اتوقف انا أيضاً».

بالاي: «سأتي معك، فلديّ دين لا بدّ من قبضه».

بارموث: «لتذهبا إذن، سأنهي أمر الخونة هنا وأتبعكما».

حينها صرخ أحد الأسرى قائلاً:

«أظهر الرحمة أيها الملك العظيم ولك ولاؤنا حتى الممات».

«ستُظهرون لي ولاءكم عبر الموت».

وهوى بفأسه على الجان فصرعه لدخان، ليردف قائلاً:

«لا مكان لكم عندي، لا وجود للرحمة فيّ».

لم ينتظر إيلهاب أن يُنهي الملك حكمه على الثوار، ليتجه لآل عغال

قائلاً:

«خمسون منكم سوف يكونون عون الملك لإنهاء الأمر هنا، أما نحن
فسنذهب لتقديم الدعم لـ نامار».

بالاي: «دعم نامار سبقنا لهنالك».

«هل هناك مَنْ ذهب لدعم نامار من آل عنقال؟»

«أجل، إنه يالدا زعيم العشيرة الحالي، كما أنه ربيب نامار».

تسارعت قوارب أثران ما إن دخلوا مسار أوراء، الكل مستعدّ لهجوم
تدأيتهم من السماء أو البحر، وقلّة فقط يعلمون بحقيقة امتلاك أوراء
للطيف، لكن سواء أكانت تجميد استخدام قدرة الطيف أم لا فهذا أمر
يجهلونه، وإن أجادت استخدام الطيف فهذا يعني أنها تراقبهم الآن، لا
تشعر بهم فحسب، بل ترى كل حركة يقومون بها.

نامار: «لقد اقتربنا، سأصنع غطاءً لكم».

سيون: «كن حذرًا نامار».

«التنقي على الجزيرة».

غطس نامار للماء، ومنها هوى بأقصى سرعة له للأعماق. إن كان أمر
واحد يعلمه هو أن مسار أوراء ناري فهو مليء بالحمم البركانية وإن لم
يكن لطيف النار سُلطة هناك من قبل، لكن هذا قد تبدل الآن فطيف
النار هنا معه وداخله، وهذا يعني أن لديه القدرة لفعل ما يشاء ورؤية

كل شيء الآن. هوى نامار للأعماق، سابحاً بين الخنادق والجبال، لمكان يسيطر عليه الظلام، فالتحم الجان واحداً مع هذه الظلال، لولا عيناه الدمويتان لتلاشى نامار. أخيراً من بين الظلام شَعَّتْ حمم الأرض سيلاً كسديم النجوم في سماء الليل، اندفع نامار غاطساً بين الحمم مستمداً منها القوة، الهدوء، واللهيب، ومع هذه الحمم سار باحثاً عن مخرج يتجلى منه. جزيرة أورا باتت الآن في الأفق، هم يقتربون منها مع كل موجة ترتغل للشواطئ. الأفئدة تنبض كطبول حرب يتناثر صداها لتصل للأذان، الأرواح مستعدة للملاقاة النهائية، الأعين تبحث عن مصدر الخطر ليقبل إليهم بغتة. اضطرب البحر أمامهم لتنبثق منه طحالب بحرية عملاقة، كل واحدة منها عظيمة كشجرة، تحركت الطحالب صوب الزوارق لتضطرب مترنحة فوق موج البحر المتلاطم، لينطلق الجان المهجين ملفين بلهيبهم عليها، إلا أنها لم تحترق. بحركة سريعة وعنيفة ضربت الطحالب الجان قاذفةً بهم بعيداً، ليهوي مجموعة منهم للبحر، فيصرخ عليهم سيون قائلاً: «عودوا فوراً».

بدأت القوارب بالابتعاد عن بعضها البعض والتباطؤ ليأمرهم القائد: «أكملوا في ذات الاتجاه، ولا تتباطأوا».

علم سيون أنهم يرغبون ببعثرة شملهم وقواهم، حتى يتمكنوا من تدمير سفنهم والانقضاض عليهم فرادى، وما كان القائد لينحهم هلاً.

أخرج رابولا رأسه من الماء قائلاً:

«أيها القائد، نحن لا نبصر أو نجد من يتحكم بالطحالب، وإن لم نوقفها فلسوف تدمر السفن».

هتف النيلوفر لأنثوس قائلاً:

«جدها».

انطلق اللبن لمقدمة السفينة واثبًا من عليها، ليهبط على قارب من النيلوفر أبحر به حيث الطحالب مع رابولا، ليتعاون الاثنان في إزالة هذا التهديد؛ حيث إن رابولا غلّف الطحالب بالماء ثم دفعها لبقعة واحدة متلاصقة، مما يسهل عمل أنثوس الذي وضع يده على كتلة الطحالب دافعًا بكل قوته إليها، ليبدأ الماء بالتجمد. ولكن ما هم بحاجة إليه هو الصقيع الذي يتلف الطحالب ولا يحتجزها فحسب، ليدفع أنثوس بالزبد من رحيق أزهاره لبدنه لترداد برودة الماء متغلغلًا لداخل النباتات. من بدنه تناولت وأزهرت أزهار اللبن لتعزز من قواه، عدا أن أنثوس شعر بقواه تخور وبرحيقه يتضاءل، لتخرج أنفاسه دخانًا أبيض من فرط إنهاكه، إلا أن صوت رابولا الهاتف أيقظه:

«جدها الآن، فقوارينا تقترب، وابتكك عليها».

نرات له صورة الطحالب تهوي على القوارب محطمة إياها، ومعها نري ابته مبة لظلام البحر؛ كان هذا كافيًا ليدفعه حتى يتخطى حدوده،

لتعاضم أحجام أزهاره لتماثل عظمة الطحالب حتى أن أنثوس بان
كالحشرة بينها. دفع بقوته لأقصى مدى، وفي اللحظة التي وصلت فيها
القوارب حيث أنثوس ورابولا تحولت الطحالب لصقيع متجمد لا
يتحرك، ليخزّ الينُّ على أرض القارب لاهثاً فيما عاد رابولا للغطس داخل
الماء. عُقد حبل من النيلوفر حول بدن أنثوس ليرفعه حيث القارب، فيجد
أنَّ أريو ولييين يساعدانه بتقديم أزهارهما إليه ليستعيد قواه ونشاطه.
أقبل إليه سيون قائلاً:

«أنت بخير؟»

«لا تقلق، سأتمكن من قيادة كيتيتي، شكراً لكما».

أقبلت ابنته هانا إليه قائلةً في قلق واضطراب:

«كيف ستقود الجيش وأنت بهذه الحالة؟»

«أنا بخير لا تقلقي، سأستعيد اتزاني الآن، إيماي، الكتية لك من

بعدي».

هتفت هانا بذعر: «أبي؟؟»

«أنتِ جنديّة يا هانا، فتصرّفي كواحدة».

لم تعتدّ هذا الجفاف من والدها، إلا أنها تعلم أنه مُحق، وبالرغم من
خوفها، عليها أن تثق به، كما أنها لم تفارق كفه أبداً.

بغثةً تلبدت السماء بغيوم سوداء مشؤومة، وعصفت الرياح غضبًا،
لتشكل الزوايع في كل مكان. علمت لييين حينها ما يحدث، كما علم من
معهما على القارب، لتهمس بأسى:
«إنه طيف الريح».

اهتاج البحر مع الرياح التي عصفت بالأرجاء، فبات التحكم
بالقوارب عسيرًا، لتخبط مع الأمواج التي ظلت تُبعدها عن الشاطئ
وهو على مرمى منهم، إلا أن أورا تدفعهم باستخدام الطيف، وهذا ما
خشوه سابقًا؛ أن تسيطر أورا على الطيف.
هتف سيون قائلًا:

«نبتوا أنفسكم بالقوارب».

فعلت المخلوقات ذلك بسرعة، مزهرين حبالًا من أجسادهم تربطهم
بالصواري الخشبية، كما قدموا الحبال للبشر ممن معهم، مانعين أنفسهم
من السقوط إثر تراقص الأمواج من حولهم كمن يبنتهم بانتهاء هجومهم
قبل بدايته. تقاربت الزوايع معًا مُشكِّلة زويدة واحدة عظيمة، وفجأة
نعال صوت صرخات من داخل الماء؛ البِنُّ المائي يُسحب في دوامة مائية
تزق أجسادهم. شعر سيون بالعجز التام، مهما كانت قدرته إلا أنه عاجز
أمام قوة طيف. لم يتمكنوا من إطلاق النيران على الزوايع، فهذا يعني
إعصارًا ناريًا، ولا يمكن تجميده أيضًا. نظر سيون إلى من معه في القارب.

وبالرغم من الخوف الجلي في أعينهم، إلا أنه لم يكن من الموت أو الخطر الذي يصاحبهم، بل من انتهاء الأمر قبل أن يبدأ. التقت عيناه بعيني ابنه ليرى فيهما رجاء، قائلاً:

«لا يجب أن نتقهقر الآن».

الأمر الوحيد الذي في أيديهم الآن هو الانسحاب، ولكن ماذا عن حلفائهم من الجان؟ لا بدّ أنهم يقاتلون أيضًا في أرض معركتهم، ثم هنالك الكتيبة الأولى، يوكيم وجوام، هما أيضًا لديهما نصيبهما من العثرات. هل حقًا سينسحبون الآن؟ الأمل الوحيد المتبقي لهم هو نامار، وفي رجاء داخل نفسه تحدث سيون:

«نامار، لتسرع».

على فوهة الجبل، وقفت أورا تراقب أعداءها يقبلون إليها، ومعهم النيلوفر، ما بين شوق للقاءه وغضب من جرأته التي دعت للحرب. انطلقت سينا نحو أقرب مخيم للجنود، امرأة هجينًا هناك لإشعال نار الحرب في أحد الأبراج، امثل الهجين فورًا، وما إن أشعل النار في البرج حتى تبعته باقي الأبراج مشتعلة بنيران مختلفة الألوان. من لهيب أول برج انبثق دخان أصفر اللون متبعثرًا في الأرجاء، ليخرّ أي مخلوق يستن الدخان للأرض صريعًا.

أمرت أورا حورا بالذهاب بسرعة حيث المخيمات واستفشاء أسباب

الدخان الأصفر، وتأخر جيشها في الإقبال للحرب، ليسرع الآفاري الخطى فيجد سينا تخرج من بوابة المخيم الخشبية مترنحة، لياغتها من الخلف بسم من أزهاره، فتتهوي سينا أرضاً متخبطة. نظرت إلى حورا بعينين ساخطتين، ووجه تلون باللون الأسود ألباً، إلا أن الآخر تبسم بشؤم قائلاً:

«أخبرتكَ ستدفعين الثمن، ولم أنتهِ منك بعد، اخدي الآن».

ثم دفع بجرعة كبيرة من سمّه لداخلها لتفقد سينا الوعي مباشرة، ليشعر بنشوة الانتصار عليها ورصاً من خيانتها لهم؛ لقد قدمت له مبرراً لتذيتها لاحقاً، وبهذا يضمن أن مكانته لدى أورا لن تتزعزع. خطى حورا داخل المخيم ليجد المخلوقات تتخبط، وما إن استنشق الدخان حتى علم ما هو؛ إنه غبار من زهرة داتورة^(١)، استنشاقها يعني الدخول في سبات مميت. حبس حورا أنفاسه لتقع عيناه على بن ذي خصائص علاجية، فأمسكه مخرجاً كلاهما من المخيم، فيلقي به على الأرض قائلاً:

«عالج نفسك فوراً، وما إن ينقشع الدخان عالج الآخرين، وانطلقوا للقتال».



ابتعد الآفاري مسرعاً حيث أورا زافاً إليها خبر الخيانة قائلاً:

«إنه سُمِّ الداتورة، لقد انبثق من الدخان، المخلوقات في سُباتٍ يميت، عليك إبعاد الدخان بريحك».

تغيرت كل ألوان أزهار أورا التي زينتها إلى اللون الأسود من شدة حنقها مما حدث، وبالرغم من أنها غير قادرة على التحكم بالريح جيداً إلا أنَّ سخطها جعلها تُحكم قبضتها على الطيف محرّكةً الرياح لتعصف بدخان الداتورة بعيداً للسماء، ومن بين أنفاسها قالت:

«لقد كانت خيانتها أسرع مما توقعت، حورا جهز الجيوش للقتال وتأكد من عدم موتها، أنا أريدها حية، لكن أولاً...»

بغثةً مدت يدها داخل صدر حورا ممسكةً بفؤاده في قبضتها، ليرتد ذعراً ناظراً ليدها داخل جسده ثم إليها كمن يتساءل لماذا؟ وقيل أن يأتبه الجواب، شعر بحرارة تُسري في كامل جسده كأنها يشتعل لهيئاً أزلماً، وفيما جذبت أورا أذراعها للخارج، إذا بحورا يصرخ ألماً من التمزق الذي أصاب جسده كأن كيانه يُنتزع منه. وبحركةٍ عنيفة جذبت يدها للخارج دافعةً بالآفاري للأمام ليسقط أرضاً في ألم، إلا أنَّ الرَصَب اختفى فجأةً كما بدأ، وإذا بجسده خفيف كنسمة الهواء. أدار رأسه صوب أورا البري هيئة طيف في يدها لتعتصره في كفها حتى خمدت؛ لقد انتزعت شظية طيف النار منه قائلةً:

«أحتاجك حيًّا حرًّا على الأرض؛ لأنك ستقضى أثري لاحقًا. والآن انطلق ونادِ للحرب».

انطلق حورا مع أقوسيانا الذي بات الآن قائد الجيش لتنفيذ أوامر أوراء، قام البِنُّ الدوائي بإنقاذ الآخرين من أمثاله ليستقلوا لباقي المخيمات متفذين المخلوقات بدوائهم.

وقفت أوراء تراقب تحوُّل طحالب بِنِّها المائي لصقيع متجمد، رأت نياقاديون الجيش لها بكل حماس وحزم، ما كانت لتدعهم يصلون، ما كانت لتدع سيون يقتلها، وبكل ألم روحها، وشوقها، وجنونها، حركت الرياح زوابع عصفت بالبحر وكل من عليه. وحين اتحدت كل مشاعرها لتصبُّ هوسًا، التحمت أعاصيرها لزوبعة واحدة كصورة اللمم الذي أصاب عقلها.

ثم تزلزلت الأرض والجبل من تحت قدميها بعنف شديد، لتفقد توازنها هاوية للأرض؛ نفث الجبل حممه البركانية غضبًا، هذا البركان الذي كان خامدًا لألفيات ثار ثائرة بحمم تطايرت في الأرجاء، محرقة شجرة أوراء الأبيَّة لرماد متطاير، وتنصهر أوراقها المعدنية ملتحمة مع اللحم فلا أثر لها يُذكر، ولا شاهد على سحرها الذي ذبل. أما ما بقي من هذه الأوراق فتطايرت قصاصات متناثرة مع الرياح، لتمطر السماء رمادًا بالنَّاسِ وتغطي بغيوم من دخان أسود كحيل، إلا أنَّ للدخان عينين نهمتين

داميتين تنظران إلى كيانه تعطشا، ثم كشر عن أنيابه بابتسامة مشؤومة قائلاً:

«أخبرتكَ سأحيلك لرماد».

نامار الغاضب أشعل الجزيرة لهيباً من الأعماق، ومعه اختفت رياح أورا لتصل السفن للشاطئ، ليبدأ الحراك الآن.

انبتق البركان كإشارة لاندفاع السفن مجدداً، لتبحر شاقة الأمواج بأقصى سرعتها، إلا أن مجموعة من بن أورا المائي اندفعت صوب السفن لإعاقتها. أمر رابولا جنوده المائين بإكمال سيرهم مع السفن دون توقف، فيما سيتولى هو أمر أعدائهم في الماء، وبالرغم من أن جنوده اعترضوا قتاله بمفرده إلا أنه أجاب:

«لا يهمني قتلهم جميعاً، يكفي أن أمنعهم عن إيقاف تحرك السفن؛ لذلك لا تتوقفوا عن الحركة مهما حدث، دعوا أمرهم لِسْمِي».

انطلق رابولا في المقدمة ليسبق السفن ويجد ذاته وجهاً لوجه مع جيش أورا المائي، فوراً بعثر سم أزهاره محرّكاً المياه من حوله ليشتر السم لأبعد مدى، فيضطرب الأعداء من السم الذي آذاهم؛ لذلك لم يتمكنوا من مد أو مقاومة السفن التي عبرت بين صفوفهم مبعثرة إياهم أو قاتلة مجموعة منهم. تقترب السفن للشاطئ الآن، أما رابولا فما يزال يقاتل معركة المائية منفرداً. سلّح بدنه بالـ رازيانة. باعثاً المزيد من السم إليهم، علاناً

عدداً منهم نباتات علاجية فتمكنوا من دحض ستمه. صنع تيارات مائية سريعة وحادة كالنصل ليطلقها نحو أعدائه، فتلاقوها دافعين الطحالب نحوه، ليستخدم رابولا السيل مُمَزَّقاً النباتات.

وعلى حين غرة، شعر بجسده يندفع للأمام متمزقاً من قوة كبيرة أطبقت على جسده، لتتلون المياه باللون الأحمر. أدار رأسه ليرى أن بنأً من حملوا داخلهم دماء الأسماك المفترسة هجم عليه بغتة من القاع، مُحْكِمًا أسنانه الحادة على جسده ليتمزق من كل مكان. قام العدو بدفعه للسطح وخارج الماء على أمل أن يختنق ويغنى، حينها استلَّ رابولا خنجره المرجاني وفقاً به عين خصمه باثاً فيه من ستمه في ذات الأوان، لتسيل دماؤه من كل ثغرة في بدنه ويفارق الحياة فوراً. استغل رابولا هذا الأمر تلاشياً بين الدماء؛ عليه أن يداوي ذاته بسرعة.

بالرغم من بغضه استخدام قدرة المخلوق المائي فيه، إلا أنه سيفعل هذه المرة؛ فهو قد أزهز أزهزه وقدرته قنديل البحر فيه، وهذا فهو يحمل نوعين من السموم في جسده. ليس هذا فقط، بل يمكنه إعادة تجلبد بدنه بسرعة تفوق ما لدى البُنِّ بمراحل؛ هو قادر على إعادة إنشاء أطرافه إن بُترت منه، وأخيراً خصائص قنديل البحر تجعله قادراً على التلاشي تماماً، فهو قادر على جعل بدنه شفافاً فلا يبصره أحد. وهذا ما اعتمد عليه مطلقاً من جسده مجسات حمل الواحد منها آلاف الأشواك



الصغيرة التي لا تُرى، وكل واحدة محملة بِسْمٍ يَشُلُّ أي مخلوق كان. بسرعة وهدوء تسلل بين الأعداء، كل ما يحتاجه هولمة واحدة، ليجوب في خفية وبسرعة بين خصومه لامسا إياهم بمجساته دافعا بالسِّم فيهم لَتُشَلَّ أبدانهم، بل حتى إن أعضاءهم توقفت عن العمل لَتُشَلَّ أفئدتهم ويتعطل تنفسهم فيختنقوا للموت هاوين للقاء فوزا، ومَن تمكن من مقاومة السموم وجد نصل رابولا يشقُّ عند شرايينهم نازفين للموت، قتلونت أمواج الشاطئ بالدماء.

انبثق نامار من بين الحمم ملؤه القوة، نظر باحثا عن عدوته، ليراهنقف أرضا بين الحمم المنسدلة تنظر إليه شزرا. تبسم ساخرا من هيتها قائلا:
«أخبرتكَ، سأحيلُكَ لرماد».

وبسرعة الكبيرة هوى إليها مطلقا لحييا منه إليها، لتخمد أورا بيل مائي حملته الرياح العاصفة. لو أنَّ نامار كان جادا في إحراقها لما تمكن كل مياه الأرض من إخماد نيرانه، إلا أنَّ إحراقها ليس الهدف هنا، بل إبادتها، ولتحقق هذا فعليه إبقاء تركيزها عليه حتى وصول مبز مع سيون. أطلقت أورا الحبال المزهرة بكل أنواع الأزهار على الجبال ليتفادها برشاقة مُحَرِّقا ما يمكنه منها؛ فلقد أيقن دون مجال للشك أنَّ كل

هذه الأزهار مسمومة وإن لم يكن يعرف خصائصها؛ لذلك حذر منها ومن ملامستها له. تحولت أرض المعركة لجحيم مستعر من تدفق الحمم البركانية صوب الأرض، لتصنع أورا أمواجاً عاتية تغصف بها الرياح متطاولة للحمم فتخمدتها، ولم يوقفها نامار؛ فحلفاؤه يكادون يطأون الشاطئ ولا مكان لهم بين الحمم، عدا أن البركان لم يخدم ليشور ثائراً متميزاً بالغيط باعثاً بدخان أسود كظلم كمنارة مشؤومة تدعو كل من ينطش للدماء بالإقبال إليهم.

أورا: «لست أرى نسلك، هل أزهقت روحه لإزالة العار من اسمك؟» علم نامار أنها تحرضه ليفقد السيطرة على ذاته، وما كان ليمنحها هذا الرضا، كما أن تجريضها طفولي لا يمس منه شيئاً، وسخطه قد بلغ ذروته فلا يمكن له أن يستعر أكثر مهما قالت. صب تركيزه في مهاجمتها، مطلقاً النيران صوبها من كل حذب وصوب، لتخدم اللهب بقذف كتل طينية عليه. استطردت أورا محاولة إغضابه مردفة:

«أعلم، لو أنك لم تهاجم سيون في ذلك اليوم^(١)، جاعلاً إياي أعتقد أنه قُتل، لربما ظلت عشيرتك حية حتى هذا اليوم. ألسن المسؤول عن موت عشيرتك وابنتك؟ ألا ترغب في معرفة كيف فتكت بعشيرتك؟»

١- مُجَنَّا: يوم وفاة دارسون انطلق سيون لإيقاف سخط نامار، إلا أن الآخر كان نائداً العقل، وقاتل سيون حتى أحرق غصن أورا من قلبه، فظنت أنه مات.

أطلق نامار منجله في يده ملوحًا به، لتتفاداه متبسمةً قائلةً:

«بسبب غروركم آك عنقال أوجدتم وطنكم على حدود مساري، فأنتم من سيكون خط الدفاع الأول للجبان؛ لذلك أرسلتُ بـ حورا على ضفاف تلك الحدود، ومعه نخبتي الصامته، ليتسلل بين صخوركم العديدة. وفي حين أن كل العشيرة تبكي فقيدها ابن الزعيم، لن يرى أحدُ البين المتسلل. وبهدوء دفع البين الصامت بأزهار حملت سُمَّ حورا، ليصيب عشيرتك بثقب لا يرى ومنه دفع بالسُمَّ فيها، لتخرَّ أرضًا متخبطة من وَصَب سُمَّ البين، ثم تولوا عنها مانحين إياها موتًا بطيئًا مضنيًا؛ لكم تُقتُ لرؤيتها تفارق الحياة! هي ماتت بسببك أنت».

هي حقًا تعبت بعقل نامار وفؤاده، إن سخطه يتعاضم كما بغضاه. أورا تكاد تنجح في تشتيته لولا أنه يقاتل بسلاح قوي يحميه من الجنون، هو يقاتل بـ إيلهاب؛ هو سلاحه الذي لا ينكسر، والذي به لا يمكن أن يخسر. لذلك مهما وسوست لن يفقد ذاته من أجل غدٍ حرٍّ لنسله، من أجل وعده لـ سيون؛ لذلك للآن، من أجل اليوم، هذه اللحظة، من أجل الماضي وكل من قُتِل، سيغفر لذاته ذنوب وأخطاء الماضي.

رست السفن على الشاطئ لشب المخلوقات منها، أول كنية مبط كانت بقيادة أنثوس ليقود جيوشه داخل الجزيرة من اتجاه الشرق، ملأً حول الجبل الذي أشعله نامار. الكتيبة الأخرى بقيادة نيدرين لمح

خُطى أنثوس عدا أنها سلكت الغرب، فيما أنَّ غارينا قادت الكتيبة الثالثة
مُتشرة على حدود الجزيرة، مانعةً أي دعم أو وفود معادية لهم بالولوج
إلى أرض المعركة. انطلقت الكتيبة الأخيرة والمكونة من سيون، مينوس،
سكارم، أريو، لييين، وآريز. عند هبوطهم على الجزيرة اعتقد الجيش
أنهم واقعون في مصيدة، لم يكن هنالك أحد لقتاله، لقد كان الشاطئ،
بل الجزيرة خالية من المخلوقات عدا أورا ونامار، وما كانت إلا لحظات
واقبل عليهم الأعداء من كل حَدب وصَوْب، لتشتبك الكتائب في القتال
بمهددين الطريق لـ سيون ومَن معه.

سكارم وآريز تقدما المجموعة، فيما توسطها مينوس وسيون، أما الخلف
فقد وُكِّل لـ أريو ولييين. انطلقت المجموعة بسرعة، أطلق سكارم الهيدرانج
من جسده استعداداً لأي هجوم، أمسك آريز برمحه بإحكام شاقين الطريق
حيث نامار ليقبل عليهم القليل من الأعداء ممن تمكنوا من الالتفاف حول
الكتائب الأخرى، إلا أنَّ أوامر سيون لهم قبيل المعركة هي:

«لا تتوقفوا عن التقدم، لا يهْمُ مَن يفلت من قبضتكم، المهم دحض
أكبر عدد ممكن من دعم أورا».

لذلك أهملت الكتيبة مَن يتجاوزها معتمدين على المجموعة الصغيرة
لفتلهم، ففي النهاية هم من أقوى المخلوقات. اقترب الأعداء ميمنةً
وميسرة من المجموعة، ليتولى سكارم الميمنة دونها توقف، مرسلاً حبالاً

مُزْهِرَةٌ بِالْهَيْدِرَانِجِ نَحْوَهُمْ، لَتَنْفُثَ سَمُّهَا الْكَأَوِي نَحْوَهُمْ بِكُمَيَّاتٍ كَبِيرَةٍ، لِيَخْرُوا أَرْضًا مَتَخَبِطِينَ مِنْ أَلَمِ أَجْسَادِهِمْ وَهِيَ تَذُوبُ وَتَسَاقُطُ. وَمَنْ أَمْتَلَكَ خَصَائِصَ دَوَائِيَةِ مِنْهُمْ اسْتَطَرَدُّوا هَجُومَهُمْ، لِيَمْسُوا فِي مُوَاجَهَةِ أَرِيوِ الَّذِي أَهْتَمَّ بِالْمَيْمَنَةِ مِنَ الْخَلْفِ، مَلُوحًا بِسَيْفِهِ مَزَقَ مِنْهُمْ مِنْ اسْتَطَاعَ، وَمَنْ أَصِيبَ مِنْهُمْ بِجُرُوحٍ طَفِيفَةٍ هَوَى لِلْجُنُونِ مِنْ سَمِّ غَارِنَا الَّذِي غَطَى سَيْفِهِ. وَمِنَ الْمَيْسِرَةِ أَزْهَرَ آرِيْزَ مِنْ بَذُورِ نَبَاتَاتِهِ السَّامَةِ، لَتَنْفُلَ بِدَخَانِ أَسْوَدٍ أَعْمَى الْأَبْصَارِ، لِيَحْرُرَ أَوْرَاقًا حَادَةً مِنْ أَزْهَارِهِ أَصَابَتِ الْأَعْدَاءَ بِجُرُوحٍ طَفِيفَةٍ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ كَافِيَةً لِيَتَسَلَّلَ الدِّخَانُ إِلَى أَجْسَادِهِمْ عِبْرَهَا، فَيَصْرَعُهُمْ أَمْوَاتًا.

وَاجَهَتْ لِيَبِينَ خَصُومَهَا بِسُوطٍ ذِي أَشْوَكَ كَذَكَرَى لَوَالِدَتِهَا، وَالْبَدِ الْأُخْرَى حَمَلَتْ السِّلَاحَ الَّذِي قَدَمَهُ نَامَارُ لَوَالِدَتِهَا؛ هَذِهِ مَعْرَكَةٌ تَحُوضُهَا عَوْضًا عَنِ الْوَالِدِيَّةِ. قَذَفَتْ بِسِلَاحِهَا صُوبَ الْأَعْدَاءِ لِيُحْلِقَ مِمْتَطِبًا الرَّيَاحَ لِيَخْرَ كُلُّ مَنْ أَصَابَهُ السِّلَاحُ أَمْوَاتًا مِنْ سَمِّ الْأَرْجَمُونِ الَّذِي غَطَاهُ. بَاتَتْ أَوْرًا وَنَامَارًا الْآنَ عَلَى مَرَأَى مِنْهُمْ، خَطَوَاتٌ قَلِيلَةٌ فَحَسْبُ، إِلَّا أَنَّ أَقُوسِيَانَا وَحُورًا اعْتَرَضَا سَبِيلَهُمْ، عَدَا أَنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّفُوا أَوْ يُطْطُوا، خِلَافًا لِذَلِكَ، لَقَدْ تَقَدَّمَ سَكَارِمُ مَتَسَارِعًا مَعَ آرِيْزَ نَحْوِ حُورَا الَّذِي نَفَثَ سَمَّهُ صَوْبَهُمَا، إِلَّا أَنَّ كِلَاهُمَا أَطْلَقَ سَمَّهُ فِي بَدْنِهِ لِيَدْحُضَ مَفْعُولُ سَمِّ حُورَا، لِيَشْتَبِكَ مَكَارِمَ مَعَهُ فَيَأْتِيَنَّ آرِيْزَ أَقُوسِيَانَا خَصِمًا لَهُ. تَرَدَّدَتْ خَطَوَاتُ سَيُونِ لِلْحَقَّةِ

واحدة، بغضاً في أن يتجاهل كتيبه مندفعاً لـ نامار، حتى وإن كانت هذه
هي الخطة المتفق عليها، إلا أن أريو وضع يده على ظهر والده دافعاً إياه
إلزاماً قائلاً:

«لا توقف، انطلق ودع الأمر لنا».

وجد سيون ثباته مكملاً طريقه حيث نامار.

دفع أريو بـ أريز نحو سكارم ليقاتل معه، ليقف هو وليبين وجهاً لوجه
مع أئوسيانا. التفت سيون مرة أخيرة ليراهم، إلا أن ليبين هتفت له:
«انطلق سيون، ولا تنظر للخلف، سنصدهم عنكم».

أشاح سيون بعينه ناظراً حيث معركة نامار، هنالك بين كتيب الدخان
الأكحل وثوران حم البركان حلق الجان ملوحاً بمنجله ونيرانه صوب
أورا، ليتسارع سيون يتبعه مينوس حتى خطت قدماهما أرض معركتهم.
حرك مينوس الماء سيلاً نحو أورا، لتتفاداه دافعةً بحبالها السامة نحوه،
لبسكها دون أي تردد لتفتت فوراً منسلّة من بين أصابعه. ارتعدت أورا
من هذا متفحصةً هذا المخلوق، وما إن وقعت عيناها على وشومه حتى
اضطرم سخطها غيظاً كاللظى، لتنفث كلماتها حقاً لا يخبرو:

«أيها اللعين ثادياس، أن تنجب هجيناً تقاتلني به! لتُحرق أبدياً في
جحيم مستعر، حتى في موتك لا تزال تقاتلني».

بسرعة كبيرة انطلقت أوربا صوب مينوس، مصوبةً مغالبها حيث
فؤاده، إلا أن سيون حال بينهما محيطاً ذاته بأحزمة مائية. ما إن رآته أوربا
حتى تغيرت ملاحظتها؛ إنها نظرة رآها كثيراً في عينيها، إلا أنه لم يفقهها حتى
يوم أخبرته سينا بهوس أوربا به، والآن فقه ما تعنيه نظرتها له، إنها نصيب
بالمرض والتقرز. أرسل إليها جبال الماء، لتفادها وتجد نامار خلفها
بالمرصاد قاذفاً نحوها رماحاً دخانية مشتعلة، لتحصن أوربا ذاتها بدرع
من طين وقاها هجوم الجان.

بغتة اهتزت أرض الجزيرة بعنف، لتتصب من الأرض أعمدة
ترايبية مهولة، وعلى أحدها وقفت أوربا لتطلق حبلاً لا حصر لها من بين
الأعمدة فتفرعت منها أشواك غلاظ مسمومة أطلقتها صوب أعدائها.
أرسل نامار حمم البركان صوبها كسيلٍ مُستعر يطفو في السماء، أما سيون
فقد سخر الماء له صانعاً دروباً مائية تدفقت بين الأعمدة ليعتلي السيل
منجرفاً صوب الأعمدة منسللاً من بينها، ليهتف له نامار:

«دمر أعمدتها ودع ظهر كليلي».

صَبَّ سيون تركيزه على إتلاف الأعمدة غير آية لأي هجوم يُقبل إليه،
فلقد سلم ظهره لنامار كي يحميه، ليحلّق الجان فوق رفيقه مطلقاً سهاماً
نارية تحرق كل هجوم يتدفع صوب النيْلوفر، فيدفع بالماء عبر الأعمدة
الترابية ليحيلها لطين فيطلق نامار نيرانه عليها فتصلب محترقة متفتنة

ومعها تحترق جبال أورا وتزول. بغتةً شعر نامار بألمٍ يكتسح بدنه، ليعلم أنَّ إحدى هجمات أورا قد أصابته، وقبيل أن يفتح فمه شعر بجبال من النُّلوفر تعقد حول ذراعه دافعةً إليه بالترياق من السم دون أن يضطر هو أو سيون للتوقف للحظة واحدة؛ هما حقًا جيش من مخلوقين. لقد تناغمت خطواتهما متحركين دون حوار أو خطأ واحد في خطواتهما، ليحطما آخر عمود لـ أورا، لتشب حيث قمة البركان، وتجمع الأتربة والطين فتقذف بهما حيث الفوهة فتتردم البركان وتحمده، ثم آوت لداخل الفوهة يتبعها نامار وسيون الذي هتف قائلاً:

«هيا يا مينوس لننه الأمر».

عدا أنه لم يتلق إجابة أو يشعر بأي حركة. التفت الاثنان ولم يجدا أنرا لجنوس بالقرب منهما، إلا أنهما لمحاه يهرب بعيدًا. ذلك الوغد الخائن! نول عنهما وعن مهمته. استشاط سيون ونامار غيظًا، إلا أنهما يعلمان أنَّ الابتعاد عن أورا الآن قد يمنحها فرصة للفرار، حينها سيكون كل ما مروا به، كل تضحياتهم ومشاقهم، كل شيء بلا طائل. نظر سيون للأسفل قائلاً:

«النكسب بعض الوقت الآن يا نامار، ودع مَنْ في الأسفل يحضر لنا مينوس».

حينها هتف نامار لمجموعتهم في الأسفل:

«مينوس قد قرَّ، أحضروه الآن».

في هذه اللحظة كل ما يمكن لـ سيون ونامار فعله هو الثقة بَمَن معهم لإحضار الفار وإنهاء الأمر.

انطلق كلُّ من أنثوس ونيدرلين مع كتائبهما في اتجاهين مختلفين على أن يلتقيا في مركز الجزيرة ليمعنا أي هجوم من عرقلة معركة القائدين. من الأفق شاهدت نيدرلين فيما زحف إليهم الأعداء من غير أي تنظيم أو صفوف، هم يتحركون دون قائد، علمت أن مصير جيش يخلو من القيادة هو الموت، حينها أشارت نحو جنودها قائلةً:

«أبيدوهم».

تحرك جيش نيدرلين معها للقتال، لتنفث بتلات من أزهارها فتهبط على أجساد أعدائهم ومعها يصيبهم الجنون فتتعالى صرخاتهم؛ لقد أزعجتهم أسوأ مخاوفهم، فمنهم مَن خرَّ أرضًا فورًا والزبد يتدفق من أفواههم من شدة الذعر، وغيرهم مَن توقف وجدانه جزعًا مما تراءى له. في هذه المعركة تطايرت الحبال الورقية في كل الأرجاء، وتزلزلت الأرض مرارًا من البنِّ الذين يحركون الأرض، أما مَن مع نيدرلين من هُجَّاء الجان فقد أشعلوا أعداءهم بنيران لظى، أحرقتهم كما أزهارهم لهشيم. ومن بين كل الفوضى أبصرت نخبة أورا الصامته تُقبل إليهم، لتجس صرخة في وجدانها؛ الكثير يبدون مألوفين لها، إنهم من جيلها. لقد استغلت أورا جيل الأولين في جعلهم جنودًا لها، وهي لهم منقذة.

سلحت نيدرین ذاتها بحبالٍ لا حصر لها، منطلقة للصامتين، هي تعلم أنَّ سَمَّها لن يؤثر فيهم، فلا شيء أقوى من سموم حورا. بالرغم من أنهم بنُّ إلا أنهم شبه أموات، فهم لا يظاهون قوة أو سرعة باقي المخلوقات. لوحت بحبالها لتدفع بها صوب أعناقهم؛ لم ترغب في إطالة عذابهم بتمزيق أبدانهم، فالحل الأمثل والأرحم لهم هو جزُّ أعناقهم والموت فوراً. تعالى صدى تفرُّع الحبال التي حملت كل حزنها وحنتها، اجتزت رؤوسهم فتطايرت دماؤهم الدبقة متناثرة أرضاً، وتحولت أجسادهم لأوراق سكنت بهدوء فوق الأرض، لتطأها الأقدام هواناً كان لم يكونوا مخلوقات ذات وجود وروح من قبل. وحين أبصر بقية الصامتين هذا تهاثفوا وتكتلوا على نيدرین؛ بكل ما تبقى فيهم من أمل سوا إليها لتحررهم من هذا الضيم الذي أنساهم من كانوا ذات يوم. وفي أرواحهم التي غرقت في الظلام واليأس لوقت طويل وجدوا فيها بصيص أمل للرحمة، هي أملهم للخلاص. لم يَحِب ظنهم لتلمع أعينهم بقليل من الرضا حين هوت حبال نيدرین على أعناقهم؛ أخيراً شعروا بشيء قيل الرحيل، وإن كان السعي للموت هو أبشع أنواع الرضا إلا أنه الحرية التي تافروا لها.

انجبت كتية أثوس للشرق ملتفين من خلف البركان، ليُقبل عليهم الأعداء من كل الأجناس. أول مَنْ تقدم هي ديفينا لتنفث الضباب في



الأرجاء مستعينة بقدرات التودالة فيها، ليغشى عن الأبصار بوجود أبيض كثيف حجب الرؤية تمامًا، ليستغل جنود الحلفاء هذا الأمر ضد أعدائهم. رفع أنثوس قبضته أمرًا جيشه أن يتوقف عن الحراك، فيما دفع بإيماي للأمام، ليتقدم بضع خطوات مبتعدًا عن جيشه قليلًا، ثم انحنى واضعًا يده على الأرض، لتزهر من تحت أقدام الأعداء أزهار الحندقوق الأبيض. ويهدوء انسلت البتلات من كأسها متطايرة بركة، محدثة شقوقًا صغيرة لتسلل البتلات عبرها للداخل أجسادهم. خلال لحظات تلون الضباب باللونين الأخضر والأحمر؛ إشارة إلى أن المخلوقات تنزف دماء من كل مكان في جسدها من تأثير الحندقوق الخاص به.

لكن الأمر تغير بسرعة عندما ظهرت من بين الضباب جبال لاهر لها، لتضرب في الهواء بعشوائية محدثة ريمًا فينقشع الضباب، وسي الأعداء قادرين على قتال جيش أثران. لا مجال للمراوغة، فانطلقت الجبهتان متشابكتين في صراع. قاتل الهتجناء من الين بيسالة إلا أنهم ليسوا بذات قوة الين النقي، وحين رأى إيماي مقتل رفاقه اشتعلت شلة الغضب فيه، دافعًا بأزهاره للإنبات من تحت الأرض، ثم اندفعت بقوة كبيرة نحو الأعلى لتشق الأرض من تحت أعدائه، وذات تلك النباتات أزهرت الحندقوق متطايرًا في الأرجاء قاتلاً كل عدو لاهر.

استخدم أنثوس الصقيع لتجميد الأرض ومعها تجمدت ابتداء

الخصوم، ومن السماء تهاوت رماح جليدية قذفتها هانا فتخترق أبدان
الخصوم وتجمدهم من الداخل للخارج. أما ديفينا فقد استخدمت
طحالبها لامتصاص الماء من أعدائها مصيبة إياهم بالجفاف حد الموت،
لتعيد منح الماء لأنثوس وهانا ليستخدماه في هجومهما.

بغتة شعرت ديفينا بأحدهم يقترب منها سرعاً، لتبتعد عن الطريق
مطلقة طحالبها على خصمها، وما إن لمستته حتى تلاشت ألوانها؛ فهذا
البنُّ يقتل طحالبها، وفي ذات الآن يبعث بسمه إليها عبر نباتاتها. فوراً
تخلت ديفينا عن طحالبها واثبةً بعيداً عن خصمها ثم غلفت منطقة
مراعها بالضباب، ليقشعه البنُّ بريح من حباله. إلا أن ديفينا ليست
خفياً لتعيد الهجوم الفاشل مرتين، لتستغل انشغاله بإزالة الضباب
راضعةً يديها على الأرض لتنبثق أشواك عظيمة، إلا أن البنُّ ابتعد عنها،
لتترك المهجينة حينها فارق القوة والمهارة بينهما؛ هو من الجيل الباسل،
لقد أزهز من أجل الحرب وقضى مجمل حياته يقاتل، أما هي فهجينة لم
تبلغ الفئتها الأولى بعد. ما هي فاعلة أمام من جُبل على القتال والقتل؟
ولم تزعزعا أقبال البنُّ نحوها، لتتجمد قدماها آية الحراك، وفيما لامست
غالب الخصم موقع فؤادها؛ إذ بالدماء تتناثر في الأرجاء، لتشهق المهجينة
ذعراً، وصوت هانا الصارخة خبا بين أصوات القتال:

«لا لا!»

لقد وقف أنثوس بين ديفينا والموت، لتخترق يد البن فؤاده نافثاً السم فيه، إلا أن أنثوس لن يدعه حيّاً هو الآخر، فثقب حيث قلب العدو وبها تبقت لديه من قوة أحاله لصقيع، ثم لوح بيده محطماً إياه، لتبقى يده مزروعة داخل أنثوس الذي خرّ أرضاً، لتلتقطه ديفينا ويهرع كلّ من هانا وإلهاي نحوهما. بالرغم من البغضاء الكبيرة التي حملتها ديفينا لأنثوس الذي قتل والدها^(١)، إلا أنها وجدت الدموع تتساقط من عينيها هامسة: «لماذا؟»
تبسم قائلاً فيها هو يفقد هيئته:

«إنه عهدي لوالدك قبيل قتله، أن أحبك كما أحبي ابنتي».
أمسكت هانا بذراع والدها لتزهر من بدنها أزهارها في محاولة لإنقاذه، إلا أن الأزهار لا تلتصق به؛ بدنه يتلاشى فاقداً هيئة البن فما عاد يقبل أي شيء فيه، لتهمس تضرعاً من بين دموعها:
«أرجوك التصقي، أرجوك التحمي».

نظر أنثوس متفحّصاً وجوه الهُجَناء الثلاثة متبسماً رضا قائلاً:
«للتعاضدوا معاً ولتحدوا الموت، ولتبعوا سيون».
بهذا نفث أنثوس آخر الأنفاس في صدره مسلماً روحه للموت، لتهاجر هانا باكية فيها طأطأت ديفينا رأسها هامسة:
«أنا آسفة، أنا آسفة».

١ - حُلَفَاء: والد ديفينا، طالب بإقامة حرب ضد ميزويا ليرفض أنثوس وتقوم حرباً بين الاثنين وتنتهي بمقتل والد ديفينا من أنثوس.

على حين غرةً تزلزلت الأرض ثم تشققت، لتنتفض دون توقف؛ لقد
نهض جابرة الجزيرة.

اشتبك سكارم وآريز في قتال ضد حورا، كلُّ منهما يغذي جسده بسمه
حتى لا يتمكن منهما الآفاري، الذي أزهر من جسده أزهار الآقونيطن
السوداء، باسقا سَمِّها في كل الأرجاء. ليقوم آريز بتصويب رمح نحو،
نبسه حورا بضربه بحباله الورقية فيرتد عائداً ليد صاحبه، ليحرك
سكارم الأرض فتندفع منها موجة ترابية انهمرت صوب الآفاري،
يستخدم حباله قاذفاً ذاته من على الأرض. وإذا ببذور من شكران آريز
تلف صوبه فتنتف السم منها، إلا أن السموم لا تؤثر على حورا فهو
نبيع منها، ليتبسم سخريةً قائلاً:

أيها التعيسان، هل تعتقدان أن سُمَّيكما له تأثير عليّ؟ أنا أصل السموم
لكلها، فلا شيء مما تملكانه يؤذيّني.

سكارم: يمكننا جرُّ عنقك إذن.

حورا: أنا أذكرك أيها المخلط النجس، أنت قائد المخلطين الذين
مروا من هنا، مازجين أفندتكم بالحيوانات لتشعروا بالقليل من الحياة.
ما كان على أورا أن تظهر الرافة على من حملتكم من البن، توجب علينا
نظهن فوراً.

استشاط سكارم غضبًا:

«رافة؟ لقد استغللتهم أفئدتهم وسرقتهم الحياة منهم من أجل إلفاء،
شجرة واحدة لعينة حية. لقد كنا مهانين، مُساء معاملتنا، لقد عاملت
الحيوانات صغارها أفضل مما فعلتم أنتم بناء، وتقول لي رحمة بل الموت
هو الرافة الوحيدة في ظل وجودكم، لم نعلم الحياة إلا تحت جناحي
شاوران وجلنار اللذين قتلتم، ولهذا ستدفعان الثمن».

حينها غيّر سكارم هيته للوحش مغطيًا جسده بهيدرانج السام.
منطلقًا بأقصى سرعته لـ حورا، الذي لم يكن بذات سرعة الهجين، بل
هو لم يره يتحرك حتى، لينقضّ عليه المُخلط الوحشي قاذفًا إياه أرضًا ثم
غارزًا أنيابه في عنقه، لتسيل دماؤه السوداء الكريهة منه وتذوق سكارم مرّ
مذاقها. إلا أنه ما كان ليتخلى عنه حتى يزهرق روحه، ليشعر بيدن الآفاري
أسفل منه يتخبط بعنف، وصوت صرخاته المعلبة أصمّ أذن المُخلط، عدا
أنّ عذابه منحه متعة ورضا تاق لهما؛ هذا ما تعطش له منذ غادر جزيرة
أورا. وفي نشوة انتصاره القريب شعر سكارم ببركة عنيقة نصيب أصله
وتقذف به بعيدًا عن الآفاري.

وفي سخطه الطاعغي وجد أنّ آريز هو مَنْ أبعده عن خصمه، ليشم
بالخيانة تدمي وجدانه، ليتفرض أرضًا راغبًا في مهاجمة آريز، إلا أنّ
هوى أرضًا فورًا. أشاح سكارم بنظره ليرى حورا يقف على قنبل

والدماء السوداء تقطر منه، إلا أن يديه أنبتا غصناً غليظاً يقطر بالدماء
خمراً، كما وجد أثرها على طول الاتجاه الذي قُذِفَ إليه. نظر سكارم
لهذه ألواحني، ليجد دماؤه تسيل منه، اقترب آريز منه قائلاً: «استعد
منك وعالج نفسك، كيف لك أن لا تشعر به يثقب جسدك حد الموت
بكنا؟»

لقد كان سكارم منهمكاً في نشوة قتل حورا، حتى أنه لم يشعر بالسلاح
برز فيه، لولا أن آريز ركله لُقُتِلَ في تلك اللحظة. استعاد سكارم هيئته،
فما وقف حليغه أمامه بحميه، أما عدوهما فارتعد ذعراً منهما. وبالرغم
من الأصوات الصاخبة التي ملأت الجزيرة من صرخات الألم، وبكاء
من قتلوا، وزلزلة الأرض من تحركات البُن، وضرب الأمواج للبحر،
ورغبة الشياطين، إلا أن صوت نأمار على سفح الجبل طغى على كل هذه
لأصوات حين صرخ لهم:

«مينوس قد فر، أحضروه الآن».

في تلك اللحظة رفع كل من آريز وسكارم عينيهما نحو نأمار ليكون
مناخا ماما؛ لأنه في تلك اللحظة فرَّ حورا من أمامهما. لسبب ما لم يتفاجأ
سكارم من حياته مينوس، فلقد هيا ذاته لذلك، بل لعل الجميع فعل،
مع هذا لم يتحلوا أي تدابير تحميهم منه، ليس وكأنهم بإمكانهم فعل
هذا. بالرغم من رغبة سكارم الملحة للقضاء على حورا، إلا أنه وضع

الفائدة الكبرى فوق رغباته، قائلاً له أريز:

«انطلق للغرب، وأنا للشرق، أفقده وعيه، أو مزق أطرافه لو نَحُمُ
الأمر، فقط أحضره لنامار وسيون».

انطلق الاثنان في اتجاهين متعاكسين بأقصى ما لديهما من سرعة،
متجاهلين أي معركة أو قتال آخر؛ فلا وقت لإضاعته الآن.

آقوسيانا، المخلّط الصامت الذي سرق من أريو والدته، وكان موضع
كوابيسه في ليالي كثيرة، هو أيضًا من شارك في قتل والدَيِ ليين؛ كلٌّ من
أريو وليين يملك رغبةً مُلحة لقتله وصَبَّ حنقهما عليه. كان أريو أول
مَن انطلق حاملاً في إحدى يديه سيفه، بينما استخدم الأخرى للتحكم في
الماء. أزهَر آقوسيانا أزهار الزنبق الناري، فقذف بذورها السامة صوب
خصمه، إلا أن ليين خلفه دفعت الأرض للأعلى مُشكِّلةً جدارًا، وما إن
اقترَب أريو من الجدار حتى انبثق عمود ترابي ليطأه أريو ويتدفع للأعلى
ملوحًا بسوط مائي صوب عدوهم.

ابتعد آقوسيانا بضع خطوات موجهاً حبالاً من سمِّه نحو أريو الذي
لم يتفادها، حيث إن ليين قذفت بسلاح والدها صوب حبال آقوسيانا
فتمزقت. لَوَّح النيْلوفر الهجين بسيفه صوب عدوه مصيًّا إياه بجرح يبلغ
في جسده، فترنح آقوسيانا للخلف. لتتنقض عليه ليين بسوط شائك،
إلا أن خطواتها تعثرت حين تزلزلت الأرض أسفل منها بجذور شائكة

مسمومة من آقوسيانا. تمكنت الهجينة من تلافيها، إلا أن إحدى الأشواك
ثبتت ساق أريو مثبتة إياه أرضاً وبثّاءة السمّ فيه، ليستعيد ذكريات
التعذيب الذي تلقاه حين كان أسيراً هنا. من حسن حظه أنه ضحك الكثير
من النبلوفر في جسده فبات تأثير السمّ ضعيفاً عليه. هرعت ليبين إليه
لنترع الشوكة من قدمه فتأوه، لتقبض على ذراعه قائلةً باضطراب: «هل
أنت بخير؟»

أريو: «يبدو أن جسدي اعتاد سمّه، فلم يعد يؤلم كما في السابق».
التام جرحه في لمح البصر، كذلك فعل آقوسيانا الذي استخدم
خصائص الشونيز الأزرق لديه لمضاعفة سرعة علاجه. حينها أتى
صوت نامار معلناً عن هروب مينوس، ليرتعد كلّ من الهجينين من هذا
الخبر، فتهمس ليبين:

«كلما اعتقدنا أننا نتقدم للأمام، نجد أننا نخطو للخلف».

ثم تعالى صوت سكارم قائلاً:

«أسفني مع أريو للبحث عنه».

انطلق الاثنان على الفور. وضع أريو يده على كتف ليبين قائلاً: «لنتبه
المرورنفي للمساعدة أيضاً، فنحن لم نهزم بعد».

نفس على قلبي ماأأيدله ليبين لتأخذ بيده فيما جذبها للنهوض، كلاهما

عازم على إنهاء الأمر. هذه المرة اندفعا معاً على حُطى واحدة ونبض واحد، إنه ليس للثأر، بل من أجل الحياة، فتناغمت حركتهما كما أفكارهما. حركت لِبَّين الأرض من تحت قدم آقوسيانا، فيها خلط أريو الماء مع التربة مُشكلاً طيناً مائعاً، فغاصت قدما خصمهما فيها وتناقلت حركته.

وفيا اقترب الاثنان منه، اهتزت الجزيرة كما لم تفعل من قبل، ثم بدان بالانتفاض. بالكاد وجدت لِبَّين وأريو القوة للثبات حينها، لتجلى لها حقيقة هذا الزلزال؛ كُـلُّ التماثيل الصخرية التي كانت شبه مدفونة في الأرض انتفضت بالحياة^(١)، لتبعثر الأرض التي طوقتها ناهضةً على اليابسة وبخطى عتيقة دبَّت الرعب في قلوب كُـلِّ مَنْ شاهدها. من بين شقوق الصخر لح أريو نازراً تسري؛ أحدهم يتحكم بها، وليس أي مخلوق، بل مستخدمو النار من الهُجَناء أو الجان. الآن علم أريو سبب وجود هذه التماثيل التي رآها أول مرة كان فيها هنا، ولأول مرة يوقن أنَّ النصر محال.

فيما انطلقت قوات عشيرة عنقال صوب معركة الجان، توجه بالنار حيث يعلم أنَّ نامار يقا تل؛ لقد تاق لرؤيته لوقت طويل، إلا أنَّ خزيه



كان أعظم منه. لطالما انتظر الوقت المناسب للظهور مجدداً وطلب غفرانه،
عدا أن الوقت لم يأت يوماً له، والآن هو يتجه لرؤية مَنْ قام بتربيته، مَنْ
اعتبره أباً له، وليس هو فقط، بل سيرى بأُم عينيه نَسْل دارسون.

منذ أول مرة سمع فيها إشاعات وجوده تمنى لو أنها حقيقية، كان
ليقاتل العالم كله كي يحميه، إلا أنه لم يعلم من أين يبدأ البحث. والآن
علم من بالاي أن عشيرة دارسون هي لا يالا؛ البِنُّ التي حظيت بثقة
الملك زائينيل المطلقة. لو أنه علم فحسب، لما فقد ابن دارسون كلا والديه،
عدا أن نامار معه الآن وإن كان لفترة قصيرة إلا أن علاقتها قوية كما
أخبره بالاي. إنه فخر نامار ومن أجله تُقام الحروب، لربما أن الأوان
ليُكفر بالدا عن ذنوبه صوب عائلته. وبجناحيه المتناقضين ضرب السماء
نصارعاً ليرى مَنْ تاق إليهما.

أصيب بالدهشة لمشهد ما رأى؛ لقد جابت الجزيرة عمالقة صخرية
لم ير مثيلاً لها يوماً خلال كل سنوات القتال والحروب، هي أجساد من
الصخور البركانية ومن بين شقوقها اضطربت النيران بألوان مختلفة، إنها
نيران الجان أو المُنَجَّاء، عدا أن يالدا لا يرى لهم أي أثر. والأدهى من
هذا هو أنها تُسبب حالة ذعر بين المخلوقات في الأسفل، فتعالى هتافهم
بالفرار، ومن امتلك الشجاعة لمواجهتها فشل؛ لتتحطم نباتات البر
وتُخمد نيران المُنَجَّاء. اقترب يالدا مسرعاً ليرى كيف يوقف هجوم هذه

التمثيل قبل أن تؤذي المزيد من المخلوقات، وبالأخص قبل أن يتأذى منها ابن دارسون. خلق من بين التماثيل متمعنًا فيها متلافياً هجمات عليها، وبطرف عينه وجد نتوءاً غريباً على ظهر أحدها. انطلق إلى التواء وبكل ما لديه من قدرة أطلق النيران عليها لتفتت صخور التواء متبعثرة، فتكشف عن جان هجين اختبأ خلفها ويده ملتصقتان داخل ثغرتين في التمثال، ومنهما أطلق نيرانه ليتحكم ويسير التمثال وفق هواه. تبسم قائد عنقال فذعر الهجين الذي تلاشى لدخان بفعل نيران يالدا، ومعه تناثرت أجزاء التمثال الحجري هاربة للأرض، حينها هتف بالمخلوقات قائلاً:

«حطّموا التواء في الظهر واقتلوا الهجين داخلها».

أقبل عليه هجين من البين قائلاً:

«عرّف عن نفسك أيها الجان».

«يالدا ريبب نامار».

«إيباي قائد الهجناء».

«ابن نسل نامار؟»

إيباي: «إيلهاب؟ ليس هنا فهو يقاتل على أرض أخرى كقائد للجان».

تمنى يالدا لو أمكنه قتل نفسه الآن؛ لقد أضاع فرصة أخرى في مقابلة

ابن دارسون وحايته. أردف إيباي قائلاً:

«نامار هناك في الجبل، هو يقاتل أورا مع سيون».

حلَّق يالدا للسماء مجدداً مجيئاً: «لاحقاً».

وبغضب من ذاته هاجم التهاثيل، فلا يمكنه الرحيل من الجزيرة التي يقاتل فيها نامار الآن؛ لعله يحتاج يد العون في مرحلة ما، فلا يرغب يالدا في ارتكاب الخطأ ذاته مرتين. لذلك قرر البقاء في الجزيرة وانتظار قدوم إلهاب. سلح ذاته بسيفين قدَّمهما له نامار منذ أَلْفَيَات مضت؛ أحدهما أبيض اللون حمله في يسراه مشعلًا فيه نارًا سوداء، والآخر أسود اللون حمله في يمينه مشعلًا فيه لهيبه الأبيض، لينطلق مسرعًا نحو التهاثيل ضاربًا التره ومنها مصيبًا الهجَّاء. وفي قتاله الهائج كاد أن يخطئ؛ إذ إن أحد التهاثيل التي هوت أرضًا عادت وشكلت ذاتها مجدداً حيث إن قائدها لم يَفْزْ بعد، وفيما تحرك التمثال لقتل يالدا إذ بلهيب أحمر قرمزي ينطلق نحو التمثال فينهاوى أرضًا. نظر يالدا إليها بتعجب واستنكار قائلاً:

«منذ متى يُسمح لإناث الجان بالقتال؟»

شمايا: «منذ أن تولى القائد إلهاب زعامة جيشنا».

«لست مع الجان؟»

«لا يُسمح بالقتال في جيش الجان، لكن يُسمح لي بالقتال ما دمت مع أتران، هذا ما أخبرني به القائد».

نَسم يالدا متسائلاً: «وهل هو جدير بأن يكون القائد؟»

الهرب من القتال هكذا، والتخلي عن نامار وسيون لم تكن من مخططات مينوس، بل إن القتال ضد أورا لم يكن من ضمن ما اتفقا عليه، عدا أن كان يحاول إضاعة الوقت حتى تظهر من ينتظرها، إلا أنها لم تفعل. يعلم مينوس جيداً أنها ما كانت لتخلف الوعد، إلا أنها لا تتذكر الوعد حتى في آخر لقاء لهما سألها:

«إذ لم تذكرني وجودي أو طيف الماء، فكيف لنا أن نلتقي من دون أن تقتليني؟»

«أظهر لي أزهارك فحسب».

مينوس: «ليس هذا هو المهم، بل هل ستكونين موجودة حقاً عند الشاطئ، أو حتى عند أرض المعركة؟»

«لعلني لن أذكرك، إلا أنني أذكر الآخرين، وبالتأكيد سأرغب بالقتال معهم، فلا تقلق، ستجدي هناك أنتظر لاستعيد أمانتي منك».

«أمانتك لا تحبني».

«هو لا يحبني أيضاً، إلا أنني تحملته لوقت طويل، لتفعل أنت الآن هذا».

مينوس: «ما الذي تتحدثين عنه؟ أنا من حملة لوقت طويل وليس أنت، لو أنك لم تملكي مشاعر لظللت أحمله باقي حياتي».

«حملت أنا طيف الريح لوقت طويل».

مينوس: «أجل لقد حملته، إلا أنك لست وريثة له، فلا يتعادل الأمران».

«فإنما الأمران لا يتعادلان، أنت تحمل طيف الماء فقط ولست وريثاً له؛ لذلك حمله لألفيات لا يعادل حمل الوريث الحقيقي له».

لم يعلم يوماً أنها ماهرة في الجدل؛ لطالما كانت صامته خلال الألفيتين أو الثلاثة التي عرفها فيها، لم تتحدث كثيراً أو تُبدي رغبة أو رأياً. ما زال يذكر صدمته عندما ظهرت له قبل قرنين وهي تحمل الشاعر فيها، مطالبةً بحنها وأمانتها التي لديه، لتختفي قرنين كاملين ثم تزوره مطالبةً إياه بحمل الأمانة مجدداً.

عدا أن رؤيتها هكذا كان أمراً جميلاً، هو لم يبغضها يوماً، لكنه رثى لحالها؛ دمية بلا روح فيها تتحرك وفق أوامر والده. عدا أن هذه المرة هي لا تتحرك وفقاً له، ليست تقا تل من أجل عهدٍ قطعت له، بل رغبةً في حماية من أحببت، آخر من تبقى لها على الأرض. هي تعلم يقيناً أن مسعاها لن ينتهي بغير عليها، إلا أنها ستنتقل إليه بكامل قوتها ويقينها، هي تفعل هذا من أجل تلك الفتاة وليس لأحدٍ آخر.

تحدث مينوس للطيف داخله قائلاً:

«لتجعلني مخفياً».

«لا أرغب».

مينوس: «أيها المضرور، لا يجب علينا المشيئة في قسرة الأرض غير
إيجازها بسرعة».

انطيف: «هي من أخلفت الوعد ولم تأت، لا يهمني ما يحدث».

مينوس: «حقاً! أنت أسوأ من طفل. أرغب بأن تسيطر أورا على
الأرض؟ ولا تنسَ حياتك للانطيف، لقد أسهمت في إزهار شجرة
في الماء لميزويا ومنها أزهرت الين، لو أنك تشمر بالندم على تصرفك
الأرعن هذا، فسأهم لإنهاء الحرب».

«لا بأس، سأخفيك».

تدثر مينوس بالماء الذي كسر الضوء من عليه فيختفي عن الأبصار،
لينتقل بين المخلوقات باحثاً عنها. تطلخت قدماء بدماء تدفقت على
الأرض، ومن بين الأموات وأشلاء الأبدان سار بحذو هذه المشاهد
ليست بجديدة عليه، فلقد أمضى حياته يعلن الحروب ويدشنها، بل
هو أعلن الحروب على الإمبراطوريات لقرون طوال، وبفضله نهضت
حضارات ونُحِست أخرى. وعلى الطرف الآخر من الجزيرة وعلى
أعتاب نعيم وجدها ملقاة على الأرض فاقدة للوعي، واللون الأسود
سيطر عليها. اتجه نحوها بسرعة مُظهرًا ذاته، ثم اقترب منها ليشر
بأنفاسها الضحلة، قائلاً للطيف:

اطفاء

«هل يتركك إنقاذها؟»

«أنت لست،» «أنت لست،» «سأبذل السهم منها وأعيد لها ذكرها».

«لما أبطل منوس إخراج الطيف منه، هو شعور مزج بالنسيب كل
جزءه وكنهه لخارج بدنه، ليرافق هذا الالم عظيمة تكتسح بدنه وتتدفق
عبر دماؤه، فتتناقل أنفاسه وتغيب منه، ليشعر كأن روحه تكاد تفسحل.
ثم يندفع كل العذاب صوب وجدانه لينقل على هيئة الطيف الذي بات
الآن خارج بدنه وبين قبضته، ليزاح الوصب من عليه وتخف الأوزار
التي أثقلت بدنه، ما إن خرج الطيف منه حتى قدمه لها، واضمًا إياه حيث
لقدما، ليتنفس جسدها بركة للحظات، ثم يهد كل جسدها عرقًا أسود
اللون، لتستعيد لونها الأبيض معه فتتنفص مستيقظة من إلهائها لاهثة،
ناظرة إليه باستنكار للحظات ثم تغيرت عنها ليقين قاتلة:
«أنا أذكرك، ابن ثادياس».

منوس: «لقد تخلفت عن الموعد، سيينا».

«ذلك الوغد حورا، سأقتله، هل فتالي بخير؟»

منوس: «لقد أنقذناها كما وعدتلك».

سيينا: «شكرا لك، هل يعلمون عني؟»

«إنهم يقسمون على قتللك».

«لا أرغب».

مينوس: «أيها المغرور، لا يجب علينا الاشتباك في قتال الآن، علينا إيجادها بسرعة».

الطيف: «هي مَنْ أخلفت الوعد ولم تأتِ، لا يهمني ما يحدث».

مينوس: «حقًا! أنت أسوأ من طفل. أترغب بأن تسيطر أورا على الأرض؟ ولا تنسَ خيانتك للأطيايف، لقد أسهمت في إزهار شجرة في الماء لـ ميزويا ومنها أزهرت الين، لو أنك تشعر بالندم على تصرفك الأرعن هذا، فساهم لإنهاء الحرب».

«لا بأس، سأخفيك».

تدثر مينوس بالماء الذي كسر الضوء من عليه فيختفي عن الأبصار، ليتنقل بين المخلوقات باحثًا عنها. تلطخت قدماء بدماء تدفقت على الأرض، ومن بين الأموات وأشلاء الأبدان سار بحذر؛ هذه المشاهد ليست بجديدة عليه، فلقد أمضى حياته يعلن الحروب ويدشنها، بل هو أعلن الحروب على الإمبراطوريات لقرون طوال، ويفضله نهض حضارات وخُصفت أخرى. وعلى الطرف الآخر من الجزيرة وعلى أعتاب غنيم وجدها ملقاةً على الأرض فاقدةً للوعي، واللون الأسود سيطر عليها. اتجه نحوها بسرعة مُظهرًا ذاته، ثم اقترب منها لبشر بأنفاسها الضحلة، قائلاً للطيف:

«هل يمكنك إنقاذها؟»

الطيف: «انقلني لها، سأبذل السمّ منها وأعيد لها ذكرياتها».

لطالما أبغض مينوس إخراج الطيف منه؛ هو شعور مزرٍ بانسياب كل وجوده وكيانه لخارج بدنه، ليرافق هذا آلام عظيمة تكتسح بدنه وتتدفق عبر دمائه، فتشاكل أنفاسه وتغيب منه، ليشعر كأن روحه تكاد تضمحل. ثم يدفع كل العذاب صوب وجدانه لينفلق على هيئة الطيف الذي بات الآن خارج بدنه وبين قبضته، ليزاح الوَصَب من عليه وتخف الأوزار التي أثقلت بدنه. ما إن خرج الطيف منه حتى قدمه لها، واضعًا إياه حيث نزلها، ليستفض جسدها بركةً للحظات، ثم ينبذ كل جسدها عرقًا أسود اللون، لتستعيد لونها الأبيض معه فتنتفض مستيقظة من إغماؤها لاهثة، نازلةً إليه باستكار للحظات ثم تغيرت عيناها ليقين قائلةً:

«أنا أذكرك، ابن نادياس».

مينوس: «لقد تخلفت عن الموعد، سينا».

«ذلك الرغد حورا، سأقتله. هل فتاتي بخير؟»

مينوس: «لقد أنقذناها كما وعدتك».

سينا: «شكرًا لك، هل يعلمون عني؟»

«إنهم يُسمون على قتلِكَ».

«جيد إذن، فهذا يخفف الألم. أين هم؟»

مينوس: «نامار وسيون مشتبكان في معركة مع أورا».

شعرت سينا باقتراب مخلوق إليهم، لتنهض مسرعة مخفية ذاتها باستخدام الطيف فيها. لحظات وظهر سكارم متسارعاً صوب مينوس ليقبض على عنقه رافعاً إياه في الهواء، ومن بين حنقه قال:

«أيها الخائن الذليل، سأنتزع أطرافك وأقودك للموت بذاتي».

على حين غرة شعر المخلط بضربة نحو عنقه، ليُحال العالم لظلام، فيما سقط مينوس على الأرض، لتُظهر سينا ذاتها قائلةً:

«ارحل الآن مينوس، وخذ معك بشرتك، لقد انتهى دورك. الآن اذهب وعش حياتك حرّاً من كل أوزارنا».

تولت سينا عنه بقلب مثقل، فيما استوقفها الآخر قائلاً:

«أحقاً لن أراك مجدداً؟»

لم تلتفت سينا إلا أنها أجابت:

«أدين لك بالكثير يا مينوس سليل ثادياس، وداعاً».

ثم انطلقت حيث ينتهي قدرها.

نهوض التماثيل من الأرض أصاب أريو وليسين باليأس والعجز؛ الله ظناً أن لديها اليد العليا في هذه الحرب إن تمكنا من إبعاد الجان عن أرض

للمركة، وإن تمكنا من السيطرة على الجزيرة فإن النصر حليفهم. وكم
كانا ساذجين لاعتقادهما هذا! ها هي أقوى أسلحة العدو تنهض من
الأرض مثيرة الفزع في الأرجاء، إلا أنها لم يمتلكا الوقت للتفكير حيث
إن أقوسيانا أقبل إليهما بهجوم آخر.

ابتعدا عن بعضهما البعض، فأطلق أريو حباله صوب خصمه ليتلافها
مندفعًا صوب لييين، لتضرب الأرض بدورها فتنبعث منها حبال ورقية
نمكت بتناغم مندفعًا كالسيل صوب أقوسيانا، ليحيد عنها دافعًا بهجوم
له إلى لييين لتبتعد عن دربه ويكون أريو له بالمرصاد. لَوَّح بسيفه إلى
اليمن ليصده بدرع من لحاء شجر غليظ حطم السيف. في تلك اللحظة
طوقت لييين بدن الخصم بطين أحكم قبضته عليه، وبسرعة كبيرة غرز
كل من أريو ولييين أشواكًا لهما في عنق أقوسيانا دافعين بخصائص أزهاره
الخدرة فيه لعله يمحمد قليلًا، إلا أنه دفع برحيق الشونيز في دمانه ليدحض
أزهارهما. لم يسبق لهما أن قاتلا خصمًا عنيدًا أبدًا مثل هذا البين.

نجاة تجمد أقوسيانا حيث هو، ناظرًا للسماء بصمت، وبالرغم من
أنهما يعلمان أنه لا ينبغي إدارة ظهرهما للعدو، إلا أن كلاً من لييين وأريو
لم يفاوما النظر للخلف عندما تعالت أصوات صفقات الأجنحة في
الأرجاء كلحن نصرهم يقترب. وجدا سربًا من الغربان السود تندفع
بسرعة صوب أرض معركتهم؛ لقد حجبت عظيم أجنحتهم السماء

منذرة بالشؤم، ولا جان مشؤوم مثل عشيرة عنقال المهيبة. سواء أكانوا
هنا كحلفاء أم أعداء، فلا يمكن إنكار حقيقة أن مشهد إقبالهم بدا مهيباً.
بغثة شعراً بخطر يقبل إليهما ليثبا للخلف، ويجدا أن خصمهما قد أفلت
من قبضتهما وتحرر من الطين الذي أسره، ليضيق الاثنان ذرعاً به. نظرت
ليبين صوب أريو قائلة: «هلا أنهينا الأمر؟»
«لنفعل إذن».

فوراً بعثر الاثنان بتلات أزهارهما لتختلط البتلات الحمراء بالزرقاء،
ليبدوا مثل إعصار من بديع الربيع. عصفت البتلات حول أقوسيانا
لتأسره داخل زوبعة من بتلات حادة كالنصل، لتصيبه بجروح بليغة في
بدنه. وفيما شغل ذاته بمحاولة صدها حتى لا تقتلع رأسه؛ إذ بكيانين
يلجان لداخل الزوبعة وبسرعة كبيرة ليتم تقييد كل من أطرافه بالحبال.
وقبل أن يتحرر، إذ به أريو يدفع بسيل من الماء إلى فم خصمه ويدفعه
صوب رتيه ليبدأ أقوسيانا بالغرق مكبلاً غير قادر على الهرب أو إنقاذ
ذاته. وبالرغم من هذا إلا أن الفزع لم يُصبه، كأن الموت لا يعني له
شيئاً. وفيما بدأ بدنه بالتخبط، وخوفاً من أن يفلت منها مجدداً، قبض
كل من ليين وأريو على الحبال التي كبلت أطراف عدوهما، وبسرعة
وعنف كبيرين جذبا الحبال مبتعدين عن أقوسيانا ليتترعا أطرافه، فيقع
جذعاً بلا أطراف. وبسرعة حمل أريو سيفه المحطم دافعاً به صوب قلب

نصمهم، إلا أن الآخر درّع موضع قلبه بلحاء غليظ ودعّمه بالعديد من بنلات الأزهار ليعيق السيف عن طعنه. حينها وثبت ليين وهوت بقدمها وكامل بدنهما على مقبض السيف ليهوي حيث قلب آقوسيانا، ليصق الدماء من فمه ويفارق الحياة دون صوت أو مقاومة تُذكر؛ لقد ظلّ مسلوب الإرادة حتى النهاية.

ما إن تأكدا أنه قُتل حتى خرّا أرضاً منهكين، سعيدين بانتصارهما ونارهما. بالرغم من أن نار ليين لم يكتمل بعد؛ فلديها نار مع واردون إلا أن هذا يكفي للآن، هذا الانتصار سيُسبّعها البعض الوقت. أما أريو، فلا أول مرة يشعر بأنه حر من الماضي، بأنه تحرر من ذنبه، وبهمسٍ دامع قال:

الزفندي بسلام الآن يا أمي.

على حين غرة اهتزت الأرض بالقرب من أريو وليين وغابت أشعة الشمس عنهما، ومن دون الحاجة للالتفات رأيا تمثالاً كبيراً يهوي عليهما لهماجنهما، ليستنفضا مبتعدين عن الموت القريب، إلا أن التمثال خرّ أرضاً بعد أن أصيب بنيران سوداء من سعير، ليظهر إلهاب ذاته متبسّماً بإرهاق قتلاً: أما زلتما حيين؟.

لزي: أما الذي أخرك؟

لزي: أن أسمع حول الأرض وأعبث قليلاً قبل أن آتي، فما شأنك؟

ضحك أريو من حديث إيلهاب، لتردف لييين:

«هل أنت من أحضر الغربان السود معك؟»

إيلهاب: «أتقصدين هم؟ إنهم عشيرتي، آل عنقال قدموا الدعم لنا في حربه، التقيتهم في الجزيرة وأقسموا بولايتهم لي».

أريو: «لا بد أنك فخور بنفسك».

إيلهاب: «بالتأكيد أنا كذلك».

«مغرور».

إلا أن لحظة الراحة قد انتهت ما إن انبثق من البركان لهب أسود كظيم، ليعود الثلاثة لوعيمهم؛ هم ما يزالون في الحرب.

من دون أي حوار، انطلقوا مسرعين حيث سيون ونامار.

حلقت غاريننا في الأجواء تبحث عن رفاقها، الآن وقد نهضت التماثيل أصابها القلق على مصيرهم. لقد قادت جيشها على حدود الجزيرة وقاومت الأعداء بما لديهم من قوة، إلا أن جيشها تبعثر ما إن نهضت التماثيل، ولأن غالبية جيشها هم البشر، فلقد قضى الكثير نحبهم. بالرغم من محاولتها لإنقاذهم إلا أن محاولاتها كانت بلا طائل، فكيف لبشر ضعاف هزينة مخلوقات أبدية؟ بل كيف لهم الوقوف بثبات أمام تماثيل مهينة كالتي اجتاحت الجزيرة؟ لذلك لم تغضب غاريننا من لاذ بالفرار منهم فور رؤيته التماثيل، أما من قضوا نحبهم فلقد نالوا حريتهم بطريقتهم الخاصة.

والآن وهي بلا جيش تقوده، اتجهت بحثاً عن توارزه. في تحليقها رأت بعين الصقر فيها سكارم ملقى على الأرض من غير حراك، لتهبَّ إلى نجدته والخوف متملك منها. هبطت إليه فوراً تحمله بين ذراعيها، باحثة عن آثار لأي إصابة أو جرح، إلا أنه سليم دون أي خطر عليه لتنفس الصُّعداء، عدا أن فقدانه الوعي بهذه الطريقة في أرض القتال ليس أمراً يمكن تجاهله. ربت غارينا على وجنته عدة مرات مناديةً اسمه، ليقبض حاجباه بانزعاج، ثم فتح عينيه المثقلتين بالنوم ناظرًا لها ليهمس بإسماة اعتادات التسلل إلى شفثيه كلما نظر إليها: «غارينا».

ثم انتفض من مكانه كمن استفاق من سُكره ممسكًا كتفها قائلاً: «هل أنت بخير؟ لماذا أنت هنا؟ هل تأذيت؟»

كم أحببت اهتمامه بها! وضعت كلتا يديها على وجهه قائلة:

«أنا بخير أيها الناعس، بل أنا من يجب عليها القلق عليك، لماذا وجدت هنا فاقداً الوعي؟»

هنا ارتعد على قدميه قائلاً: «مينوس! أين هو؟ هل رأيته؟»

«لا، ما الأمر؟»

«ذلك الخائن لقد فرَّ من نامار وسيون، وعندما أمسكت به فقدت

وعمي».



شعرت غارينا بالذعر يسيطر على فؤادها، قائلة:

«ليس الآن، لماذا نتعثر كلما اقتربنا من النهاية؟ لماذا لا نستطيع أن نطال ما نبتغي ونحيا بحرية؟ ألا يحق لنا قليل من السكينة والراحة؟»

دنا سكارم منها قائلاً فيما حمل يديها في يديه:

«لم ينتهِ الأمر بعد، ما زلنا أحياء، أليس كذلك؟ هذا يكفي لنستمر بالقتال حتى آخر رمق فينا. المخلوقات جمعاء تتحرك وفق هدف ورؤية واحدة: غدٌ حرٌّ من أوراء؛ لذلك لم ينتهِ الأمر ما دام هنالك مخلوق واحد يصرخ بالحرية.»

غارينا: «لن ينتهي الأمر إلا بموتها.»

«لنفعل إذن، عندما يحين الوقت الآن أو بعد حين سندمرها، حتى لو تبقت لنا ثوانٍ قليلة في الحياة ننعم بها بالحرية، ألا يكفي هذا؟»

مسحت غارينا دمعها قائلة:

«كل أزمنة العالم لا تكفي معك يا سكارم، إلا أني سأرضى بالثوان.»

انطلق الاثنان تجاه الجبل لينضما إلى رفاقهما.

داخل الفوهة تواجد سيون ونامار بمواجهة أوراء. فردّ الجان جناحيه الأسودين ملوحًا بمنجله نحو أوراء لتصنع ريمًا تندفع من الأرض فتقذف بـ نامار للأعلى وخارج الفوهة. هبّ سيون مهاجمًا إياها بسبل

من المياه، لتزهر طحالب تمتص الماء ثم تعيد بعثه للنيلوفر، وحين تفادها
أبصر بطرف عينه أشواكاً سامة تندفع نحوه، ليصدها عنه بحبال من
النيلوفر مبعداً أذاها، إلا أنَّ واحدة اخترقت حباله هادفةً قلبه. وقبيل
أن نلمسه احترقت غيظاً أكحل؛ فيكون نامار متصدر الهجوم هذه المرة،
لتهوي رماح مشتعلة بغضبه صوب أورا فتدرع بيدنها بلحاء غليظ، إلا
أنه اشتعل نيراناً سوداء، وإذا بالجنان يلقي بقبضة نارية مزقت حصنها
الخشي لشظايا.

إلا أنها لم تكن خلفه، ليشعر سيون بحركة من خلفه فيبتعد، إلا أنَّ
خصمه بات أسرع منه فهي تمتلك الريح الآن؛ لذلك عصفت بزوبعة
من حوله قاطعةً عنه الهواء ليبدأ النيلوفر بالاختناق. دون تزعزع أو
اضطراب، بعث سيون بالماء سيلاً يلتحم مع الإعصار، ليحكم قبضته
على الماء ويحمله لصقيع متجمد أوقف معه الرياح الهوجاء ليستعيد أنفاسه
مجدداً، ثم حطم الجليد لتكون شظايا يستعين بها في قتاله. إلا أنَّ حذسه
نبأه بخطر قادم إليه ليعتد فوراً، كذلك فعل نامار، وحين أبصرا سائلاً
أسود يُقذف إليهما أحرقه الجان فوراً لتنبعث في الأرجاء رائحة كريهة
ميزها سيون فوراً؛ ليكون حورا المشؤوم أمامهم قائلاً:

«أورا، لتقرّي من هنا، أنا سأصدهما عنك».

وبسخرية وابتسامة خبيثة أجابت:



«أنت حورا الواهن والرديد مَن سوف يدراهما عني؟ كم هي مهزلة حقاء!»

شعر حورا بألم الخيانة في روحه، ليجيب متألماً:
«أعلم أي لن أنجو، إنما..».

أورا: «اذهب وأخير المخلوقات في الخارج ما عاقبة إنثائي». ارتعد الآفاري ناظرًا إليها بذعر غير مسبوق، لتردف متبسمه بمكر نجس:

«أخبرهم ما يصيهم إن تلاشيت عن الأرض، ولنر هل هم مستعدون لدفع ثمن هذه الحرية التي يصرخون بها أم لا؟»

انطلق حورا من دون قول أي شيء، ليعاود نامار وسيون قتالها مجدداً، إلا أنها توقفا فوراً ما إن بسطت ذراعها أمامها، ومن قبضتها أظهرن فؤاد سيون النابض في يدها. تبسمت بخبث مختل قائلة:

«أعلم كم انتظرت لحمل هذا الفؤاد بين يدي؟ يا ترى ماذا سيحدث إن اعتصرته قليلاً؟»

قبضت يدها فشعر سيون بفؤاده يُعتصر ويُسحق، وبعبذاب عظيم يكتسح وجوده، وودّ لو أنه يصرخ لتخفيف هذا الألم، إلا أنه ما كان ليمنح أورا الرضا برؤيتها تتحكم به وبمصيره. هرع نامار لمهاجمتها إلا



أبها مدته بفؤاد سيون لتحرك يدها صوب الجان، ليقع القلب به
 أورا! لقد اتخذت من قلب سيون رهينة تهدد بها نامار، ليتوقف فوراً
 عن الهجوم والحقن ملأ روحه؛ فهو عاجز عن قتلها دون إيذاء سيون أو
 الشب في موته. تعالت حينها ضحكات أورا المشؤومة طرباً ورضاً مما
 صنت، لتقول من بين ضحكاتها: «هل تعلمان ما ثمن إزالتي؟»
 نامار: «لا يهمني الثمن، سأقتلك فحسب».

«لا تكن واثقاً أيها الغضب، إنه وزر أكبر من أن تتحمله أنت من
 لديه مخلوق هجين مني. أراهنك، لن تجرؤ حتى على لمسي إن علمت
 ما العاقبة، بل لعلك تصبح جندياً مخلصاً وتحمي وجودي؛ لأنني أبيع لا
 لأرحل من دون ثمن».

كثر نامار عن أنيابه مجيئاً:

«أفضل أن أحترق في جحيم أبدي على أن أمسي جندياً لك، فلا
 نتملدي كثيراً على هذه العاقبة التي تدعين، فلسوف أهلكك مهما كان
 الثمن».

تبسمت أورا:

«لنقط في سبيل المتعة سأخبركما، ثمن فنائي هو...».

ذعر كل من سيون ونامار مع كل كلمة نطقتها؛ هذا لا يمكن، ببساطة



ما تقوله كذب، لا يمكن لهذا أن يكون حقيقة! هما لم يقضيا كل هذا الوقت في حرب يكون هذا ثمنها. نظر سيون إليها قائلاً: «أنتِ تكذبين». أورا: «أيها النيلوفر العزيز، هل أنت مستعد للمخاطرة بكل شيء في سبيل أن تثبت كذبي؟»

لقد عقدت أورا حول عنقهما حبل المشنقة بتصرّحاتها، وسحفت روجيهما بلا رحمة أو شفقة.

ظل بالاي يقاتل مع عشيرة عنقال ضد التماثيل والمخلوقات أجمع، في انتظار قدوم الدعم من الجان بقيادة بارموث. وبالرغم من انغماس في القتال لمح بطرف عينه مأرب انتقامه؛ هي مَنْ كانت السبب في فقدانه ابنه زالجون على مرأى من عينه، أبصر هيرانم، لتقع عيناها معاً وتلوذ بالفرار خشيةً منه، ليطاردها بالاي حتى انتهى بهما الأمر في تلك البقعة، داخل كهف شهدت جدرانها أول لقاء لهما، لتمسي علاقة مشؤومة مسمومة تأكلتهما من الداخل حتى فنيا، عدا نعيم وحيد هو ما نتج من هذه الرابطة، ألا وهو ابنهما. هبط بالاي نحو الكهف ليرى هيرانم تنظر إليه دون أي رغبة في القتال، قائلةً:

«هل أنتِ تبغني حياتي؟»

«أحقاً تطرحين هذا السؤال؟ بعدما قممتِ به؟»



«لقد كان فؤادي بين يدي ميزوياً، ما كان باليد حيلة». بالاي: «لا أرغب في سماع أعدارك، ولست أرغب في أيٍّ منها. لقد أحرقتُ فؤادي، وسأحرقك كذلك».

ميراثم: «أحرقتُ فؤادك بخيانتني لـ باسيلييا؟ من أجل هذا فقط أحرقت فؤادك؟ ألم أعنِ لك أكثر من هذا ذات يوم؟ والآن ترغب في إجرائي من أجل مملكة لا ننتهي إليها؟»

من أجل باسيلييا؟ من أجل خيانتك؟ أعتقدين أن هذا كافٍ لحرق فؤادي؟ كل هذا لا يهمني».

بسخطٍ غير معهود خطى بالاي نحوها لتراجع للخلف في دعر، لضع قبضته حيث وجدانه ضارباً إياه مع كل وقع كلمة أفنت روحه:

«المخلوق واحد هو مَنْ عني لي كل شيء، مخلوق وحيد مَنْ مِنْ أجله حيث. بالرغم من أنك لم تحبيه يوماً، بالرغم من أنه لم يعنِ لك شيئاً، إلا أنه كان شعاع حياتي؛ هو ابني أنا!»

صرخ بالاي من ألم قلبه المهشيم ليردف:

«لقد كان ابني أنا! زالجون ضوء عيني، قتلته أنت بخيانتك؛ لأنه لم يرغب أن أوصم بالخيانة انطلق بين البراكين ليصل إليّ، لينبئ الملك بخيانتك حتى يحميني منك؛ نبذ حياته. لقد تلاشى أمامي! أمامي أنا!

أُحِيلَ لدخان على مرأى من عيني! هبت لإنقاذه، حاولت لسه، جب
أسيرًا بين ذراعي فلا يخدم لهيبه، إلا أنه تلاشى لعدم لن تظله يداي، لم
أتمكن من الشعور به بين ذراعيّ لمرة أخيرة، لن أرى ابتسامته مجددًا. لقد
سلبت مني حياتي يا هيرانم! على مرأى من عينيّ هيرانم! لقد سرقني
مني بهجة روحي ووجودي! كنت لأقدم كل حياتي، وجودي، كباني،
وروحي من أجله هو، من أجل نبضة واحدة من فؤاده، من أجل أن أشعر
بأنفاسه على الأرض مجددًا. تلاشى على مرأى من عينيّ يا هيرانم!

كم هو مثير للسخرية أن يبحث عن السلوى من الوَصْب فلا يجده إلا
عند مَنْ ييغض؛ مَنْ سلب منه بهجة وجوده. لقد صمت بالاي عن آله
طويلاً، لينفجر باكياً بين قدمي مَنْ قتلته. لقد وجد السلوى في صراخ
عليها، وبالرغم من أن الرابطة بينهما قد تلاشت، إلا أنها كل ما يعلم من
مشاعر؛ لينهار باكياً عند قدميها، ليشعر بجسدها المرتعد أمامه، وتهمس
بلملم قائلة:

«لا، لا، لا، هو لم يمُت! زالجون لم يمُت! ابني لم يمُت!»

لتخرّ أرضاً وجهاً لوجه مع بالاي، الذي نظر إليها فوجد الجنون فيها!
لقد رأى في عينيها ما لم يره طيلة الألفيات معاً: مشاعر صادقة، خالصة،
مؤلمة. قبضت على كتفي بالاي لتغرز أظافرها فيها صارخة:

«لماذا لم تنقذه؟ لماذا لم تنقذ ابني؟ لا، أعد لي زالجون! أقسم أني أحبه،

لهم اني سامنحه كل فؤادي وروحي ووجودي! اعيدوا لي ابني! بالاي
أعدلي زالجون فانا أحبه، أعدله لي أقسم اني سأكون أمًا له، لا بل خذ حياتي
وقدمها له، خذ كل أزماني وامنحها له! أعدلي من لم أفقه حبه يومًا، أرجوك
بابالاي، أقسم بأن أقدم وجودي له، فقط أعدله لي... أرجوك أعدله لي...
نظر بالاي إليها دون أن يعلم ما يشعر به نحوها؛ لقد كانت صادقة
لذة في حياتها التعبسة. نهض مبتعدًا عنها، فيما ظلت تنحب في الأرض
ناره فقيدها، قائلاً:

«لعل الحياة عقاب كافٍ لك. وداعًا هيرانم».

انطلق آريز لإيجاد المدعو مينوس، لكن بلا فائدة؛ لقد ابتلعت الأرض
فلم يجد له أثرًا يُذكر، كما أنه انشغل بالقتال ضد التهايل مع كتيبة نيدرلين.
شيء ما فيه نبأه أن يُبقي عينيه عليها، فحذسه يحذره منها؛ لقد علم أنها
مفرورة تنعش للاهتمام؛ لذلك قد تُمسي رعناء من أجل نظرة إعجاب
وتقدير من المخلوقات.

بفئة تبدلت الأجواء من حوله؛ لوهلة سكنت الأصوات وتوقف
القتال، ومن بعيد أقبل مخلوق أسود اللون. ارتعدت المخلوقات مبتعدة
بضع خطوات، إلا نيدرلين التي أقبلت نحوه مطلقة عددًا لامتناهياً من
البنج الأسود قائلة:



«هل أتيت لموتك يا حورا؟ لأقتصن لكل البن الذين استعبدتهم،
لأنهن حياتك بوحشية لم ترها من قبل».

حورا: «أدعيني بالوحشي؟ في حين أن كل ما قمت به كان لحماية
أورا وحمايتكم أيها البن».

تعالت ضحكات نيدرلين مجيبة:

«أحقاً تصدق هذا؟ حمايتنا! يا لها من مهزلة. أنت و أورا استغللتنا
أفئدة البن منذ أزهرنا، بل لقد أزهرتنا أورا لتحظى بالأرض لها، لقد كنا
كقطيع مواشي لكما، ثم تتحجج بكل وقاحة بالحماية؟! أي حماية تقضي
بقتلنا، استعبادنا، إخراجنا، وأسرنا؟»

«هل تساءلت يوماً عن سبب عدم إقدام نادياس على إزالة أورا، في
حين أن الأطياف كلها وفق أمره؟ لقد حمل طيفي الماء والريح، كما علم
بحامل طيف النار زابنيل، فلماذا لم يُنه عناءكم منذ أمد؟»

شعرت نيدرلين كأن أحداً صفعها؛ لقد طرح حورا سؤالاً منطقياً ولم
تجد له إجابة. أردف قائلاً:

«أتعلمين لماذا حرركم دون أن يطالبكم بالقتال؟ حتى بعد اكتمال
الأطياف لم يبادر بالقتال، أتعلمين لماذا؟ لأنه لم يرغب في حمل وزر ما
سيحدث عند تدمير أورا. لقد أخبرك بحقيقتها على أمل أن تثيري ثائرة

البنُّ مبتعدين عن أصلكم، أراذكِ أن تكوني كبش الفداء لخطته في حال
ثلث، فلم يُعد إليك مطالبًا بالقتال خوفًا من أن لا يملك الشجاعة
لتحمل نتيجة أفعاله، فمضى في الأرض قائمًا بالقليل هنا وهناك ليخلص
ضمره من الذنب. لكن الآن يا نيدرين، أنتِ تملكين القدرة لتكوني بطلة
خفية، لتنفذي البنُّ من شر أفكار نادياس. كل ما عليك فعله هو حماية
أورا، أنتِ ومن معكِ من البنُّ، لتحموها من سيون ونامار.

نيدرين: «ولماذا قد نفعل هذا؟»

نيسم حورا خبثًا مكرًا:

«لأن الحقيقة أن إنهاء أورا يقود إلى...».

شهقت المخلوقات ذعرًا عندما أخبرهم حورا بالأمر، غير عالمين
الصدق من الكذب، لكن هل هم مستعدون لتحمل عاقبة عدم
نصديقهم؟ لم يتنظر آريز ليعلم الجواب، فلقد انطلق مسرعًا حيث الجبل
منزلًا نامار وسيون بما يحدث.

وقف كل من سيون ونامار في فاجعة من الحقيقة التي ألقت بظلالها
عليهما؛ الأمر مستحيل فحسب. وقبل أن يستيقظا من فاجعتهما، دفعت
أورا بسيون لجدران الكهف لتثبته بفرز أشواك غليظة في جسده، ليتأوه
الويلوفر وتتأجج عيناه حنقًا. ألصقت أورا ذاتها به واضعة يدها حيث
فؤاده، ومن خلفها نامار يقصدها بمنجل متأجج، إلا أن أورا أطلقت



حبالها وأشواكها متحركة برعونة في الأرجاء لتمنع تقدُّم الجان إليها.
نظرت إلى سيون قائلةً:

«أنت مَنْ كان له قدر ورثي يا سيون، أنت من اصطفيتُ لي، ورثي
أنا، لتحملني فخراً بين أضلعك، لتمتزج روحانا معاً. إلا أنك عصيٌ نلّي
الرضوخ فلم تمنحني فؤادك، والآن سوف أعيده لك..».

قبل أن تكمل حديثها كانت قبضة نامار تخرق جسدها لتشتعل نازاً
سوداء، ومن بين هذا اللهب تبسمت خبثاً فيما غرزت يدها لداخل جسد
سيون واضعةً فؤاده في مكانه، هامسةً بأنفاس الموت:

«سأكون معك الآن، داخلك».

تعالى صوت الصراخ من أعلى الفوهة، رفع سيون عينه للأعلى ليرى
أربو القاتل:

«سيون، اهرب!»

لرَّح نامار بمنجله فاصلاً يدها عن جسدها المحترق لهشيم، في ذات تلك
اللحظة تعالت صرخات الثيلوفر وَصَبًا. هبط أربو وَمَنْ معه نحو الفوهة.
شعر سيون بالكون كله داخل جسده؛ وزر العالم كله يقبع داخله،
يسحقه، يمزقه مرارًا وتكرارًا، ليعيد بناء بدنه ليحطمه مجددًا ثم يرمم
ذاته عدة مرات بعدها.

وجد النُّيلوفر ذاته ينظر للعالم من أعالي السماء، محلّقًا بين الغيوم سابحًا بين الأشجار، عاصفًا بالزوابع والأعاصير؛ هو الكون كله. ثم تم جذبه بقوة صوب فضاء مضيء بتجمعات النجوم السابحة، وبأرض فُرشت أزهارًا مضيئة بكل الأشكال والألوان، وبينها سَبَح خيال ذو لون أخضر وبلا هيئة ليهمس له:

«أنت لي الآن سيون».

هذا الهمس الخبيث يحمل صوت أورا؛ هي داخله الآن. ارتعد سيون ذعرًا واشتمزأًا، لتعصف الرياح قوية مبعثرة النجوم والأزهار، فيظهر أمامه طيف أصفر اللون قائلاً:

«انهض، لا تدعها تنال منك».

حينها أفاق سيون منتفضًا مذعورًا، ليجد أريو الجزع أمامه يحمله بين ذراعيه. تنفس النُّيلوفر الصُّعداء إلا أن أنفاسه آلت ضلوعه، نبضات قلبه باتت قوية حتى إنه شعر بفؤاده يكاد ينفلق، بل هو يحمل فؤادين داخله الآن. أما جسده فبات ثقیلاً حتى ما عاد النُّيلوفر قادرًا على رفع ذاته. دفعه أريو مساعدًا إياه للجلوس قائلاً:

«هل أنت بخير؟»

لم يُجِب سيون فيما ظل يحاول استعادة أنفاسه، ناظرًا لوجوه مَنْ حوله والتي حملت عظيم الاضطراب والهلع، ليجيب بهدوء لم يُخَفِ خوفه:



«إنها داخلي، أورا وطيف إنها داخلي!».

أريو: «أخرجها من داخلك، الآن!»

نامار: «سأستأصلها منك».

مدَّ نامار ذراعه الملتهبة نحو سيون، إلا أنَّ الطيف داخله همس: «لا تفعل».

توقف نامار متسائلًا: «لماذا؟»

«للاطيف إرادة».

«أتخبرني أني لا يمكن لي انتزاعها ما لم ترغب بهذا؟»

«أجل».

نامار: «ماذا عن طيف ليين؟ لقد تم انتزاعه منها رغماً عنها».

الطيف: «رغماً عن الفتاة، وليس عن الطيف».

«تَبَّاً لهذا!»

إيلهاب: «ما الأمر؟»

«لا يمكن نزاعها دون إرادتها، قد تؤذي سيون».

سيون: «لنرحل من هنا الآن، لنفكر لاحقاً بما سنفعل».

تحرك النيلوفر لينهض، فيشعر بجسده يفتت من الداخل، ليفشى عل

بهره من فرط الوَصَب فيخِرُّ أرضًا رَغِمًا عنه، قابضًا على صدره حيث
الأم أعظم من سائر جسده. تَلْقَفُه أريو قبل أن يهوي أرضًا ليدعم بدن
والده قائلاً بذعر سكن روحه:

«أخبرني كيف أساعدك؟»

ليهمس سيون: «إنه وزر ثقيل».

أسند أريو والده من إحدى كتفيه فيما أمسك إلهاب بالأخرى، أما
نامار فقد صنع من تحتهم سحابة دخان مخلقا بهم للأعلى. ما إن أصبحوا
عند فوهة الجبل حتى أقبل إليهم سكارم وغارينا، ومن خلفهما يالدا.

ما إن وقعت عينا نامار على يالدا حتى اكتسحه الشوق؛ لم يخيل
إليه يومًا أن يلتقيا هكذا مجددًا. لسبب ما، رؤيته يخلق في السماء ضاربًا
بجناحيه المتضادين أصابت نامار بالأسى على ما فعله به، ولكن ها هو
الآن يقف أمامه مخلقا بكل فخر. لم يعد الجان الذي عرفه قبل ألفيات،
بالرغم من أنه حافظ على هيئته، عدا أنه مختلف؛ أكثر حكمة، نضجًا،
وقوة، يبدو كقائد مخلق في السماء. وقبل أن يتمكن من قول أي شيء له،
إذ بآريز يقدم إليهم:

«ماذا حل بأورا؟ هي لم تنف، أليس كذلك؟»

نامار: «كيف لك أن تعلم؟»

«حورا، أخبر المخلوقات».

سيون بذعر: «هل صدقوا قوله؟»

آريز: «هم يسعون إليكم الآن، سوف يقتلونكم إن استدعت الحاجة. احملوا معكم كل مَنْ تثقون به وابتعدوا فوراً».

لم يع أحدٌ من الفتية ما يتحدث عنه آريز، فلقد بدا كأنه يتحدث بالطلاسم؛ أتى له أن يقول إن حلفاءهم مقبلون إليهم لقتلهم؟

سكارم: «ما الذي تهذي به! نحن حلفاء، لقد خضنا الحرب معاً، لماذا تقول إنهم يرغبون في قتلنا؟»

شعرت ليبيّن كأن الأرض قد تحطمت من تحتها؛ كل ما عمل عليه والداها لوقت طويل قد زال، كل مجهوداتهم لبناء الجيش وتوجد المخلوقات وصُنع الحلفاء كانت هباءً بلا طائل. وجدت جسدها يرتعش، ليس خوفاً، بل وَصَبًا من الواقع الذي لم تفقه. نظرت لرفاقها لترى ذات الحنية والألم والأسى في أعينهم. بعد كل ما مروا به، لماذا يتم الانقلاب عليهم الآن؟

همست أورا في أذن سيون بخبث:

«لقد ربحت الرهان سيون».

وضع النيْلوفر يده على أذنه بانزعاج وغضب صارخاً:

«أخربي!»

ما جعل مَنْ حوله ينظرون إليه مرتعدين. سيون في وضعٍ لا يُحسد عليه؛ إنه منكم حدُّ الموت، يتصارع مع جحيم داخله، وحش يرغب بإنهائه. لا وقت للتفكير الآن، عليهم أن ينجوا ليقاتلوا في وقت لاحق. لكن إلى أين؟ كل المخلوقات ضدهم الآن. تحدث إيلهاب قائلاً:
«الأرض عشيرة عنقال».

أقبل بالدا فوراً قائلاً:

استحيكم بحياتنا، سأقود الطريق».

حلّق بالدا في السماء مطلقاً لهيباً أبيض اللون، ليقبل عليه آل عنقال فوراً؛ جميعهم ينظرون له ناملين بإجلال، قائدهم الغائب قد عاد. هتف بالدا بهم:

«هم تحت حمايتنا الآن وللأبد. انقسموا لأربع مجموعات، ظلّلوا العدو فلا يتبعونكم لأرضنا، اقتلوا كل مَنْ يتبعكم كائنًا مَنْ كان، حتى إن شعرتُم بالأمان عودوا للوطن».

«أمرك».

أحاط الجان فوهة الجبل ليتم صنع خمس كتل نارية كبيرة؛ واحدة لحفي داخلها القائدين ومَنْ معها، والمتبقية منها مجرد طعم لتشثيت



الأعداء. وفي ذات اللحظة انقسمت العشيرة لخمسة أقسام متباعدة متناثرة عبر السماء. حلق خلفهم هُجَناء الجان راغبين في إنهاء الفائزين، إلا أنَّ العشيرة قتلت كل مَنْ تبعها دون هُوادة أو رحمة، لنهوي أبدان الهُجَناء أشلاءً على الأرض. أما المجموعة فراقبت الشهيد بقلب مثقل؛ كل مَنْ كانوا حلفاء لهم، مَنْ قاتلوا جنبًا إلى جنب معًا، باتوا أعداء لم الآن. منذ هذه اللحظة، لم يعد هناك أثر لـ أثيران.

الفصل الثالث

الانقلاب

- انظر في عيني...
- لتختبئ وحوشي...
- راقب بحذر بعيد...
- لتسكن أطيا في...
- بقايا خلق...
- هذا كل ما أنا عليه...
- ومن حين لآخر...
- تبدأ الحياة مجددا...
- ما زلت أقاوم...
- ما زلت أقاوم...

عنقال

استطاعت قوات عنقال منع أي مخلوق من تتبّعهم، قاتلين كل مَنْ تجرّأ وحاول، لتنتقل المجموعة مرتحلة في السماء، وجُل ما يشغلهم هو سيون؛ قد بدا شاحباً منهكاً بالكاد يجد أنفاسه، لم يروه في مثل هذه الحال من قبل. ظلت النبلوفر في جسده تُغيّر ألوانها بين الأزرق والأصفر والأخضر، ومن حين لآخر يطلق نأوهات تمزق الفؤاد. لطالما كان جلوداً صبوراً، قوياً على الألم، إلا أنه بالكاد يُبقي على وعيه هنا. جلس أريو بالقرب منه بقلق، لينظر إليه والده متبسماً قائلاً: «أزل عنك القلق، أنا بخير».

أريو: «اهتم بنفسك الآن أرجوك، علينا إخراج هذا الشر منك».
عاود سيون الألم ليغلق عينيه بقوة، ليمسك به أريو من كتفيه قائلاً:
«اهدأ قليلاً».

سيون: «من الجميل رؤيتكم قلقين عليّ».

أريو: «لا تمزح بهذا الشأن».

نامار: «دعه وشأنه، إنه يتأقلم مع ألمه بطريقة».

صمت أريو فيها راقب جسد والده يرتعد بلطف، ليمسك بيده في محاولة للتخفيف عنه، فوجدها باردة كالصقيع. حينها خلع رداءه مدثراً



سيون الذي فقدَ وعيه الآن، لتجد الدموع مكانها في عيني أريو، ليلجأ إلى
ليبين لتخفف عنه عذابه وتكفكف دموعه التي تهاوت أسى على والده،
فيما ابتعدت عنه المجموعة كلٌّ يخوض معركة مع اضطرابه ومشاعره،
ففكرة خسارة سيون مرفوضة، أمرٌ لا يقبلونه ولن يسمحوا به. وفي عزلة
نامار، اقترب منه إيلهاب قائلاً:

«هل أنت بخير؟»

نامار: «لقد تأخرت عن إنقاذه، لو أنني كنت أسرع لما حدث هذا.
إيلهاب: «لا تُحمِّل ذاتك الذنب، لا بل أرجوك توقف عن لوم نفسك
على كل شيء، لا يمكنك حماية الجميع. لـ سيون مكانة كبيرة في فؤادي كالتي
تحملها أنت، ويقدر ما يؤلني ألمه، إلا أن ما يحطم فؤادي هو رؤيتك نعل
وزر حياة كل من حولك على كتفيك.. أرجوك توقف عن جلد ذاتك».
«هو غريمي ورفيقي، لطالما كان عضدي، وحين حل الوقت لم أأدم
له شيئاً».

حمل صوت نامار الكثير من الألم، السخط، والحزن؛ وبالرغم من أن
عينيه لم تدمعا، إلا أن وجدانه محطم تماماً.
إيلهاب: «علينا أن ننق بقوته، هو يقاتل الآن، ولم يسبق له أن خسر
معركة من قبل، أما نحن فسنجد طريقة لإنقاذه».

نحدث بالدا قائلًا: «أرضنا هنا».

حينها استجمع نامار ومن معه ذواتهم، هابطين على الجزيرة البركانية والصخرية. من حُسن حظهم أن البركان فيها أرضي، فإن ثار ثأره لا يؤذيهم. حمل كلُّ من أريو وسكارم سيون على كتفيهما، فيما انطلقت لبيبين وغارينا لأرض مرتفعة بعيدة عن البركان، مزهرتين من الأرض أشجارًا نددت لتصنع لهم كوخًا يأوون إليه. حينها صنع أريو فراشًا من أزهار البُلوفر واضعًا سيون عليه ليرتاح، فيما قبع بالقرب منه منكسر الظهر غير مترعزع.

بالدا: «أعلم أنكم منهكون، سأدعكم لراحتكم، واعتذر عن خلوّ الجزيرة من أي نوع طعام قد يناسب البين».

إلهاب: «شكرًا لإيوائنا هنا، وستدبر أمر الطعام بأنفسنا».

«لست آوي أحدًا، إنها عشيرتكما ووطنكما».

نظر بالدا إلى نامار الذي لم ينطق بكلمة واحدة له منذ التقت أعينهما، بل هو لم ينظر إليه مرة واحدة بعد ذلك، الأمر الذي جعل شكوكه واقفًا؛ نامار لم يهتم به يومًا. بالرغم من هذا، ما كان لينكر جميله عليه، فوجوده حيًا لهذه اللحظة يكفيه؛ لذلك اتجه بصمت للخارج متأملًا لو أنه يحدث من ربه، لكن ما لم يعلمه أن ندم نامار وخزيه من تخييب ظن بالدا هو ما يتأكله.

في صمتٍ جلس الجميع على الأرض يتدارسون ما حدث لهم، ليكون أول من يتحدث هو سكارم:

«آريز، لقد قلت إن الجميع يعرف، إن حورا أبلغهم الحقيقة؛ لذلك هم ينقلبون علينا.. ما هذه الحقيقة؟»

اختلس آريز نظرة سريعة صوب نامار الذي حرك رأسه بالنفي، ليجيب:

«أعتذر، لقد تحدث بلغة لم أفقها».

رفع أريو رأسه المتطأطأ متفصّاً في مكانه بعد أن فقد الصبر قائلاً:

«قلت إنه تحدّث بالحقيقة، كيف لك أن تعلم ما هي الحقيقة إن نطق

بلغة لا تعيها؟»

«أول حديثه كان شاملاً لكل المخلوقات، حيث أخبرهم أنه سيُطْلَمهم على الحقيقة، ثم وجّه حديثه بعد ذلك لـ نديرين ليتحدثا بلغة لم أعيها، ليعيد تغيير لغته مجدداً قائلاً إن عليهم إيقاف سيون ونامار، كما منعها من إزالة أورا».

نهض أريو من مقعده بالقرب من سيون، مندفعاً حيث آريز، قابضاً على عنق قميصه والغيط يتطاير شرراً منه هاتفاً:

«هل ترانا حقى لنصدق هذا الحديث؟ ما الذي تخفيه آريز؟»



وإذا بصوت أجش منهك يتحدث:

«العدائي، إنه حليفنا».

انفت أريو مسرعاً ليرى أن سيون قد استعاد وعيه وليبين مساعدته
في المجلس. أطلق سراح أريو واتجه بسرعة حيث والده، يسند ظهره
جسوس قائلاً:

«هل أنت بخير؟ هل تتألم؟»

ربت سيون على رأس ابنه القليل، الأمر الذي حطم فؤاده؛ فبالرغم
من كل العذاب الذي يمر به جسده، إلا أن رؤية اضطراب أريو كانت
لندلوعة لفؤاده، بل لعلهما فؤادان الآن؛ أحدهما تسكنه أورا مع طيف
ربيع، والآخر ملك له، عدا أن كلاهما ملك لأريو.

سيون: «أنا أفضل الآن، لقد هدأت شدة الألم».

أريو: «و أورا؟»

«إنها هادئة».

تنفس أريو الصُّعداء، ليتحدث نامار من خلفه:

«الآن وقد هدأ فؤادك على سيون، اذهبوا ووفروا الحاجيات
الضرورية، أحضروا الماء والطعام لكم، ثم أزيلوا هذه الدماء التي ملأت
نيابكم.. أنتم تبدوون قذرين».

نظر الجميع إلى أنفسهم ليروا أنه محق؛ هم في هيثات يُرثى لها، مغطون بالطين والأتربة والدماء، كما أن المجهود الذي قاموا به جعلهم ينضربون جوعاً. انطلقوا خارج الكوخ منفذين أوامر قائدهم، وقيل خروجه نظر أريو نحو والده الذي لوح له مبتسماً، ليخرج مغلقاً الباب خلفه.

ما إن فعل حتى تهاوى سيون على الأرض، إلا أن نامار أمسكه بحبال منه ساندًا ظهره قائلاً:

«يا لك من كاذب ماهر».

نظر سيون إليه متبسماً رغم الوَصَب مجيئاً:

«انظروا مَنْ يتحدث، تتظاهر بالقوة في حين أنك تكاد تفقد عنك قلباً».

«أهي صاحبة؟»

سيون: «لا تكاد تخرس، إنها وسواس لعين».

نامار: «ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«خاطب بالدا».

«ما شأن هذا فيما أنت فيه؟»

سيون: «أحتاجك صافي الذهن معي، وما دمت تتجنب التحدث»

أو حتى النظر إليه، فلن تكون بكامل عقلك معي».

نامار: «اهتم بنفسك فحسب».

«نامار، علينا إيجاد طريقة لإنهاء الأمر».

«هل أنت مستعد لهذا؟»

سيون: «أنا من يجب عليه طرح هذا السؤال عليك، هل أنت مستعد أن تفعل ما يلزم؟ لأنني أعلم يقيناً أنني مستعد لهذا».

نامار: «هل فقدت عقلك؟ ماذا عن العواقب؟ أنا لم أخض الحرب واصنعها لأنال نتيجة كهذه، إن كانت تلك اللعينة محقة فلن أفعل ما نرغب مني فعله».

همست أورا بفحيح كالثعبان:

«أخبره أنني سأوافق به قائداً لجيوشي إن خرَّ على قدميه راجياً».

ثم ضحكت بصوت مشووم. حينها وضع سيون يده على أذنه مترعجاً
لنقترب منه رفيقه قلقاً: «أورا؟»

سيون: «نامار، ما كنت لأدع العواقب تحدث، لعلني لن أمنع كل نواقب، إلا أنني سأمنع منها ما يمسننا، ففي هذه المرحلة لا يهمني أي شيء سوى من هم معنا على الجزيرة. سأجد طريقة ما، سأتحدث مع طيف الريح ولنفعل أنت مع طيف النار، وحين نتأكد أننا سنكون بخير، ستهي أورا».

«وطيف الماء».

همست طيف الريح الآن قائلة:

«ستأتي، ثق بي ستأتي».

نظر سيون لـ نامار متحدثًا:

«رائع، الآن لديّ وسواسان في رأسي؛ أحدهما يهدثني، والآخر يحاول الاستيلاء عليّ».

«ماذا قالت؟»

سيون: «طيف الريح تخبرني أن أثق بطيف الماء لأنه سيأتي».

«من؟ مينوس؟»

ارتعد سيون حينها ليجيب في دهشة:

«لا، الوريث مخلوق آخر وليس مينوس، وهذا الوريث سيأتي دون أدنى شك».

نامار ساخرًا: «رائع! لنُضِف مخلوقًا آخر للمجموعة حتى نجونا! هل نتق بكلام الطيف الذي انسل من جسد لييين طواعيةً مقدمًا خدماته لـ أورا؟»

«لست أملك خيارًا آخر الآن، أنا منهك، أعتمر عن هذا، ولكن سادع لك زمام الأمور هنا».



نبا على حاله.

نيامبط الليل، عادت المجموعة للكوخ، ليتجه نامار للخارج وخلفه
بهاب قائلاً:

«عليّ أن أسأل، مَنْ يالدا؟ لماذا لم تخبرني عنه من قبل بالرغم من أنه
يك؟ لا تخبرني أنك تُحمل ذاتك ذنباً يتعلق به أيضاً؟»

نوقف نامار عن التحليق واضعاً يده على رأس إلهاب قائلاً: «أتعلم
أن فخور بقيادتك للجيش اليوم، لقد حققت النصر للجبان ومنعت
زحف الأعداء إلينا».

ليترع يده عند الانتهاء مكتملاً التحليق.

«إلا أن الأمر لم ينتهِ كما خططنا».

«سنجد طريقة ما، لا تقلق».

إلهاب: «إذن هل ستحدث مع يالدا؟ يبدو أنه يحمل الكثير من
الاحترام لك، حين التقينا بدت عليه السعادة العارمة، كما عليّ القول إن
أل غنقال فاجأوني بقبولهم لي، ثم...».

أعاد نامار وضع يده على رأس نسله يوقفه عن التحرك قائلاً: «ما
بشغل بالك لشرثر دون انقطاع؟»

إيلهاب: «هل أزعجك؟»

«تعلم أني لم أقصد هذا».

تغيرت النظرة على وجه إيلهاب الذي طأطأ رأسه للأرض:

«لأول مرة أشعر بالخوف نامار، لا أرغب بخسارة المزيد، أخشى خسارة كل مَنْ يعني لي. سيون في حالٍ يُرثى لها، ونحن في عجز عن إنقاذه، رفاقي في الداخل مضطربون، وأكثرنا هو أريو الذي يغرق في دعر من خسارة والده. ماذا إن فشلت مساعيها؟ لا أخشى الموت، أنا حقاً لا أخشاه، لكني أخشى رحيل مَنْ أهتم لهم. فلقد وجدت مكاناً أنمي إليه، مخلوقات هم لي عضد فباتوا لي عائلة، لا أرغب بخسارة المزيد، وأولهم أنت. أعلم أنك ستفعل المستحيل لإنقاذ سيون، وحقيقة أن هذا المستحيل قد يكون ثمنه حياتك تصيبني بالذعر».

شعر نامار بجسد إيلهاب يرتعش برفق، ليحتضنه قائلاً:

«بُني، الموت، الفراق، الخيانة، كما الوداع، كلها من قوانين الحياة، قوانين حتمية لا يمكن الهرب منها حتى من قبل البين الأبديين. لو أن لي القوة لمنع كل آلام الحياة أن تصيب فؤادك وروحك لفعلت، عدا أني جان وحيد يفعل ما يمكنه للحفاظ على أعز ما لديه وهو أنت. ما يفزعك يفزعني، لا يمكنني معاهدتك بعدم الخسارة، لكن يمكنني أن أعدك بأن لن أكون أحدها».

«سأقبل بهذا».

أجاب إيلهاب ليشعر بالفرح في فؤاده يتضاءل، ليس لحُد الزوال،
لأنه لم يُعد يلتهمه. لطالما علم أن وجود نامار مهم في حياته، لكن اليوم
والآن قطع الشك باليقين؛ سلفه حقًا وجود لا غنى عنه. لربما لم يعلم
إيلهاب يومًا ما معنى أن يمتلك أبًا، لكن في الفترة القصيرة التي قضاهما
مع نامار فقه ما معنى أن يمتلك وجودًا هو الكون بالنسبة له؛ القوة،
نفسه، الطمأنينة. هذا ما يعنيه امتلاك المخلوق لأب، لا بد أن هذا ما
شعر به والده تجاه نامار؛ ما دام هذا المخلوق بخير فكل شيء بخير.
أبعد إيلهاب ذاته عن نامار قائلاً:

«اذهب وسو الأمر مع ابنك الآخر، أعلم أنه يعني الكثير لك».

سخر سلفه قائلاً: «وكيف لك أن تعلم أيها الفتى؟»

«لأنك نامار، تهتم أكثر مما تُظهر، سأخلد للنوم الآن، وداعاً».

نسم الجان مع رحيل نسله، لقد ملأ قلبه سعادة وفخرًا، ومن أجل
هذا المخلوق سيفعل ما يتحتم عليه القيام به مهما كان الثمن.

بعد أن اختفى إيلهاب عن الأبصار، تحدث نامار قائلاً:

«لم يكن استراق السمع من خصالك، يالدا».

أظهر يالدا ذاته من خلف صخرة كبيرة مطأطأ رأسه:

«لم أعرف ذلك، خشيت أن أحدث صوتًا يزعج حديثكما».

نامار: «لست أنهرك».

رفع يالدا رأسه وكأنه لأول مرة يرى هيئة نامار، لتمتلي روحه شجناً عليه مَن كان في يوم ما جاثاً ملأ السماء، لم يكن ذليلاً أو فاقداً لمجده إنها مجروحاً، لقد سرقت منه الحياة كل شيء، حتى هيئته لم يُسمح له أن يحفظ بها. وحينما استمع لحديثه مع إيلهاب، أيقن أن نامار لم يُعد ذلك الجان الذي يعهده. ليس وكأن التغيير أمر سيئ، لطالما أحب هذا الجان دارسون وزمارتا، لقد كانا جنون روحه، إلا أنه لم يظهر لهما يوماً شيئاً، ولا بمقدار ذرة؛ لم يكن قاسياً عدا أنه لم يكن عطوفاً أيضاً. لكن الآن ومع إيلهاب هو لا يدخر شيئاً من عاطفته، كما لو أنه يمسك بحبل النجاة الوحيد الذي يجعله مخلوقاً ذا فؤاد ينبض، مخلوق سامياً عن الوحوش الضارية. لقد انتقل حب دارسون كله لابنه، حتى الكلمات التي لم تُقل له يوماً، قبلت لإيلهاب.

نامار: «لقد تغيرت يا فتى».

صمت يالدا ولم يُجب، ليردف الآخر:

«أما زلت تهابني؟»

ليجيب بيقين خالص:

«لم أخشك يوماً نامار، لطالما كان وجودك أكبر من الكون، لم أهلك

لكنني هبت وجودك العظيم».



«حتى الآن، أما زلت تهاب مخلوقاً مثلي؟ أنا مَنْ لم أتمكن من حماية عائلتك وعائلتي، لقد بعثت بك للحرب عوضاً عن دارسون لأحافظ عليه، إلا أنني فقدته وزمارتا. بسبب طيشي أفقدتك عائلتك ثم تخليت عنك، لم أبحث عنك أو أحاول إيجادك، وفي غضبي تسببت بحبس ذاتي نجاهلاً بإياك وكل أملك. أما زلت ترى مخلوقاً مثلي ذا وجود عظيم؟»

ارتعش كل كيان يالدا، هو لا يصدق ما يسمع؛ نامار لم ينسَ أو يهمله، مر فقط بشعر بالخزي.

بالدا: «أهذا ما كان يشغل بالك؟ لهذا لم تبحث عني؟ ليس لأنني لا أملك، بل لأنك شعرت بالخزي لتجاهلني؟ ثم تسأل إن كان وجودك عظيماً؟»

«لعلّ قليل الحديث إلا أنني أعلم الخزي والخطأ حين أقترفه».

بالدا: «لم أحملك يوماً ذنب ما حدث، أعلم يقيناً أكثر من أي مخلوق مدى حبك لدارسون وزمارتا، وعلمت فوراً أن فؤادك احترق وتلاشى معها. أوقن أنك كنت لتضحى بحياتك في سبيل حياتها لو أن الأمر بين بديك، وقد حاولت؛ انظر لهيبتك، لقد أحرقت ذاتك في سبيل الانتقام لها، ما زال جسدك يحترق من الداخل حتى بعد انقضاء ألفيات. لعل الأمر كان مؤلماً، بل لعله ما زال مؤلماً حتى هذه اللحظة، إلا أن الوَصَب بات جزءاً منك حتى ما بتَ تشعر به. أيُّ خزي أو ملامة تتحدث عنها يا

نامار؟ بل أنا مَنْ يجب عليه تقديم الاعتذارات لك، بسببي أنا تم حبسك
لألفيات لا تُحصى. لقد وقفت أراقبهم يقتادونك للحبس دون فعل أي
شيء، أنا مَنْ خان ثقتك هنا وليس النقيض.

نامار: «ما الذي تتحدث عنه؟»

«سمعت أن زائيل قرر وضع حد لبطشك بالجان، وخشية من أن يتم
قتلك أقبلتُ إليه بصفقة لِيُقي على حياتك، وفي المقابل سأمنحه حياة
عشرة عنقال وقتما احتاج لها، وبهذا تم حبسك عوضاً عن قتلِكَ».

حينها صدحت ضحكات نامار الصاخبة في الأرجاء، حتى إن
الجزيرة كلها انتفضت من صوته. لم يسمع الجان هذا الصوت منذ وقت
طويل جداً، من النادر سماع نامار يضحك، لكنه إن فعل فكان على أمر
أعجبه للغاية ونال استحسانه، كما أن عظيم صوته دائماً ما يجعل مَنْ حوله
يرتعدون؛ ليس خوفاً بل رهبة. ومع صوت ضحكاته أقبلت عشرة
عنقال، بهدوء يراقبون زعيمهم القديم. كثيرٌ منهم سمعوا قصصاً عنه،
وقليل هم مَنْ عاشروه، عدا أن نامار لم يأبه لقدمهم قائلاً:

«حقاً هذا الـ زائيل حتى في مماته ما زال يفاجئني! يا فتى لقد تم
التلاعب بك من قبله. ما كان زائيل يخطط لقتلي يوماً، لظالما رغب
بحبسي للاستفادة مني لاحقاً، إلا أنه استغل حاجتك وقوة العشرة
ليضمن وجودكم معه. حقاً لقد كان مخلوقاً استثنائياً».

بالدا بقليل من الخوف: «ألست غاضبًا من خيانتني؟»

«أي خيانة؟ أنت لم تخني، لقد فعلت ما ظننته الأفضل لي».

بالدا: «الكني لم أبحث عنك، بعد موت دارسون وزمارتا لم أقم بالبحث عنك أو محاولة نجدتك أو حتى إيقاف بطشك».

نامار: «أعتقد أنك قادر على إيقافني عن شيء أنا عازم على تنفيذه؟ لا، ما كنت لتفعل، بل لربما فقدت حياتك محاولاً إيقافني، حينها كنت لتضاعف ذنوبي. أنا شاكر لك بُني، لقد أعدت توحيد صفوف العشيرة وأقذتهم، لقد قُدِّتهم بطريقة ما كنت لأقودهم أنا بها، ثم أتيت لنجدتي ونجدة نسلي. لولا احترام العشيرة لك لما أطاعوك مقدمين الولاء لـ إيلهاب، إنهم في سبيلك فعلوا هذا وليس لي، فأنا لا أكاد أميز وجهًا بينهم. أنت يا بالدا مَنْ يحمل الكثير من فخري، أنت مَنْ أنا شاكر وأسف له».

بهذه الكلمات القليلة، أزيل كل ذنب حمله بالدا في فؤاده طيلة الألفيات، وبقية بأنه غير مهم لـ نامار تلاشى؛ لقد سمع في هذه اللحظات الكلمات التي رغب بسماعها طيلة حياته، ليختر أرضاً على قدم واحدة قائلاً:

«بك ولك نامار من آل عنقال أقسم، لهيبي لك ولنسلك يضطرم، كل حروبكما هي حرب لي، منذ هذا اليوم وحتى آخر وميض في روحي. بهذا أنا بالداريب نامار أقسم».



خرَّ الجان إليه قائلين:

«بك ولك نُقسم نحن آل عنقال، لهيبكما حتى الممات».

لم يشعر نامار يوماً بفخر لكونه من آل عنقال كما فعل هذه اللحظة، هم حقاً شرف الجان، ليُردف قائلًا:

«يالدا، العشيرة لك، أنت من استحق قيادتها ولن آخذها منك».

يالدا: «لست أقدمها لك، بل أقدم عهدي، سواء أكنت أنت من يقودها أم لا، أكنت أنت وإيلهاب معنا أم لا، لكما ولاؤنا الدائم. أنقبل بهذا نامار وأنت إيلهاب؟»

نظر الجان ليجد أن إيلهاب يقف في الخلف، كان قد هرع حيث هو حين سمع صوت ضحكاته العالية، ليجيب:

«سبق وأن قبلت قسم العشيرة لي، إلا أنني أوافق نامار، هي لك».

يالدا: «للآن، ولكن حين يحين موعدي للرحيل، مندثرًا للأرض، ستكون لك يا إيلهاب، فأنت نسل دارسون و نامار، هي حقك دون الجميع».

تبسم الآخر مجيبًا: «لا تستعجل الموت إذن، فما زلت أرغب بصنع الكثير قبل أن أراس العشيرة».

توجه يالدا إلى إيلهاب مقدمًا له الأمانة التي حصل عليها من بالاي قائلًا:



الله أمانتك رُدَّت إليك، شكرًا لأنك آمنت بالعشيرة قبل أن ترانا،
ينقل إيمانك تمكنت من رؤية نامار مجددًا، ولهذا أظن مدينًا لك ما
بنت جبا.

هل إلهاب الأمانة كنزًا في قبضته، عائدًا للكوخ بعد هذا، فيما مضت
بأن بعيدًا ليعود الخلو ل نامار و يالدا الذي تحدث: «إلهاب، إنه شبيه
لدارسون، أكاد أقسم أنه حي من خلاله».

نامار: «أعلم، ولكنه ليس دارسون، لقد رغبت بمنحه ما لم أمنح والده
نيل، أردت تقديم حبي لابني إليه، عدا أن الأمر لم يكن كذلك. إلهاب
إن تشابه مع والده لن يكون هو يومًا، هذا الفتى احتل كياني ووجودي
كله بشكل مختلف، ما أحمله له أعظم مما حملت لدارسون، بالرغم من أن
نول هذا يؤمني، أن مخلوقًا ما احتل مكانًا أكبر في قلبي من ابني ذاته، عدا
لها الحقيقة».

هذا لا يقلل من مكانة دارسون، لقد انتقل حبك له إلى إلهاب، لقد
زرع حبه في قلبك ليتعاضم على حب والده».

نامار: «يالدا، إن حدث شيء لي، تأكد أن لا يمضي إلهاب حياته
وحيدًا. أنا أو منك نسلي فاحفظه».

اسوف اصون أمانتك نامار»

مع انقضاء أول ليلة للمجموعة في معقل عشيرة عنقال، لم يبق أي منهنم بنوم مريح بالرغم من الإعياء الذي سكن أجسادهم، إلا أن القلق والاضطراب قضا مضاجعهم؛ ما قد يحمله لهم الغد، حال سيون الذي يدمي الوجدان، وحقيقة أن كل من على الأرض باتوا لهم أعداء، كل من أسموهم حلفاء ذات يوم. لقد أدرك كل فرد أن رفاقه مستيقظون، إلا أن أحدا لم يتحدث مع الآخر، الجميع مليء بالهموم فلا حاجة لإضافة المزيد إليها، كما أنهم لم يقدموا أي كلمات مواساة لـ أريو، بل اكتفوا بالترتيب على كتفه كلما رأوه مستيقظاً بالقرب من سيون. ما الذي يملكه المرء ليقوله في محنة كهذه؟ كيف يمكن تقديم السلوى؟ كل ما أمكنهم فعله هو التواجد حوله، بالقرب منه، ليعلم أنهم معه مهما حدث.

مع بزوغ الفجر خرج أريو صوب الشاطئ يتنشق بعض الهواء، شعر كمن يختنق في الداخل، ورؤية سيون في هذه الحالة يتأوه من حين لآخر في نومه، أو مشاهدة جسده يرتعش بلا أسباب، كل هذا أكثر مما يتحمل قلبه. فتح باب الكوخ ليجد نامار يراقب الأفق، كمن ينتظر قدوم الإعصار، ليقف الاثنان جنباً إلى جنب يشاهدان الشروق بلا ضوء يلوح في الأفق؛ بدا كما لو أن هذا الليل سيكون سرمدياً.

نامار: «هل جافاك النوم؟»

«لم يحظ أي منا بالنوم».

«عليكم الراحة، فلا نعلم ما تحمله لنا رياح الغد».

أريو: «هل سألت طيف النار كيف نتخلص من أورا داخل سيون؟»

نامار: «ليس بعد».

«أنت تخشى السؤال، هنالك ما تخفونه أنت وسيون وآريز، أليس كذلك؟ لقد سمع آريز ما قاله حورا، إلا أنك أمرته بالصمت، ما الذي ينجيكم؟ لماذا لا تشاطرونا الأمر؟»

نامار: «أصبت، أنا مذعور، أشعر بالعجز يلتهمني. أنا أعلم ما قاله الآفاري اللعين، كما سبب انقلاب المخلوقات علينا، ولا أرغب في نصديقه، وإن أخبرتكم به وبدأ الذعر يدب بينكم فهذا سيجعل الأمر واقعا، ولا أرغب به واقعا. لكن ما يخيفني أكثر من هذا، هو أنكم لن تنموا بعواقب إحراق أورا، إنكم لن تبالوا بما قد يصيبكم من إنهايتها؛ لأن هذا ما سعيانا إليه جميعا منذ البداية، ولكن أنا وسيون مذعوران؛ كل هذه الحرب وكل ما مررنا به كان من أجل تجنب هذه العاقبة؛ لذلك لا أرغب بالتحدث في الأمر. مهما حدث سأجد طريقة لتجنب هذه النهاية، لا يهم ما يكلف الأمر، لن أسمح بالعواقب أن تقع علينا».

أريو: «الأمر يتعلق بحياتنا، أليس كذلك؟ أنا، وإيلهاب، وكل الآخرين».



«بما أن الأمور آلت إلى هذه النهاية، فلا يهم أي مخلوقات أخرى، منذ هذه اللحظة كل ما يهمني هو أنتم وحسب».

أريو: «وسيون، ماذا عنه؟ ماذا سيصيه من هذا؟»

لم يُجب نامار؛ لأن الإجابة أثقل من أن تُنطق، لم يرغب بأن ينطق بها، إلا أنه قد أقسم أن ينهي معاناة سيون بطريقة أو بأخرى، وقد علم أريو ما يرمي إليه الجان بعدم الإجابة. بالرغم من أن عقله يعي الوقائع المطروحة أمامه، حتى وهو يفقه تمامًا أن نامار ما كان ليسبب الأذى لوالده، إلا أن كل نبض في قلبه يرفض هذا المنطق، هو لا يريد، لا يرغب به أبدًا، بل هو سيقا تل أي قدر يسلب منه والده، وليس الأقدار فقط، بل أي مخلوق؛ ليس الآن، ليس بعدُ فهو لم ينادِه بأبي، هو لم يحظَ بلحظات سعيدة معه، كما أنه يريد لـ سيون أن يرى نسله، هنالك الكثير من الأمور التي يتمنى أريو مشاطرتها مع والده، هنالك ألفيات تنتظرهما؛ لذلك ليس الآن. إن كان نامار سيلتزم الصمت، وأريو يعلم يقينًا أنه لن يتمكن من انتزاع معلومة منه، إذن سيجد هو الإجابات والسبل بنفسه، هو من سينقذ والده.

عاد أريو للكوخ غاضبًا، ليرى أصدقاءه يقفون منتظرين إياه، أقبلت إليه ليبين قائلة: «سأتي معك».

أريو: «لست ذاهبًا لأي مكان».

إيلهاب: «لا تفعل هذا، لا تصدنا عنك، نحن نعلم ما تفكر به مسبقًا؛ لذلك ستقوم بالأمور معًا».

«الأمر خطير، لدينا أعداء في كل مكان، ما كنت لأطلب منكم هذا».

أسكت ليبين بوجه أريو ناظرة في عينيه قائلة:

«أنت لا تطلب، بل نحن من يأمرك باصطحابنا».

سكارم: «لا تدع البطولة، لطالما امتلكتنا أعداء في كل مكان، وكل خطواتنا كانت وما تزال محفوفة بالمخاطر، فلماذا ستخلف عن الإثارة هذه المرة؟»

إلهاب: «كما أفي أعلم من قد يساعد سيون، لقد فعلوا من قبل، ولعلهم قادرون على الأمر مجددًا».

غارينا: «البين المحايد، هايبرد»^(١).

أوما إلهاب: «لنذهب هناك ونرى ما قد يقدمونه لنا».

ليبين: «لن نرحل جميعًا، لننقسم لمجموعتين ليبين أحدهما هنا ليمدنا بالمعلومات، كما يؤمن مواقعكم في حال اضطررتم لنقل سيون لمخبأ آمن».

سكارم: «دعوا هذا الأمر لي وغارينا، انطلقوا أنتم الثلاثة حيث يجب عليكم، ولا تقلق على سيون سأهتم به، وأحرسه بحياتي».

١- هجناء: بن عايد في القطب الجنوبي هو الذي منح سيون فواد بن بعد ان سرق ميزويا قلبه ومنحه لـ أورا.



صافح أريو سكارم قائلاً: «سأعتمد عليكما، لكن لا تفقدا أرواحكما». أحال الجميع أنظارهم إلى آريز، الذي وقف في الظل يراقب قائلاً: «لن أمنعكم، فلست أرغب بموت سيون أيضاً، ولست واشياً لأحدث بها تخطيطون له - نامار».

أريو: «لقد علمت ما هي عواقب إنهاء أورا، أنا موثق أنك فعلت، ولهذا الأمر علاقة بحيواتنا، بالرغم من أني لا أعلم الحقيقة كاملة بعد، عدا أن حدسي ينبئني بهذا، لكن السؤال هنا، لماذا لم تنقلب ضدنا؟ لماذا ما تزال حليفاً لنا؟»

«لأنكم نلتُم استحساني، أنتم تُذكرونني بمن قاتلت صفاً معهم حين كنت بشرياً، جنودٌ بسلاء على الأعداء، تملكون حس الانتماء لبعضكم البعض مخلصون لقضيتكم، كل واحد منكم مستعد للموت في سبيل الآخر، لا يهم نوع المخلوقات أنتم، فأفندتكم أفئدة مقاتلين، تحملون فخر روابطكم في أرواحكم، هذا نوع المخلوقات الذين أرغب بالتواجد قريبهم، من أرغب بالقتال معهم، ثم إنني مقاتل، جندي، أقسمت بالقتال في قضيتكم حتى النهاية، وأنا لا أخون كلمتي، والموت في المعركة هو أسمى شرف للمقاتل، رعي ملك - نامار و سيون، معهما ولهما أقاتل، هل تكفيك هذه الإجابة؟»

شعر أريو بالخزي لما ارتكبه بحق آريز من قبل، ليجيب قائلاً: «سأمنك والذي إذن، لتحرسه بحياتك».



غارينا: «السؤال الآن، كيف نهرب من نامار؟»

آريز: «دعوا الأمر لي، سأطلب منه نزالًا لإزاحة العبء عن كليتنا، ولن يرفض فرصة كهذه».

إيلهاب: «حسنًا إذن، سننتقل عند انتصاف الشمس».

كما خططوا، انطلق آريز حاملًا رمحه حيث نامار طالبًا منه نزالًا، ليوافق الآخر دون تردد. اتجه أريو حيث سيون، عاقداً على معصمه سوار والدته، نظراً إليه مرة أخيرة، بدا كمن يخوض حربه الخاصة في داخله، هو يعلم أن سيون لن يخسر، هو يؤمن بهذا، إلا أنه انحنى إليه هامساً عند رأسه: «ساعد بسرعة فلا تستسلم أبداً، احمل أمي معك ولا تستسلم يا أبي».

نسلت المجموعة من بوابة صنعوها خلف الكوخ حتى لا يراهم نامار، وعند الشاطئ وقفوا، فيما صنع أريو قارباً ليحملهم. قدمت ليين حجارة مائية وأخرى نارية لـ سكارم، هي تعلم أنه و غارينا لن يتمكننا من استخدام أي منها، على عكس من معها حيث يستطيع أريو استخدام المائية و إيلهاب النارية، لكن نامار على الأقل سيتمكن من استخدام النارية، ولم يقدمها له سكارم إلا في الحالات الطارئة، فهم يعلمون أن الجان لن يلحق بهم أبداً ما دام سيون هنا فهو لن يتخلى عن حمايته.

غارينا: «خذوا حذركم، ولتجدوا طريقة لإنقاذ سيون».



إيلهاب: «أنتم أيضًا اهتما بنفسيكما».

ودّع الأصدقاء بعضهم البعض، ليصعد الثلاثة على القارب فيجري أريو نحو الجنوب حيث أرض الجليد الأبدية.

بدأت الرياح تمسي باردةً كما اتجهوا صوب الجنوب، شيئًا فشيئًا امتلأ البحر بكتل جليدية؛ لذلك أحاط إيلهاب قاربهم بلهب أسود، مانعًا البرد من التسلل إليهم. وفيما باتت اليابسة أمامهم، شعر أريو بشيء أسفل منهم في الماء، قائلاً: «استعدّ، لدينا رفقة في الماء».

إيلهاب: «من الأفضل عدم القتال في هذه المياه أريو، قد نتجمد كليًا وبسرعة، لأخلق بك أنت وليين للسما».

أطلق إيلهاب حبلاً من الأرجون، عاقداً إياه حول كلٍّ من ليين وأريو، فيما نفث لهيبه من يديه ليخلق. وقبل أن يندفع للأعلى خرج من الماء مخلوق يعرفونه، هو رابولا^(١)، عدا الآن وبعد كل شيء هم لا يعلمون إن كان عدوًا أم لا، وقد رأى رابولا هذا في أعينهم، قائلاً:

«لست بعدو، لقد نبذت المخلوقات التي تنادي بقتلكم وإبقاء أورا

حية».



لين: «كيف علمت أننا هنا؟»

رابولا: «لم نفعل، سمعنا من حورا أن أورا تتواجد داخل سيون الآن، فأملنا أن تأتوا لهذا المكان لتجدوا بعض الإجابات».

أريو: «لماذا نتحدث بالجمع؟ من معك؟»

«قليل من الهُجَناء؛ يوكيم، ديفينا، هانا، وإيهاي».

إيلهاب: «كيف نعلم أنه ليس فخاً؟ لقد انقلب الجميع علينا بعد أن علموا عاقبة إنهاء أورا».

رابولا: «لا نعلم إن كانت هذه العاقبة صحيحة أو لا».

أريو: «ما هي العاقبة؟»

نظر إليهم رابولا مدهوئاً لعدم معرفتهم، لقد علمت كل المخلوقات الآن بهذه العاقبة، حتى مَنْ تخلفوا عن الحرب قد علموا، منضمين للجيش الناصر لـ أورا، كل العالم الآن يطارد سيون لإبقاء أورا فيه حية، ليجيب: «لتتجه للهرم ونتحدث، من الأفضل عدم البقاء في العراء لوقت طويل».

نظر الثلاثة إلى بعضهم البعض عالمين أنهم لا يملكون خياراً آخر، ليحرك أريو المياه متجهين لليابسة.

قادمهم إيلهاب نحو الهرم يتبعهم رابولا الذي أحاط ذاته بالماء هذه



المرّة فلم يرغب بالتخلف عن هذا اللقاء. فُتحت أبواب الهرم مُرجّعينهم ليروا أمامهم مَنْ كانوا حلفاء لهم من الهمجّناء، كان الثلاثة في حذر وترف شديد من أن يأتي أيّ من المخلوقات حولهم بحركة معادية، ليظهر لهم من بين ظلال الظلام بين من جيل الأولين قائلاً:

«مرحباً إيلهاب، ليبين، وأريو، كنت في انتظاركم، أنا هاييرد».

أريو: «كيف لك أن تعلم أننا قادمون؟»

هاييرد: «لأنّي أعلم كل شيء».

ليبين: «ماذا تقصد بهذا؟ هل تحمل في داخلك طيفاً؟»

«ليس للأطياف فيّ مسكن، لكنني وجود فريد من نوعي، فأنا من همس لثاديباس كي ينصاع للأطياف ويرضخ لها، وأنا هو الآفاري الثالث^(١)».

جفل الثلاثة من هذه الحقيقة، لقد تم إبلاغهم أن الآفاري الثالث قد قُتل منذ ألفيات لا تُحصى، فلمْ هو هنا؟ لمْ هو على قيد الحياة؟ وما دوره في كل ما حدث؟ خطت المجموعة لحجرة صخرية سوداء، ليأخذ كلّ منهم مقعداً له، فيبدأ أريو الحديث:

«لا يهمني مَنْ تكون أو ما يحصل، كل ما أرغب به هو طريقة لإنقاذ والدي».

١ - خلفاء: من قصص الماضي، وهي أنه يوجد آفاري ثالث تم قتله من قبل ثاديباس، وذلك قبل أن يُزهر الجيل الأول فلا يعلم أحد عن وجوده أبداً.

يركيم: «إذن أورا حقًا داخله؟»

إلهاب: «أجل».

دبينا: «أتعلمون ما العاقبة؟»

«لا تهمني العاقبة، كل ما يهمني إنقاذ والدي».

هانا: «لقد كانت آخر كلمات والدي لي هي أن أتبع سيون، وسأفعل، لكن عليكم أن تعلموا ما هي العاقبة لأنها أكبر من الجميع».

لين: «هل رحل أنثوس عنا؟»

أومات هانا والدموع متساقطة من عينيها، ليردف أريو: «أعتذر عن الدفاعي، في حين أنني لم أعلم ما حدث مع أنثوس، تعازي الحارة لكم».

دبينا: «نحن حلفاء لكم، وسنقاتل لحمايتكم، فالآن أنتم بحاجة لكل قوة نساندكم، نحن لا نرجو سيون ميتًا، لكن أورا لا بد أن تنتهي».

لين: «لهذا نحن هنا لإنهاء أورا وإنقاذ سيون».

هايرد: «أخشى أن الحصول على الأمرين معا أمر مستحيل».

انتفض أريو هاتفًا بعد أن نفذ صبره:

«لماذا مستحيل؟ لقد أنقذته من قبل، لقد كان على شفى هاوية تقوده

نحو الموت، وقد أنقذته، فلماذا لا تستطيع الآن؟ سأفعل كل ما يجب عليّ،

سامنحه نصف فوادي إن اضطررت لهذا، فافعل ما عليك فعله، لا تهمني

العاقبة لتتزع أورا من جلده فحسب».

هايبيرد: «لا يمكن انتزاع طيف من جسد مخلوق بالقوة».

ليبين: «لقد انتزعت أورا الطيف من جسدي رغماً عني».

هايبيرد: «أجل رغماً عنك، لكن بموافقة من الطيف».

حل الصمت، فهذا نبأ صادم لهم، ليرد إيلهاب:

«ماذا تقصد بذلك؟ هل ارتحلت طيف الريح لـ أورا وفق إرادتها؟»

هايبيرد: «لقد فعلت ذلك لتتقذك من الموت».

ليبين: «احتمالات موتي من دون الطيف أكبر من موتي به، فلماذا قد

تمنح أورا قوتها، وتقامر بحياتي تحت رحمتها؟»

هايبيرد: «كما تَرين، لم يكن هذا قرار الطيف، بل قرار حامل الطيف

قبلك، أرادت حمايتك من الموت، فأمرت الطيف أن يستقل لـ أورا أخذاً

معه شطر البنِّ الآخر فيك، لتكوني هجينة».

نفذ صبر أريو قائلاً: «لقد اكتفيت من حديثك الموه، لتفصح عن كل

شيء الآن».

«تم نزع إحدى الأزهار منك، لُتمسي هجينة فحسب، حتى لا تعاني

من عواقب إنهاء أورا، تم تقديمك لموت محتمل لمنع الموت المحتوم أن

يطالك، هذا ما قامت به الهالوك، لقد أنقذتك من الموت».

أرئدت ليين منتصباً على قدميها، ما يقوله هايبرد ينافي واقع ما
عاشته من وَصَبٍ تحت أَسْر سينا، من المستحيل أن يكون كل ذلك
العذاب من أجل حمايتها، هذا منافٍ للعقل، لتصرخ:

«أكاذيب! هي لم تحاول حمايتي، لقد عذبتني أسوأ أنواع العذاب،
لقد ألصقت بي كل أنواع السموم، بل لقد تركتهم يُروني موت والديّ،
نفست عليّ كلما حاولت الفرار، لقد وضعت كل سموم البِنِّ داخلي، ثم
تركهم يستأصلون نصفي، كيف يمكن لهذا أن يكون حماية لي؟»

هايبرد: «أيتها الطفلة، في الأصل أنتِ هجينة، لعل وجودكِ مميز، إلا
أنكِ تظلين بفؤادٍ هجين، وحين تواجهين نوعين من البِنِّ داخلكِ بتُّ بنّاً
شبه كامل، فما كان من الهالوك إلا أن تستأصل نصف البِنِّ فيكِ، لجعلكِ
هجينة، حتى لا تعاني من عواقب إزالة أوراء. كل مَنْ يحمل فؤاد بِنٍّ كامل
نهائمه الموت، تلك هي العاقبة، ولهذا لا يمكن إنقاذ سيون؛ إن أردتم إنهاء
أوراء، فكل البِنِّ ما عدا الهَجَناء أموات لا محالة، فهذا هو قدرنا».

هايبيرد

لطلما علم البين عن آفارين هما نادياس وحورا، إلا أن أحدا لم يعلم
عن هايبيرد، حتى إن نادياس لم يخبر عنه إلا سينا وسيكاي، كان هذا
بطلب من هايبيرد ذاته، فهو لم يرغب بأن يحمل شيئا يربطه بأورا.

أزهر الآفاريون الثلاثة معًا، بذات التعاليم وأوامر الرضوخ التام لـ
أورا، معها تقاسموا المشاعر إلا أن هايبيرد كان مختلفًا عن قرنائه، فهو
لم يتلون باللون الأسود الذي امتاز به نادياس وحورا، وحين إنترعت
أورا الأطياف منها وقدمتها للآفارين حظي هو بطيف الماء داخله. ذلك
الطيف المميز عن باقي الأطياف، وبمكر بالغ طهر دماء حامله من رحين
أورا، رويدًا رويدًا وعلى مر سنوات طوال، فلم تلاحظ أورا أو حتى
هايبيرد ذاته هذا التغيير، وحين اطمأن الطيف انه بأمان، تلاعب بأحلام
هايبيرد، إلا أنه لم يره إلا الحقيقة، من تكون الأطياف، مهمتهم التي
تخلت عنها أورا، من سبقهم من المخلوقات، لقد بُذوا للموت والمجاعة
مختنقين بغبار حجب عنهم الهواء والسماء، لتراقب هي دون فعل شيء
لإنقاذهم أو حمايتهم، كان بإمكانها دفع رحيقها إليهم، أو أن تهمس لهم
الارتحال حيث يوجد قليل من الشمس لإنقاذ أنفسهم إلا أنها فضلت
رؤيتهم أمواتًا على أن يستحكموا أرضها، ولأن شظية طيف الماء ظلت



ليرة داخل أورا الوقت طويل فلقد فقهت تمامًا ما ترغب وتشتهي، وما
في صانعة فقط لتحظى بمرادها.

أن ذلك كانت أورا في بداية إزهارها للبِنُّ من جيل الأولين، فعلم هايبرد
جذاماتبغني منهم، إلا أنه ما باليد حيلة لا يمكنه قتلهم أو إنهاء صانعتهم،
فالأطباء متناثرة في الأرجاء، إن رُغِبَ جمعها فعليه أن يطوف كل الأرض
ومجرد مخلوق وحيد. لسبب ما لم يعلمه هو أو حتى طيف الماء توالى
الأحلام دون انقطاع عليه، ولم تكن من زمن خلا أو بفعل الشظية فيه، هي
مثل قصاصات من غد مشؤوم، لم ير هايبرد كل شيء لكنه رأى قطرات
للماء المتساقطة، كل منها عكست الغد فيها، عدا أن الغد لم يكن جليًا تمامًا،
إلا نظرة واحدة نقيّة أظهرت له انعكاسًا لصورة ثادياس.

أيقن الآفاري أن عليه الثقة بما يراه الآن، فهي صور تأتي من حيث
لا يعلم، كنجمة ترشده لاتجاه سيره في هذا الطريق الذي يجهله، بل هو
طريق لم يقرّر اتخاذه بعد، وذلك حتى توالى عليه الرؤى، ثم ذات يوم
ومن دون سابق إنذار أو تفكير مسبق، شد هايبرد الرحال مبتعدًا عن
مسار أورا ومنها نحو الجنوب، إلا أنه توقف بعد عبور المسار ينتظر، أملًا
أن لا تخلذه الرؤى، وبلا كلل انتظر إقبال ثادياس إليه، إلا أن الرؤى
توقفت بغتة ليشعر بوجوده يهوي ذعرًا وحزنًا، ليعتقد أن أحلامه قد
خذلته، فلم يُعد يعلم ما هي الحقيقة من الكذب، أتلاعب به الطيف؟



ولأي هدف فعل؟ أما رآه مجرد كوابيس؟ ولكن أنى له رؤية كوابيس في حياة لا يعلم منها إلا طيب العيش ورغده؟ أحقاً هو أحق ليرحل عن الراحة؟ لربما حيث أورا هي الحياة الهنيئة، عليه العودة ما إن تشرق شمس الغد، مطالباً إياها الرحمة والعيش تحت ظلها ما دام حياً، وكأن الغد قرر تلقين هايبرد درساً للتشكيك به، اراه أسوأ كابوس قدمراً على مخلوق.

في ذلك الكابوس، وقف هايبرد على أرض جرداء على مد البصر، لتحيطه أعمدة دخانية تعالت للسماء لتحجب أي شعاع ضياء أن يلامس الأرض، هذا الكون كان ساخناً حد الاختناق، لتكن الريح التي أحرقت بدنه حيث شاءت، أو الأرض التي تأججت أسفل قدمه حتى إنه ما عاد قادراً على الدّوس عليها، فبحث في الأرجاء عن شجرة يعتليها، عدا أنه لا يبصر شيئاً وسط هذا الدخان والموت الذي فرض على الكون، ثم أمطرت السماء رماداً دثر الأرض كالثلوج. لم يطق هايبرد صبراً لمعرفة ما يحدث، وفي دعر أطلق العنان لقدميه باحثاً عن أرض عالية أو شجرة يرتقيها ليرى الغبراء أو أي شيء منها، ليصل لمسامعه صوت تحطم الأغصان من تحت قدمه عدة مرات، ويفضول غلبه نظر أسفل منه ليجد الجزع مكاناً له في وجدانه، فما أبصر لم تكن أغصاناً ميتة، بل بقايا جثث لمخلوقات عدة، كل حياة منها انتهت بطريقة ما، منها ما أحرق لهشم، الآخر مرقق لأشلاء، آخرون جُزّت أعناقهم أو سُلِبَتْ أفئدتهم، ولم تكن

هذه المخلوقات متوحدة في الهيئات، فلقد ازتمى على الأرض مخلوقات
بني الأشكال، الألوان والأعراق.

لقد كان هايبرد بطأً بقدميه بقايا هذه الجثث الكريهة، وفي ذعره سقط
إفامرازاً وتكراراً محاولاً الهرب بعيداً عن حقل الموت هذا، فجأة سقط
بوحل غليظ أنقل حركته، ليقاوم بشدة محاولاً الخروج من هذا الوحل
في الرائحة، نظر بمنة وسرة علّه يجد شيئاً يتشبّه به فيسحب جسده
تخارج، وحين أمسكت يده بغصن بدأ بجذب ذاته من الوحل، وإذا
بغصن يتحرك بين يديه، جاذباً هايبرد بعنف من الوحل، فيمسي معلقاً
في الأرض، لتأتيه رسالة صامتة قائلة:

امن يجرؤ أن يدنس سائلي الذي هو للمخلوقات أمير.

امتلاً الصوت خبثاً إلا أنه مألوف، لتعصف الريح قوية فيتلاشى
الدخان وتوضح الرؤية لـ هايبرد، ليزعر حين يجد أن ما أمسك في يده
لم يكن غصناً، بل هي يد مخلوق نفق داخل الوحل، وحين جال بعينه
الضطربة تمكّن من إبصار المتحدث، هو الأفاري حورا من صنع في
الأرض بركة من سائل الآقونيطن الخاص به، وفيه دفع بالمخلوقات فهم
له عيد، ولأول مرة يلحظ هايبرد الأصوات التي ملأت المكان، كما
أبصرت عيناه الأرض، بل ما كانت صورته مخيفة لها.

اكتظت السماء الدماء بأصوات الصراخ، العويل، وفرقة السياط،



والأرض باتت جرداء وجافة بلا أثر للحياة، وعلى مدّ البصر تناثر الرماد
أما الرياح فحملت معها رائحة الاحتراق والدماء. خلف حورا وقد
صفّ ذليل من المخلوقات كلّ ينتظر دوره ليُلْقَى في السائل الكره،
الجميع مذعور حدّ الموت، أما مَنْ قاوم منهم فقتل فوراً، وعلى هذه
الأرض التي تشهد كل الفظائع اعتلى عرش ذهبي زُين بأزهار الربيع،
لتربيع عليه مخلوقة هي الربيع في حسنّها وبكل رضا وسعادة راتبت
الأرجاء قائلة بصوتٍ عذب حمل الكثير من اللطف فيه:

«أنا أورا، والأرض أنا، عليكم يسري حكمي، بنا، جأناً أو بشرًا كنتم
هذه أرضي عليها استحكمت، وآخر معارككم خسرتم أمامي، فأنائي
لا أخسر، وبكم سافتك».

ارتعد هايبرد ناهضاً من كابوسه، وفي قرارة روحه هو موقن أن ما
رآه للتو لم يكن مجرد كابوس عابر، بل هي رؤى للأرض وإلى ما ستؤول
إليه إن بقيت أورا دون رادع لها؛ لذلك ومع بزوغ الشمس لم يتزعزع
من مكانه، بل استمر في الانتظار حتى يُقبل إليه مَنْ ينتظره، وبالرغم من
مُضي الأسابيع إلا أن إيمانه لم يتزعزع، ليكافأ بظل يُقبل إليه من الأفق، إنه
ثادياس^(١) المستظر.



أمر نادباس بقتل الآفاري الهارب ما إن يلتقيه، إلا أنه لا يعي ما هو القتل والموت، عدا أن هايبيرد بات يعلم ما هو الموت والقتل بعد ما أبصر من رؤى، ليقف الاثنان وجهًا لوجه يخوضان حوارًا بينهما من أنفاس غليظة، بلا أي صوت يرتحل بينهما^(١).

نادباس: «أين أنت مُرتحل عن أورا؟ أنسيت ما يحدث لمن يرحل بعيدًا عنها؟ كيف لك أن تنكر أصل وجودنا وترتحل هكذا؟»
«أخبرني، أنت مستعد لاتباعها دونما تساؤلات؟ أمستعد لفعل كل ما يُبل عليك منها، مهما كان الثمن؟»

نادباس: «هي أصل وجودنا، هي الأرض، لقد شاهدت بعينيك الحقيقة، لقد غرست الماضي كما المعرفة فينا، وأنت تعلم أنها ما كانت لتفعل أمرًا يؤذينا أو يؤذي الأرض، كما أنها تُزهر البنَّ لإعجار الغبراء، فكيف لك أن ترتاب من أورا؟»

هايبيرد: «لقد أخبرتك أن تقتلني وتعيد الطيف إليها، إلا أنك لا تعلم ما هو القتل، أليس كذلك؟ لعل أورا أخبرتك أن تنتزع فؤادي، أو تزيل رأسي عن جسدي، لكنني أشعر بالخوف يتتابك نادباس، أنت خائف من سلب حياتي، هل أنا مخطئ؟»

١- في الماضي وقبل هبوط الجان للارض لم يمتلك البنُّ لغة حوار صوتية، فتبادلوا الحديث عبر رائحة أزهارهم.

لم يحتج هايبرد إلى إجابة على سؤاله، فهو يعلم سبقاً، كل مد
الرؤى تمده بالمعرفة، وإن لم تكن المناومات التي يراها فهو نبض نواز
يخبره بها هو قادم. لم يجب ثادياس وخفض رأسه للأرض، وبعد قليل
من الصمت تحدث:

«ما الذي تريده إذن؟ ما الذي ترغب مني فعله؟ أعتقد أنني سأصدق
قولك خائناً أورا؟ أم تطلب مني أن أتبعك حيث تبتغي؟ لا يمكنني فعل
أي من هذا».

مد هايبرد يده نحو ثادياس، مُخرِجاً منها جذوراً دقيقة إشارة فهمها
الأخر، ويبد مرعشة أمسك ذراعه لتنعقد جذورهما معاً، وتتدفق المعرفة
لثادياس، من الأحلام، الكوابيس، كما همس الطيف، ما إن انتهى هايبرد
حتى خرّ ثادياس أرضاً يرتعد بعنف، لقد بدا الذعر عليه، وعينه تنظر
للعدم كما لو أن الذكريات ما تزال تُعرض عليه، وبالرغم من أنه لم يتحرك
إلا أنه يلهث، فلقد سرق الذعر أنفاسه جاعلاً إياه واهناً. هبط إليه هايبرد
مستظراً أن يبدأ، وبعد بضع ساعات من الصمت تحدث ثادياس:

«هل ما أرتني إياه حقيقي؟ أهذا مصير الأرض بوجود أورا؟ ومن
تلك المخلوقات التي ظهرت غير البين؟ ألا يوجد مفر من هذا القدر غير
إزالة أصلنا؟ وماذا تعني إزالتها؟ ماذا عن الأرض؟ هي الأرض، فما
سيحدث لها إن أورا رحلت؟»

هايرد: «لم أخدمك في شيء، لقد أريتك كل ما رأيت بيقين، لا أعلم
من المخلوقات التي تواجدت غير البين، إلا أنهم قاتلوا أوربا جهادة،
أعلم يقيناً أن الحياة في ظلها موت بطيء، سيتم استخدام البين لخدمتها
بوزرحة، كما أننا نحن الاثنين سنغدو مجرد أجساد تسيطر هي عليها،
وحرارهم المنفذ لكل أوامرها. نادياس، لا أرغب بحياة مثل التي رأيتها
في الكوابيس، ليس لي أو للمخلوقات، لا أعلم ما عدد الأزمنة التي
سنضي قبل إنهاء أوربا، إلا أنني أفضل أرضاً لا تكون هي فيها، وإن عني
هذا رجلنا جميعاً».

نادياس: «أنا لا أملك من الشجاعة ما تملكه أنت، فما الذي تريد مني
لعله؟»

«الآن، لا شيء، أنا أعلم الحقيقة كاملة كما تفعل أنت، سبق وأن اتخذت
قراراً، وبإخبارك الحقيقة يتهي دوري في هذه الحرب، فما أنا إلا شرارة
واحدة في كل هذا السعير الذي نحن مقبلون إليه، أما أنت ومن يتبعك
سوف تصنعون الأعاصير لتتجهج نيران الحرب التي تُنهى أوربا. سأقدم
لك شظية طيف الماء إلا قليلاً سأحتفظ به لذاتي، أحمله داخلك واستمع
للأطراف يا نادياس، أعلم أنك ستفعل الصواب، حتى لو لم ترغب في
هذا الآن، فانت أول قطرة في الوابل، أخبر أوربا أنك أزلت فؤادي عني،
أبشها بموت».

نهض هايبيرد من على الأرض واضعاً يده حيث فؤاده، داعياً الشظية للخروج منه ليصيب الألم جسده، عدا أنه تجاهل هذا الوصْب، فما سيؤكله الآن لـ نادياس وزر ثقيل، وليس الطيف فحسب، بل هو وزر كل المخلوقات التي سوف تسكن الأرض، هو وزر اليوم والغد بكل ما يحمل من متغيرات، أوزار أرواح سوف تعقد بأكبالها حياة نادياس. ما إن ظهر الطيف أمامهم بلا هيئة أو لون ارتعد الآفاري للخلف قلباً، فيما قام هايبيرد بشطر الشظية لشطرين غير متساويين مقدماً الأكبر منها لـ نادياس، لينظر للطيف في يدي رفيقه لبعض الوقت، ثم مديه حاملاً إياه لتلمع عيناه بشيء من الإيثار والقوة، ثم دفع بالطيف فيه، ليخرأ أرضاً متألماً، إلا أنها كانت ثواني فحسب، لينهض بعدها متاقلاً، ناظراً نحو هايبيرد في إعياء، متحدثاً:

«إلى أين ستذهب الآن؟ وهل ستقابل مجدداً؟ كيف لي أن أعلم ما أعمل به؟»

هايبيرد: «لا أعلم أين سبيلي، إلا أن الأطياف فيك ستدلك حيث تكون أرضي عندما تحتاجني، أما ما ستقوم انت به، فهو أمر أتركه لك، فلقد بدأت رياح التغيير تعصف ولا مانع لها مهما حاولنا، إنها أول دفعة للانهيال، لا رادع لما هو قادم».



لوقتٍ طويلٍ ارتحل الآفاري، معتمدًا على شظية طيف الماء فيه لعبور
الجبطن، وكلما شعر بالشك يتسلل لفؤاده من الغد المنتظر، أبصرت
عناهُ الأرض ليراها جميلة، مليئة بالحياة، أصوات الطيور المغردة بعذب
الأحان، تساقط ندف الثلج النقية، تصارع الحيوانات، ثوران البراكين،
كلُّ هذا جزء من الطبيعة والأرض، الحياة التي تنبعث من الموت ما هذه
إلا دورة الحياة، إلا أنه كان أمرًا طبيعيًا ليس مفتعلًا، ليس جبارًا، بل
هو جزء من وجود وكيان الأرض، أما ما رآه في ذاك الكابوس لا يُمت
للطبيعة بِصلة، لا شيء منها يُعتبر دورة للحياة، ما رآه دمار لا يُصلح،
إبادة وجبروت، حتى الدواب لا تفتعل بطرائدها ما ستفتعله أورا
بالمخلوقات إن لم تنتهِ؛ لذلك سينتظر هايبيرد، لعله لا يملك دوراً فيما
موقاد، إلا أنه الهمس الذي يدفع للتحرك، هو نسيم الريح الذي يعيد
إشعال النيران التي تكاد تمحّد.

عبر الأزمنة توالى على هايبيرد الرؤى، في كل مرة تُضيّ أوضّح، رأى
انعكاس الغد في القطرات بشكلٍ جلي، كما علم أن لكل مخلوق دورًا
في هذا الغد، من نيدرلين التي أشعلت نار الشك، ميزويا وألاعيه، ثم
ارتباط الينِّ بمخلوقات ذات أصل مختلف من نار، مهما طرأ على الغد
من متغيرات ظلت الرؤى هادئة مسالمة، إلا عند رؤية واحدة وهي لذلك
الينِّ ذي أزهار التيلوفر، تلك الرؤية التي حولت قطرات الغد من غيث

هادئ لأمطار جارفة، ليتوالى بعد ذلك هبوط الجان، ثم الجان الأسود الذي عصف بالروى كما فعل النيلوفر، لتلتحم بتلات الأزهار الزرقاء، مع إعصار ناري أكحل جنبًا إلى جنب ويتناغم لا مثيل له زلزل أسلر الغد كله، ليبدأ الانهيار الذي سيؤدي لنهاية أور، لعل هذا الانهيار سيطول حتى يبلغها إلا أنه قادم لا محالة.

على مُضي السنوات علم هايبرد بفعلة طيف الماء لأزهار بنٍ يحملون منه الكثير، ليقيم حوارًا مع الشظية الصغيرة فيه، عن أسباب هذا العمل الغريب، ليفاجئه طيف الماء بندم منه:

«أردت اكتساب جند لنا كما تمتلك تلك الطيف، إن وضعت من ذاتي فيهم فهم لنا قوة نستخدمها لقهر من على الأرض استحكمت، إلا أن من يحكمهم ليس عن جشع تلك الطيف ببعيد، هو يرغب بالأرض، كما هي، هذه الأرض ليست لأحد من المخلوقات، كما أنها ليست للأطيف، ظنت أن أوجدت لنا قوة في البحار فنحن المتصرون، إلا أن لا حكم للأطيف على المخلوقات، أخطأت فيما قمت به، ولست أملك من الطغيان الكثير لإبادتهم الآن؛ لذلك عندما يحين الأوان سيندثرون للأرض والبحار».

وبعد أزمنة ليست ببعيدة صدقت رؤيا الآفاري لتحترق أور، حينها كان قد سكن لأرضه الجليدية، لتمضي أسابيع قليلة يزوره فيها شبح من ماضي سلف، إنه نادياس منهك محطّم، أقبل إليه يخبره نهاية أور،

لهم باتوا منها أحرارًا، ولا خوف على الأرض منها، إلا أن هايبرد
يعلم غير ذلك، فروياه لم تنته بعد، هو يعلم أن لها انبعاثًا آخر، عدا أنه
إنجيز ثادياس بالأمر بعد، فلقد قضى حياة عصيبة حتى الآن، وهو أحق
بمخلوقات بقليل من السلام.

ومع الأزمان ارتعد هايبرد برؤية جديدة؛ ينُّ من الأرض يزهر
بلا ارتباط لهم بأورا، لقد كانوا ضالين تائهين، أما حورا فقد كان عليهم
جاء، عدا أن هذا ليس ما جعله ينتفض، بل اليقين الذي رآه آنذاك،
إن لاندثار أورا عاقبة، ألا وهي موت كل البنِّ ذوي القلوب الطاهرة،
لم يعلم ما عليه أن يشعر من هذا، أهى الخيانة؟ الاستغلال؟ أم الذعر
الخالص؟ عدا أن أكثر ما أصابه بالذعر من كل هذا هو مصير ثادياس،
فهو من أشعل شرارة الحرب، هو من بدأ بكل شيء، ومع هذا هو من
سبحل دماء البنِّ على يديه، كيف تكون إبادة جنس مخلوقات كاملة
مُغالبًا لما رآه هايبرد في كابوسه؟ هما الأمر ذاته، إلا أن الاختلاف يكمن
في أن الأرض ستحافظ على ذاتها، وهل هذا ثمن كافٍ أو حجة كافية
لإبادة مخلوقات كاملة؟ أين العدل في هذا؟ لوقت طويل تحبَّط هايبرد في
عواصف تساؤلات وشك، حتى إن ثادياس الذي شاركه الأرض راقب
الصراع الذي كان يخوضه، عدا أنه كان جاهلاً لما يتصارع معه.

وبعد أن فقد هايبرد كل عزم لديه، ووجد ذاته يفرق في الجهل
والكرب، قرر مفاتحة رفيقه بها يحدث، لعل بإمكانها إنهاء ما بدأه، إيقاف



هذا الانهيار قبل أن يطالهما وسائر البنّ، إلا غيظ ثادياس كان عظيمًا، لقد صرع هايبرد للأرض دافعًا بسّمه لجسده كي يقتله، عدا أن الأبطال داخل ثادياس ردعته، مانعة إياه من قتل البنّ، أما هايبرد فتم إنقاذه عبر الشظية داخله. منذ ذلك اليوم ابتعد ثادياس مرتحلًا، إلا أن الرؤى لم تتوقف عن زيارة هايبرد، لتصبح أعنف، ما بدؤه من شرارة باتت الآن نازًا لا تنطفئ، وعلى الأرض سارت عدد من المخلوقات، من بشر، جانّ، بنّ، هُجَناء ومخلدون، كلّ له عالمه الذي عليه يحيون، كما أن ثادياس ارتحل على الأرض لوقتٍ طويل.

أما هو فلقد ظل في عزله التي كادت أن تصيبه بالجنون، ما بين الصمت الذي احتكم عالمه، للذنب الذي تأكله من الداخل. كيف يمكن إنقاذ البنّ من الموت؟ هو لا يهتم لمصيره، فلقد عاش ألفتات طوال، هو اختار الموت بروح راضية، لكن باقي البنّ لم يفعلوا، فما ذنبهم أن يُحكّم مصيرهم دونها رضا منهم أو علم؟ في هذا التخطيط الذي امتد لألفتات، وذات يوم، فُتح باب الهرم الأسود، ومنه أقبل ذات الشبح الذي سكن هنا ذات زمن، هو ثادياس ومعه ارتحل اثنان من إناث البنّ؛ إحداهما رآها في قطرات الغد، الهالوك التي ستصنع الحرب وتسي قوتها الخالصة، أما الأخرى فما هي إلا انعكاس بسيط لا يكاد يُذكر، إنها الزنبقة العنكبوتية. ثادياس: «أرى أنك في حال يُرثى لها، هل قررت الاستسلام للموت؟»

هايبرد: «هل أنت هنا لإنهاء حياتي؟»

«أما زالت الرؤى تزورك؟»

«هي تقفُ مضجعي إن وُجد لي أصلًا».

نادباس: «أما زالت ترى نهاية أورا؟»

هايبرد: «لماذا؟ أترغب إيقاف هذا الغد؟»

«لا، أنا أَرغب به واقعًا لها، أريد ضمان حدوثه حتى بعد رحيلي».

ارتعد هايبرد من هذا اليقين، ليعيد النظر للمخلوق الذي يقف أمامه،
ألم حقا نادباس المتردد؟ لقد بدا مختلفًا، واثقًا قويًا، كما عاقدًا العزم.

هايبرد: «ما الذي تَغَيَّر؟»

نادباس: «فيما ظللت أنت في عزلتك ترثي ذاتك، وترى العالم خلال
أحلامك، جُبت أنا الأرض ورأيت كل ما علي رؤيته، لأحظى بعزيز على
فؤادي، بات لي من المخلوقات هجين هو من صليبي، أَرغب بحمايته من
الكابوس الذي أُرِيتني إياه قبل آلاف السنوات، بالطريقة التي تسير بها
الأمر الآن، ستؤول تلك النهاية لا محالة، ولست أَرغب بها لابني أو
للمخلوقات».

«هل ستمضي في هذا حتى لو عني الأمر إنهاء كل البين؟ أهو وزر أنت
مستعد لحمله؟»



ثادياس: «أسمعتَ بورثة الغبراء؟»

حرك الآخر رأسه نفيًا، ليردف ثادياس:

«لقد أخذت بنصيحتك واستمعت للأطياف، وعلمت بوجود مخلوقات نقية هم من سيمحملون الأطياف، هم من يدعون بورثة الغبراء، من سينهون أورا، ولست أنا، ولسبب أجهله لربما هو القدر الذي كُتب لنا أو لعل الأطياف تنجذب لي، إلا أن الأطياف جُمعت عن شتاتها وأقبلت إليّ، هذه الأطياف هي ملكٌ للورثة، وعندما يحين الوقت سأرحل من هذا العالم مانحًا الأطياف لورثتها الشرعيين، أما أنت فتدّين لي يا هايبرد لكل الألفيات التي قضيتها أرى بعيني، أحكم بعقلي، لكل الذنوب التي ستحملها روحي منذ بدأ هذا الانهيار الذي لا رادع له، وستوفي بدينك لي».

هايبرد: «وكيف سأفعل هذا؟»

«لتمنحني آخر شظية لطيف الماء فيك، ولتحيا هنا في هذه الأرض، ولتكن الشمس الذي يؤجج النيران، لتكون الضوء الذي يضيء لهم جهلهم كما يزيل خوفهم، أورا نجس لا بد أن يزول، كما أن بقاء البن على الأرض قد طال؛ لذلك آن أوان النهاية، وأنت من سيحرص أن تدفعهم لهذه النهاية، مهما كان الثمن».

ليستفص هايبرد من سباته، مقررًا السير وفق رغبات ثادياس، مقدمًا له شظية طيف الماء فيه، ومعها ارتحل الأفاري عن الأرض مقدمًا له



مدينة صغيرة في حال انقلبت الأوضاع للأسوأ، طريقة لحجب أورا
بعض الوقت، مكان يجد قدرتها، معلومة همست له بها الأطياف. ومنذ
ذلك اليوم لم يلتق الاثنان إلا أن هايبرد رأى موت ثادياس رؤية تزوره في
لها، ليحزن فزاده على فقدان الأرض مخلوقاً مثله.

في الأزمان التي تلت ذلك أقبلت العديد من المخلوقات حيث هايبرد
مؤيّن إنهاءه، لقد كانت أوامر من أورا، إلا أن أحداً منهم لم يعد إليها،
ثم إن اقربوا من الأرض الجليدية تغيرت رغبتهم وقرروا أن يسكنوا
الأرض، بالرغم من جهلهم لعاقبة أورا أو أن هايبرد آفاري، إلا أنهم
جمعاً أرواح ناقت للراحة، ليجدوها في هذه الأرض، ولعله ساهم في
هذا عندما دفع بالقليل من رحيقه في أجسادهم لتطمئن أفئدتهم وتسكن
للسلام، أو لعل هذا ما أخبره به ثادياس عن حدود قدرة أورا، إلا أن
فقد هاليس في هذا المكان، بل في الشمال.

الآن في هذه الأوقات باتت طبول الحرب تضرب بقوة، وأعاصير
القدر تعصف بلا هوادة، النهاية تكاد تكون قريبة، ليزور هايبرد شخص
من ماضٍ ما، إنها الهالوك باسم سينا الآن، تطالبه نجدة فئاتها، وطريقة
للنجاة، وحين قدم لها ما رآه، حيث إن الهجّناء من الموت بعيدون، توالى
رؤى هايبرد كوابل لا ينقطع، فباتت تراوده حتى في يقظته، أجل الانهيار
بكاد يصل.

الدين

ارتعدت المدينة وجدرانها حول ميزويا، ليعلم أنه تم اقتياده لنفخ ضج
خصيصاً له؛ كل هذا في مسمى للانتقام لما فعله به نادياس. لو أن طمعه
يكن أعمى، لو أنه قتل كل من يتذكر أو يعلم بشأن الآفاري اللعين. تبالكر
هذا إلا أن هذا المكان لن يكون ضريحه، ليس اليوم. لا يهم إن لم يحصل على
طيف الماء الآن، ولعله لن يحصل عليه أبداً، أو يشعر بنشوة القوة والسيطرة
المطلقة، وهذا أيضاً لم يَغْنِ شيئاً الآن؛ فكل ما يرغب به هو الانتقام من
أوقعت به، لتكن هذه البن أو الأخرى، سيجوب الأرض بحثاً عنها.

لم يعلم ميزويا إن كان سبب تزلزل المكان غارة من الأعداء أو يرى
ثار من الأعماق، وفي كلا الحالتين هو هالك ما لم يهرب من هنا فهو بعد
جيداً أنه مجرد وعاء فارغ للقوة، مجرد فخر وتباه أجوف قد ينحطم مع
أول زلزال يخوضه، فهو لم يقاتل يوماً في حياته. بالرغم من أنه ارتحل حاملاً
معه كل أفئدة البن المسلوية، إلا أنها مع جنوده، ما كان ليحمل ميزو
آلاف الأفئدة معه، عدا واحداً فقط؛ فزاد واحد أبقاه معه. لطالما احتض
بهذا الفؤاد بالقرب منه، وذلك لأنه عزيز عليه.

نظر البن للصديقة حيث يسكن ذلك الوجدان الواهن، ليحكم عند
طحالبه حول الصدفة. تصدعت الجدران من حوله من عظيم الزلزال

نرب به داخل الصروح، ومعها تعالت أصوات البين الصارخين
 بـم ثلاث الأرجاء بعير من الدماء، لتصبغ الخنادق المائية بألوان
 .. فبرك ميزويا أن ما هم فيه ليس بزلزال، بل هي غارة باغتهم.
 .. فبلا عن ليخطر بالموت أو قدر أسوأ؛ أي الإمساك به حيًّا
 .. أو، لتشتعل به شرور الأفعال.

هـ يلا على حيث طريقه الوحيد للنجاة، فالسقف الزجاجي يُظهر له
 .. خب من أي ين، ليدرك أن سبيل نجاته هي بالخروج عبر السقف
 .. داخل المحيطات. حرك ميزويا الماء مقرَّبًا ذاته للسقف، ثم شكَّل
 .. مئة ضاربًا بها الزجاج بكامل قوته مرارًا وتكرارًا، وما إن تصدَّع
 .. منق الماء وانهر بقوة كادت تحرف البين للداخل مجددًا لولا أنه ثبت
 .. أحد الأعمدة، ليرتطم وجهه بقمة العمود فيدرك السخرية في هذا
 .. فمة الأعمدة حملت نقش زهرة الكالا عليها، كيف له أن لا يدرك
 .. هو ذات الكالا الذي قتله بوحشية، ين أبه يرفض الموت حتى في فئاته.
 لكن الآن ليس وقت التفكير، انطلق مسرعًا قاذفًا ذاته من السقف
 .. منق ومنه صوب السطح. ما إن دفع رأسه للخارج وجد ذاته
 .. عملة باليابسة. الآن أمامه خياران: إما العودة للماء وملاقاة الأعداء، أو
 .. المعازفة بالبقاء على اليابسة محيطًا ذاته بالماء؛ أمل ميزويا أن أعداءه ليسوا
 .. مات دعائه، وإلا فتكون نهايته.

اقترب من الشاطئ ليمزج الأتربة مع الماء فيمسي طيناً غلف به بدنه،
وبين تجاويف الصخور التي غطت الأرض اختبأ، آملاً من كل نياط
وجدانه أن لا يلحظ وجوده أيُّ مخلوق. بعد لحظات اختل سكون الماء
لينبثق منه أحد أتباع أوراء، هو المدعو واردون، أحد أشد جنودها بطشاً
كما أنه ابنٌ مائي سام، ليوثق ميزوياً أنه ميت لا محالة إن تقاطعت طرقها.
حبس أنفاسه ذعراً من أن يصل صوت أنفاسه الجزيرة لمن يطارده، ونجد
في مكانه آملاً بكل إخلاص ألا ينكشف مخبأه. بحث واردون في الأرجاء
ناظرًا هنا وهناك، وبعد قليل من الوقت تحدث:

«ما كان لبني مائي مثله أن ينجو على اليابسة، لتُعيد البحث في الماء، نـ
أوراء ترغب به ذليلاً أمامها».

عاود البني الغطس في الماء، غافلين عن ميزوياً الذي نفذ من الموت
بأعجوبة، عدا أن ذعره كان أكبر منه؛ لذلك ظل داخل فقاعته حتى
غربت الشمس. أخيراً وعندما كاد الطين من حوله أن يتصلب وشارف
على الاختناق لفقدانه الماء، دفع ميزوياً بجسده الموحد خارج الفقاعة
الطينية، ليجرّ جسده على الأرض متجهًا للماء لاهثاً، عدا أنه ليس أحقاً
فقبل أن يلج للماء، وضع يده داخله مُزهِراً طحالبه البنية لتنتشر عبر المياه
وتجد طريقها للأعماق، وحين لم يشعر بوجود بني حوله دفع بجسده داخل
الماء مستعيداً أنفاسه.

فلما ميزوياً في الماء طائفاً لوقت طويل رافضاً الحراك، لم يكن ذعراً
نفسياً، بل حقيقة أنه خسر كل شيء: جيشه، أفئدته، مدينته، كما
تجرت. بات بلا قوة تنقذه من أوراء، فيما عدا هذا الفؤاد الوحيد الذي
يحمل بين يديه. عليه الانطلاق الآن حيث الأمان، لقاء لا تجده فيه أوراء،
إن كانت هي سيدة اليابسة، فهو ملك البحار؛ لقد أمضى حياته يكتشف
المصادر المياه على الأرض وفيها، ليعلم أين يقبع أكثرها خطراً، هناك
حيث لا يمر مخلوق على الوصول إليه.

هو ميزوياً للأعماق، حيث التواجد هنالك لوقت طويل قد يكون
مهكاً حتى للين المائي، ليس هذا فقط؛ فالأعماق مليئة بالبراكين الخطيرة
التي قد تنور وتنفلق في أي لحظة، إلا أنها مخاطرة قرّر أن يتخذها،
لنظري كامل جسده بالطحالب التي تقيه من الاحتراق. وفي ظلمات
تفنى الأبصار، حيث لا مرشد له إلا شعلات البراكين الشائرة من حين
لآخر ودخانها الذي زاد من ظلمة الأعماق، ارتحل حيث اليابسة التي
نعمل عليها مجرى النهر العظيم، ذلك الذي احتوى جزء منه على مياه
تغلي دون رحمة^(١).



بعد ترحالٍ لا يعلم ميزويا مداه، وصل حيث ينبغي، وذلك حين
وصل لمسامعه صوت خرير النهر يلتقي بالبحر. الآن عليه الصعود من
الأعماق، لكن قبل هذا عليه استخدام هذا الفؤاد العزيز؛ أخرج من
صدفته، معتصرًا إياه كما اعتاد، ثم غرز جذوره فيه ناقلًا إليه الذكريات
ليرى صاحب الفؤاد أين مكان اللقاء. بعدها انطلق البينُّ للأعلى، متهبِّجًا
فيما تخلَّل الظلام شعاعٌ من نور لتعتاد عيناه بريق الأشعة المنعكسة على
سطح البحر. أخرج ميزويا رأسه خارج الماء لينعم بالرياح والضاء من
حوله، أمران كانا السبب الرئيسي لجشعه، ليكمل طريقه حيث مبعثه
متنعمًا بالهواء العليل.

التحرك عكس تيار النهر عملٌ منهك للغاية ويتطلب الكثير من
المجهود، هذا عوضًا عن الحيوانات المفترسة التي ترتع في خبايا النهر؛
تلك الدواب مستعدة لتناول أي مخلوق مهما كانت هيئاتهم أو أنواعهم،
من الأسماك ذوات الأسنان الحادة، للشعايين مهولة الحجم والتي قد تلتهم
دفعه واحدة دون عناء، وغيرها الكثير؛ فمعظم الدواب والحشرات التي
تقطن هذه الغابة وُجدت لتقتل؛ لذلك تحتم عليه توخي الحذر.

شيئًا فشيئًا بدأت المياه تزداد سخونة، ليعلم البينُّ أنه يقترب لمنطقة
اللقاء. عاود إحاطة ذاته بالطحالب، لكن هذه المرة وضع عددًا منها
طباقة؛ حتى وهو يحمي ذاته بهذه الطريقة إلا أنه شعر بحرارة الماء نكاد

نفره، بل لقد حبس أنفاسه حتى لا يدخل الماء الحارق لداخل جسده
موقناً إياه من الداخل للخارج، كما أنه أغمض عينيه متحركاً بغريزته
فقط، ففتح عينيه هنا يعني فقأهما. وحين اشتدت عليه الحرارة انبثق البِنُّ
من الماء موقناً أن لا مخلوق شجاع أو أحمق بما فيه الكفاية ليفامر بالتواجد
حول هذا المستنقع الذي ينضح بالموت. من حُسن حظه أن السماء رأفت
به ليهطل المطر عليه، فلم يكن بحاجة لاستخدام هذا الماء الحارق للبقاء
جاً. استلقى ميزوياً على ظهره متلحفاً بالمطر، وكله رجاء أن يصل
صاحب الفؤاد إليه.

«تعلمين كم هو عزيز عليّ هذا الفؤاد؟ أنا لا أحتفظ به مع سائر
الأفئدة، أو أتركه بين يدي أحد من المخلوقات، أو تعلمين السبب خلف
هذا؟ لا، إنه ليس ما تعتقدين، ليس لأنك تُلبين كل احتياجاتي، أو تحبين
كل نداءاتي؛ لأنه كان الأول. إنه أول فؤاد استأصلته لي. في الحقيقة لم أعلم
إن كنت سأنجح أم لا، لربما كان الموت هو مصيرك، إلا أنني آمنت بقدرتي
على النجاح، وبشغفي اللامحدود للامتلاك. أرغب بالدنيا لي والمخلوقات
خاضعة لأمرِي، كل ما يسري على الأرض أو يخبت تحتها، كل غائص
في المياه، كما كل هبوب رياح، أرغبه لي. سيمت الماء واشتقت للياسة،
حتى حين لم تطأها قدماي يوماً إلا أن يدي لمست الأعشاب عليها؛ تلك
البحيرة الصغيرة حمراء وأوراقها كانت العالم كله بالنسبة لي. أذكر الشمس



تتخلل بأشعتها أمواج البحيرة، ما زلت أشعر بهبوب الرياح حاملة غير الأرض من حولي، كما الينُّ يتحركون في الأرجاء. لكن هنا، في هذا القاع الهاوي، أفقد أنفاسي، لا أكاد أذكر الشمس، وإن انطلقت شوقاً لرؤية قليل منها يتتابني الخوف من أن يراني جانٌّ فيحرقني، أن يكون أنباء أورا في الأرجاء فيقتلونني؛ لذلك أسترُقُّ قليلاً من أشعة الشمس حين تتخلل سطح الماء، وبين أعمدة الضوء أطفو تاركاً إياها تصيبني بالقليل من الحياة. إلا أن طمعي يكبر كل مرة، هو يكتسحني ويغمرني لأجد ذاتي أتعطش للحرية حدَّ الموت، ولم أعد أجد القوة أو العزم لأبج هذه الرغبة. رغبت بمن يحمل الأرض إليّ، بمن يُسخرها لي، لأطأها دون خوف، لأشعر بالنسيم يُخلق من حولي، لأشتمَّ ريح تراب الأرض. في هذه الأعماق لا نجد شذى لريح زكية، إنه نَتْن مليء بالموت والدماء. سئمت الماء؛ لذلك حظيت بفؤادك أنت والآخرين لي، ولأن فؤادك هو الأول فهو عزيز لي، هو دليل نجاتي».

تذكرت هيرانم قول ميزويا لها؛ بالرغم من أنها أصدق مرةً تحدّث بها، ولربما المرّة الوحيدة في حياته كلها يتحدث عما يحول في روحه، إلا أنه لم يكن حديثاً ودياً كما يُسمع. هي تذكر نظرات الشرِّ في عينيه، هو شرٌّ بلا حدود. بالرغم من ظلام القاع الذي كانا فيه، إلا أن وجهه كان أشد ظلمة من القاع، ليمتلئ بالحقد، البغضاء، الحنق، كما السخط لكل شيء».

نرجع انني لم نُعد تلامس وجهه، للشمس التي غربت عليه دون عودة،
نجر الذي أغرق روحه، مضطراً إلى الهرب منه لأبعد ما يمكن.

تمكن هيرانم من الشفقة عليه أو فهمه يوماً، لكن أمراً واحداً هو ما
بنا جيداً، وهو أن البنَّ مخلوقات حزينة، ضالة، ووجود لا بد أن ينتهي.
بعد أن صُغت بموت ابنها وحين تلاشى عنها بالاي، انطلقت بسخط
أنف للبحث عن تسبب لها بهذا الألم، عدا أنها تفاجأت بالمخلوقات
مجنبة باضطراب باد. لم تقترب منهم هيرانم، إلا أنها سمعت عن عاقبة
إيالة أور، وأنها الآن داخل سيون الذي يحمية نامار. أيقنت أن الوصول
لأورا الآن مستحيل، لكن إن علمت أمراً واحداً من المخلوقات فهو أن
نامار وسيون قوة لا يستهان بهما؛ لعلها لن تتمكن من إنهاء أور، بل هي
هفاه إن ظنت أنها قادرة على ذلك، عدا أن موضع غضبها يتوجه لمخلوق
آخر، ميزويا. عليها إيجاده وجعله يدفع ثمن موت ابنها، كما ستفعل هي.

توجهت للشاطئ، ومنه غاصت في البحر، متجهة للبحث عن سجّانها
الطاغي؛ هي لا تعلم أين هو أو ما يبغي، فلقد ارتحل عن مسار أور بعد
الغارة على أثران. لم يطلب الإذن أو يُقدم المبررات، فقد رحل دون أي
سبب، و أور لم تهتم حقاً بما يحدث له، فهي لديها جيشها المائي الخاص،
وما كان ميزويا الجبان ليضيف الكثير على قوتها، كما أن غرورها جعلها
تعتقد أن الحلفاء لن يجرؤوا على القدوم إليها بعد أن فقدوا الكثير، وكم

كانت خاطئة للاستهانة بالنار التي توجع روح المخلوقات، أمر لن نبأ
أورا أو ميزويا يومًا.

ارتحلت البلامون صوب مدينة ميزويا ولعل ثقته بها، بل عجرته ظنًا
أنها لن تؤذيه بسبب امتلاكه لفؤادها، تمنحها فرصة الاقتراب منه. هي
تعلم أنه ليس بمقاتل كما هي، إلا أنها تعلم يقينًا قدر ميزويا الذي اختاره
له: الموت على يديها.

في ارتحالها، شعرت بألم حيث فؤادها؛ إنه يعتصر مجددًا، ذلك الميزويا
يستدعيها، هو بحاجة إليها، وهذا ما كانت تبغي، ومع هذا الألم تدقت
إليها ذكريات عن مكان ما، لتعلم هيرانم أنه أرض اللقاء، مكان خطر
التواجد فيه، وما كان ميزويا ليختار هذا المكان لولا أن حياته بخطر؛
لتجبه صوب اليابسة ومنها إلى حيث تقودها ذكرياتها. بوجدان غرق في
الحزن والحنق تحركت للانتقام من ذاتها ومن ميزويا، فروح ابنها ليست
رخيصة ليطمهدرها دون عواقب.

أكملت طريقها سيرًا على الأقدام تحت زخات المطر الهادئة، عل
ضفاف النهر سارت معاكسة للسيل ارتحلت؛ إنها أول مرة تمضي هيرانم
عكس أي شيء في حياتها. وفي الأفق لاح لها بخار أبيض متطاير للسماء
وفيا اقتربت منه ازدادت السخونة في الأرجاء. ما كان ميزويا لينجو
داخل هذا الماء؛ أمّلت البلامون بكل فؤادها أنه لم يمُت بعد، رغبت بأن

تتهد الحياة تغادر عينيه، أن تشعر بالهواء يُسلب من جسده، لتصبح
بهاء دمويتين عند مفارقة الحياة. تصورت أبشع طرق قتله، كم رغبت
بغذيه! لتسمع صرخات ألمه تملأ الأرجاء، فيما تمتلئ عيناه جزعاً، وفمه
بُغق الرجاء للرحمة التي لم تُره إياها. لو أنها كانت زهرة سامة فقط، لو
أنها أي شيء إلا ذاتها.

نلاشى المطر، فيما ظلت السماء محتفظةً بغيومها التي لم تدع أي شعاع
شمس يخترقها، كأن الشمس حرمت ضوءها على هيرانم. بخطوات قليلة
وجدته، ميزويا أصل تعاستها ومن يحمل في يديه حياتها، ولكن ليس بعد
الآن. نهض ميزويا من على الأرض ناظرًا لها بصمت، لم يحمل في عينيه أي
شاعر، إلا أنه ولأول مرة منذ التقاها أبصر الحياة تنبض من عينيها، قائلاً:
«ما سر هذه الحياة فيك؟»

«وهل يهلك؟»

«أكنت تعلمين أن أورا أرسلت بالجنود خلفي؟»

هيرانم: «لا».

ميزويا: «كيف لك أن لا تفعلي؟ بل كيف لها أن لا تستدعيك لإيجاد
الأجوبة وأنت خادمة لي؟»

«هل كنت تعلم عن مصير المخلوقات فور انتهاء أورا؟»



«مصريها؟ إنها الحرية بالتأكيد».

هيرانم: «يا لك من جاهل».

انتفض ميزويا من مكانه، لم يسمع هيرانم تتحدث هكذا من قبل، لم تجرؤ أن تفعل، لظالما هابته حتى إنها بالكاد تنظر لعينه، كيف بالأحرى التحدث معه هكذا؟ رغب باعتصار فؤادها وقتلها، ولكنها خبطه الوحيد للنجاة وما كان ليقطع هذا الخيط الآن، إلا أنه ما كان ليدع هذا النوع من السلوكيات دون تحذير أو عقاب. اقترب منها والغضب ملء عينه قائلاً:

«أتجربين على التحدث مع مَنْ يملك حياتك بين يديه كهذا؟»

مد طحالبه نحوها وأحاط بها من دون لمسها، إلا أنها لم تجفل حتى.

ليدبَّ الرعب في فؤاده، قائلاً:

«يبدو أنك تملكين الشجاعة الآن، لا بد أن أورا تدعمكِ أو قلنت لك صفقة للإبقاء على حياة عشيرك وابنتك مَنْ لا تحبينهما حتى».

«أورا لم يعد لها هيئة، فقد التحمت مع النيلوفر وفرَّ بها هارباً خائباً الموت. عشيري لقد فقدته للأبد الآن، ولا مكان بيننا لأي عودة أو صلح، لقد حطمت فؤاده كما لم يفعل أيُّ مخلوق من قبل. أما ابني، عزيزي، وحبيب فؤادي الذي لم أعلم أنه يسكنه قبل هذا اليوم، فهو هنا لم أستحقها يوماً، وَمَنْ مِنْ أَجَلِهِ قَدِمْتُ إِلَيْكَ، لنكفر كلانا عن خطايانا



جبر. ونعل دماءنا وأرواحنا نحن الاثنين ليست كافية لتزن نصف ما
يريه روحه النقية. لقد كان أفضل من هذا الكون كله، وأنت وأنا من
ب حياته.

مع هذا أطلقت هيرانم لجام غضبها، مُطلِقةً حبلاً من البلامون نحوه
دفقةً يابها على عنقه، رافعةً إياه في السماء، ليختنق ميزوياً، وتخبط قدماه
في الهواء محاولاً الفرار منها. وبها لديه من أنفاس، أطلق طحالبه نحوها
غبةً، متزعاً ذراعها عن جسدها، إلا أن هيرانم لم تجفل أو تحرك ساكناً،
سبباً للآل مكان في جسدها، فلقد حملته روحها كاملاً. بدأ بصراً ميزوياً
ثلاثي ليحرك الطحالب بعشوائية رعناء لعلها تقتل هيرانم، وحين لم
يُجيبها قبض على الصدف التي تحوي فؤادها، ويدين متخبطتين حلّ العقدة
حول الصدفة لتفتح فيهوي فؤاد هيرانم نحو النهر الساخن محترقاً. وما إن
لسه حتى نهاوت أرضاً في وَصَب لم تعلم بوجوده يوماً، كلُّ جسدها يحترق
من الداخل، وأزهارها التي طوقت عنق ميزوياً بدأت بالذبول.

بالرغم من هذا العذاب الذي لا يكاد يوصف، والحريق الذي كوى
جسدها من الداخل حتى إن دماءها بدأت بالغليان، إلا أن هيرانم لم
تخلُ عن قبضتها على خصمها، لتزيد من قوة قبضتها على عنقه وقبيل
فقدانه الوعي، وفيما بقي به من إحساس هوت به البلامون للماء المغلي،
لتخبط مثل سمكة خرجت من الماء فتتنفّس عيناه بسائل أبيض مخلقة



وراءهما حفرتين سوداوين، ويتحول لونه من البني إلى الأبيض فوراً، فيا
ذاب الذهب من رأسه فتلاشت الأوراق التي كانت عليه، أما فمه فظل
يُطلق صرخات وَصَبِ ملأت الأرجاء. وبالرغم من الحالة التي كانت
فيها هيرانم، إلا أن صوت عذابه أمدّها بنشوة رضا لم تشعر بها من قبل،
لندفع به ميزوريا أكثر داخل الماء. وحيث إنها لم تره إلا أنها شعرت بجسده
يتخبط بين حبالها التي قيدته، ثم تلونت المياه بلون الدماء الحمراء، ومعهما
سكنت حركة ميزوريا الذي احترق حتى الموت.

خَرَّت البلامون أرضاً تنتظر الموت ليستلها، لتشعر بحركة ريع لطيفة
تحوم حولها، وجناحين أسودين يغطيان السماء من فوقها. بإعياء شديد
تَبِعَت عيناها هذين الجناحين العزيزين اللذين رفرقا فوق المياه، لتند
ذراعه متزعّقة فؤاد هيرانم المحترق من داخل الماء، فترفرف الأجنحة
عائدةً إليها وبكلّ لطف مفقود، حُمِلت بين ذراعي محبوبها، ناظرةً إليه كما
لم تفعل من قبل، وبهمسٍ قائلةً:

«لماذا، بالاي؟»

محبباً إياها بحزن عميق، وَحُبٌ قديم:

«لا أعلم».

«لعلها لم تُقَطَّع بعد».

لُجْجِهَا الْجَانُ لِيَتَمَنَّ حَالَهَا بِكُلِّ رَافَةٍ وَشَفَقَةٍ بِالرَّغْمِ مِمَّا تَسَبَّبتَ بِهِ لَهُ
بِرَّغْمٍ مِنْ كُلِّ أَلَمٍ، إِلَّا أَنْ فُؤَادَهُ حَمَلَ الْكَثِيرَ مِنَ الْحُبِّ لَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، لَعَلَّهُ
بِشَهْرِ مَنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَوْمًا؛ لَمْ يَعْلَمْ بِالْأَيِّ كَيْفَ يُمْكِنُ
بُخْفَاءُ وَالْحُبُّ أَنْ يَمْتَزِجَا مَعًا فِي فُؤَادٍ وَاحِدٍ لِمَخْلُوقٍ وَاحِدٍ.

هيرانم: «هَلَّا قَبِلْتَ أَنَا نِيَّتِي مَرَّةً أُخِيرَةً؟»

أومًا بِالْأَيِّ بَصَمْتُ، لَتُرْدَفَ:

«إِنِّهَاءُ أَوْرًا، إِنِّهَاءُ لِلْبَيْنِ. أَنِّهَاءُ رَجَاءٍ، فَلَا مَكَانَ لِلْبَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ».

بِالْأَيِّ: «أَرَحَلِي بَصَمْتُ الْآنَ يَا هِيرَانِم».

تَبَسَّمتِ الْبِلَامُونُ رَغْمَ الْأَلَمِ، وَتَمَنَّتْ لَوْ أَنَّ لَهَا ذِرَاعَيْنِ لَتَلْمَسَ وَجْهَ
مُحِبِّهَا مَرَّةً أُخِيرَةً، إِلَّا أَنَّهَا مَدَّتْ مِنْ أَزْهَارِهَا نَحْوَ وَجْهِهِ قَائِلَةً:

«شُكْرًا الْكُلَّ حَبْكُ، لَمْ أَسْتَحِقْ فُؤَادَكَ أَوْ فُؤَادَ زَاجِلُونَ يَوْمًا».

نَظَرَتْ هِيرَانِمُ لِلسَّمَاءِ الَّتِي سَمَحَتْ بِقَلِيلٍ مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ أَنْ تَخْلُلَهَا،
فِيهَا ذُرْفَتٌ عَيْنَاهَا الدَّمُوعُ اسْتَسَلَمَتْ لِلنَّوْمِ الْأَبَدِيِّ، وَبَيْنَ ذِرَاعَيْ بِالْأَيِّ
أَحِيلَ جَسَدُهَا لِأَزْهَارِ الْبِلَامُونِ الْأَزْرَقِ لِتَتَنَاقَرَ بِتَلَاتِمَاتِهَا مَعَ الرِّيحِ اللَّطِيفَةِ،
فَيَقْبِضُ بِالْأَيِّ بِشْيَاءٍ مِنْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَالدَّمُوعُ مِنْهُمْ رَا مَسَا:

«وَدَاعًا يَا مَنْ حَمَلْتَ مَعَهَا فُؤَادِي».



باسيليا

بعد انتهاء بارموث ومَن معه من إيادة كل الجان المنشق، تحركوا حيث الحرب على جزيرة أورا، لكنَّ أمرًا ما بدا غريبًا؛ فبالرغم من الدمار الذي ملأ الجزيرة، إلا أنه لم يكن هناك قتال، بل مجموعة من المخلوقات الضوا حول بعضهم البعض يتشاورون، وقد بدا عليهم القلق والتخوف. ومن بين كل شيء، لم يجد أثرًا لـ نامار أو جنود عنقال الذين قَدِموا للجزيرة مع إيلهاب، لينبئه حدسه أن أورا لم تزل وأن حربهم لم تنته بعد؛ فزوال عدوهم يعني البهجة الخالصة في الأرجاء، إلا أن ما يُجيم هنا هو الجزع الخالص. لا بدَّ أن تطورًا في الأحداث قد وقع لتنشأ أجواء مشحونة كهذه، وعلى بارموث معرفة ما يحدث.

أمرَ الملك جيشه بالاختفاء بين الغيوم، فيما هبط هو لداخل الماء، متشكلاً في هيئة بِنِّ مائي، ثم عاود الظهور على اليابسة مقترباً من المخلوقات حيث يراهم ولا يرونه، ليفهم ما يدور بينهم.

«إذن ما نحن فاعلون الآن؟»

«هل علينا أن نتق بما يقوله هذا الـ حورا؟»

«كيف يمكن لـ أورا أن تكون داخل سيون؟»

«بل كيف علمتَ بهذا يا حورا؟»

«أنا أفاري، شعرتُ به أورا تنتقل حيث سيون، بل إني رأيت طيفها
فيها».

«العلها مجرد خديعة لمنعنا من إنهاء أورا ونيل حرياتنا!»
«وهل أنتم مستعدون للمخاطرة بأمر كهذا؟ إنها ليست لعبة، إنها
جبتنا التي على المحك هنا؛ إن اندثرت أورا فكلُّ البِنِّ وَمَنْ له علاقة بها
قانون لا محالة».

«هل يشمل هذا الهُجَناءُ أيضًا؟ نحن لسنا بِنًّا كاملين أو نقيين».

«هل هذا كل ما يهكم الآن؟ أن تظلوا أنتم على قيد الحياة؟»

«أجل، هذا ما يهمننا. كلُّ مخلوق لنفسه الآن».

حينها تقدمت البِنُّ المدعوة ندرين قائلةً:

«هذا يكفي، لا أعتقد أن حورا يكذب، فلقد هرب سيون و نامار مع
رفقتهما بعيدًا فور إقبالنا إليهم؛ لو لم يكن الأفاري صادقًا لما هربوا به أورا
داخل الثيلوفر. علينا أن نتحد الآن أكثر من أي وقت مضى، إن انتهت
أورا انتهت حياتنا، وعلينا التأكد أن نامار لن يفتك بها. علينا إيجاد سيون
وحماية أورا داخله، جميعنا نعلم ما الجان مستعد لفعله لإنهائها، وأنتم أيها
الهُجَناء، لا تعتقدوا أنكم ناجون من الموت؛ لا يهم إن كنتم نقيين أم لا،
كل مَنْ له علاقة به أورا ميت».



استمع بارموث لكل ما قيل بذعر، ليس خوفًا على البن، بل لحقيقة أن سيطرة أوربا عليهم تمتد إلى هذه الدرجة؛ أن زوالها يعني زوالهم أيضًا، يا لها من قاسية متجبرة! يعلم الملك أن نامار ما كان ليقتل أوربا مادام هذا الأمر يُشكل خطرًا على إيلهاب، وما هو بقاتل سيون، فهو صديق الأوحده وغريمه. الآن كل العالم توحد من أجل القضاء على سيون ونامار ومن معها. كم غدر المخلوقات مخيف! قبل لحظات تعاضدوا حلفاء يسعون للفتاء معًا، وفي غمضة عين زاعت قلوبهم وتغير هديهم، كل هذا من أجل نبضات إضافية يحظى بها فؤادهم، حتى وإن غنى هذا إيذاء الجميع.

شعر بارموث بحركة من خلفه، التفت مسرعًا ليجد شوكة تكاد تُنرز في عنقه. نظر وإذا هي بن أنثى، ما إن التفت أعينها حتى وضعت إصبعها على ثغرها في إشارة له كي لا يتحدث صوتًا، لتقول هامة:

«أيها الجان، ما تفعل هنا؟»

نظر بارموث إلى جسدها ليرى نقش الهالوك عليها، ليعلم فورًا أنها الخائنة التي تحدث الجميع عنها، وقد رأت هذا في عينه لتعقب:

«لست بخائنة، أعلم أنك لا تثق بي، ولكن أحتاج منك إيصال رسالة لنامار وسيون».

بارموث: «قودي الطريق لخلوة نتحدث فيها».



انطلقت الهالوك قائدة الطريق نحو كهف بحري في أقصى الجزيرة،
به بارموث إليه مستعيذاً هيئته، وما إن رأت الهالوك لون لحيه الأبيض
حتى قالت بشيء من الخبث:

«يبدو أني في حضرة مَلِكِ الجان المُبجل بارموث».

«وأنتِ الخاتنة سينا».

«يبدو أن صِيتي يسبقني».

الملك: «ما لديك لتقوليه؟»

«أخبر نامار أن الهُجَناء لا يمسه موت أوراء، سواء جان أم بشر؛
سيتلاشى الِبنُ فيهم ببساطة، ويكملون حياتهم كفانين».

بارموث: «وهل عليّ أن أثق بهذا؟ قيل لي إنكِ قدمِ الفتاة التي ربيتها
للموت، فكيف أثق بحديث كهذا؟»

سينا: «فعلت هذا لأجعلها هجينة، حتى لا يطالها الموت عند فناء
أوراء. هي فتاتي وطفلتي، ما كنت لأدع الموت يطالها؛ لذلك فعلت هذا».

بارموث: «إن كانت هذه غايتكِ، لماذا لم تدّعي حامل طيف آخر يتزاع
الطيف منها عوضاً عن تعريضها للموت؟»

«انتزاع طيف من مخلوق أمرٌ يسير، انتقال الأطياف كذلك ليس بأمر
عسير، لكن هذا لن يجعلها هجينة؛ بل انتزاع الهالوك منها، إزالة نصفي



الذي يتأصل في وجودها، وما كان لمخلوق إلا أورا أن ينتزع المألوك.
أردتها حية، حتى لو عني هذا إصابتها بعذاب ووَصَب عظيمين، ما دامت
حية فهذا كُلُّ ما أبغي».

«لماذا لم تخبريهم بخطتك إذن؟»

سِينَا: «لأنهم لن يصدقوني، لقد قرروا أني خائنة منذ الغارة، وفي كلا
الحالتين ما كنت أرغب لهم أن يعلموا ما سيؤول إليه إنهاء أورا؛ لأن
هذا يعني أن يتقهقر الجميع عن القتال، ولن يتحرك أحد لقتالها، وأولهم
سيون و نامار. خوفهما على ذرياتها سيمنعهما من الحراك؛ لذلك أبقيت
الأمر سرًّا لنُهي الطاغية ونهي الأمر».

بارموث: «هل روحك مستعدة لحمل وزر إبادة جنس مخلوقات
كاملة؟»

سِينَا: «ما المهم فيما تستطيع روحي حمله إن كنت ميتة؟»
«أنتِ مقدامة مختلة أيتها البِنُّ، لسببٍ ما أصدق ما تقولينه. والآن ما
تبتغيه مني؟»

«أبلغ نامار بحقيقة أن الهُجَناء لن يقتلوا، طمئننه على سلامة نسله و
أريو، لكن لا تخبرهما بشأني».
بارموث: «ثم ماذا؟»

«الشيء»، سأكمل الأمر بعد ذلك».

«لأنّهم يهينون إليهم بهذا النبا بنفسك؟ لم لا تُنهين الأمر أيضًا؟»

سينا: «لن أظهر أمام مخلوق الآن، فلا أحد سوف يُصدق أيّ كلمة تخرج من فمي. أما بالنسبة لإنهاء الأمر، فلا فائدة من أن أبتغي أمرًا لا يريد الآخرون؛ إن لم يُقدم نامار على إنهاء أورا فلا يهم ما أقوم به أنا؛ تلك سأنتظر».

بارموث: «أليس هناك طريقة للحفاظ على البينّ أحياء؟ ألا يمكننا أن نر أورا في مكان ما؟»

«إنه حلم جميل، أليس كذلك؟»

«ألا تتحلين بالأمل؟»

سينا: «لقد استنفدتُ كامل معجزاتي أيها الملك، كذلك فعل البين، فلا أنتظر حلول معجزة أخرى».

قالت سينا قولها هذا، وقذفت نفسها في البحر منطلقة بعيدًا. حلّق بارموث للسماء مبتعدًا عن الجزيرة، ليجد بالاي يراقب بقعة واحدة في البحر، اتجه إليه الملك قائلاً:

«هل سمعت عن عواقب أورا؟»

انتفض بالاي الذي كان فاقد التركيز قائلاً:



«لعل ما يقال صحيح؟»

بارموث: «على ما يبدو. والآن ما العمل؟»

بالاي: «لا بد أن نامار ومن معه ذهبوا لإيجاد ملجأ لهم، كما أن هذهم
الأوحد الآن هو حماية سيون من المخلوقات وتخليصه من أورا».

بالاي: «أترغب بدعمهم؟»

«إن أبى نامار قَتَلَ أورا وقرر حماية سيون، ماذا تراني أفعل؟ كملك
لديّ واجب تجاه الجان، وكجان لست أبغي موت سيون، أو قهر نامار
على فعل هذا، إلا أنه أمر حتمي».

بالاي: «افعل ما عليك فعله أيها الملك، وأنا سأتبعك حتى تُنهي أورا،
ولكن أولاً ائذن لي بالرحيل».

«أنت لم تقتلها بعد، أليس كذلك؟»

صمت بالاي دون إجابة، ليُردف بارموث:

«أترغب إنقاذها من الموت؟»

بالاي: «لست أبتغي هذا، فهي ميتة قبل إنهاء أورا حتى، لقد عَقَدْتُ
العزم على هذا، إنما لا أتمنى موتها وحيدة، هذا كل ما في الأمر».

لقد رغب بارموث بقتل هيرانم بنفسه لو أمكنه هذا، وحقيقة أن
بالاي لم يفعل جعلته يرغب بإحراقها بذاته، فهي من خانت العهد مُبدلة



ولاءها لأورا؛ لو أنها لم تفعل لربما ظل والده حيًّا الآن، أو لربما تمكنوا من إنهاء أورا دون معرفة عاقبة موتها. عدا أن بارموث لم يفعل شيئًا من هذا، فلا حقَّ له بهذا؛ بالاي أكثر من خسر في هذه الخيانة، لقد فقدَ عالمه كله، والآن هو يتجه ليشهد احتراق آخر قصاصة من حياته، فَمَنْ هو لينع عنه القليل من السلام الذي تتوق إليه روحه؟

بارموث: «يوم واحد، هذا كل ما أستطيع منحك إياه؛ أنه ما تريد إنهاءه، ثم افعل ما أَمَلُوهُ عليك بالاي».

اجتمع الملك بالجان، ومعهم وجد عددًا من الهُجَناء الذين نقلوا نبأ ما يحدث لهم، ليبدو الاضطراب بينهم، إلا أن بارموث لاحظ أن عشيرة عنقال ممن كانوا معه قد رحلوا، فسأل: «أين ذهبت العشيرة؟»
أقبل أحدهم إليه:

«عندما لم يجدوا أثرًا لعشيرتهم ولَّوا الأدبار لموطنهم».

حينها تعالَى صوت قائل:

«هل هذا النبا حقيقي؟ هل تلك الشجرة الملعونة في ذلك البين سيون، وهل هو في حماية نامار؟»

«إن صح هذا الحديث، فه نامار وذريته خونة! لا بدُّ لنا من قتل تلك الشجرة مهما كلف الأمر أيها الملك، وجودها شر لا بدُّ من إنهائه».



«لقد قتلت أبناءنا، ودمرت موطنتنا».

«تركنا أرضنا وموطنتنا وتبعناك لأنك أخبرتنا أن هذه الحرب هي لإنهائها، هل سنراجع الآن خوفًا من نامار؟»

تعالَت الأصوات المستهجنة من هنا وهناك، أخيرًا نَحَلَّتْ بارمور بغضبٍ قائلاً:

«أيجروُ أحد منكم ليُملي عليّ أفعالي!»

قال قوله مُلَوِّحًا بفأسه النارية أمامهم كتحذير لهم ليردف:

«ألم تعتبروا من آلاف الجان الذين قتلتم للتو؟»

حَلَّ الصمت على الجميع ناظرين إليه بخوف، ليكمل الملك حديثه:

«سنعود إلى باسيليّا الآن لنعيد تشكيل قواتنا؛ فلا مكان لـ أورّا على

هذه الأرض. لا يهْم مَنْ يقف في طريقنا سنقتلهم ونمحو وجودها، لكن

نامار، نسله أو عشيرة عنقال، لا مكان لـ أورّا أو حاملها للاختباء منا،

وما دام عدونا هي عشيرة عنقال، فمن الحماية قتالهم دون استعداد.

تحدَّث أحد الهُجَناء مذعورًا:

«أيها الملك، ماذا عنا نحن الهُجَناء؟ لقد أقسمنا على القتال معك،

وأنت أقسمت أننا جان منكم. قَتَلْ أورّا يعني إبادة لنا أيضًا».

بارموث: «وأنا لا أخلف عهدي؛ قيل لي من مصدر موثوق إنه لا

خوف على الهُجَناء، بِنَا أو جَانًا كانوا على حَدِّ سواء، فقط البِنُّ النقي هم
المالكون. فهل أنتم مستعدون لخوض قتال مرةً أخيرة لإزالة أوربا
من على وجه الأرض، وتحرير أنفسكم منها؟

أوما الهُجَناء بالموافقة، ليردِّف بارموث:

«لتنقلوا هذا للهُجَناء من كل الأنواع على أرض الجزيرة أو حولها، كل
مَن يرغب بالانضمام لجيشي مرحَّب به، فقتالنا لم يَتَّهِ بعد».

انطلق الهُجَناء مُحلقين للجزيرة، صارخين أن الهُجَناء في سلام من
الموت، وأن البِنَّ وحدهم هم المعاقبون بالفناء، فلكل مَن يرغب بالحرية
الانضمام لـ بارموث المَلِك العظيم، فهو مَن سينهي أوربا.

نظر إليهم بارموث ساخرًا من جهلهم للحقيقة، وفكر: «لا أحد قادر
على إنهاء أوربا إلا ثلاثة مخلوقات الآن: حاملها سيون، وريث النار نامار،
ووريث الماء».

إلا أنه عند وعده، فما هو بجاعل لـ أوربا موطنًا على الأرض، حتى لو
عنى هذا فعل أشنع الأمور لإنهائها. فسيُفعل.

النجاة

انتقل نامار وآريز لموقع يتقاتلان فيه، لم ينس أي منهما بكلمة. وبالرغم من ثقل الواقع المطروح أمامهما إلا أن أيًا منهما لم يبادر بالحديث. فلا طائل من حوارٍ عن المجهول ومخاوفه.

بادر آريز بالهجوم ليقذف رمح صوب نامار، عدا أن الجان لم يتأده. فالرمح لم يكن مصوبًا نحوه، حيث إنه استقر أرضًا بالقرب منه. نظر نامار لآريز بتعجب، إلا أن الأخير انطلق مندفعًا صوب خصمه بكامل جسده، كما أطلق من جسده الشكران لإصابته، مجددًا لم يتحرك الجان، بل اكتفى بإحاطة آريز بدخان كثيف منه قائلاً:

«أنت لا تحاول نزالي حتى، ما الذي تسعى إليه؟ أنت تخطط لأمر ما.»
توقف آريز ناظرًا لنامار في صمت، ليرتعد الآخر في مكانه، لقد أدرك أن هذا المخلوق يضلله. استخدم نامار طيف النار فيه ليرى إن رحل أحد من المجموعة عن هذه الجزيرة، ليعلم أن ثلاثة منهم مفقودون، نظر شزًا إلى آريز قائلاً: «أيها اللعين، لقد خدعتني.»

ومن دون منْح أي فرصة لآريز، انطلق نامار صوب البحر، وقيل وصوله تناثر في الأرجاء غبار أبيض، ليتوقف الجان حيث هو عالمًا أنه الأفيون، وخلف هذا الغبار الذي حال بينه وبين الشاطئ وقف كل من

غارينا و سكارم مستعدين للقتال، هما يعلمان جيدًا أنه لا إيقاف له، إنما غرضهما هو إبطاء حراكه حتى تبتعد المجموعة الأخرى.

نامار: «أنتم تملكون الكثير من الجرأة لتحاولوا خداعي، ابتعدوا الآن».

لم يتحرك المخلطان بالرغم من اضطرابهما من الوقوف في مواجهة قائدهما، هما يعلمان يقينًا أنه لم يقتلها أو يؤذيها بشدة، لكن الواقع أنهما بفاتلان نامار، وأي أذى يصيبهما منه وإن كان طفيفًا سيعني ألمًا مبرحًا، عدا أنهما ما كانا ليتزعزعا عن مكانيهما.

أطلق نامار من لحيه الأسود صوب غبار غارينا مُحرقًا إياه، لينطلق سكارم صوبه قاذفًا بحباله الكاوية إلى القائد ليقبض عليها الآخر بيده فتحرقه، إلا أنه لم يجفل خلاقًا لـ سكارم الذي ارتعد من حقيقة أنه أذى قائده، ليحاول سحب حباله، إلا أن نامار جذبها بقوة ليجد المخلط ذاته يُخلق صوب قائده، وقبل أن يفقه ما يحدث إذا بـ نامار يلكمه بقوة في معدته، حتى إنه شعر بها تتمزق من الداخل، بل إن قوة لُكْمته حطمت شيئًا من أضلعه، جاعلةً سكارم يصارع لإيجاد الهواء.

حينها حلقت إليه غارينا بهيئة الصقر وبسرعتها العالية موجّهةً مخالبها الحادة نحوه، ليمسك الجان مخالبها ويُخلق بها لأعالي السماء بسرعة كبيرة حتى كادت أن تتجمد، ثم تفلت عن قبضته لتهوي نحو الماء، علمت غارينا أنها ستعظم إن هوت للماء بهذه السرعة والقوة، إلا أنها غير قادرة على



التحليق مجددًا، فقد تجمد ريشها. وقيل اصطدامها بالماء، وجدت أنها
تطفو فوقه دون لمسه، نظرت لتجد أن نامار أمسكها بحبال من دخانه،
مانعًا إياها من الموت المحتوم. حينها تحدّث سكارم من بين أله الشديد
ولهائه قائلاً:

«عليك تركهم يرحلون نامار، أريو قلق، جميعنا كذلك، أنت لا نخبرنا
عن عاقبة إنهاء أورا، كما أن سيون يتخبط في وَصَبٍ بين الحياة والموت، لا
نستطيع الوقوف مكتوفي الأيدي».

انطلق نامار عائداً للشاطئ حاملاً غارينا التي استعادت هيتها، ليُلقي
بها حيث سكارم المترنح والقابض على جسده المحطم من أثر لكمة.
نامار: «أخبرتكم أني سأجد حلاً لكل شيء»، وأنّي لن أضحي بأحد
فمَن سمح لكم بالتحرك وفَق هو اكم؟ ألم يُجَلِّ بخاطركم أن الأعداء
يملؤون الأرجاء؟ أن الجميع يسعى خلفنا وخلف سيون، هنالك مَنْ
سيأتي بُغية قتله وإنهاء أورا داخله، وآخرون سيرغبون في إبقائه حياً
لضمان حياتهم، نحن محاطون بالأعداء من كل صوب، ألم تفكروا بهذا؟
غارينا: «نحن نعلم هذا، نعي حقيقة ما نحن فيه، لكن لا يمكننا البقاء
مكتوفي الأيدي، نحن لا نرغب بموت سيون، عدا أنكم لا نخبرنا بأي
شيء، والآن انطلق الثلاثة لإيجاد إجابات ومخارج للمحنة التي نحن فيها».
نامار: «أين ذهبوا؟»



سكارم: «لن نخبرك، يمكنك قتلنا إن شئت، لن نفشي عن مكانهم».

بخط أردف الجان:

«لا تتحدث بأمر أنت تعلم يقينًا بأني لن أقوم به يا فتى، كما أنصحك بأن لا تتحداني، لعلي لن أقتلك، عدا أني أملك الكثير من اللكمات مثل مايفتها لتخطيمك، وهذا أمر أنا قادر على فعله».

علم سكارم ألا يستنفذ حظه مع نامار، بالرغم من أنه لن يفشي عن موقع رفاقه، إلا أنه قرر التزام الحيلة الآن.

سكارم: «ما العاقبة؟»

«لا شأن لك بهذا».

«أنا أيضًا أرغب بمعرفة هذه العاقبة التي تفرون منها».

نظر نامار لمصدر الصوت ليجده يالدا الذي قَدِم إليهم إثر الضجيج الذي أحدثه قتالهم، ليردف:

«حربك هي حربي، أيًا تكن هذه الحرب فأنا معك، إلا أني أرغب بمعرفة سبب قتالي».

علم نامار أن الحقيقة ستظهر عاجلاً أم آجلاً، إلا أنه رغب بالاحتفاظ بها لمدة أطول؛ لأن النطق بها سوف يجعل الأمر أكثر واقعية له. تنهد الجان قائلاً:



«إنه الموت لكل البنّ، هذه عاقبة إزالة أوراء، أنتما والهاربان من رفاقكما حتى نسلي، جميعكم مُعرّضون لخطر الموت إن أنهينا أوراء، هذه العاقبة التي نهرب منها».

تجمد كلٌّ من سكارم و غارينا حيث هما في دعر عاجزين عن إصدار أي صوت، أما يالدا فقد اضطرب من حقيقة أن إلهاب سيكون في خطر، إنه أمر ما كان ليسمح به أبدًا، ليتحدث: «لا يمكننا السماح بهذا، لا ينبغي أمر البنّ جميعًا، لكن ليس إلهاب».

نامار: «أتحسبني لا أعني هذا؟ كما أن كل فرد على هذه الجزيرة مهم لي، لقد بدأنا معاركنا معًا ولست أرغبهم أمواتًا، ثم هنالك سيون هو رفيقي ولن أقتله مهما حدث، لن أسلبه حياته، إلا أن العالم كله ضدنا الآن، لا بد لنا من إيجاد طريقة لإبقاء سيون حيًا، و أوراء أسيرة خارج جسده».

فجأة ارتعدت الأرض أسفل منهم، وعصفت الرياح أعاصير، ليهج البحر من حولهم، وإذا بالكوخ حيث سيون يتناثر شظايا مع الزوبعة التي نشأت من داخله. انطلق الجميع صوب الإعصار الخبيث، خلق نامار للزوبعة التي كادت تمزقه إربًا، ليتناثر دخانه ملتحمًا بالرياح فتصمغ باللون الأسود، ليتذكر الإعصار الذي أحدثته ليبين من قبل في ثورة غضبها أن هذا عمل طيف الريح.

نسارع نامار دافعًا ذاته بعيدًا عن الرياح ولداخل الزوبعة، ليجد ذاته

بذبت حيث السكون والهدوء التام، ليصر سيون يطفو في الأرجاء
بذبت ثيلوفر قد أزهرت من جسده إلا أنها لم تكن زرقاء فحسب، بل
تجلى بها بين الفضي والذهبي، إنها أورا. لم يعلم إن تمكنت منه ومن
بد يربح أم لا، إلا أن المشهد روعه.

حُلَّ مقترباً من سيون، وعلى حين غرة هوى من السماء كيان أسود،
جند غارينا وعلى ظهرها حملت سكارم، لقد قدما للبؤرة عبر السماء،
نُتِ نأمار قائلًا:

اتبأ، وافعل ما أقوله.

لوما الاثنان بالموافقة، اقترب الجان من سيون ليجد أن عينيه مفتوحتان
إلا أنه لم يكن مستيقظاً، بل هما لا تبصران شيئاً، عدا أن ما أجفله هو أن
حلفي سيون تغير لونها لتعسبا مزيجاً بين اللون الذهبي والفضي، حتى
وصلت شعره الفضي امتزجت بالذهب. أيقن الجان أنهم قد سيفقدون
ثيلوفر لـأورا إن استمر الأمر أكثر، ليقرر اتخاذ مجازفة إلا أنها أفضل ما
يمكنه عمله الآن.

كُثر عن مخالبه من إحدى يديه وأشعلها ناراً، ويكل قوته دفعها
لداخل سيون حيث فؤاد الثيلوفر الذي وضعته أورا داخله، ما إن لمس
الفؤاد حتى صرخ سيون وصَبَّأ، إلا أن نأمار لم يتوقف، فقبض على فؤاده
خلفاً آثار حروقي عليه، لترداد الريح عصفاً حتى إنها قذفت به غارينا و



سكارم لخارج الإعصار. وفي ألمه تحركت ذراع الثيلوفر لتقبض على ذراع نامار بقوة، محاولاً انتزاع قبضته منه، وحين التقت عيناها أوجس خيفة في نفسه؛ ذلك لم يكن سيون، بل أورا، عليم ذلك من البغضاء التي ملأت عينيه، هو لم ييغض مخلوقاً قط، لم يحمل كل هذا الكره في عينه يوماً، وما ينطق من عينيه الآن هي ضغينة أورا له. هي تكره حقيقة أن نامار يحول بينها وبين من تهوى، هو يحاول الفصل بينهما محاولاً قتلها وإزالتها، مع هذا تحوّل خوف نامار لسخط منها وعليها، كيف تجرؤ على التلاعب بسيون هكذا؟

حينها أشعل نامار لهيه داخل الثيلوفر، وبسرعة كبيرة انتزع فؤاده من جسده حاملاً إياه في قبضة يده المشتعلة، بالرغم من أن الفؤاد احبط باللهيب إلا أنه توقف عن الاحتراق. حينها تلاشت الأعاصير، ونظر نامار لـ سيون مجدداً ليجد أن أورا قد اختفت من عينيه، ليستعيد ذاته وفيها هوى للأرض، عقد الجان حبالاً دخانية حوله كي لا يتأذى، لبث الثيلوفر أرضاً لا هتاً إلا أنه لم يستعد هيئته الأصلية بعد.

سيون: «هل تمكنت مني؟»

أقبل إليه نامار موجهًا حديثه لـ أورا:

«أيتها اللعينة، إن تجرأتِ على القيام بأمر كهذا مجدداً، فاحرق فؤاده المحبب إليك بقبضتي هذه، سوف أحيله لهشيم ولن أجفل حتى، أفضل

يُثبتُ على أن أراكِ تملكينه، وإن كان قدره هو الموت فلسوف أكون
مريئكة لا أنتِ، أنتِ تعلمين جيدًا ما أنا قادر على فعله، فلا تختبري
عزيمي وعزمي^١.

جبتها عادت هيئة سيون لما كانت عليه، تلونت عيناه بالذهب فقط،
بدره بالأزرق، وعادت خصلاته للون الفضي، تنفس الجميع الصُّعداء.
لديون فقد وقف على قدميه، بالرغم من أنه ترنح قليلًا، إلا أنه انتصب
وقفًا مجددًا.

نامار: «أألس متعبًا؟»

سيون مبتسمًا: «أكاد أموت».

نامار: «جيد، أنت ماهر في مراوغة الموت كلما ظن أنه تمكّن منك، أما
زالت همس لك؟»

«إنها صامتة للآن».

غارينا: «هل استحوذت على طيف الريح؟»

«لا لن تفعل، هذه الريح عصفت في محاولة لردعها من تملككي، ما زال
للطيف إرادته».

نظر سيون من حوله، ليجيب نامار على تساؤله الصامت قائلاً: «هم
ليسوا هنا، لقد رحلوا بحثًا عن إجابات».



دعر النيلوفر معقبًا:

«إلى أين؟ أي إجابات؟»

سكارم: «بما أفي أعلم أنهم بعيدون بما فيه الكفاية، ولن ترحل من هنا لتتبعهم يا نامار، فسأخبركم؛ لقد اتجهوا حيث الأرض الجليدية، هناك حيث أنقذك من الموت سيون».

سيون: «في هذا خطرٌ عليهم، لماذا تركتهم يرحلون؟»

نامار: «أتراني ارعن مثلهم لإوافق على مجازفة كهذه؟ أولئك الطائشين تملصوا مني بمساعدة آريز، هم يعلمون أني لن أتبعهم إن ابتعدوا من هنا».

سكارم: «أريو في حالٍ يرثى لها، إنه قلقٌ حتى يكاد يفقد عقله، كما أنكما لم تشاركا معلوماتكما معنا؛ لذلك انطلقوا ليجدوا الإجابات بطريقتهم».

انتفض سيون من مكانه قائلاً:

«يبدو أن المتاعب قادمة إلينا».

أقبل جيش الجان محلقي في السماء صوب موطن عشيرة عنقال، رافعين أعلامهم المشتعلة، وصدى أجنحتهم المرفرفة ملا أركان السماء، هذا إعلان جاهزيتهم للحرب، فغايتهم واحدة: إنهاء أورا ومن يحملها



وكل من يجميها وصاحبها، وإن كان آل عنقال هم العدو فالجان
يقاتلونهم بكل بسالة.

فاد الملك جيوشه، وحين بات على مشارف أرض آل عنقال صدح
نادبًا:

عشيرة عنقال، بينكم خونة يأوون عدونا وعدوكم، وإن كنتم
نمومهم فأنتم أيضًا خونة لذو النار، قدموا لنا نامار، سيون، ومن معهم،
انحونا أورا، وسندعكم بسلام آمين، وإلا فإن الموت هو عقاب كل
خون.

فاد بالدا عشيرته لتُحلق صفوفًا من الغيبب الأسود أمام جيوش
باسيليا قائلاً:

«أيها الملك، ما تقوله ادعاءات باطلة، ما لم تملك إثباتًا على اتهاماتك
فلا تلقِ إلينا بالخيانة، وإني لأبغض الاستهانة والتهديد لعشيرتي، وكزعيم
هذه العشيرة الفخورة فأنا لن أغفر أفعالاً كهذه أبدًا. سبق وأن أظهر آل
عنقال الولاء لك ولوالدك من قبلك، وبالرغم من أن عهدنا لـ باسيليا
انقضى مع رحيل زابنيل إلا أننا قدمنا لحربك إجلالاً له، وقاتلنا معكم
ضد الجان، لم يفعل آل عنقال أمرًا يستحق تهمة الخيانة المهيئة هذه. ولأن
الكثير من دماء الجان قد أهدرت مؤخرًا، فأنا لن أخوض حربًا معكم،
وهذا ليقيني أن لا أحد من الجان يملك بأس عشيرتنا، فأني معركة بيننا



سوف تعني نهاية مُلكك أيها الملك؛ لذلك سأقدم لك هذا العرض: أرضنا لكم لتبحثوا فيها عمن تبتغون، ليكن نامار، سيون، أو أي مخلوق معهما، إن وجدتهم بيننا أو أبصرت ظلًا لهم هنا فسأقدم حياتي ثمًا لهذه الخيانة، وإن لم تجدوهم فهذه نهاية ما بين آل عنقال و باسيلييا، لا عهد بيننا، حروبكم هي لكم ولا تعني لنا شيئًا، على أحدهم دفع ثمن هذه التهمة الباطلة، و باسيلييا مَن ستفعل».

لم ينتظر يالدا إجابةً من بارموث، ليعتد عن الطريق أمرًا:

«آل عنقال، افسحوا المجال لجيش الملك، ليروا إن كنا خونة أم لا».

تباعدت صفوف العشيرة فاسحين المجال لجيش باسيلييا الذي بان جنوده يرتعشون، قبل لحظات وقفوا شائخين فخورين مطالبين بقتل الخونة، وبعد سماع تهديد يالدا أيقنوا أن بطش وقوة عنقال لم تخبوا أو تتداعى يومًا. أشار بارموث لجنوده ببدء البحث، وفيما تجاوزوا بالدا هابطين على الجزيرة هتف لهم زعيم العشيرة:

«لا تدعوا كهفًا، صخرة، أو قاعًا دون النظر فيه، أثبتوا بأنفسكم

براءتنا».

هبط الجان نحو اليابسة، ومنهم مَن غاص للماء، كلٌّ يبحث عن الخونة، فيما ظل القائدان يُحلقان وجهًا لوجه دون أن يتبسّا بكلمة واحدة، إلا أن الاضطراب ملا الأجواء، بين جيش باسيلييا الذين تمنوا وجود الخونة على

الجزيرة، وبين آل عنقال المتجهمين والمكشرين عن أنيابهم للقتل في أي لحظة تُسمح لهم، بالكاد تمكّن الجان من الحفاظ على رباطة جأشهم في هذا المشهد المهيّب.

ما كانت إلا لحظات ليُقبل الجان محلّقين خارج الجزيرة، آخرون أظهروا أنفسهم من داخل الماء يجرّون الفشل والحياة خلفهم، قال أحدهم:

«لا أثر لوجود أحد منهم أيها الملك، هم لم يكونوا هنا من الأصل».

بارموث: «سنعود لـ باسيليا، فَمَنْ يعلم أي أعداء يتربصون بنا الآن».

فيما تولى بارموث، أقبل إليه يالدا هامساً له:

«لك امتناني أيها الملك، أنا مدين لك».

لم يُعقب الملك وولّى ظهره للعشيرة.

في الحقيقة تمكّنت المجموعة من الهرب بفضل بارموث الذي بعث إليهم به بالاي، كان سيون أول مَنْ يستشعر اقتراب أحدهم، وذلك بفضل الطيف داخله، ما كانت إلا لحظات حتى هبط إليهم رسول الملك نعيساً ومنهكاً، بالرغم من أن أحداً لم يهاجمه إلا أن الجميع كان مستعدّاً للقتال، فكلُّ المخلوقات عدو لهم الآن.

يالدا: «ما أقدمك إلينا؟»

بالاي: «هل حقاً تلك الطاغية داخل سيون؟»



نظر بالاي إليه ليحصل على إجابته، بدا على النبلوفر الإغواء كما
الوصب، إلا أنه كان يقف على قدميه أيبًا. ليردف الجان: «لن أبل
الحديث، لقد أتيت بأمر من الملك لأخبركم التالي؛ أولًا: جيوش الملك
قادمة للقبض عليكم ولن يتوقفوا عن فعل هذا؛ لذلك اجعلوا مهنة
إيجادكم مستحيلة. ثانيًا: الهجاء في مأمن من العاقبة، أي مخلوق ذو
نصف فؤاد بن سينجو من الموت».

انشرت أسارير سيون و نامار خيرًا وسعادة، كأن كل ظلام العالم
يعد له وجود، إلا أن يالدا أيقظهما من هذه البهجة قائلاً: «كيف للملك
أن يعلم؟»

«أخبرني أن مصدرًا ما أطلعه على هذا، ولم يُبح لي بمصدره».

آريز: «أيمكننا أن نثق بهذا؟ لعلها مكيدة لجعل نامار ينهي أورامها
سيون».

عاد القلق ليخيم على المجموعة، ليردف نامار قائلاً:

«إن كان شيئًا مثل والده، فهو يستغل هذا الموقف؛ لذلك لن أت
بحديثه، وعلى أي حال سنرحل من هنا الآن، فلن أخطر بقدمهم هنا
أثناء تواجدها».

سيون: «ماذا عن أريو والبقية؟»



غارينا: «ستنبههم برحيلنا».

بالدا: «إذن لتحرك الآن».

نامار: «لا، أنت ستبقى هنا».

«لماذا؟ عليّ القدوم معك ومساندتك أنت وإيلهاب».

«أنت قائد العشيرة، وأياً يكن السبب لا يمكن أن تصنف العشيرة كخائنة، اتعي ما أقوله؟»

طأطأ بالدا برأسه، لقد فقه ما يقوله نامار وما يبتغيه، إلا أنه يبغض حقيقة عدم تقديم المساعدة، أراد أن يكون عضد نامار وإيلهاب، أن يعرض عن الألفيات التي لم يكن فيها معهما، إلا أن حماية العشيرة هو عمل القائد.

نامار:

«بالاي، هنا تفرق طرقنا، بالرغم من امتناني بما قمت به أنت و بارموث، إلا أفي لا أملك مكاناً للثقة الآن».

«أنفهم قولك، وحظاً موفقاً لكم، أرجو أن يكون القدر لطيفاً معكم، وسيون، لينتج».

انطلق بالاي مُحلّقاً بعيداً عن الجزيرة، فيما استعدت المجموعة للرحيل، ليعيدوا الكوخ الذي بنوه للأرض كما لم يكن، فيما حملوا متاعهم معهم



ليصنع نامار غيمة دخانية مهولة، حمل عليها سيون الذي بالكاد يُفي على
وعيه، سكارم، غاريننا، وآريز.

نامار: «إلى أين قد نذهب؟»

سيون: «أرض لا يُحِيل للمخلوقات أن نتواجد فيها، حيث تلقي
الصحراء بالبحر^(١)».

شعر أريو بوعيه ينفصل عن بدنه من الصدمة التي أصابته من حديث
هايبيرد والواقع الذي ألقى به إليهم، لا يمكن إنقاذ والده، إن أرادوا
إنهاء أورا ف سيون أيضًا سيزول. كيف يمكن هذا؟ كيف يمكن للفرد
أن يكون قاسيًا عليها هكذا؟ تلك المخلوقة التي تفرش جذورها داخل
روح والده محاولة الاستيلاء عليه، هي مَنْ سرقت منه والدته، حرمته من
أسرته، والآن تريد سلب والده منه أيضًا. لا بد من انتزاعها منه، لا يم
قتلها أو إزالتها، بل إن أريو يرفض إزالتها إن عني هذا خسارته لوالده،
فلا يهم أمر الأرض أو المخلوقات جمعاء، فهو لا يبصر إلا والده أمامه
الآن، وسيفعل المستحيل لإنقاذه.



بالنسبة لليبين لم تع ما قيل لها، تزعزع كل وجودها ويقينها من حقيقة ما قامت به سينا، أيمكنها أن تصدق هذا؟ فعقلها يخبرها أن ما عانت منه بسبب سينا جرم وخيانة لا تغتفر، إلا أن وجدانها يتعلق بكل الأيام التي قضتها مع الهالوك منذ لحظة ولادتها وحتى رحيلها من أثران مع البعثة. لقد علمت أن سينا أحبتها بإخلاص، ومع هذا فإن التضارب والتناقض العظيمين بين أفعالها ونواياها جعللا ليبين ضائعة ومزقة. هي تذكر ما همت به لها قبيل الوصول لجزيرة أورا: «انبذي الهالوك، تمسكي بالجلنار». انتفض بدن ليبين من هذا الإدراك المتأخر؛ لقد رغبت سينا منها أن نبضها، أن تنبذ كل ما يتعلق بالهالوك فيها، حتى لا تحاول أن تحافظ على وجود شيء منها داخلها، لقد فعلت ما فعلت فقط كي تزرع البغضاء في وجدانها لها، ولكن لماذا لم تخبرها؟ حتى إن فعلت هل كانت ليبين تُصدقها؟ لقد حكمت عليها بالخيانة في نوبة سخط وألم من فقدان والديها، هل فُطر فؤاد الهالوك من تُهم الخيانة التي أُلقيت عليها؟ لا بد أن الأمر مَرَّقها من الداخل. مع هذا فإن بدن ليبين وعقلها يذكران كل وَصَب مرت به منذ اختطفها سينا من أثران، كل السموم التي استقرت فيها لتفتك ببدنها وتسيطر عليها، وفوق كل هذه الشناعة لم تستطع ليبين أن تغفر حقيقة أن سينا سمحت لهم جعلها تبصر مقتل والديها، فهذا وَصَب لن يزول وذكرى لن تُمحي أبداً.



نظر إيلهاب إلى ما أصاب رفيقيه من حيرة واضطراب، كلاهما منجمد
تائه في أفكاره وصراعاته الداخلية، علم أن عليه تولي أمر الحديث الآن:
«كيف لك أن تعلم كل هذا هايبيرد؟ لقد قلت إنك من همس لـ
نادياس للاستسلام للأطياف، كما أنك كنت أحد الآفارين، فما نعب
بهذا؟»

«أجل أنا آفاري، وحملت شظايا الماء فيّ والذي طهرّ جسدي من أوراء،
ولسبب ما لا أعلم ما هو، إلا أنني قادر على رؤية الغد في مناماتي، لست
أبصر كل شيء، إنما هي كقطرات غيث متساقطة، أرى فيها ما يجعله الغد.
رأيت انتفاضة ندرين، أبصرت الأغصان تُزرع في أفئدة البن فيمسون
عبيدًا لـ أوراء، شهدت هبوط الجان وحروبهم، احتراق أوراء، علمت
وأبصرت كل الأحداث قبل وقوعها، كل حدث سيمر على الأرض حتى
نهايتنا نحن البن.

أتعلمون ما يحدث للماء إن ألقيت عليه حصي؟ تحدث موجات متكررة
تُبحر على وجه الماء حتى تختفي، وإن استمرت في إلقاء الحصوات مرة
تلو الأخرى فإن سطح الماء كله يتزعزع مُحدثًا أمواجًا متداخلة متلاحمة. في
رؤياي هناك مخلوقات هي الحصى التي تثير قلق سطح الماء، إنهم مخلوقات
وجودهم ثابت لا يتحرك أو يتزعزع، هم انعكاس الغد الذي أراه، هم
ركائز تغيير العالم. أولهم كان نادياس، رأيته يُحرك العالم بتحركات صغيرة

من أنها وضيفة، إلا أنها أساس كل شيء، من تموجات ثادياس امتد
 ن من سينا و مينوس، وقيل تلاشي موجة الآفاري إذ بحصى سيون
 نقي ليكون وجودًا عظيمًا يحرك الكون أينما ذهب، من هذه الموجة نشأ
 شاوران، ثم أريو، تتبعهما جلنار؛ لتتصادم موجتهما مع سينا، محدثة ليين،
 نلتقي موجتك مع أريو. وقبل أن يخبو تمدد موجة سيون ألقيت حصي
 نامار، متدًا بدارسون، لا يالا، ثم إلهاب، متصادمًا مع أريو وليين. هل
 نفهمون ما أقوله؟ كل حدث صغير أو كبير أو صلحكم لهذه المحادثة اليوم،
 انداركم التحدث معًا، وكنتم أنتم آخر الامتدادات لموجة التغير التي
 أحدثها الأربعة الأوائل: ثادياس، سيون، نامار، وسينا. كل فعل قام به
 هؤلاء أحدث موجة تردد صداها في ستار الزمن، لتلتحم هذه الموجات
 في منطقة زمنية ما، ومنها أحدثت موجات أخرى كنتم أنتم نتاجها، وكل
 شيء سيؤدي للنهاية ذاتها؛ القدر لا يتغير، حتى لو عبثنا في مساره أو
 حاولنا تغييره فالنهايات ذاتها ثابتة لا تتغير».

إلهاب: «إن كان هؤلاء الأربعة هم حصي التغير وركيزته، فما دورك
 أنت؟»

هابيرد: «ليس لي مكان من هذا، كل ما قمت به هو الدفع بأول حصي
 في انهيار أورا».

«بقولك لـ ثادياس أن يسلم ذاته للأطياف؟»

«أجل، كان دوري دفعه ليخطو للأمام ليتبع قدره، لقد ألقيت عليه
بوزر عظيم كاد يسحق روحه، عدا أنه وزر عليه حملهُ. علم نادياس نهاية
البنِّ ومصيرهم، إبادة عرقٍ كامل من المخلوقات ليست بحمل سهل،
ومع هذا فهو لم يوقف من مسعاه ليتحرك بهدوء، مغيرًا كل ما يقدر عليه
ببطء، وحين علم أن وجوده يعيق تدفق الزمن مانعًا ما يتحتم حدوثه،
التقى بـ ميزويا لينهي حياته».

رابولا: «كيف يمكن لوجوده أن يعيق تحرك الزمن؟ وكيف لمونه
تغيير هذا؟»

هايبرد: «موته جعل سينا ترتحل بعيدًا حاملةً طيف الريح معها، لنجد
عشيرها وتلتقي بشاوران وجلنار، وهكذا ولدت ليين وريثة الريح، لو
أن نادياس ما زال حيًا لما تحركت سينا عنه، لطالما كانت ظله».

إيلهاب: «هل موته هو ما جعل مينوس وريث الماء؟»

«هل قال مينوس يومًا إنه وريث الماء؟»

ارتعدت المجموعة ناظرين لبعضهم بعضًا، ولأول مرة منذ مدة
يتحدث أريو مجيبًا:

«لقد قال إنه حامل الطيف، لم يذكر يومًا أنه وريث له».

تبسم هايبرد قائلاً:



«لأن الوريث مخلوق آخر، نادى باس جمع شظايا الأطياف، وحين
 هملت داخله كاد أن يفارق الحياة من وزرها على روحه؛ لذلك حملت
 بينا طيف الريح عنه، ليحمل نادى باس طيف الماء داخله، إلا أنه قدّم
 الغف لابنه؛ لأن وريث الماء لم يكن مستعداً لحمله. يمكن لأي مخلوق
 مثل الطيف داخله، لكن أن تكون وريثاً للطيف فهذا يعني أن تملك
 روحاً تنفرد باليقين والعزم، ووجداناً من صلب يقهر كل خوف، إلا أن
 وريث طيف الماء لم يكن هكذا آنذاك، فحمله مینوس حتى يكون الوريث
 مستعداً، وحين بات الوريث جديراً، اتجه لـ مینوس لأخذ الطيف».

شهقت لييين مرتعدة من على مقعدها، لينظر الجميع إليها، قائلة من
 بين أنفاسها:

«سینا هي وريثة الطيف!»

نظر الجميع إلى هايبيرد في بهتان، ليتسم قائلاً:

«هي سینا، وكل ما قامت به منذ اللحظة التي علمت فيها أنك وريثة
 أيضاً هو من أجل تحريرك من الين وإنقاذك من الموت، قادتكم لإنشاء
 اثران، دفعت بـ شوران لصنع الجيش، استعادت طيف الماء، وانتزاع
 المالوك منك، كل خطواتها كانت محسوبة وتهدف لحمايتك، كل شيء كان
 من أجلك أنت يا لييين، فئاتها».

تفاوت لييين على المقعد الذي كانت عليه تتحبب باكية على الألم الذي



تسببت به لـ سينا. وضع أريو يده على كتفها في محاولة لتهدئتها، إلا أنه هو أيضًا مضطرب ومنهك من كل ما أُلقي إليهم من حقائق، وقّع هذه المعلومات كان فاجعة له ولكل من حوله.

أريو: «أنت تقول إن النهايات واحدة لن تتغير، إلا أنني أرفض نصلياً هذا أو الخضوع له، لن أسلم أبي للموت، لن أسلمه لـ أوراء، سأفعل كل ما عليّ فعله لإنقاذه؛ لذلك أخبرني ما عليّ القيام به، لا بدّ من وجود طريقة لاحتجاز أوراء، لمنعها من التصرف كما يحلو لها، لا بدّ من طريقة لفصلها عن جسد أبي».

نظر هايبرد نحو أريو قليلاً ثم تحدّث:

«استمع سليل سيون، هنالك طريقة قد تنجح في احتجاز أوراء، إلا أن نزعها من والدك رغماً عنها أمرٌ ليس لي به علم ولست أراه، إلا أنني ولأول مرّة أرى خيارين في الغد، مسارين يمكنك سلككهما، إلا أن أياً من المسارين تختار فالنهاية هي ذاتها، كل ما في الأمر هو أنك تؤخر المحتوم فحسب».

أريو: «لست أمانع تأخير المحتوم، كلما أخرته ازدادت فرصتي لمزيته، فأخبرني الطريقة الأخرى».

«اتجهوا للشمال، لأقاصي الأرض هنالك حيث البحر الجليدي محاط باليابسة، حيث يبدأ الكون وينتهي، لا مكان لـ أوراء هناك، بل إن الأطباء



بما تخبرني تلك المنطقة، هم لا يتلاشون لعدم، بل تحبو قوتهم فحسب،
تخفوا هناك وانظروا ما يحمله لكم القدر».

يوكيم: «لتأخذونا معكم في هذه المهمة، فنحن لكم داعمون».

إلهاب: «كيف علمتم بوجودنا هنا؟»

بعد أن أنهيت مهمتي وأحرقت كل أثر لـ أورا على الأرض، والتي لم
كن بكثيرة في الواقع، فمعظمها أشجار لم تُزهر بعد، وحين تأكدنا تمامًا
من تأدية واجبنا انطلقنا لأرض المعركة كي ندعمكم، لكن القتال قد
انتهى، ورأيت المخلوقات مجتمعين مضطربين، إلا أن ندرين تولت زمام
الأمر ناصبةً نفسها قائدة لهم بدعم من حورا، كانوا يصرخون بضرورة
منع سيون من قتل أورا، حينها أقبل إليّ إيباي وأخبرني بما حدث».

إيباي: «لقد هتف بعض هُجّناء الجان بأن أي هجين محصّن ومحمي
من عاقبة إنهاء أورا، إلا أن الهُجّناء انقسموا لفريقين: البينُّ منهم أعلنوا
الحرب ضدكم فهم يعلمون أن أبديتهم تنتهي إن تلاشى جزء البينُّ منهم،
أما الجان ففضلوا الانضمام لـ بارموث الذي أعلن ضرورة قتل أورا،
وأعلن أن نامار ومن ينصره خونة».

شعر إلهاب بغضب لم يسبق له مثيل ليصرخ:

«ماذا؟ نحن خونة؟ كيف يجرؤون؟ بعد كل ما قدمناه من أجلهم،
الآن يعلنون الحرب علينا».

حينها أتى صوت من خلف الباب قائلاً:
«ليس تمامًا».

التفت الجميع لمصدر الصوت، إنها شمايا، أقبلت إليهم بهدوء ويفيز
بما تقوله.

إيلهاب: «كيف أتيتَ هنا؟»

شمايا مشيرة إلى يوكيم ومن معه:

«لقد تَبِعْتَهُمْ»

يوكيم: «كيف فعلتَ ذلك؟ لم نركِ أو نشعر بكِ، بل كيف دخلتِ إلى
الهرم؟»

«هو مَنْ أدخلني للهرم» أشارت هذه المرأة إلى هايبرد.

هايبرد: «إنها تمدد موجتك يا إيلهاب».

لم يُعقب الآخر ليوجه حديثه إلى شمايا:

«ماذا تقصدين بـ ليس تمامًا؟»

«الملك طلب من بالاي الاتجاه لعشيرة عنقال حيث يعلم أنكم هناك،
لينبشكم بقدوم جيش باسيلييا إليكم، فهو كملكٍ عليه التحرك ضدكم،
ولكن كجان لا يرغب في قتالكم؛ لذلك بعث بمرسول إلى نامار».

إيلهاب: «كيف علمتَ بهذا؟»

شباباً: «لديّ سمع قوي للغاية؛ لذلك سمعت حوارهما، ثم سمعت حوار هؤلاء، وعلمت أنهم قادمون لإيجادكم والتحالف معكم».

أريو: «لماذا تناصروننا؟ رابولا أنت بنّ كامل، ألا تخشى الموت إن أتينا أورا؟»

ديفينا: «أنا، هانا وإيماي ننفذ آخر وصية لـ أنثوس، أن نكون مخلصين لـ سيون».

هانا: «من يرغب بالحياة المديدة والتي لا تنتهي بأي حال؟»

يوكيم: «لقد أبصرت ما تفعله أورا بالمخلوقات، ستظل هذه الأرض تشهد حروباً لا تنتهي ما لم تُنْهَها، لقد تقاتل البنّ والجان لألفيات، وها نحن نشعل الحرب مجدداً، في رأيكم كم ستحمل هذه الأرض من حروب عليها؟ ولماذا على المخلوقات دفع ثمن غرور وجنون طيف واحد؟»

رابولا: «أنا أجمل كلا الرأيين معي؛ ما لم ننهِ أورا ستكون حياتنا سلسلة من القتالات والحروب التي لا تنتهي، كما أفي عشت لوقت طويل جداً، فعنّى نحن البنّ الخالدين لسنا بأبديين، لا بدّ لنا أن نفنى ذات يوم فهذه هي حتمية الحياة. أنا أفضل إبادتنا فيما تبقى لدينا القليل من العاطفة قبل أن نحول لوحوش ضارية تقتل كل من يهدد وجودها، لنرحل بذكرى طيبة ولنُتمنح ذكرانا من على الوجود، لتصبح قصصنا من ماضي منسي أو مُناس».



حينها تحرك الحجر الذي كان مع لييين، إنه نامار متحدثاً إليهم:

- نلتقي. البحر. الصحراء.

نظر الجميع في تعجب من الرسالة؛ فهم لا يعلمون ما يقصد، حينها تحدث رابولا:

«أعلم أين هم».

تحرك الجميع نحو البحر، وقبل أن يرتحلوا تحدث إيلهاب مع شيايا قائلاً:

«اذهبي حيث عشيرة عنقال، وأخبرهم أننا سنلتقي بـنامار، فلا تقلن يالدا علينا، ولتبقى حيث عشيرة عنقال، فـيالدا سيرحب بك إن علم أني من بعثك».

توجه هايبيرد لـأريو قائلاً:

«تذكر سليل سيون، أن القدر محتوم، كل ما قدّر سيقع».

«لست أؤمن بهذه الأمور».

لم ينتظر أريو حديثاً من هايبيرد، محرّكاً الماء انطلقوا مع حلفائهم حيث يقودهم رابولا.

جلس كل من أريو ولييين على ظهر القارب متقاربين ومنغزلين عن معهم، كلاهما يمسك يد الآخر في صمت، هنالك الكثير من الحديث



لنَّ، إلا أن وفرة منعتها من نطقه، فؤادها علمًا ما يفكر به الآخر، إلا
أنها عاجزان عن انتشال بعضهما البعض من القاع الذي هويًا فيه، فوجدوا
نلوى بتقارب جسديهما وتباعد عقليهما.

في تلك الخلوة القاتلة، ظلت ليبيّن تكرر مشاهد ما حدث معها مرارًا
ونكرًا، عسى أن تجد كذبة فيما قاله هايبرد، إلا أن كل مرة تتذكر فيها
الأحداث يزداد يقينها ببراءة سينا وسحق إخلاصها، بل هو يبدو منطقيًا
أكثر من أي شيء آخر، منذ اللحظة التي شكّت فيها بسينا وهي في صراع
ضد كلمة واحدة: «لماذا؟».

قد تزلزل كيائها حين ظنت أن الهالوك خائنة، كل الآلام التي تكلمها
جسدها لا تضاهي ما عانته روحها كما فؤادها من اللمم، بل لعل سينا
ناست الأمرين لدى رؤية فتاتها بهذه الحال. ومع هذا الإدراك غرقت
ليبيّن في الندم، لقد أذنبت في حق سينا التي فعلت المستحيل من أجلها.
لماذا لم تع أن تجمدها ومشاهدة موت والديها ليس إلا ذعرًا مما شهدت؟
لقد أحببت الهالوك والديها جدًّا، هما كانا عائلتها وهي أيضًا حملتهما في
ذات المكانة. تذكّر ليبيّن الليالي التي اختلت فيها سينا بمفردها باكية على
«فارديون»^(١)، لتواسيها جلنار دون كلل أو ملل، لقد كانتا كالشقيقتين،
كيف لفؤاد يبكي موت محبوبه حتى بعد قرنين من الزمان أن يكون فؤادًا

١- مُزهرون: عشم سينا ومن منحه فؤادها.



خائناً؟ شعرت ليبين برغبة مُلحة لإيجاد سينا الآن والاعتذار منها، إن ترجوها الصفح، لكن أين هي على هذه الأرض الفسيحة؟ وإن وجنتها حقاً فهل لها أي حق لطلب الصفح؟ ولأول مرة في حياتها المديدة تشعر ليبين بالخزي من ذاتها، وهو خزي سوف يلزمها مادامت حية.

ظل أريو يدرس كل الاحتمالات الواردة محاولاً تجنب أسوأها، ألا وهو خسارة والده الذي يعلم يقيناً أنه لن يمانع الموت إن علم أن ابنه مستثنى منه، كما هو الحال لـ نامار، لعله لن يقتل أورا فوراً إلا أنه سيفعل إن وصل الأمر لأسوأ الأحوال، وهذا ما يرغب أريو في تلافيه. الآن وكل العالم ضدهم، سوف يسمي الوصول للشمال مهمة عسيرة، حتى لو علمت المخلوقات أنه يمكن احتواء أورا هناك ومنع فئائها فلا شيء، سوف يضمن أنهم لن يقاتلوهم، فهناك الكثير على المحك، ولا غلوف يجب أن يتم العبث والمقامرة بحياته. ثم هنالك احتمالية أن البعض لن يبالي بالموت ليسعوا خلفهم لإنهاء أورا، فهذا ما سعوا صوبه منذ البداية.

وعداً عن البن، هنالك أيضاً خطر الجان، فهم دون شك سوف يسعون لإزالة عدوهم دون أي اهتمام بمن يفنى، حتى لو تعاهدوا على السلام وعدم التدخل، إلا أن الأبدية وقت طويل جداً لتدوم فيه المعاهدات والسلام، بالتأكيد سينقلب الجان عليهم يوماً ما، لكن السؤال يبقى متى؟ وإن حدث هذا فمن سيكون حلفاء لهم في حربهم ضد الجان؟

هل يمكنه أن يأمن المخلوقات مجددًا؟ ثم هنالك عقبات لكل حرب،
لها غنابات حروب متواصلة بين المخلوقات؟ وماذا سيحدث لو أن أورا
نحرت من سجنها في زمنٍ ما؟ وماذا سيحل لـ سيون حينها؟ بل كيف
يمكن لـ أريو إزالة أورا من داخل والده؟

نظر إيلهاب إلى ليين و أريو مشفقًا لحالهما، كلاهما في وضع لا يُحسد
عليه، بالرغم من أنه يشاطرهما قلقهما ومخاوفهما، إلا أنه لا يعادل ما
يشعران به. اقترب يوكيم إليه قائلاً: «ماذا ستفعل معهما؟ يبدوان في
وضع مزرٍ».

هانا: «ألن تكون كذلك؟»

يوكيم: «بلى، ولكن عليهما لُ شتات نفسيهما».

اقترب إيلهاب منهما متخذًا مقعدًا له أمامهما، نظر إليه أريو و ليين
بعينين خاويتين، عَلِم حينها أن مهمته ستكون صعبة، لو أن سكارم هنا
لعلم ما يفعل فهو شخصية مريحة بطبيعته، ليتنهد بأسى قائلاً:

«هل انتهيتما من الشفقة على حالكما؟»

أريو: «هل تظن أن ما نمرُّ به مزحة؟»

«هل تعتقد أنت أن ما نحن مُقبلون عليه يلزم الشفقة على الذات؟
جميعنا دون استثناء مهتمون بأمر واحد الآن وهو إبقاء سيون حيًا،

فتوقف عن التصرف كما لو أنه قُتل، وكما استعدنا لِيَيْن من أورا معًا، سننقذ سيون معًا. وأنتِ يا لِيَيْن، توقفي عن لوم ذاتكِ، لا أحد كان يعلم ما تحيكه سينا، هي بغت أن نشك بها، أن نتصرف نحوها بهذه الطريقة، كل هذا جزء من خطتها لإنقاذك، ونحن وقعنا في فخها جميعًا دون استثناء. أعلم ما ترددينه داخل رأسك الآن: «لكن أنا من بقي معاقرة أطول، أنا من أعرفها أفضل منكم». هذا صحيح، أنتِ تفعلين، عدا أن هذا لا يعصمكِ من الخطأ، لقد فقدتِ والديكِ للتو، ومن كنتِ تعتمدين عليها لحمايتهما وقفتِ تشاهد دون حراك، أليس من البديهي أن تُشكك بها؟ توقفي عن التفكير فيما مضى، وانتظري قدوم سينا للاعتذار منها، فما دامت هي ورثة الماء فستظهر ذاتها قريبًا. والآن كلاهما انهما من هذه الهوة المظلمة، لقد أصبتماني بالشؤم».

علم أريو وليين أن ما يقوله إلهاب صحيح، كما أنه ما يجب عليهما القيام به، إلا أنهما مثقلان بالهموم، بالرغم من هذا عليهما التوقف عن الشفقة على حالهما ولو قليلًا، قليلًا فحسب عليهما استعادة ذاتيهما.

ليين: «أنت تتحدث مثل سكارم».

إلهاب ضاحكًا: «كنت أحاول أن أبدو مثله».

أريو: «لقد نجحت في هذا، فشكرًا لك».

نهض إلهاب من أمامهما مبدئيًا الانزعاج قائلاً:

«لماذا تشكرني الآن؟ هذا أمر مريب منك، لا تفعل فحسب».



نزل عنهما باسمًا، أما أريو فوضع رأسه على كتف لبيبن رغماً عنه، فهو
هناك للغاية ولم ينم منذ ليلة البارحة، فالأحداث الأخيرة من اختطاف
بيبن والحرب وحال سيون جعلت عقله منهكاً فوق قدرة تحمّله، ومن
ثم نكّم منه غطاً في النوم.

نحرك واردون في الجزيرة ذهاباً وإياباً وهو في أوج غضبه، يريد قتل أي
مخلوق، إلا أن حورا أمره بتمالك ذاته. كيف يمكن لكل شيء أن يتغير بين
ثانية وضحاها؟ لقد انطلق لتنفيذ أوامر أورا بقتل ميزويا وجماعته ليطيع
كادنه، وحيث الوجهة التي أخبرته بها الهالوك وجد مدينة ضخمة
ساحرة هي أجمل من أي شيء رآه، إلا أنها مدينة صُنعت لتحدي أورا
وخيانتها. لطالما كان ولاؤه عنيقاً وفخراً حمله عزيزاً على فؤاده، هو كان
من البين الذين أنقذهم نادياس مرتحلًا بهم حيث الأهرامات، وتمكّن من
الحصول على مشاعر له بعد أن استسقى من دم بشرية، وحين فعل استحققر
البشر والجان كما البين الذين بالرغم من قوتهم المهولة يظلون مسالمين. لم
يرغب واردون بهذا، بل أراد القتل والقتال، أراد السُلطة والقوة، رغب
بسلطة تحكمه على الأرض والمخلوقات، لبيتعد عن الأهرام وإلى الأرض
التي أزهز منها متبعًا ذلك الدرب لعقود حتى وصل إليها، لتلك الشجرة
المهيبة؛ هي من ستحكم الأرض وتعطي السيادة للبين. حينها نبأها بموقع
المخلوقات في الأهرام، لينطلق جيش لها حيث الخونة للفتك بهم، وقد



تَبِعَهُمْ وَارْدُونَ لِيَقْتُلَ مَنْ كَانُوا رِفَاقًا لَهُ دُونَ هَوَادَّةٍ، بَلْ لَقَدْ وَجَدَ مَتْعَةً لَا تَضَاهِيهَا مَتْعَةٌ فِي سَرَقَةِ الضَّوءِ مِنْ أَعْيُنِ ضَحَايَاهُ؛ لِذَلِكَ اتَّبَعَ أَوْرًا لِأَنَّهُ لَنْ تَكْبِجَ جَمَاحُ تَعَطُّشِهِ لِلدَّمَاءِ.

أَمَّا الْآنَ، فَبَعْدَ أَنْ أَنْجَزَ مَهْمَتَهُ قَاتِلًا الْبَنَ الْمَائِيَّ وَمُسْتَعِيدًا أَفْئِدَةَ الْبَنِّ مِنْ مِيزْوِيَا لِيَقْدِمَهَا لَهُ أَوْرًا، لَمْ يَجِدْهَا أَوْ يَجِدْ مَجْدَهَا الْمُتَشَكِّلَ فِي هَيْئَةِ شَجَرَةٍ. عِنْدَمَا رَسَا عَلَى الْجَزِيرَةِ وَجَدَهَا دَمَارًا، مُنْطَلِقًا بِسُرْعَةٍ حَيْثُ أَوْرًا لِيَجِدَ الْكَهْفَ وَقَدْ احْتَرَقَ، وَبَقَايَا الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مُتَنَازِرَةً عَلَى الْجَزِيرَةِ. فِي غَضَبِهِ انْدَفَعَ بَاحِثًا عَنْ حُورَا وَآقُوسِيَانَا، لِيَجِدَ أَحَدَهُمَا مُتَجَمِّعًا مَعَ الْمَخْلُوقَاتِ، أَقْبَلَ إِلَيْهِ وَارْدُونَ مُسْرِعًا لِيَمْسِكَ بِحُورَا مِنْ عُنُقِهِ قَائِلًا:

«مَا الَّذِي حَدَثَ؟ أَيْنَ أَوْرَا؟»

دَفَعَ حُورَا ذِرَاعَ وَارْدُونَ بَعِيدًا قَائِلًا:

«أَيُّهَا الْأَرَعْنُ، اتَّبَعْنِي».

تَبَعَ الْآفَارِيُّ عَلَى مَضْضٍ لِدَاخِلِ الْفُوهَةِ حَيْثُ تَوَاجَدَتِ الشَّجَرَةُ ذَاتَ يَوْمٍ. فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَتَوَافَقْ هَذَانِ الْاِثْنَانِ قَبْلًا، إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَتَقَاتِلَا يَوْمًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُمَا يَعْلَمُ مَدَى إِخْلَاصِ الْآخَرِ لَهُ أَوْرًا، بِالرَّغْمِ مِنْ بَغْضَائِهِمَا إِلَّا أَنَّهُمَا أُولِيَا الْأَوَلَوِيَّةِ دَائِمًا لِرِضَا خَالِقَتِهِمَا وَرَغْبَاتِهِمَا.

حُورَا: «لَقَدْ تَمَّتْ مَهَاجَمَتُنَا مِنْ قِبَلِ سَيُونِ وَنَامَارِ وَجِيْشِهِمَا، عِلَاقَةُ عَلِ هَذَا فَإِنْ بَاسِيلِيَا قَتَلَتْ حُلَفَاءَنَا مِنَ الْجَانِ فِي أَرْضِهِمْ».

واردون: «أين أورا؟»

انحلت عن هبتها وجسدها، ووجدت لنفسها مكانًا داخل جسد سين، وهي الآن معه.

أماذا؟ مع أعدائنا؟ كيف سمحت لأمر كهذا أن يحدث؟ وماذا عن نوبينا الأخرس، لماذا لم يحمها؟

حورا: «هل تعتقد أنني رغبت بأمر كهذا؟ أورا هي من اختارت الانتقال لجسد سين، أما أقوسيانا فقد قُتل على يد هجين الخائن. بالرغم من بنفائني لقرارها وصنيعها، بل إن فكرة تواجدها داخل جسد ذلك الخائن تغيظني، إلا أنها رغبتها، أنت تعلم مشاعرها نحو النيلوفر».

واردون: «لماذا هو؟ من بين كل البين لماذا هو؟»

«أعتقد أنني أحب هذا؟ لو أن الأمر بيدي لقتلت الخائن فورًا، كم أفت أن فؤاد أورا يصبو إليه، فهي أعظم من الجميع، ولا أحد يستحق لحة منها، فكيف بالأحرى فؤادها؟»

«ماذا الآن؟ لا يمكننا تركهم هكذا لوقتٍ طويل، علينا استعادتها، وعلينا فعل هذا قبل أن يجمع الأعداء جيوشهم أو قبل أن يبيدها نمار».

حورا: «لن يفعل، فلقد أخبرت المخلوقات كلها بالعاقبة، والآن هم جميعًا مستعدون للموت في سبيل إبقاء أورا سليمة، فحياتها تعني حياتهم. والآن أخبرني، هل قضيت على ميزويا وأحضرت الأفتدة؟»



واردون: «لقد فر ميزويا بعيدًا، فلم أجد له أثرًا ولا لطيف الماء...
أما الأفئدة فهي معي».

«ما كنت لتجد طيف الماء، تلك الهالوك اللعينة خدعتنا. لا أعلم كيف
تمكنت من العبث بذكرياتها كي نخدعنا، إلا أن طيف الماء ملكٌ لخزير
آخر، إنه هجين ثادياس؛ لذلك انطلق باحثًا عنه وأحضره لي حيا.
«ماذا عن الأفئدة؟»

تبسم حورا بخبث منطلقًا لخارج الكهف ومنه حيث تجمع
المخلوقات حول قائدتهم الجديدة ندرين، أقبل إليهم ببشاشة قائلا:
«أيها البينُّ، لأثبت لكم حُسن نوايانا وأن الحياة هي أورا، فليمت لكم
بحريتكم».

أظهر لهم الآفاري الصندوق، وما إن رآه البينُّ حتى علموا معنوله
ليتوافدوا مقبلين بسرعة صوبه، فتدفق أفئدتهم منه حين فُتح، فأقبل
كل بنٍّ يبحث عن فؤاده، وما إن وجدوها حتى احتضنوها لصدورهم
بسعادة وشوق عارمين. التف البينُّ حول قائدتهم ندرين التي بدأت في
إعطاء الأوامر بنشوة كبيرة:

«أيتها المخلوقات، لقد تم التفرير بنا من ثادياس ومن سيون و
نامار، أخبرونا أن زوال أورا هو حياة لنا، إلا أن الحياة هي أورا وقد
سلبها الثيلوفر منا ومعه نامار يحميهِ. لا بدُّ لنا من استعادة أصل وجودنا

استعانة مَنْ أوجدتنا، لا يهم مَنْ تجدوا في طريقكم من مخلوقات، إن
يكونوا معنا فهم أعداء لنا، لا يهم إن كانوا يوماً رفاقاً لكم، فهم الآن
يغنون بموتكم. انطلقوا عبر الأرض باحثين عن سيون ومَنْ يتبعه،
واحضروا منهم مَنْ تمكتم. جوام ستقودين جيشك نحو أرضنا التي
منهائنا، أول منشأ لـ أوراء.

وقت جوام بخزي من صنعها في إحراق الأشجار مع كسيتها،
في أشجار خالقتهم التي ما ابتغت إلا الحياة للين، وعاهدت ذاتها على
إفانها وخدمتها ما دامت حية، لتجيب:

«أمر!»

ندين: «واردون، انطلق لأعماق البحار والمحيطات، أحضر لنا
هجين نادباس وكل مَنْ تجد من أعداء لنا».

لم يحب واردون حقيقة أن هذه الين تترأس الجيش؛ فهو أحق منها به، إلا
أن حورا أخبره أن يطيع بصمت، فهي تمتلك ما لا يمتلكانه هما الاثنان، ألا
وهي ثقة المخلوقات؛ لذلك صمت رغم غيظه. الآن عليه هو والآفاري
الاتحاد معاً من أجل هدف واحد، فلطالما كان حورا هو العقل المدبر، أما
واردون وآفوسيانا فهما المنفذان؛ لذلك سيتبع أوامر الآفاري على مضض
ما دام هذا ما سيعيد أوراء ويضمن سلامتها، فلا شيء آخر مهم.



«أيها الهُجَنَاء، ستفترقون باحثين جنوبي مسار أورا، أما الشمال فهولي
ولـ حورا، والآن انطلقوا لحماية مَنْ أوجدتنا».

همس واردون لـ حورا:

«أيمكنك الارتحال خارج المسار؟»

«أجل، لقد حررتني أورا من الطيف قبيل المعركة، لقد درست
خطواتها جيدًا».

تناثرت المخلوقات كالفراش المبثوث، كل متعطش للحياة، كلُّ يرغب
بقتل مَنْ يهدد حياتهم، هبط واردون للماء، منطلقًا كما أمر، أما نيلدين
حورا فصعدًا على متن سفينة صنعها أحد الهُجَنَاء معها، وحيث الشمال
انطلقا.

سينا

نحن ظلال فروع الأشجار المتلاحمة سارت وحيدة، على خطى ماضي
تترياح الزمن. من حينٍ لآخر هبت نسيمات خريف باردة، مثيرة سكون
الأوراق الميتة، أما ما تشبث منها بالأغصان فقد هوى على الأرض
نرافها عندما تخلت عنه الرياح مبتعدة. لم تكن هذه الأرض يوماً ميتة،
حتى عندما حل الشتاء الثلج؛ لطالما امتلأت هذه الغابة بالحياة، فقاطنوها
حرصوا على هذا. لا يهم كم ثلج السماء في الشتاء، فهذه الأرض لم
تلون بالأبيض يوماً، ساعدهم هذا على إبقاء الحيوانات داخل الغابة
لاصطيادها، كان هذا من تخطيط شاوران؛ لطالما حرص أن تحظى عائلته
بطعام يكفيهم؛ لذلك حال دون تجمُّد الأرض.

عندما هطلت الثلوج، كان شاوران وجلنار يركضان لأطراف الغابة،
مزهرين الأرض بالجلنار القرمزي في كل مكان، لتفتش الأرض بلون
الدماء عطر الرائحة، وحين تغطت بالثلوج، قاما بتحريك الأزهار برفق
نافضين عنها اللون الأبيض، وحين تبدأ أوراق الأشجار بالجفاف، قدما
فورتها لها لتزهر رغم الموت المحيط بها. كانت هذه الغابة عالمهم الخاص
داخل الكون الواسع، هنا أصبحوا عائلة، هنا ترعرعت ليبيين، وهنا أملوا
أن يعودوا مجددًا، إلا أن هذه الأرض تفتقد لقاطنيها من غير ذوي البشر،

كما تفعل سينا. هي لم تحظَ بالوقت لتبكي عائلتها أو تتحب على فراقهم، فعلى مرأى من عينها فقدت شاوران وبين ذراعيه جلتار العزيزة مينة، لقد سلبوا منها فؤادها، هذا الفؤاد الذي كان يومًا ملكًا لطفل سينا^(١)، ولقد أولت جلتار هذا الوجدان كل الاهتمام والحب.

لوقتٍ طويل ظنت سينا أن سبب تواجدها مع جلتار و شاوران هو من أجل البقاء قريبة من فؤاد طفلها، إلا أن تأثيرهما عليها كان كبيرًا جدًا، وحين رُزق العالم بـ ليين، لم تتمكن سينا من الابتعاد عنها، لقد رأت فيها طفلها الذي فقدته، لو أن طفلها كان حيًا لما أحبه أكثر من حبها لـ ليين، هي جزء من روحها وفؤادها؛ لذلك حين رأت طيف الربيع داخلها، فزعت خوفًا من موت يسلبها فتاتها.

منذ اللحظة التي التقت فيها سينا مع ثادياس في المعركة التي أشعلها لإنقاذ الجبل الضال من أوراء، علمت أنها ورثة طيف الماء، حتى حين لم تع هذا المسمى أو المهمة التي ترافقه. ما تزال ذكرى ذلك اليوم جديدة في ذهنها، في تلك الغابة، وعلى تلك الأرض التي أحيطت بالأهرام الخضراء من كل اتجاه، تعالت صرخة حرب هتف بها الجنود المتطايرون من قمم ١- مزهرون و هُجناء: كادت سينا تلتهم كل بدن طفلها مثل باقي البين، ولكن قدمت قلب طفلها لجلتار لتمنحها الحياة بعد أن استعاد شاوران وجدانه منها.



الأمرامات وصوب الجبل الضال الذين وقفوا يراقبون الأعداء المنصبيين
إيهم بلا علم أو غرائز تجربهم بما عليهم القيام به، إلا أن صراخ حورا
عليهم للقتال دفعهم للتحرك؛ هذه الكلمة التي تقال لهم من الأجيال
الأخرى الأقلّة الذين تواجدوا على هذه الأرض، إنها أمر لإيذاء الآخرين
جدياً كما تجاهل ما يصيب أجساد الضالين من ألم.

بالرغم من أن الجبل الضال قد تدرب على القتال إلا أنهم لم يكونوا ندّاً
لجبل الأولين الذين اجتاحتوا أرضهم، عدا أن المفاجأة لم تكن هنا، بل في
خفية أن الأعداء لم يقتلوا أحداً من الجبل الضال، فلقد صبوا هجومهم
على البين من الأجيال الأخرى، فيما اندفع حورا هارباً حاملاً بين يديه
زمرة ذات بتلات ذهبية وفضية، والتي أزهرت من فؤاد واحد مختلف
الألوان، أو هذا ما بدا للجاهلين بالواقع، فما هذا إلا التحام أفئدة عديدة
من البين. فيما هرب حورا من الأرض هتف للبين:

«لا تدعوهم يلحقوا بي، لتضحوا بحياتكم من أجل أورا».

ومع هذا تلاشى عن الأنظار هو وباقي البين الذين اتبعوه، أما
الجبل الضال فقاتلوا كما أمروا، عدا أن أعداءهم لم يقاتلوه، ومن بين
الأمرامات صدى صوت صارخ:

«هذا يكفي، توقفوا عن القتال».

ومن دون أي تردد توقف الجبل الضال حيث هم بلا حراك، فما هم
إلا أرواح ضالة لا تحيد الحراك ما لم يقدم أحد أو يمنحوا أمراً، ليظهر



لهم بنٌ شبيه لـ حورا في لون جسده الأسود وأزهاره المتوارية عن الأنظار،
 وحين التقت عيناهما معًا اندفعت من الآفاري شظية لا يبصرها غيرها
 لتلج إلى بدن سينا وتستقر فيها، لينعكس العالم كله في قطرة ماء واحدة؛
 لترى قطرات المطر في أعالي السماء تتجمد لرقاقات ثلجية، هابطة على فرو
 نمر أبيض يجوب الأرجاء، لتذوب الندف لينبوع صغير سقى الأرض
 من حوله، لتزهر الهالوك من الأرض فتغمرها موجة عارمة قذفت بتلك
 الزهرة الوحيدة للأعماق المظلمة. بالرغم من هذا إلا أن الهالوك ران
 كل شيء، كل ما سبج في المياه، من تلك النجمة التي جرت أقدامها على
 الرمال؛ لذلك الحوت الذي تناقلت ألحانه بين طيات الأمواج، ثم عادت
 تلك القطرة الوحيدة للصعود للسماء، مراقبة العالم من بعيد جدًا، علامة
 أنها على أصل الحياة هنا. ثم همس صوت بغرور قائلاً:

«يا مَنْ تملكين روحًا خاوية، روحك المظلمة دعتنني إليها، أنتِ مني
 ولي، قدّمي لي إخلاصك، وسأهبك قوّتي، فأنا الحياة وأنا أصل الوجود
 لتحبي بفخر وريثة لي أنا طيف الماء، لتحبي وريثة للغبراء».

ارتعدت سينا حتى على العدم الذي كانت عليه، لم يكن هنالك أي
 شعور يتأبها إلا أن ما حل عليها كان ثقيلًا ليس جسديًا فحسب، بل
 حتى على روحها، إن كانت تملك روحًا حينها. ما تزال سينا تذكر النظرة
 التي حملها ثادياس لها عندما رأى الطيف يستقر إليها، لقد ملأت روحها

لننقُ وأسى عليها، تلك البنُّ من الجيل الضال التي لم تمنح اسمًا حتى،
 بي مَنْ لم يبدأ قدرها بعد، باتت وريثة للماء، لقد اختيرت لمهمة أصعب
 من أن تُحمل، يا لها من روح حزينة. عدا أن سينا لم تحتفظ بشظية الطيف
 نوت طويل، حيث إن نادياس أعادها له، حتى عندما عانى من حمل
 الألياف داخله بعد اكتمالها، وحين طلبت منه سينا أن تشاطره العبء،
 قدم فاطيف الريح عوضًا عن الماء، إلا أن شعورَ حمل طيف الريح كان
 غثًا، لم يكن ثقيلًا كما سابقه، لم ترَ سينا أو تسمع شيئًا، بل هي لن تصدق
 أنها حملت طيف الريح داخلها، لقد كان ساكنًا بلا وزن أو صوت.

تذكرُ الهالوك طرحها سؤالًا لـ نادياس ذات يوم، عن سبب عدم
 منحها الطيف، ليجيب:

«كيف أرسلك للموت قبل أن تتذوقي الحياة؟ كيف أمنحك وزر
 الكون وأنت لا تفقهين منه شيئًا؟ مَنْ يرث الألياف مخلوقات ذو فؤاد
 نقي قوي، وأنت بلا فؤاد، ذات يوم ستحظين بفؤاد دافئ مثل أشعة
 الشمس، وحين تفعلين سيصبح الطيف ملكًا لك، فلا تستعجلي قدرك
 أبنا الهالوك».

ثم أصبح لـ نادياس عشيرة من البشر، لم يمنحها فؤاده لكنه قدّم
 إليها روحه، ومعا رزقا بهجين يُدعى مينوس. راقبت سينا فيما هرمت
 عشيرة نادياس، متحوّلة من فتاة فتية لمخلوق عاجز عن الحراك في لمح



البصر، لعلها سنوات طوال للبشر، أما للبشر مثلها ومثل نادياس، فما هي إلا طرفة عين، وحين اندثرت عشيرته بكى نادياس كما لم يفعل من قبل، ومع هذا عقد العزم أن يزيل أورا عن الأرض، ليرتحل عن الأرض التي هم فيها تتبعه سيكاي وسينا، هما من لم يفقههما مينوس يومًا، لم يكن ذما البغضاء ولا المودة، لطالما استنكر وجودهما الذي لا يحمل المشاعر أو حتى اسمًا يخصهما، وكم استهجن حقيقة أنها لم تذرفا الدموع على والده التي أحبتها كما لو كانتا من صلبها. في أحد حوارات مينوس مع نادياس والتي كانتا هما موضوعها، قال مينوس:

«لماذا لا تمنحهما اسمًا؟ ألا يزعجك أننا ندعوها بالهالوك والعنكبوتية؟»

«يمنح الاسم عن حب بني، وهما لا تملكان من يجبهما».

«ألا تفعل أنت؟ ألا تنظر إليهما كبن من صلبك؟»

نادياس: «لا، أنا لا أفعل، ما أحمله لها هو الشفقة فحسب، عدا عن ذلك لا أحمل شيئًا لها».

سينا لم تتأذ من قول نادياس هذا، ليس في ذلك الزمان، إلا أن الأمر أغضبها عندما باتت بفؤاد ينبض. انفصل مينوس عن نادياس بعد بضعة قرون، لم يحتمل المهجين عدم التدخل في أمور البشر، هو مخلوق ذو خبرة تمتد لقرون بقوة تعادل مئات البشر، إن كان والده منهماكًا بالين، فسيصب مينوس اهتمامه بالبشر، كان هدفه بسيطًا؛ صنع قوة تحميهم من

دوب البن وأورا، أراد حضارة بمشابة المنارة التي تُلهِم البشر، وبهذا
وفي الأثنان من دون ضغائن، ومن حين لآخر مرة كل عقد أو عقدين
ينحى الأثنان في السر.

أما نادياس فعقب الفراق ارتحل حيث الهرم الأسود ومعه كلُّ منها
يبكاي، هناك أمام هايبرد أعلن الآفاري عزمه إزالة أورا مهما كلف
أمر، ليحظى بآخر شظية لطيف الماء فيه، ولدى عودتهم لأرضهم تنبأ
نيلس بهجوم على البن في الأهرام ليرسل لهم سيكاي تحذره لكن
بر قبل أن يتلاعب بذكرياتها عبر طيف الماء، لتنسى مينوس وورث
ه، وقدر المخلوقات أجمع.

فيما اتجه نادياس حيث جيل الأولين ينقذهم من الموت، إلا أنه لم يأخذ
بنا معه، لتتظر عودته في الكوخ كالمخلوقة المطيعة التي كانت عليها،
ليرغلا مجدداً للقاء مينوس ليقدم له والده طيف الماء أمانة ليحملها،
لما حل الآفاري طيف الريح فيه، ليسكن لفترة طويلة في الكوخ وسط
الغابة، هنالك حيث لقنها نادياس كل تعاليمه ومعرفته.

نارات يرتحلان ليقى نادياس على اطلاع بأمر البن، وفي كل هذه
الزيارات حرص على عدم إظهار سينا فلا تعلم نيدرین أنها التي
اختارها أو يعلم أي من البن أنها مميزة، وكلما شعر الآفاري بخطر جنود
أورا يجوبون الأرض يعود لياوي للكوخ مجدداً. أخيراً وبعد أكثر من

ألفية في الترحال، قدم نادياس طيف الريح لـ سينا مسلماً ذاته للموت،
حتى وهو يُقتل أمامها لم تحمل سينا شيئاً له في فؤادها، لم تهبً لإنقاذ،
لقد قدم إليها أمراً:

«لا تخرجي من مخبئكِ حتى يرحل الأعداء، وانظري جيداً للموت، لا
تشيجي بعينيك أبداً، لترَي فؤادي يُنتزع من جسدي، وأنفاسي تُسرق
مني، لتكون هذه حجة لك، وموتاً لـ ميزويا».

وقد امتثلت لأمره بمثالية كاملة كما كانت دائماً، وبعد أن تلاثى
جسده وارتوت المياه بدمائه، ارتحلت سينا حيث مينوس موجود في
أرض أطلس السرية، هنالك أخبرته بموت نادياس، وكالقائد العظيم
الذي هو عليه، لم تدمع عيناه فقط ابتعد بعيداً في مكان مظلم يبكي فقدان
والده. لم تتمكن سينا من تقديم أي كلمات عزاء أو سلوى له، فكيف
تقدم ما لا تملكه؟ لقرون بعدها هامت على الأرض، حتى وجدت فلماً
يجبها ليمنحها اسم القمر.

لتنسى سينا عهداً لـ نادياس وتتخلى عنه عندما وجدت موطناً لها مع
شاوران وجلنار، وحين أشرقت حياتها بوجود ليبين أقسمت أن لا أذى
سيصيبها، عدا أن كل هذا تلاشى حين علمت أن فتاتها ورثة للطيف. لم
تعلم أن الطيف رحل من داخلها حتى، كانت مجرد حاوية له، لم يتحدثوا،
لم تستخدم قوته، لم تشعر به حتى، لقد انتقل منها لـ جلنار ثم وجد له

ورثة في ليبين، حينها أيقنت أن عهدا لـ نادياس أتى ليطاردها. هذه
الغثة ستكون في حرب ضد أشر المخلوقات، حرب ضد أورا، ولا يمكن
فاخوضها بمفردها؛ لذلك تحتم عليهم صنع جيش لها، بهذا أخبرت
ثاوران وجلنار، إلا أنها لم تذكر الحقيقة كاملة، ما كانت لتفعل، فكيف
يمكنها إخبارهما أن ابنتهما ستسبب إبادة المخلوقات؟ وليس هذا فقط
بل بمقتل والدها، كيف يمكنها أن تقول لـ جلنار إنها ستفقد عشيرها
بسب قدر ابنتها؟ بل أنى لها أن تخبرهما أنها هي من تسببت بهذا القدر
لابنتها؟ لن نجد الشجاعة لفعل هذا، إلا أنها علمت شيئاً واحداً؛ مهما
حدث عليها إنقاذ ليبين من عاقبة أورا التي ستطالها ما دامت بهذه الهيئة.

بعد إنشاء أثران، وفي إحدى رحلاتها لجمع الحلفاء زارت سينا مينوس
الذي تفاجأ من الهالك ذات الفؤاد النابض بالمشاعر، لتحصل على طيفها
للمرور، فيعاودها ذلك الوزر الثقيل مجدداً، ولتشعر معنى أن يكون المرء
ورثاً للطيف، لقد فقهت الآن ما عناء نادياس بضرورة امتلاك روح تشعر؛
لأن وزر المخلوقات عليها ثقيل، لأن عليها أن تمتلك إرادة لا تقهر إن
قررت الاستمرار في هذا الدرب، وقد فعلت. انطلقت سينا لتطلب المشورة
من هايبرد، عن كيفية حماية ليبين، ليُقدمها لها بكل سرور:

«لتنبذ الهالك فيها، ولتتمسك بالجلنار، مهما حدث لا ترخي قبضتها».

حرصت الهالك على عدم إظهار طيف الماء فيها أو قوته، هي لم

تستخدم قوته للاستطلاع مثل ليين؛ لأن هذا يعني أن هبتها ستفبر، ستلون بالذهب والفضة مُزهرة الأزهار من حولها. لم ترغب أن يعلم جلنار و شاوران بما لديها فينبذانها بعيداً، وذلك لأنها لم تقصّ كل الحقائق عليهما، بل هي مَنْ تسببت بجعل ليين تحمل طيف الريح فيها؛ لذلك لم تستطلع باستخدام الطيف ودجمته داخلها كجزء منها، لم يشك أحد من المخلوقات بوجود شيء مريب فيها، حتى مَنْ علم بوجود الأطياف لم يشعر بوجوده داخلها، ففي النهاية سيتحتم على سينا القيام بعمل خطير وسيئ لإنقاذ ليين، لهذا لا يمكن لأحد أن يعلم بالطيف، فيوشي به لـ أورا إن كان خائناً، حينها ستنتهي الحرب وفتاتها بطريقة عين. هذه الفتاة التي من أجلها فعلت كل شيء، وأي شيء، بل هي قتلت البنّ المدعو «دوماط»^(١) لأنه هدد حياة ليين وجلنار. آنذاك وحين كان ذلك المخلوق أسيراً في قفصه المعلق، اتجهت سينا تحرسه في دُجى من الليل، ليبدأ دوماط بالحديث:

«أنتِ أيتها الضالة، لم تتبعين شاوران؟ ألا يكره الضالون البنّ من الأجيال السابقة؟ فلمِ الطاعة له؟»
«أمرنا لا يعنينا أيها البنّ».

١ - حُلَفَاء: بَنُّ من الجيل الباسل، سكن أتران لفترة من الوقت في الماضي، وكان يُعذب البنّ المُخَلَط بحجة تدريهم؛ وذلك حتى تم اكتشافه.

كنت لأقول إنه يعني، كما يعني كل المخلوقات، بل كنت لأعتقد أن
إزائكون مهتمة بمعرفة الرابطة التي نشأت بينكم».

ارتعدت سينا ذعراً، هي تعلم ما يرمي إليه هذا المخلوق، إلا أنها لم
تُغِبْ أن تُنصَح عن شيء أو تمنحه يقيناً لاعتقاده، فهو لا يمتلك أي
خبرة تثبت فريدة ليين.

«ما الذي ترمي إليه يا دوماط؟»

«تلك الفتاة، ابنة شاوران ليست ما تدّعي، أليس كذلك؟ لقد رأيت
الحقيقة، رأيتها فيما كانت تتحدث مع ذلك المخلوط سكارم، هي تحمل
زهرة غير الجلنار فيها، لقد حملت وشم الهالوك منك، كما أني أقسم أنها
ليست مخلوطة، فهي تضيء شعوراً مختلفاً حولها؛ لذلك أعلم أنها شيء لا
يجب أن يوجد».

«النقل إنك مُحِقٌّ، فما أنت فاعل؟»

دوماط: «بل ما أورا فاعلة؟ في الحقيقة كنت أفكر بالعودة حيث هي
منذ بعض الوقت، أشعر بأن عظمة الين تتلاشى، لقد قَبِلْنَا التعاشر مع
جان وبشر، ثم قَبِلْنَا الذل والهوان بالاختباء بعيداً عن الأنظار، والسماح
لغيرنا بأخذ أرضنا، رضينا بأن تسلبنا البشرية صروحنا معلنين أنها
من صنعمهم، وما هم بها بجبارين. أريد استعادة مجدنا كـين، إلا أنك
أخبرتني أن القائد هو شاوران، أنه هو من يجمع الجيوش، فعادت كل

المشاعر القديمة تتأجج بداخلي، كم كنا أشداء على الجان! إن كان شاوَر هو مَنْ يقود هذه الحرب فسأتبعه، لأنه جندي حرب وقائد لا يستهان به. عدا أنه ذليل ليس بشيء عما كان في الماضي، هو يعاضد الضالين مثلك. كما النجس من المُخلطين؛ لذلك لا مكان لي بينكم، ولا حرب أخوفها معكم، وحين أصل حيث أورا، سأخبرها عن تلك الفتاة، وسأحرص أن يراها شاوَران تُقتل هي ووالدتها أمام ناظريه.

سينا: «ليس ما دمت أحول دون هذا».

صدحت صوت ضحكات دوماط الساخرة:

«أنتِ أيتها الضالة؟ أنتِ حقاً تملكين الكثير من الجرأة للوقوف في وجهي».

ما إن أنهى كلمته حتى وقع على أرض القفص يتخبط، نظرببت المتذبذبتين صوب سينا، ليرى حبالاً ورقية تمتد من جسد ملنصة به، ومنها أزهرت كل أنواع الأزهار لتضخ كل غيظها نحوه، وفيما سلبت لونه تحدثت قائلة:

«بل أنت مَنْ يملك الجرأة لتهددني بعائلتي، تلك الفتاة لن يمسا سوء ما دام لروحي نبض».

تذكّر الهالك الفاجعة التي أصابت شاوَران حين أقبل للقفص وراى

من دوماط، إلا أنه فسرهما بمحاولة هروب فاشلة، وبهذا طوت قصة
بن الذي نجراً على تهديد ما هو أهم منها.

لم نَذق سينا يوماً شعوراً جميلاً مريراً مثل اليوم الذي عُقد فؤاد ليين
أريو؛ نبعت سعادتها من معرفة أن فتاتها لن تكون وحيدة في العالم إن
ثالث جلتار بعد شاوران، بالرغم من هذا حقيقة أن قرينها هو أريو
نفسها، فهي تعلم أنه لا يوجد مخلوق على سطح الأرض يستحق ليين،
خاصةً أريو المخلوق المرير ذا الكثير من المساوئ؛ بالطبع كل المخلوقات
لها مساوئها عدا أن أريو كان دجالاً، مخادعاً، متلاعباً، كذلك كان
لرعى الحق، هذا ما صنفته به سينا، إلا أنه أثبت عكس هذا عندما لم يحاول
الاقتراب أو التحدث مع فتاتها بالرغم من الرغبة الملحة لذلك.

سينا تعلم جيداً قوة هذه الرغبة، أن تكون قريباً مع قرينك ترى
إنسانته، تشعر بأنفاسه حولك، تسمع صوته الرنان، كل هذا تعلمه
ونفتقده بشدة، إلا أن أريو كبح جماح هذه الغريزة ليعلمه أنه لا يستحق
ليين، هي أفضل منه؛ لذلك لم يجرؤ حتى على الاقتراب من ظلها، أمر
أكسبه احترام سينا.

إلا أن القدر سلب ليين والديها بأجل صور الحب ويأبشع الطرق
الممكنة، وفي كل هذا وقفت سينا متفرجة، فلقد كانت فاجعتها أعظم
من أن تفقهها، وجدت ذاتها في ذات الشعور الذي عايشته عندما قُتل

فارديون، كما لو كانت تغرق في الأعماق، كأنه مشهد تبصره عبر غلوق
آخر، فليست عيناها من تشهدان موت أعز من أحب وجدانها، ليست
هي من تفقد كل عزيز. مجددًا تقف بلا حراك كدمية خزفية لطيفة تراقب
موت من يهملها أمرهم، وقد لامت ذاتها؛ لو أنها استخدمت طيف الماء،
لو أنها لم تقبض بقوة عليه لتحمي فؤادها من الخسارة لتمكنك من رؤية
الغارة تُقبل إليهم، ولربما فعلت شيئًا ما لإنقاذ شاوران وجلنار. لذلك
حين استعادت سينا رشدها ورغما عن كل الأقوال التي تشهد خيانتها لم
تدافع عن نفسها، لم تخبرهم أن السبب وراء إرسالها مجموعة من جنودها
خلف الأعداء هو لأن جلنار كانت تسير في ذلك الطريق لتنقذ شاوران
من واردون؛ لذلك أمرتهم بقتل كل الأعداء حتى لا يصيبها أذى.
سمعت كل همس قيل من خلف ظهرها، وبالرغم من أن جميعها أصابت
فؤادها كخناجر مسمومة، إلا أنها لم تبال، رغما عن احتراق روحها عندما
صرحت لييين بشكوكها، متسائلة عن سبب وقوفها تراقب موت والديها
إلا أنها لم تمنح أحدًا عذرًا، ليكرهوها قدر المستطاع، لتشك بها لييين
وتبغضها، فهذا قد يجعل الفراق أقل ألمًا لاحقًا.

تأكدت سينا أن تستخدم سم الكولينا الذي استعارته من زيا، بفضل
تمكنك من منع لييين من الحراك دون التسبب لها بالألم في الوقت ذاته.
أول محطة لها كانت على بحر ميزويا، هنالك افترقت طرقها مع سيكاي



التي تتولى مهمة تفضيل بنّ الماء، أما هي فانطلقت مسرعةً حيث مينوس،
الخلق الوحيد الذي تثق به الآن ليحمل طيف الماء عوضاً عنها.

مينوس: «لا أرغب بهذا الشيء داخلي مجددًا أيتها الهالوك، لقد
احتفظت به كإمانة لكِ لوقت طويل، ولقد سئمت منه».

توقف عن ندائي بالهالوك، لي اسم هو سينا، كما أن الأوان قد آن
لإنهاء الأمر وتدمير أورا».

تعلين أن لا علاقة لي بمعارك ثادياس أو عهده، كما أن أعداد البشر
هنا أكثر من البنّ بأي حال».

سينا: «لقد صنعت عدة حضارات قوية يا مينوس، وكنت القوة
الخفية التي ربطت بين الحضارات، والآن لست ترغب في التدخل لحماية
الخلوقات التي أنت جزء منهم، وأنت تعلم أن هذه الحرب ستطال البشر
الذين نحبهم، تذكر العهد الذي قدمته لـ ثادياس يوم افترقتما».

تهنئ مينوس: «أن أحمي البنّ عندما يتطلب الأمر كما سألني البشر.
ولكن كيف ستنجحين في مسعالك؟»

«أعوذ بك عنك، فلا بد أن أورا ستنظر إليها لتعلم إن كنت صادقة
أم لا، لكن أبقِ ذكرى هذه المدينة».

مينوس: «لماذا؟»

«لأن هذا المكان سيكون مقبرة ميزويا من قتل والدك».

«أتظنين مني أن أخلي المدينة؟»

سينا: «أنا أطلب منك أن تلتحق بالجيش في أتران، وتقنعهم أنك وريث الطيف، وعندما يحين الوقت ستعيد لي الطيف مجدداً».

مينوس: «أفقدت عقلك؟ لماذا قد أخلي مدينتي التي قضيت قروناً أبنيتها؟»

سينا: «لأن هذه المدينة ستحال لخراب ما إن ندمر أورا، أنذكر العاقبة؟»

«لقد فضلتك أكثر عندما لم تملك عقلًا يفكر».

«ستفعل هذا إذن؟»

مينوس: «وهل لي خيار آخر؟ والآن كيف أعيد لك الطيف؟»

«ستجدني على الشاطئ عندما يبدأ الحراك».

«هل يمكنك أن أثق بهذا؟»

سينا: «بالتأكيد يمكنك، حتى وإن فقدت ذاكرتي عنك، فلن أنسى هذه الفتاة التي هي أهم من حياتي».

مينوس: «لنبدأ الأمر إذن».

«يا غاسيل نادياس».

«إن صوت لييين تتحرك أوقفهما عن العمل، لتعاود سينا شل
ديها، وتفقدوا الوعي، لتقول بحارق أنفاسها:
«أكرمك».

أحرق هذا روح سينا كما أحرقها موت فارديون، ولكن لا بأس هذا ما
كنت تنبه بأي حال، فثمن حماية من نحب غالٍ جدًا.

وضعت سينا يدها حيث فؤاد لييين، مرسلّة شيئًا من طيفها فيها،
تتخي بطيف الريح الذي لم تُحدثه أو تره من قبل قائلّة:

«أعلم أنك هنا، فأظهري ذاتك».

«ما الذي ترغبينه أيتها الوريثة؟»

أظهرت الطيف ذاتها أمامها، لتراها صفراء كشعاع الشمس، وصوت
ثاني ناعم كنسيم الربيع.

سينا: «سأقدمك لـ أورا، فعليك أن تخرجي من فتاتي بإرادتك».

«ولمّ قد أفعل هذا؟»

«لتحيا».

«هي وريثتي، فقدتها هو قتال أورا».



سينا: «وستفعل، لكن كهجينة، بعيدة عن تواجدي أنا أو أنتِ فيها، فأنا أرغبها حية. إن أبيت فعل هذا، فسأقاتل بكامل قوتي لأحمي أورا حتى لا يمس هذه الفتاة عاقبة موتها، بل سأقدم طيف الماء هدية لها.

هتف طيف الماء داخلها: «أنتِ تملكين الكثير من الجرة لتهددي الأطياف هكذا، أتعقدين أننا نعمل وفق أوامركِ؟ تنقلينا كما تشائين؟»

سينا: «بل أنتم من يرانا كحاويات لكم، تأمروننا بإنقاذ الأرض وتدمير أورا، غير مباليين بما يحدث لنا. ها هو طيف النار انتقل من وريث الأول زائيل ليستقر في نامار؛ أنتم من لا تروننا إلا أدوات تستخدمونا للحصول على ثأركم ممن ظلت حرة فيما أنتم متناثرون على الأرض».

طيف الماء: «نحن لا نصنع المخلوقات، ولا نتدخل في شؤون من يسري فوق الأرض أو تحتها، إلا أن تلك الطيف سرقت منا تناثرنا، مُزهرة من ذاتها مخلوقات، ثم سيطرت على سير الأحداث لتعيد الكرة مجدداً فتحكم على من أزهرت بأشنع الطرق، وتأمّر بقتل الجان والبشر على حدّ سواء، لهذا عليها الزوال، لأنها ستدمر الأرض بلا هوادة».

سينا: «أأنتِ من يتحدث؟ أنسيّت فعلتكِ؟ ما قمتِ به بدعم أزار الشجرة لميزويا كما البُنُّ منها، وليس هذا فقط، لقد أخفيتِ على نادباس كل ما يحدث في الماء، كيف تلاعب ميزويا بأفئدة وأقدار البُنِّ، قد خنبت نادباس، ويسببكِ أنتِ تضاعفت عدد مشاكلنا كما أعداؤنا».

الاداعي لتلاوة أخطائي عليّ، أنا أعني ذنوبي، ولهذا عليّ تصحيح
هذه كما أخطاء أورا، فالأرض عانت الكثير من أفعالنا».

بينما: «أعلم هذا، سندمرها ونحيلها لرماد، حتى لو عني هذا موت
نبي من كل الأجيال، كل ما يهمني هو بقاء هذه الفتاة حية، وغير ذلك
أهمني أي مخلوق. لذلك أرجوك يا طيف الريح، أتوسل إليك، عندما
تأدبك أورا ارحمني إليها بالهالوك، دعي فتاتي للحياة، هذا كل ما أطلبه
منك».

طيف الريح: «إكرامًا لفؤاد طفلك الذي حملني داخله لألقى وريثي،
سأفعل ما ترغيبين، كما أفي سأحاول صدّ أورا قدر المستطاع».
«لك مني كل العرفان أيتها الطيف».

رغبت سينا بوضع تذكّار أخير له ميزويا قبيل رحيلها، فنظرت إلى
مينوس قائلة:

«هذا انتقام ثادياس».

ليقوم مينوس بفصل هذه الذاكرة منها محوًّا إياها لكرة مائية واضعًا
إياها على الشجرة المرجانية، ثم انطلق الاثنان لحدود بحره، لتتزع سينا
الطيف منها، ليستقر في سليل ثادياس فيستخدم الطيف ليزيل ذكريات
ليبين عن هذا المكان، وفيما اتجه لإزالة ذكريات سينا تحدثت إليه قائلة:

«اغفر أنايتي، إلا أني سأثقلك بأمر آخر؛ عندما يتم انتزاع الطيف من
ليبين سألقي بها في الماء؛ لذلك أنقذها من هناك».

مينوس: «وكيف ستذكرين هذا؟»

«إنها ثقتي برفاقي في أثران، كما ثقتي بأن سيون، نامار و أريو لن
يتخلوا عنها، لكن سيكونون بحاجة لمن يرشدهم بأنها حية. بالرغم من
أنني أمتنع رابطتها بعشيرها الآن، إلا أن الألم الذي ستمر به سيكون أقوى
من أيّ سُمّ يفصل رابطتهما، وسيشعر أريو بألمها؛ لذلك دُلهم أنت على
السبيل لها، وأنقذوها».

مينوس: «هي حقًا تعني الكثير لك».

«إنها فؤاد طفلي الذي نبض داخلي ذات يوم، إنها آخر ذكرى لـ
فارديون، شاوران، وجلنار. لقد علمت زينة الحياة عندما صدح صوت
صرخاتها الباكية في أرجاء الكوخ القديم».

«أعدكِ أن أنقذها».

حينها محا مينوس ذكريات سينا عن طيف الماء، وعنه هو، وورث
طيف النار الجديد.

رؤية ليبين تتأذى بتلك الطريقة، وما حلَّ بها من تنكيل وعذاب لا
يوصف، كان مرأى أثقل كاهل سينا؛ شعرت بألم ليبين يصيبها أكثر منها،

لحرق فؤادها لهشيم من رؤيتها تتخبط ألماً، ومن سماع أصوات صراخها
ببلا الأرجاء. إلا أن الأسوأ من هذا كله هو عندما جعلها واردون ترى
وتشعر بموت والديها؛ تمت لو تحرق فؤاده. الطريقة الوحيدة التي
استخدمتها سينا لمنع ذاتها من الاندفاع إلى لييين وإنقاذها هي بضخ أشد
أنواع السموم ألماً فيها، لقد شلت ذاتها عن الحراك من شدة الوَصَب،
لعل هذا لن يغفر لها ما ارتكبته في حق فتاتها وإن كان هذا لحمايتها، إلا أنه
جلب لها القليل من السلوى أن تتعذب هي كما تتعذب فتاتها، كان هذا
بكفيها.

لكن الآن كُلُّ شيء تدمر، لأنها تأخرت في الوصول، لأن أورا باحت
بالسر للمخلوقات، والآن هي داخل سيون، المخلوق الوحيد الذي قد
يمكن من صدها لبعض الوقت، ولكن كم من الوقت هو بعضه؟ عاجلاً
أم أجلاً ستجد أورا طريقة للسيطرة عليه، وإن لم تفعل فإن المخلوقات
سيفعلون المستحيل لمنع الموت عنهم. لقد انقلبت الأوضاع لأسوأ حال
ممكن، والآن سينا لا تملك أي خطة أو طريقة، سوى الانتظار حتى يقرر
نامار اتخاذ خطوته، وحتى ذلك الوقت، ستلتجئ لمتزها الذي أحبه هنا
حيث كانت الحياة.



مينوس

وقف مينوس ومَن معه من المخلوقات على أرض هذه المدينة المفرة من قاطنيها، تطاولت البنيان صامته حزينة، هذه المدينة التي حلت المخلوقات على أرضها حتى فجر هذا اليوم، ستغرب عليها الشمس وهي خاوية منهم، ولعلمهم لن يسكنوا إليها مجددًا، بعد تقديم طيف الماء لـ سينا استدعى مينوس اهتجاء ممن كانوا معه كما البشر دونًا عن البن، وعلى قارب ارتحلوا حيث أثران، هجر مينوس البن لفقرهم، وأنقذ من لا تطاهم عاقبة أورا، فإن صدق الوعد وتلاشت تلك الطيف فإن هذه الأرض هي مملكتهم الجديدة.

«أثران، وطننا، هنا حيث سنعود ونقضي ألييات حيواتنا بسلام آمين، هذه البنيان التي بنيناها بأذرعنا، لن تخلو يومًا منا نحن قاطنيها، سوف نعمر هذه المدينة لتعاضم حتى تسمي إمبراطورية للمخلوقات جمعاء، ثم سنكف نحن البن اختباءنا من البشر، سنظهر ذاتنا بفخر غير خائفين أن تصل قصصنا للطاغية أورا فتلاحقنا حتى الموت، وعلى هذه الأرض سنحيا جميعًا، بأمان».

بهذه الكلمات سمع مينوس المخلوقات في أثران تتحدث، عن أحلامهم بالحرية، عن غدهم المشرق، وكم كانوا مخدوعين جميعًا دون

شاء، فلا حياة للبشر من بعد أوراء، إلا أنها حقيقة لا يعلمها إلا حفنة من
الخلوقات، وأولهم هي الهالوك التي تقودهم لموتهم، كما فعل هو عندما
اتفق على خوض هذه الحرب مع أثران، وتقديم الطيف لوريثته.

مبنوس هجين من أم بشرية قد كانت يومًا ما عبدة لسيد طاغ غني، لقد
نعت له والدته لقاءها مع ثادياس كحلّم جميل وساحر. في تلك المدينة التي
لُتت فقرًا وفسوقًا، وفي صباح مثلج خرجت أوروبا لجرّ الماء من البئر،
ناركةً أثر خطواتها على الثلج الذي غطى الأرض، ويدين متجمدين حدّ
انشقق جذبت الحبل لتستقي من البئر ماء لَقصر سيدها، إلا أن الدلو كان
تقبلاً جدًّا عليها هذا اليوم بالذات، لربما السبب لأن الماء كان شبه متجمد،
أو لأن البرد القارس الذي تأكلها حتى العظام جعل من حركتها أثقل فما
كانت قادرة على جذب الدلو بقوة كافية، أيّا يكن السبب فقد أفلت الحبل
من قبضتها جازًا ذاته على كفها ممزقًا إياها فتسيل الدماء من عليها قطرات
على نقاء الثلج عند أقدامهما كأن أزهار الربيع الحمراء أزهرت من بين
الثلج، بالرغم من الألم الذي أصابها إلا أنها ما كانت لتعود للمنزل خالية
الرفاض، فلا ماء يعني الجلد لها؛ لذلك مزقت أوروبا من ثيابها الرثة قطعة،
عقدتها حول كفها عدة مرات، لتحاول جذب الدلو مرة أخرى، لتفقد
مجددًا، وهذا البرد لا يساعدها، فهي لا تشعر بقدميها اللتين بالكاد توازتا



بالقش حولهما، أنفاسها خرجت بيضاء من شفثيها التي أصبحت بنسجة
أما يداها فقد فقدت الإحساس بهما، شعرت أوروبا باليأس كما الإجلال
إلا أن خوفها من دفع ثمن إخفاقها كان أكبر، وبعد أن فشلت في مهنتها
للمرة الثالثة خرت على ركبتها باكية، شعرت بالوخز المؤلم يسري في كل
جسدها، ومن بين دموعها التي تجمدت على وجنتيها رفعت رأسها لم
الفجر الأكلحل، هامسة بفؤادها:

«أرجوكم أيتها الآلهة، إن لم يكن لي كسرة سعادة في هذه الحياة، فاقبني
روحي إليك فلا حاجة لي بهذه الحياة، وإن كُتِبَ لي سعادة ولو بمقدار
وبر القطن فامنحنيها لي، فما لي صبرٌ بعد الآن».

وكما لو أن الكون سمع رجاءها أقبل إليها كيان تلحف من رأسه حتى
أخص قدميه بالفرو الأسود الخاص بالذئاب، ارتعدت منه أوروبا خوفاً،
لقد بدا مخيفاً بين هذا الفرو حتى إنها لم تعلم إن كان بشرياً أو شيطاناً من
قصص الأجداد، إلا أنها لم تفر منه إن كان سعادتها أو موتها فلم تنم
فهذا ما دعت به الآلهة، راقبت أوروبا فيما اقترب المخلوق منها، لترى
أنه فارع الطول عريض المنكبين، ومن بين كل هذا الفرو المتراقص مع
الرياح لمعت عينان كانتا كالشمس في سطوعها، لتسارع نبضات فؤادها،
لم تكن خوفاً أو استنكاراً لهذا المخلوق، بل عظيم الأجواء التي أحاطت
به، بدا كالريح في سكونه والغيث في صفاء السماء، من عينيه أبصرت وزر
الكون وحزنه، كقصص لا يجب أن تُحكى أو تُقص، وقف المخلوق امام

أثرون النطق بكلمة واحدة، ومد يده نحو الحبل الذي يحمل في آخره
الذئب، وجذبه بحركة واحدة رقيقة إلا أنها كانت كافية ليرتفع الدلو من
أثر عملاً بالماء، ليضعه المخلوق على جدار البئر ويرحل دون صوت.

لبعض الوقت ظلت أوروبا تراقب الغاب الذي اختفى إليه المخلوق،
إلا أن نفحة الريح حولها وخزت جسدها مجدداً لتنتفض من مكانها
حاملة الماء معها حيث قصرها، وقبل الوصول إليه مدت يدها للأرض
مبعثرة بين الثلوج ومن فينة لأخرى تضع يدها عند شفيتها تُدْفئانها،
أخيراً وصلت للترية، لتأخذ منها لوجهها تلوثه، لقد تعلمت هذا الأمر
من والدتها، بهذه الطريقة تبدو العبداء الفاتنة ذميمة وكريهة، فلا يقربها
طمع وجشع السادة في فتاة يافعة مُلئت حسناً.

كانت أوروبا فتاة شابة بجسد نحيل تلون بحرق الشمس الجميلة،
شعرٌ حريري امتزج بين الأشقر والبني الفاتح، أما عينها فقد كانت مزيجاً
ساحراً بين الأخضر والبني، وفمها الواسع الوردي حمل أجمل ابتسامة
عرفها مينوس، إلا أنها أخفت جمالها بكل الطرق الممكنة كي تحمي ذاتها
من أسيادها، لم تبال إن كانت رائحتها كريهة حتى وإن أبغضت هذا،
لم تهتم بالشوائب أو الضرب فكل هذا أهون من أن تكون عشيقة سيد
يتلاعب بها كيفما شاء، وعندما يمل منها يسلمها لمنازل البغاء أو هدية
للجنود، والأفطع من هذا إن حملت في أحشائها طفلاً يُتَرَعُّ منها لبيع
للجيش فيغدو آلة قتال وحرب.



بعد ذلك اليوم استمرت بالذهاب للبئر، وكل صباح تجد أن مهمتها قد أُدِّيت عنها، كان الدلو مليئًا بالماء موضوعًا على جدار البئر في انتظارها، وخطوات الأقدام ما تزال حديثة على الجليد، ومن حين لآخر تشعر بالعينين الذهبيتين تراقبانها من بعيد، تشعر بالسلام والطمأنينة من هذا المخلوق، فحرصت أن لا تظهر أمامه بمظهر مزر أو قبيح، إلا أنها تلوث ذاتها مجددًا قبيل دخول القصر، وذات يوم وجدت أوروياني ذاتها الشجاعة لتدعو المخلوق إليها، رغبت بالتقرب منه:

«أنت يا مَنْ تختبئ في الظلام، هل لك أن تُقْبِلَ إلى هنا قليلًا؟ فحيث أنا يوجد الضوء، أرغب برؤية ذاتك الحقيقية».

ليأتيها صوت أجش غليظ من خلف الأشجار ناطقًا:

«ما كانت بشرية مثلك لتتحمل رؤية مخلوق مثلي، فلا تطلبي ما ليس لك به طاقة».

«مخلوق مثلك؟ أولست بشريًا؟ فماذا تكون إذن؟»

لم يُجِبِ المخلوق، إلا أن أورويبا أردفت:

«تقول إنني لا أتحمل رؤيتك، إلا أنني رأيتك».

«لقد رأيت ردائي فحسب، أما ذاتي فأنت عنها جاهلة، وسيظل الأمر هكذا».



أنفوس البشر وغدرهم هو ما تخشى أيها المخلوق؟»

اليس البشر وحدهم من يغدر أيتها البشرية، كما أنهم ليسوا عليّ
بجارين؟

أوروبا: «لماذا تظل تساعدني ما دمت ترفض الظهور؟»

القد بدوتِ حزينة، كأن أوزار العالم كلها ألقيت عليكِ، شعور أفقعه
جداً.

«وما هو وزرك أيها المخلوق؟»

«أمر ليس لبشرية مثلك أن تقلق بشأنه، فهو لا يعني ذوي الإنس».

«هل لك أن تتوقف عن دعوتي بشرية؟ فأنا أوروبا».

لم يُجب المخلوق مجدداً، لُردف:

«ما اسمك أيها المخلوق؟ أنت تحمل اسماً على الأقل، حتى وإن كان
أعظم من أن تذكره بشرية مثلي».

«أنا نادياس، ولست أعظم من أي شيء ولا حتى البشر».

بالرغم من هذا إلا أن نادياس استمر بالتواجد حول أوروبا، لتقصر
المسافة التي فصلت بينهما عقب الأيام، فوجدا مقعداً لهما بالقرب من
بعضهما البعض، بالرغم من هذا لم يتخلّ نادياس يوماً عن غطائه، كما لم
يُجب على كل تساؤلات أوروبا عن حقيقة ما يكون، ليس وكان الوقت



الذي قضياه معًا كان طويلًا، فلقد استرقا لحظات الصباح الأولى من كل يوم، ثم أتى ذلك اليوم الذي حملت الرياح فيها صوت صرخات أوروبا المتأوهة والتي امتزجت بفرقة سباط شُقت عن جلد ظهرها الرقيق.

من غير وعي منه انطلق ثادياس متخليًا عن دثاره راکضًا بين البشر ودليله الوحيد هو صوت أوروبا الذي حملته الرياح، وفيما هوى السوط على ظهرها العاري أمسك ثادياس به مانعًا إياه لمسها، ليصرخ البشري ذعرًا عندما رآه، مخلوق أسود اللون بعينين وشعرٍ صبيغ من الذهب، لقد بدا كشياطين أساطيرهم، ليلقي السيد سوطه أرضًا ويفر هاربًا بعيدًا عن هذا المخلوق المهيّب. رفعت أوروبا عينيها لترى مُنقذها، إلا أنها لم تعرفه في البداية، وذلك حتى رأت ذاتها في عينيّه، وفيما همّ ثادياس بالهرب بعيدًا عن عينيها، إذا بأوروبا تمسك يده بقوة رغم ألمها لتتاجيه:

«لا ترحل، أنا لست خائفة، أنت ثادياس، أنت من يخفي ذاته عني، اخرجني من هنا خذني معك».

لم يفكر ثادياس ولو للحظة واحدة ليحمل أوروبا بين ذراعيه ليركض بها بعيدًا عن البشر وسيدها الطاغوي.

بين الأشجار ارتحل الآفاري، ومن خلفه مشاعل النيران تطارده مع حاملها من البشر، إلا أنهم ليسوا نداءً للبشر، لينطلق مسرعًا وبين ذراعي البشرية الصامته، لقد ظلت تنظر إليه وإلى عينه في تعجب من روعة خلفه، إلا أنه لم ينظر إليها ولو لمرة واحدة، لقد خشي رؤية الذعر في عيناها.



نَكُنْ الآفَارِي مِنْ قَطْعِ مَسَافَةٍ كَبِيرَةٍ لِيَصِلَ حَيْثُ مَأْوَاهُ فِي كَهْفٍ
مَعَهُمْ، لِيُفَوِّصَ بَيْنَ سِرَادِيهِ الْمَظْلَمَةِ حَتَّى يَبْدَأَ ضَوْءٌ بِالتَّجَلِّيِ عَلَى جِدْرَانِ
بَعْدَ، لَتَجِدُ أَوْرُوبَا ذَاتَهَا فِي حَضْرَةِ مَخْلُوقَتَيْنِ تَشْبَهُانِ ثَادِيَّاسَ فِي الْهَيْئَةِ وَإِنْ
خَلَقْتَ أَلْوَانَ بَدَنِيهِمَا، نَظَرْتَ الْمَخْلُوقَتَانِ نَحْوَ الْآفَارِي بَعَيْنَيْنِ فَارِغَتَيْنِ
مِنَ الْحَيَاةِ، هُمَا لَمْ تَحْفَلَا حَتَّى لِرُؤْيَتِهِ يُحْضَرُ بَشَرِيَّةٌ إِلَى مَخْبَثِهِمَا، وَضَعُ ثَادِيَّاسَ
أَوْرُوبَا أَرْضًا قَرِيبَةً مِنَ النَّارِ الدَّافِئَةِ ثُمَّ تَحَدَّثَ مَعَ إِحْدَاهُمَا:

«أَيُّهَا الْهَالُوكُ اسْتَخْدِمِي أَزْهَارِكِ عَلَيْهَا فَهِيَ مُصَابَةٌ، وَأَنْتِ أَيْتُهَا
لَعَنَكُوبَتِيَّةُ أَحْضِرِي شَيْئًا مِنْ طَعَامِ الْبَشَرِ إِلَيْهَا».

أَوَامَتِ الْمَخْلُوقَتَانِ، لَتَقْتَرِبَ إِحْدَاهُمَا إِلَيْهَا وَتَزْهَرُ مِنْ بَدَنِهَا أَزْهَارٌ بَعْدَ
أَلْوَانٍ وَهِيَّاتٍ، لَتَحْمِلَ الْبِتْلَاتِ وَتَسْحَقَهَا بَيْنَ قَبْضَتَيْهَا، ثُمَّ وَضَعَتْهَا عَلَى
جُرُوحِ الْبَشَرِيَّةِ. فِي خِضَمِّ كُلِّ هَذَا ظَلَّ ثَادِيَّاسٌ حَيْثُ هُوَ صَامِتًا لَا يُجَدِّثُ
صَوْتًا، لَتَكْسِرَ أَوْرُوبَا الصَّمْتَ قَائِلَةً:

«مَا أَنْتُمْ؟ مَا نَوْعُ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا؟»

ثَادِيَّاسُ: «مَا نَحْنُ عَلَيْهِ لَا يَعْنِيكَ، مَا إِنْ تُشْفَى جِرَاحُكَ سَتَفْتَرِقُ
طَرَفَنَا، فَلَا شَيْءَ لِبَشَرِيَّةٍ تَقُومُ بِهِ مَعَنَا، فَطَرِيقُنَا مَلِيءٌ بِالْمَوْتِ وَالْمَخَاطَرِ».

«تَوَقَّفْ عَنْ هَذَا الْآنَ، لَا أَرْغَبُ بِسِمَاعِ كَلِمَةٍ بَشَرِيَّةٍ مَرَّةً أُخْرَى، لَقَدْ
أَخْبَرْتُكَ بِاسْمِي فَادْعُنِي بِهِ، وَلَا تَقْرُرْ عَنِي مَصِيرِي، وَلَا تَنْكَرْ مَا يَحْمِلُ
وَجْدَانُ كُلِّ مَنْ، أَنَا أَعْلَمُ مَا يَنْبُضُ بِهِ وَجْدَانِي، وَأكَادُ أَقْسَمُ أَنَّهُ ذَاتُ مَا



ينبض في روحك، أستطيع رؤية ذلك في عينيك؛ لذلك لا تُبعدني ولا
تنبذني، لست أطمع بجوارك لأنني أخشى بطش سيد طاع، بل لأنك
معجزة حقيقتها الآلهة لي، لقد دعوت بسعادة تغمرني لتجلى أنت فوراً من
بين الأشجار، أنت سعادتي نادياس.

نهض الآفاري من الأرض سائرًا صوب البشرية ليقبض على فراعها
جاذبًا بدنهما من على الأرض، وحين التقت عينهما أبصرت أوروبا فيها
شجنًا سحيقًا، قائلًا من بين أنفاسه:

«أتشعرين بذراعك تكاد تتحطم من قبضتي؟ أنا لا أبذل مجهوداً حتى
للمضغط عليها، أنت بشرية واهنة تتحطمين إن زلّت قدمك عن موضعها،
تنزفين الدماء إن جُرحت، وتعيشين لسنوات معدودة، وأنا بنٌ أبدي لا
موت لي ولا راحة من هذه الحياة إلا أن أقتل، إن نزلتُ فإن جروحي نلتهم
في طرفة عين، إن زلّت قدمي أو قُذفتُ إلى مكان سحيق فأنا لا أنحطم،
أخبريني ما حياتك كبشرية مقارنةً بحياتي أنا كـ بن؟ مصيرك هو الموت
والتلاشي قبلي، أما أنا فسأقضي ألفيات حياتي أبكي رحيلك وفقدك بلا
نهاية، أما إن رحلتُ عنك الآن، فستسينتي وستجدين مُحباً آخر ليحل
فؤادك، وبعد بضع سنوات ستبدين للأرض متلاشيةً بابتسامة رضا عن
الحياة الهادئة التي قضيتها، فما مقارنة حياتي الطويلة بحياتك أنت التي
تنتهي في طرفة عين؟ سأجعلك تسين من أكون فلا يملك فؤادك مجدداً،
وأنا سأرحل عنك ما دام فيَّ قوة لفعل هذا».

أوروبا:

أيها البني، حتى وإن محوت وجودك من ذكرياتي، إلا أنك لن تتمكن
بالتزاع ذاتك من وجداني أو روحي».

حينها وضعت أوروبا يدها المرتعشة من الألم على ذراع نادياس ناظرة
بـلطف حزين لتردف:

«نادياس أيها الحزين، لقد أبصرت وزر الكون على كتفك، ألا تمنح
نك حق السعادة وإن كانت قصيرة؟ أليست الحياة المليئة بندم التخلي
عن السعادة أشد فظاعةً من حياة تفتقد فيها من تحب فيما تؤنسك ذكرياته
لـوحدة ليلك؟ ألا يحق لي أن أطمع بك في هذه الحياة القصيرة التي
أحبها؟ ألا تسمح لي أن أكون ذكرى تزورك في ظلمات حياتك؟ بشرياً
كنت أم وحشاً، فأنت ذو فؤاد أرق من كل بشر الدنيا، أنت نادياس من
أرغب أن أكون معه حتى آخر زفرات صدري، ألا يمكنك منحني هذا؟
ألا يمكنكني منحك قليلاً من السلام ولو لبضع سنين؟ ألا يحق لك هذا؟
ألا تنوق إليه؟»

طاطا الآفاري رأسه هامساً:

«أحقاً يحق لي هذا؟ أيجب لمخلوق مثلي القليل من السلام؟»



احتضنت أوروبا ثادياس إليها ولم تتركه أو تتخلّ عنه منذ ذلك اليوم، ليقضوا حياتهم على جبل مرتفع بلا بشر أو مخلوقات تقلقل راحتهم، بالرغم من الثلوج التي ملأت أرض الجبل طيلة العام إلا أن أوروبا لم تشعر بالبرد يوماً، لقد حرص ثادياس على هذا، وفي الربيع جلس الاثنان على سفح الجبل يراقبان البحر البعيد، وبين نسيم الريح العليل حُفِظَت سعادتهما. لم يتخلّ ثادياس عن الهالك أو العنكبوتية يوماً، لقد تأكد أنها تعيشان بالقرب منه حيث تطالهما عينه.

مع الأيام فقهت البشرية ما يكون ثادياس وما مهمته، كذلك الوزر الذي سوف يحمله نتيجة تنفيذ هذه المهمة، وكم تمت لو أن حياتها أبدية لتحمل معه هذا الوزر وتصاحبه، إلا أنها أهدت ثادياس من ذاتها هدبة، غلاماً هجيناً تلون بأزهار الكالا السوداء، أطلقت عليه اسم مينوس، ومعه تغيرت نظرة ثادياس للكون، فما عاد الوزر الذي يَقْصِم ظهره ثقلاً كما كان، بل لقد تبدّل لقوة تدفعه، ومع هذا إلا أن الآفاري لم يتزحزح من على جبله؛ وذلك لأن السنون تسلب منه أوروبا بسرعة منقطعة النظر، عشيرته ذات القلب الرقيق والقوي من أحببت البن فيه.

ترعرع مينوس على ذات المعرفة التي حظي بها البن وأكثر، لقد تأكد ثادياس أن يكون ابنه ملئاً بأساليب البنّ والبشر على حدّ سواء، فبرسل ابنه للتعلم من مفكرين البشر وصفوتهم، بل لقد دفع به لتعلم أساليب



تعالى البشرية، أكثر من أي شيء رغب نادياس أن يكون ابنه بأمان وأي
هبة أفضل من جعله بشرياً لا علاقة له بالين، بالأحرى لا علاقة له بـ
يبليس من له أعداء كثير، وأكثرهم شرّاً هي أورا.

في طرفه عين لـ نادياس شاخت أوروبا فباتت عاجزة عن الحراك
نسي طريقة الفراش، إلا أن حبه لها لم يذبل مع جسدها، بل تعلق بها
كم وتمسك بكل لحظات وجودها قبل رحيلها عنه للأبد، وفي آخر
الحوارات التي دارت بينهما تحدثت إليه بصوت دافئ:

«إنه ليحزنني أن أرحل عن هذا الكون مخلقةً إياكما خلفي، عدا أن ما
يزق روعي هو الوزر الذي ستعود لحمله وحدك نادياس».

«لا أرغب أي شيء أكثر من أن أحتفظ بكٍ معي، أن تطول أيامنا
معاً، والتي مهما طالت حتى لو كانت أبدية تظل قصيرة، فأنا لم أتوقف
عن حبك يوماً، إلا أنني لا أتمنى لك حياةً ترين فيها الأهوال؛ لأن قدرتي
لقد خُتِم منذ أزل، وبالرغم من أنني توقفت عن السير فيه لأحظى بسعادة
معك، إلا أن عليّ إكمال دربي، من أجل ابنتا، فلقد رأيت الغد المخيف
بأوروبا، ولا أرجوه لـ مينوس؛ لذلك وبقلبٍ مثقل سأراكِ ترحلين
عني، لانتظر مروركِ في ذكرياتي في ظلمة ليالي، إلا أنني لن أطيل الغياب
عنكِ، لعلها قرون قليلة، عدا أنني سأجد طريقي نحوكِ، فهلاً انتظرتني
لنرحل معاً؟».

أوروبا: «سأنتظرك ثادياس العزيز، فلا تسرع الخطى، وأنه الأمر بآتم
حال، من أجل مينوس».

في يوم بارد تساقطت فيه الثلوج ودّعت أوروبا هذا العالم مخلقاً ورثها
ثادياس المحطم، والذي لم يُطق صبراً للبقاء في الكوخ بعد موتها، لم يغفل
الجميع معه، في بحثٍ عن طيف الريح والماء اللذين بدأ جمع شاتئهما إلا
أنهما لم يكتملا بعد.

في رحلاتهم العديدة أبصر مينوس الكون ووعى عليه لتبدل
نظرتة للعالم، شهد حروباً تندلع بين البشر، عمالك تهوي لتنهض مكانها
إمبراطوريات، القوي يستعبد الضعيف، والضعفاء يغدرون بفؤي
السلطة في بحثٍ عن سيد أقوى، لقد كان العالم فوضوياً، حزياً. لو أن ما
يقوله والده عن حكم أورا صحيح، لو أن هنالك معركة تلوح في الأفق،
فهذا يعني إبادة البشر، بالرغم من أسلحتهم وعلمهم اللذين لا يملكها
باقي المخلوقات إلا أن البشر ليسوا ندّاً للبن، فَمَن سيحميهم إن ظلت
صفوفهم في شتات؟ لربما ليس عليهم أن يتحدثوا، بل يكفي أن توجد قوة
تحميهم من عدو لهم، لتصحو مع هذه رغبة مينوس للحماية، هي قوة
مثل تلك التي لدى ثادياس.

لتمضي سنوات، وذات يوم ربيعي أقبل مينوس إلى والده:
«أعلم جيداً مهمتك التي تسعى إليها، كما العاقبة التي تلي هذه المهمة»



وأعلم يقيناً أنك عقدت العزم، فلا رجاء مني سيمنعك عن السعي خلف قدرك، إلا أنه قدرك أنت وليس أنا، فأنا هجين ونصفي البشري يبرخ لي في رجاء لأحسن أوضاع البشر، البينُ يملكونك لتدافع عنهم، أما البشر فهم في شتات و قتال، يستعبدون بعضهم البعض ويقتلون غيرهم بمبررات واهية، أرغب في أن أكون قوة حامية وحرية، فإن كنت جاثاً في مسعاك لإنهاء أورا، فإن فقدان البين فيّ يعني تقليص بقائي على الأرض وسأفنى إليها بسرعة، فما دام لي جسد قوي وعمر مديد أرغب بأن أفعل دوري على الأرض وأترك أثراً لي في التاريخ، كما أني لا أطيق رؤيتك تسلم ذاتك للموت، دون الدفع به عنك، إن كنت عاجزاً عن حمايتك، إن كنت ستمنعني إنقاذك من أجل الغد، فأنا أفضل أن تفرق طرقتنا هنا، ليقا تل كل منا في قدره الخاص».

نادياس: «لطالما رأيت في عينيك ذات النظرة التي أحملها للمخلوقات، إنه شعور بالواجب تجاههم، أنت لست ملزماً بالبشر أو البين على عكسي، ومع هذا فأنت مني؛ لذلك أعلم ما يجول في فؤادك والصرخات التي تنعالي في روحك، بُنيّ لست أرغب في فراقك، إلا أن دربي هو درب الموت، وكل خطوة أتركها خلفي تقربني للمخطر، ولأمضي في طريقي مرتاح البال سأتحل عنك، لتتبع دربك الذي تختاره أنت، لتكون للبشر القائد الذي يحتاجونه، ومن حين لآخر سألتقي بك بُني».



آن صباح الفراق، وقبيل انطلاق مينوس استدعى الهالوك التي لم
يُحدد مشاعره تجاهها يوماً، وبالرغم من أنه يعلم حقيقة خواء فؤادها من
المشاعر إلا أنه أمّل بقليل من الولاء فيها، ليحادثها قائلاً:

«أيتها الهالوك، كلّ من قدرك القادم وقدرة الطيف فيك أمران أعلم
بشأنهما، وأعلم يقيناً ما يصبو إليه نادياس، بالرغم من أن فؤادك مظلم،
إلا أفي أرجو منك حمايته، وأتمنى أن يحظى فؤادك بالمشاعر يوماً ما، ولو
لفترة وجيزة قبيل نهايتك».

انفصل مينوس عن نادياس مرتحلاً الأرض مخبئاً وشم الكالافيه.
فلا يعلم أحد أنه غير بشري، لم يستقر مباشرة، بل باشر بجمع الجنود
من حوله، حرّر مَنْ استطاع من العبيد في دربه ودرهم على القتال من
أجل حرياتهم، لم يمشوا في أرض واحدة، بل كانوا دانمي الترحال، وب
طريقهم التقى مينوس بالعديد من هُجَناء البِن، الذين تم هجرانهم أو
لم يعلموا حقيقتهم، ليضمهم لجيشه مخبراً إياهم حقيقة ما يكونون. أما
البشر ممن معه فلم يمانعوا وجود هؤلاء الهُجَناء فلقد عانوا من كرب الحياة
الكثير ويعلمون جيداً ما يعنيه أن يكون المخلوق مستصغراً لأنه مختلف
لذلك لم يرغبوا لغيرهم بتذوق هذا المر من العذاب، فهم شاكرون لأنهم
أحرار؛ لأن الحلم لم يَعد محرماً عليهم، لا سمّ لون البشري أو المخلوق
الذي وقف معهم أو شاركهم الطعام، فكلّ ما يهمهم هو نعمة الاختيار

ببشرون وكيف يموتون، إنها هدية قدّمتها لهم مينوس لذلك تبعوه.
 «لأن بضع سنوات تضخم جيش مينوس، حيث انضم إليه العديد
 من المثّلين والجنود الذين لم يرغبوا في القتال لإرضاء جشع أسيادهم،
 حتى الآن لم يمتلك مينوس وجيشه مكاناً يُدعى وطنًا، رغب بأرض
 سلة بعيدًا عن كل الحضارات والممالك ليصنع شيئًا من العدم، فهم ما
 يؤن قوة صغيرة وضئيلة مقارنة بكل الحضارات التي حولهم، وإنشاء
 نكّة أو حتى مدينة جديدة منفصلة عن أي حكم يعني أن تتجه أعين
 الثمّنين إليهم وأن يتم تحديدهم كتهديد لأي قوى قديمة أو أي قوى
 وُثّك على الانهيار، بهذا سوف تشن كل مملكة وإمبراطورية حولهم
 حروب عليهم، وما هم إلا قوة بسيطة لن تتمكن من النجاة في مواجهة
 سب المعارك التي ستلوح لهم إن استقروا؛ لذلك فكر في الاتجاه إلى
 جزيرة ينسوطنها ليبنى حضارة له عليها، إلا أنه لا يمكن له الإبحار مع
 هذا العدد من المخلوقات بلا هدى أو وجهة، فأين هذه الجزيرة التي لا
 يحكم بها سلطان؟

لم يطلّ تخبط مينوس كثيرًا، حيث إن ثادياس أقبل عليه ذات يوم بعد
 سنوات من الفراق ليقدم له طيف الماء كأمانة يحتفظ بها، فلم يتمكن من
 حمل الطيفين داخله، كما أنه لا يرغب أن تحمل المالك أيًا من الطيفين.
 مينوس: «لم اعتقد أنك ستجمع شتات الأطياف بهذه السرعة».

نادياس: «لقد ساهم الطيفان في جمع شتات نفسيهما معي، فلم أظن
الارتحال».

«لا أرى العنكبوتية معك».

«لقد قررت الانفصال عني بعد مهمة أوكلتها لها».

«وهل تملك رغبات لتقرر ما تفعله؟»

نادياس: «هنالك غرائز لا يمكن إنكارها حتى وإن لم يمتلك المخلوق
رغبات أو فؤادًا، أولها غريزة السكن والانتواء، وهذا ما قادها لإنشاء
مكان لها مع الجيل الضال».

مينوس: «لماذا غيرت مسكن الجيل الضال؟»

«هذا ما أنا هنا لأخبرك به، أورا تتحرك الآن بُني، لا علم لي كم
السنوات أو الألفيات سنحتاج قِليل اندلاع الحرب، لكن النهاية تقترب
إلينا أسرع من ذي قبل، ولأني هدف لـأورا وغيرها، أرغب منك أن تحمل
طيف الماء فيك، فربَّ الماء يبحث عن الطيف، ولن يطول الأمر حتى
تعلم أورا بأمر الأطياف، هذا الطيف هو قدر الهالوك وهي غير مستعدة
له بعد، فلا أثق بمخلوق لحمل هذه الأمانة لها أكثر منك، خذ الطيف
إليك، واجعله جزءًا منك فلا يشعر بوجوده أحد من المخلوقات،
وعندما تمتلك الهالوك فؤادًا يشعر، ستأتي إلى قدرها، فامنحها أمانتها،
أيمكنني أن أثق بك لفعل هذا؟»

مينوس: «وماذا عن طيف الريح؟»

«هي لي الآن، فلن تجد وريثها بعد، لربما نجده خلال ترحالنا؛ لذلك بأنفها معي».

«الآن أن أفعل بالطيف ما أشاء؟»

«أنا أثق بحكمك يا مينوس فافعل ما تراه مناسباً بُني».

هذا قدم نادياس الطيف لابنه، لم ير مينوس شيئاً عندما حمل الطيف داخله، إلا أنه شعر بمدى وزره على روحه وجسده، لم يعلم كيف تمكن نادياس من حمل الطيفين داخله حتى وقت قريب، تحدث الطيف مع مينوس قائلاً:

«سليل الأفاري، أعلم أن قوتي ليست لك، فليس لك للماء رؤية، وإن سخرتها لك فهذا لأرد الدين، فأنا لا أدينُ لمخلوق بفضل عليّ، لتحمل عظيم طيف الماء فيك، وحتى تؤدي أمانتك سأكون لك الحارس الأمين».

مينوس: «يا له من طيف مغرور».

نادياس: «أجل هو كذلك، كما أنه قد اقترف بعضاً من الذنوب؛ لذلك وافق على هذا دون نزاع».

بعد فراقهما سخر طيف الماء له باحثاً عن أرض يستوطنها، وحين فعل انطلق مع جيشه عابرين البحر حيث وطنهم الجديد، هي جزيرة لم تكن



تحت سلطة أي سلطان إلا أنها احتوت على تجمعات بشرية متفرقة، لقد كان سكانها صيادين لا يعلمون عن الحياة إلا أساسياتها، وكانوا يعيشون في جهل عن أي شيء خارج هذه الجزيرة؛ لذلك لم يقاتلوا أو يواجهوا مينوس ومن معه من المخلوقات، حيث إنهم ظنوا مينوس إلهًا قديم إليهم ليغير حياتهم ويرشدتهم، ولم يعبا الآخر ذاته في تصحيح الواقع لهم، فهو في نهاية الأمر هجين خالد، فما الفائدة في إخبارهم بغير ما يظنون، إذا كان هذا الظن سيحمي أرواح من معه ويجعل البشر يقدمون له الطاعة فلن يمانعه مينوس.

وعلى تلك الأرض أنشأ أول حضارة له، مقدمًا الكثير من العلم للبشر، هي حضارة لم يكن لها مثيل في الأرجاء المحيطة بالجزيرة، ومنها توسع ليستوطن الجزر المجاورة كلها، فأنشأ له مستوطنات متفرقة كل منها يزخر بالحياة، الغنى، الثقافة، لتمسي جزيرتهم مقصدًا للنبل والملوك من حضارات أخرى.

لتمضي قرون رأى فيها مينوس أنه لا يوجد ما يمكن تقديمه لهذه الحضارة، فلقد ازدهرت أفضل مما كانت؛ لذلك قرر الارتحال من هنا لصنع حضارة أخرى، لينطلق مع المهجناء وقلبه من البشر نحو الرالدين، هنالك حيث تنهض العديد من الحضارات، ليصنع له مملكة ذات شأن



عظيم اخضنت نهر الفرات فيها ليطلق عليها مملكة ماري^(١)، وبعد عدة زون أخرى انطلق مينوس ليوسع من تأثير حضارة ماري، في كل هذه رحلات والتنقلات ازداد عدد المخلوقات التي تتبعه، من الهجناء والبن غل حذو ساء، لقد كان البن أقلية إلا أنهم تاقوا للتعايش مع المخلوقات البشر، لكي يحفظوا بوطن لهم يعيشون فيه بسلام وأمان بعيداً عن أوراء، الجان وكل الأهوال، وليضمن مينوس حماية ذاته حرص على محو ذاكرتهم عن نادباس فلا يجدون الرابط بينهما، فهو هجين ومن المحتم عليه استخدام قدراته أو إظهار أزماته من حين لآخر؛ لذلك من الأفضل له أن لا يذكروا والده على أن يمتنع استخدام البن فيه.

وبعد أزمة نار بركان عظيم في إحدى الجزر التي استوطنتها حضارته الأولى ليتسبب بتدمير الأرض وتحطمها لتغوص لأعماق البحر، بل إن رماد البركان تسبب بالكثير من الدمار للجزر المجاورة. انطلق مينوس لمحاولة إنقاذ حضارته، إلا أنه أدرك لدى وصوله مدى تأخره وجهله، لم يكن البركان هو ما يدمر هذه الحضارة بل إن البشر عليها قد دمروا أنفسهم ففرقوا في الظلام، لقد ازداد غنى الحضارة حتى أودى بهم للهلاك فلم يهتم البشر بتثقيف أنفسهم أو العمل لحماية إرثهم، لينغمسوا في السرور



والفسوق حتى هدموا كل ما بناه هو وسلفهم، وها هو البركان قد أتى وسيدمر معه ما بقي من الحضارة التي امتدت ألفية ونبأاً، ومع هذا لم يحاول إنقاذهم؛ فعوضاً عن هذا انطلق مع البنّ والهُجَناء الذين معه، ليبنى له مدينة تحت الماء أسماها أطلس، ليبقى فيها بهدوء، ومن حين لآخر يصعد للسطح ليحرر ما استطاع من العبيد، فهذا هو الأمر الوحيد الذي لم يستطع الابتعاد أو التوقف عنه، وذلك لأنه يذكر الألم الذي عانته والدته في العبودية، وهو أمر لم يرغب به لأحد من المخلوقات.

في أطلس فقد شغف صُنع حضارات جديدة، فلقد تعلم درسه بعد الألفيات التي قضاه في صُنع الحضارات وتطويرها، الحياة ستجد دائماً طريقها، سواء به أو بدونه، سينهض البشر بقوى جديدة، سينفضون غبار الماضي والجهل ليستنوا سنناً جديدة، وبعد قرون أو ألفيات سيفتكون بكل شيء محطمين ممالكهم وحضاراتهم ليمسوا مجرد حفريات على الصخر، لتنهض حضارة أو إمبراطورية على رماد ما سبقها، وهكذا توالى حتى نهاية الأزمان.

التقى مينوس مع نادياس مرة أخيرة، ولم يكن يعلم أنها كذلك، لقد أقبل إليه والده بعينين مختلفتين عن عاداتهما، لقد بدتا ذابلتين منهكتين، وهو أمر لا يمكن لومه فيه، فلقد رأى من الكون الأحوال.

مينوس: «لم لا تستقر هنا معنا، لتترك عنك البنّ والحرب، ولتنفخ حاتك في سلام، فأنت أحق بها من كل المخلوقات».

«لا يا بُني، أنا أدين بهذا للبين، فلقد بدأت هذا الأمر منذ دهر، وأن
لأن إنهاءه».

«أنت تقول هذا من ألفيات، ومع هذا لست أرى النهاية أو الحرب».
نادباس: «هنالك وجود يمنع هذا، وقريبًا سيرحل هذا الوجود
لتسارع عجلة القدر».

«ومن هذا الوجود؟»

«لا يمكنك أن تعلم، إلا أن لي رجاء بُني، لتقاتل في صف البين وتحميهم
عندما تتعالى صرخات الحرب، لتحمي المخلوقات كما حيت البشر».
مينوس: «أعدك بهذا، وما زالت دعوتي لك قائمة، بأن تترك عنك
البأس لتجد السلام هنا».

نسم نادباس لابنه قائلاً: «لا بأس، سأجد سلامي قريباً».

لماذا لم يفقه مينوس ما يعنيه نادباس آنذاك؟ بالرغم من أنه علم سعي
والده للموت، إلا أن هذا الأمر لم يطرأ على باله، لو أنه اهتم أكثر، لو أنه
لم يعتقد أن والده واهم بهذه الحرب، لماذا لم يستمع جيداً؟ والآن هذه
الهلوك المتحجرة تخبره بموت والده، لقد رأت موت نادباس الشنيع بألم
عينها ولن تحرك ساكنة، رغب مينوس في انتزاع فؤادها أو جُزْء عُنُقها، إلا
أنه يعلم جيداً أن هذا الأمر سيجعل موت والده يذهب سدى فهي وريثة



الماء، هي مَنْ ستساهم في جعل مساعي ثادياس تتحقق، وما كان مينوس
ليجعل دماء والده المهدورة بلا طائل؛ لذلك كتم غيظه فيما اختبأ في الظل
يبكي موت والده.

لقد حقق مينوس وعده لثادياس، ليقدم أمانته للهالوك، ويقاثل في
صف المخلوقات، والآن الأمر منوط للورثة لإنهاء الأمر، وما بيد مينوس
أي حيلة إلا الانتظار إما أن تستمر حياته الأبدية أو أنه سيقضي ما نبأ
من حياته كبشري، اللحظات القادمة وحدها التي ستقرر كل شيء.

رماد

لاحت اليباسة في الأفق لـ نامار ومن معه، لقد قطعوا مسافة كبيرة،
بما زاد الأمر سوءاً أنهم كانوا في حالة استنفار دائمة، منتظرين متى تتم
بانتهم ومن أين سوف ستأتي الهجمة التالية؟ وعلى أرض الصحراء
بط نامار، وما إن فعل حتى أزهرت غارينا الأفيون على مد البصر ثم
دنتها بالرمال، ليطلق سكارم من أزهاره داخل رمال الصحراء فيشعر
بإتراب أي مخلوق، أما أريز فقد نثر من بذور الشكران على الأرض
لثنت سمها إن وطئ أحد عليها؛ الآن باتوا محصنين من أي هجوم.

لاحقاً تعاون الثلاثة لبناء نخباً لهم؛ داخل الرمال أزهروا حباً لا خشية
مشابكة، صانعين خندقاً كبيراً امتد داخل الرمال، وبهذه الطريقة لم يرهق
أحد أو يعلم نخباًهم. هبط الجميع لدخل نخباًهم ملتقطين أنفاسهم. أخذ
سيون مقعداً له بالقرب من الحائط ليسند ظهره، هو يقاوم النوم الآن
بكل ما لديه من قوة، فلقد خشي أن تتمكن منه أورا مجدداً، أيضاً اليقظة
نحمة من شر وسواسها الذي لا ينتهي في نومه، بالرغم من أنها كانت
تحدث إليه في صحوته إلا أن تهديد نامار قد أخرسها للآن، لعله يحظى
بقليل من راحة البال والسكون.

نامار: «ألا ترغب في الراحة قليلاً؟ لقد قطعنا مسافة كبيرة».



سيون: «لا، هذا أفضل، فلست أسمعها في استيقاظي».

«ما نوع الكوابيس التي أرتك هي؟»

«كيف علمت هذا؟»

نامار: «سبق أن رأيتك نائمًا؛ أنت لا تنام بكامل وعيك، وإن فعلت فأنت لا تتحرك أو تُحدث صوتًا أبدًا، إلا أنك كنت غير مستقر في نومك هذه المرة، بدا عليك الصراع».

سيون: «لا تُذكرني بكوابيسي في يقظتي، ودعني أتمتع بهذا السكون لا أعلم كم سيطول استيقاظي هذه المرة».

«حسنًا إذن، ما رأيك فيما قاله بالاي، عن أن الهُجَناء مغفون من الموت؟»

«أتمنى أن يكون هذا صحيحًا، لا أعلم ما تقوده لنا هذه الرحلة أو ما مصيري، إلا أنني أرغب في شيء واحد، وهو أن لا ي طال الموت هؤلاء الفتية».

نامار: «لعل رحلة أولئك الثلاثة تأتي بفائدة، لربما يعلم ذلك الين طريقة لإنقاذنا جميعًا».

أغمض سيون عينيه قليلًا، في محاولة منه لرؤية طيف الريح أو استخدام قوتها، لعل هذا يخفف عنه آلام جسده ولو قليلًا. ومن بين

الظلام لاحت أشعة شمس متوهجة، وكنبض دافئ ومضت، ويسكينة لم
يعلم بوجودها سيون تلالاً.

سيون: «أنت من كانت في ليبين؟»

لم يلق أي رد، إنما ازدادت نبضات الطيف من حوله، ثم أتاه وسواسه
القاهر قائلاً:

«أنا حاول إيجاد طريقة لإنقاذ ابنك؟ أصدقائك؟ أصدق أنهم لم يفنوا
برحلي؟ لماذا تخاطر إذن؟ أبقى عليّ، أمسك بي، دع الأرض لي وسأدعهم
بجون، فقط استسلم سيون، ودع الأمور تأخذ مجراها الطبيعي، فأنت
ورثتي».

في كل مرة تحدثت إليه شعر سيون برأسه يكاد ينفلج، وبروحه تُسلب
منه، كأن ليلاً سرمدياً يحل عليه، في كل مرة يشعر بأن عزيته تخذه، ليطابه
الملع من الاستسلام، من الحبس في جسده لتحكمه هي كيفما شاءت. كم
يرجو الهرب؟ فتح عينيه، إلا أنها تملك جسده، تمنعه من المقاومة، متى
بات ضعيفاً هكذا؟ متى بات عاجزاً؟

حينها تعالت أصوات نبضاته وازداد دفء الشمس من حوله، لتهبَّ
رياح عاصفة امرأة:

«لترحلي من هنا»



لتنطلق زوبعة من طيف الريح نحو أورا نابذة إياها بعيداً حيث تلامي
صوتها ووجودها، حينها نظر سيون لهذا الطيف القائلة:

«لتنفذ قدرك أيها البين، أفلا ترى؟ لا نهاية لهذا».

ثم نبذت به الريح بعيداً ليفتح عينيه مضطرباً، فيرى نامار أمامه، بادياً
عليه الشفقة من حاله، ولسبب ما لم يمانع سيون هذه الشفقة، لعلها تكون
مفتاح خلاصة.

لم تكن المسافة التي يعبرها الزورق الذي حمل عليه أريو، إيلهاب،
ولييين ومن معهم كبيرة بالنسبة لهم، حيث يمكن قطعها خلال يوم أو
يزداد قليلاً، كما أن رابولا الذي يحرك الزورق أسفل منهم ينطلق بأقصى
ما لديه من سرعة. بالرغم من الأجواء الشافية والرياح العلية، إلا أن
عاصفة من القاع تقترب منهم، على حين غرة انتفض كل من أريو ودبينا
فجأة، ليهتف أريو: «تشبثوا!»

ومن دون أي تساؤلات، أطلق الجميع حباًلاً لهم متمسكين بأطراف
الزورق الورقي، حينها حرك أريو ذراعيه للأعلى ليرتفع الزورق على
سحابة مائية انفصلت عن سطح الماء، وما إن فعل حتى تعالت أعمدة
مائية هائلة للسماء، أما البحر فقد تشكلت عليه زوابع مائية عظيمة تنبع
كل من عليها. حينها هتف إيلهاب:

«رابولا، أين أنت؟»

لبنق جبل من الماء تعلّق بالقارب، وإذا بجسد يُقذف من الماء إلى
 زورق، هو رابولا مضرّجاً بالدماء، فاقداً كلّاً من ذراعيه، كما أن جسده
 بالـ بالجراح العميقة. فوراً هبطت ليبين إليه، موصلة أزهارها بجسده
 غلّة له العلاج، كما فعلت هانا و ديفينا. حلّق إيلهاب في الهواء محيطاً
 زورق بلهيه الأسود ليحميه، وحافظ أريو على ارتفاع القارب، فيما اتجه
 إليكم حيث رابولا قائلاً:

«من فعل هذا؟»

وبأنفاس لاهثة وصوت ملوّه الألم أجاب:

«واردون، يتبعه جيش مائي».

ارتعدت ليبين عند سماع اسم واردون، لتستعيد كل ذكرياتها في ذلك
 المكان، والأمر من هذا هو أنها تذكرت قلب والدتها بين يده ويديها،
 لبشر أريو بذات الذعر الذي اعترأها، والذي في لحظة واحدة تحول
 لنفسه يتقد حنقاً من هذا المخلوق. توقفت ليبين عن علاج رابولا
 وركضت متجهةً نحو جانب القارب لتقفز نحو الماء، إلا أن أريو هتف:

«إيلهاب، أوقفها!»

وما أن عبرت ليبين جدار لميب إيلهاب، وقبل أن تهوي، إذا بجبال من
 الأرجون تمسك بها مثبتة إياها في الهواء. نظرت نحو إيلهاب بغضب قائلةً:
 «دعني أذهب، ذلك الخبيث عليه أن يدفع ثمن ما افعله!»



إيلهاب: «أترغبين بالموت؟ أنتعقدين أن هجينة أرضية مثلكِ تلك القدرة لقتالِ بِنِ نقي في الماء؟ ستفقدين حياتك قبل أن تصلي للماء حتى!»
«لا يهمني، عليه دفع الثمن».

فقدَ إيلهاب هدوءه صارخًا: «نحن نهتَم! لقد خاطرنا بجاتنا لنخرجكِ من حيث أورا لأننا نهتم، سينا فعلت المستحيل لتبقيكِ حية، لقد تحملت رؤيتك تتألمين، لقد صمتت على تُهم خيانتها من أجلك، هل ستبذرين كل هذا الآن؟»

توقفت لِيبين عن محاولة تخليص ذاتها عندما سمعت اسم سينا، هو مُحَق، لقد ضحت بكل شيء من أجلها، من أجل حياتها، فما هي ببالغة هذه الحياة الآن.

بغتة اندفعت من بين أمواج الماء أسواط مائية اتجهت صوب القارب، ما إن رأتها لِيبين حتى حقنت إيلهاب بالجلتار في جسده وملأت جسدها أيضًا به. ابتعد إيلهاب عن الحبال المائية التي تراقصت بعنفٍ في الأرجاء، بينما حرص ألا تُصاب لِيبين بها أيضًا. ارتفع من الماء سيل عمودي، ومنه انبثق واردون مطلقًا أشواكًا سامة من أزهاره مصييًا إيلهاب، ليهوي هو و لِيبين نحو الماء.

على القارب، أعاد رابولا خَلَق ذراعين جديدين بسرعة بفضل قدرة قنديل الماء فيه، حينها أطلق أريو حبالًا من النيلوفر مقدمًا خصائصها المُن حوله، كما فعلت كُلُّ من هانا و ديفينا.

أريو: «علينا القتال للفرار».

يوكيم: «هذا أفضل».

«ثلاثة منا يستطيعون القتال داخل الماء، وعلى أحدهنا فقط أن يبقى
تحريك القارب للآخرين، علينا الابتعاد من هنا؛ فهم يفوقونا عددًا».

رابولا: «إن قضينا على قائدهم فهذا سيمنحنا فرصة للانسلاخ؛ لذلك
عليك أنت بـ واردة».

إيماي: «أنا، هانا، و يوكيم سنحميكم بقدر المستطاع؛ لذلك اهبط
بالزورق يا أريو».

فجأة اختفت النار من حول الزورق وتبينت الرؤية لهم، في مشهد
جمد الدماء داخل أريو؛ كلٌّ من إيلهاب و لييين يهويان للماء. ومن دون
لحظة تردّد قفز النيلوفر للبحر، وفيها هوى حرك الماء ليصنع حول لييين و
إيلهاب فقاعة مائية طافت في الأرجاء، فسقوطهما في الماء قد يعني الفتك
بهما فورًا. درّع النيلوفر بدنه بحباله وأزهاره وهوى داخل الماء، نظر حوله
ليرى وفودًا من المخلوقات المائية، جميعهم مستعدون للقتل، هذه ستكون
أول معركة مائية له، أملًا ألا تكون الأخيرة.

من خلف أريو قفز رابولا و ديفينا، فيها حولت هانا الماء أسفل الزورق
المحلّق الجليد، فهبطت به بهدوء على سطح الماء، ثم صنعت من حول



الزورق أرضاً جليدية غليظة، أما يوكيم وإيهاي فكلاهما نفث بسمه في الماء ليستخدمه رفاقهما كيفما شاءوا. داخل كرة الماء مدت ليبين من الجلتار لـ إيلهاب الذي كان يتأوه من ألم الحروق الذي تسبب بها سمٌ واردون، وفي محاولة للتخفيف عن ذاته تحدث قائلاً:

«لقد ظننت أريو واهناً لعدم تحمله سمٌ واردون، إلا أنني علمت الآن أنه ليس كذلك، تبّاً، هذا وصَبُّ عليّ جديد».

ليبين: «سأنهي أملك الآن، أنا آسفة، أنا حقاً آسفة، لو أنني لم أقذف بذاتي لما تبعثر انتباهك في محاولة إنقاذ كليتنا».

إيلهاب: «لن ألوّمك، إلا أنني أرجوك ألا تفعلني هذا مجدداً».

أومأت الأخرى فيما ضخّت المزيد من جلتارها فيه، ما هي إلا لحظات حتى زال أثر السم منه، إلا أن كلاً من ليبين وإيلهاب شعرا باقتراب الخطر وفي ذات الأوان باتت الأجواء باردة. ومن دون أي كلمات، انبثق كلاهما لخارج الفقاعة، وما إن فعلا حتى انفلقت بسباط من واردون، ليهبط الاثنان على أرض جليدية وأمامهما خصمهما. أشعل إيلهاب كامل جسده لهيباً أسود، أما ليبين فأطلقت سوطاً من إحدى ذراعيها مستعينة بذراعها الأخرى لحمل سلاح والدها لتغطي نَصله بسمٌ الأرجون، ثم انطلق الاثنان معاً نحو واردون الذي بعث أشه أكياً مسمومة ليحرقها خصمه لرماد، ولثانية واحدة لاح

نُزِعَ عَلَى عَيْنِي وَارِدُونَ، هذا لم يكن ذات إيلهاب الذي عرفه^(١)،
بِذَاتِ الْمُحِبِّينَ الَّذِي لَا يَجِيدُ اسْتِخْدَامَ لِهَيْبِهِ؛ إِنْ حَرَارَةُ لِهَيْبِهِ تَكَادُ
تُؤَنِّدُ وَارِدُونَ وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا كُلَّ الْبَعْدِ.

اسْتَجْمَعَ وَارِدُونَ شَتَاتَ ذَاتِهِ، مُحَرِّكًا الْمَاءَ أَسْفَلَ مِنْهُمْ لِيَتَصَدَّعَ الْجَلِيدُ،
ثُمَّ هَانَا عَلَى سَطْحِ الْجَلِيدِ صَابَةٌ كُلُّ تَرْكِيزِهَا وَقَوَاهَا لِمَنْعِ تَحْطُّمِهِ. وَفِي
ثَقَلَةٍ مِنْ وَارِدُونَ أَصَابَهُ سَوْطٌ مَلْعَمٌ بِالْأَشْوَاكِ لِيَمْزِقَ ذِرَاعَهُ حَتَّى كَادَتْ
تُخْرِجُ مِنْهُ، فَتَرَجَعَ لِلْخَلْفِ فِي جَزَعٍ حِينَ أَدْرَكَ أَنَّ خَصْمَهُ هِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي
يُفَرِّضُ أَنْ تَكُونَ مَيِّتَةً، صَارِخًا:

«الْقَدْ قَتَلْنَاكِ يَا فَتَاةَ؟ أَنَّى لَكَ أَنْ تَكُونِي حَيَّةً؟»

لَمْ تُحِبَّ لِيَبِينَ وَانْطَلَقَتْ إِلَيْهِ، وَمِنْ السَّمَاءِ طَافَ إِيْلَهَا بِفَوْقِهَا، وَلَسَبَّ
لَمْ يَدْرِكْهُ الْخَصْمُ أَطْلَقَ الْجَانُ لِهَيْبًا مِنْ إِحْدَى يَدَيْهِ إِلَّا أَنَّهُ أَطْلَقَ النَّيْرَانَ
خَلْفَ ظَهْرِهِ وَلَمْ يُصَوِّبْهَا عَلَى وَارِدُونَ، بَيْنَمَا صَوَّبَ إِيْلَهَا بِيَدِهِ الْآخَرَى
صَوَّبَ الْبَيْنَ دُونَ إِطْلَاقِ أَيِّ لِهَيْبٍ، فَقَطَّ اكْتَفَى بِتَأْجِيلِ بَعْضِ الشَّرَارَاتِ
السَّوْدَاءِ، إِلَّا أَنَّ السَّرَابَ الَّذِي تَكُونُ حَوْلَهَا يَظْهَرُ أَنَّهَا لَظَى. أَفَاقَ وَارِدُونَ
عَلَى ذَاتِهِ حِينَ أَصَابَ انْعِكَاسُ أَشْعَةِ الشَّمْسِ عَلَى سِلَاحِ لِيَبِينَ عَيْنِيهِ،
لِيَرَاهَا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْهُ، لِيَطْلُقَ سَوْطِيهِ الْمُسَمِّينَ، إِلَّا أَنَّ فَوْجًا

١ - مُهْجَنَاءُ: عَرَفْتُ الْاِثْنَيْنِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا حِينَ كَانَ إِيْلَهَا بِجَنْدِيًّا لَدَى أَوْرَا، وَلَكِنْ
كَانَتْ عِلَاقَتُهُمَا عِدَائِيَّةً.

من بتلات الجلتار مَزَقَت سَلاحه. وفي ثورة غضب منه حرك الماء بعنفٍ من تحته ليتصدع الجليد فتتفصل الأرض الجليدية عن بعضها البعض، إلا أن لِيَبِين لم تتوقف لتقفز نحو الجليد الذي عليه خصمها، وفيما نعلت قذفت بسلاح والدها نحوه، عدا أن خصمها ابتعد عنه ليستدعي من الماء سيلاً جارفاً قاده نحو لِيَبِين، إلا أنها لم تبتعد عن السيل، بل قذفت بذاتها نحو الماء. وعلى حين غرّة شعر واردون بطعنة في ظهره، ومن حيث أصيب نهما ألمٌ متزايد، مد حباله ليرى ما أصابه، ليتزع السلاح الذي ألقت به لِيَبِين نحوه، لقد ارتد في تحليقه مصيباً إياه بسمِّ إيلهاب، وقبل أن يخطر أي خطوة، إذا بلهيب أسود ينهال عليه ويزيله فوراً؛ لقد أحيل لرمادون أن يعي ما أصابه، في لحظة كان واردون هنا وفي طرفة عين بات شيئاً تذروه الرياح، فلقد أصابه إيلهاب بنيران لظى كَوْتِه واخترقت الجليد أسفل منه، ومع هذا فلم يتوقف الجان المهجين، بل استمر في تأجيج له في الماء محرّقا أعداءهم داخله.

رغب أربو أن يصعد لفوق الماء ليتفقد حال كُلٍّ من لِيَبِين وإيلهاب إلا أن الأعداء هنا كثيرون، وكله ثقة بأن كليهما سيكون بخير، فعليه الآن تسخير كل قوته كما عقله للبقاء حيّاً، لإنقاذ والده. بالرغم من البرد الذي تغلغل بين طبقات الماء، إلا أنه استمر بالتحرك دون توقف، لقد ملا حسه بالنيلوفر وشحذ حواسه لاستشعار أدنى تغييرٍ في الماء من حوله، لقد درّه



على هذا؛ لذلك علم أن شيئاً في الماء تغير، وحين استشعر بالم
بني في جسده أيقن أنها سموم من رفاقه، لُيَسْخَر الماء المحمل بالسموم
من، فأدفاً به نحو أعدائهم بخيوط رفيعة بالكاد تُرى أو يُشعر بها،
يحيم بجروح صغيرة يتغلغل إليها السم، فيقضي عليهم فوراً. إلا أن
لا يمكن كافيًا، فكثير منهم يحملون خصائص الطحالب العلاجية فلا
يُنتهِم السموم، ليجدوا أنفسهم في حال دفاع أكثر من الهجوم.

وجد أربو ذاته يجاهد لمقاومة التيارات المائية، يصارع الطحالب التي
تشد ذاتها على بدنه تحاول اعتصامه للموت، ومع كل إصابة وكل سُم
تغلغل لبدنه خَبَتْ عزيمته. رغب في التوقف، إلا أنه كلما فعل ومضت
سورة والده المعذَّب في ذهنه ليعاود القتال. عليهم الفرار من هنا، إلا أن
الأعداء بدأوا بالتكثُر عليه، بل إن منهم من نَفَذ من أربو ورفاقه متجهين
جث القارب.

فجأة تمزَّق الجليد من فوقهم، وخلال لحظات ارتطم جسد بالماء.
ظُر أربو ليراها لِيَسِين تحاول الابتعاد عن المكان الذي هي فيه، ليندفع
بسرعة نحوها مانحًا ظهره للأعداء، مطلقًا حباله لتعقد حول ساعدها
ثم يجذبها إليه بسرعة، وبعيدًا عن حيث وقعت، وفيما فعل ألصق
النيلوفر بها كي لا تحتق.

ما إن باتت لِيَسِين بين ذراعه حتى صُرب الماء بلهيب أسود مشووم،



أحرق كل البينّ المندفعين صوب القارب. كل غرائز أريو أخيرة
بالابتعاد فوراً لينصاع لها؛ وذلك لأن الماء بدأ بالغليان ما إن ضرب
اللهيب، حينها حرك كل من أريو و ديفينا الماء من حولهما قائدين
نفسيهما للسطح. وما إن نفذوا من الماء حتى أبصروا لهيب إلهاب كمال
يفعلوا من قبل، ليهمس النيلوفر:

«تبّاً! لقد نجح حقاً في تنفيذ هذا الهجوم الكاوي».

ليبين: «لقد كان يعمل عليه منذ وقت طويل، إلا أنه نجح».

كانت فكرة استخدام هذا الهجوم بسيطة إلا أنها تحتاج الكثير من
الدقة؛ على إلهاب تركيز كل قوة لهيبه كما حرارته في هجوم واحد قوي
إلا أنه كلما فعل ذلك وجد نفسه يُقذف من قوة دفع اللهيب. وبعد الكثير
من التدارس مع رفاقه في البعثة أوجدوا الحل: «أن يستخدم ذراعاً واحدة
لإطلاق اللهيب، فيما يستخدم الذراع الأخرى كدعامة له كي لا يُقذف
بعيداً؛ عليه وضع إحدى ذراعيه خلف ظهره مطلقاً منها لهيباً قوياً غير
حارق، فيما يُسخر كل حرارة لهيبه في يده الأخرى ليطلق منها لهيباً يعادل
نار ذراعه الأخرى». وبعد عدة محاولات تمكّن إلهاب من قياس تعادل
اللهيبين بدقة، والآن هو يملك لهيباً صغيراً قادراً على تحويل المخلوقات
لرماد بلمح البصر.

أريو: «ماذا حدث له وardon؟»



ليين: «أحيل لرماد».

ديفينا: «هذا يكفي علينا الانطلاق».

تحركت ديفينا وأريو الذي يمسك بـ ليين بين ذراعه ونحو الزورق ملغين حول إيلهاب الذي لم يطفئ لهيبه بعد، ليحادثه أريو: «هذا يكفي، علينا إكمال طريقنا».

«اصعدوا على القارب أولاً، فلا أرغب أن يتسلل أحد إليكم».

صعد الثلاثة على القارب فيما يوكيم يحذو وحذو إيلهاب في إطلاق اللهب داخل الماء، حينها هتف إيهاي لـ رابولا ليصعد للزورق كي يكملوا الطريق. بالرغم من أن رابولا لا يستطيع التواجد خارج الماء، إلا أن البحر مليء بالأعداء الآن، ومن الأفضل أن يرتقي الزورق معهم. حطات وأظهر الين ذاته من داخل الماء قائلاً:

«التمضوا في طريقكم، فهنا تفرق طرقنا».

ليين: «ما الذي تحدث عنه؟ يمكننا الرحيل معاً».

مد رابولا ذراعه ممسكاً بساعد أريو ليمنحه من ذكرياته عن موقع سيون الآن، ارتعد الآخر من فعله ليمسك بيده قائلاً:

«لا تفعل! تعال معنا، يمكننا النجاة معاً».

لم يُجب رابولا، إلا أنه أطلق حبلاً مائئاً النف حول إيلهاب الذي ما

يزال يقذف لهيبه من السماء فيلقي به في القارب بقوة، أبعـد رابولا ذراعاً
قائلاً:

«سعدت بقتالي معكم، شكرًا لجعلي حليفًا لكم».

حرك رابولا ذراعه ليقذف الزورق مندفعًا فوق الماء بقوة، حتى إن من
عليه بالكاد تشبثوا به، وآخر صدى لديه يهتف لهم:

«اتبعوا قدركم!»

فيما غاب الزورق عن الأفق، غاص رابولا لداخل الماء ليواجه الجيش
القابع أمامه، هامسًا لذاته:

«يا لها من طريقة للموت!»

أطلق مجساته كما الرازيانة فيه مبتسمًا لما هو قادم، نظر إلى أعدائه قائلاً:

«لم ينبجُ أحد منا اليوم!»

حرك رابولا المياه مشكلاً زوبعة هائلة ابتلعت من يحاول أن ينبج
الزورق، فيمزق أبدانهم لأشلاء. وبما أن الموت هو السبيل الوحيد
فليقاتل رابولا كالمسحور؛ انطلق إليهم ممزقًا إياهم بحباله، مذبذبًا إياهم
سمومه، ليفقد هو أيضًا أطرافه أو عينه أو يتمزق جسده فلا يهم! هو
سيستمر في تجديد جسده حتى يقضي على آخر ين فيهم. لم تعن له الزواجر
شيئًا فهو أيضًا يصنع مثلها، لم تؤثر به السموم فلقد أشبع جسده من سمها

حتى أنه لا يشعر بشيء. بطش بهم رابولا كما فعلوا به، تلونت المياه بكل
لون الدماء حتى إن الإبصار بات مستحيلًا، ولا يهيم هذا فإن هجومه
بسبب أبا يكن.

بعد دقائق صعب توقف رابولا عن الحراك، ناظرًا لأشلاء البن من
حول؛ لقد سمعهم، انتزع أفئدتهم، جزأ أعناقهم؛ لقد فعل ما عليه فعله.
من بين كل هذه الأشلاء والتي كان فيها ما هو له، نظر البن المنهك إلى
جسده ليجده ممزق الأطراف، ثم وقعت عيناه على مشهيد جعله يتسم
رغمًا عن الإعياء؛ لقد فقد فؤاده، لقد تم انتزاع فؤاده منه، إلا أنه استمر
بالقتال رغم هذا؛ كم كانت إرادته قوية ليقاقل هكذا! حاول أن يعيد
بناء أطرافه إلا أن جسده أبى، حينها قرر الاستسلام لإعيائه تاركًا جسده
ليهوي للأعماق المظلمة والباردة، وفي روجه رضا غير مسبوق، وصوت
روحه يتردد في عقله:

- الآن انتهيت.. هذا يكفي.. الآن يمكنك أن تكون حرًا يا رابولا..
أحسن القتال.. أحسن الحياة.. والآن بلا ندم، لنرحل.

هوى رابولا للقاء حتى ابتلعتة ظلمات المحيط.

علم من على الزورق ما حدث عندما توقف عن الحراك السريع
فجأة؛ لقد رحل رابولا عن هذا العالم، لقد أوفى بوعده ليقاقل معهم حتى
النهاية. بالرغم من معرفتهم البسيطة به إلا أنهم بكوا رحيله؛ كيف لهم ألا

يفعلوا؟ لقد قدم حياته من أجلهم، من أجل إنهاء أورا. لا توجد الكبر من الأفئدة المخلصة والنقية، إلا أن فؤاد رابولا كان واحدًا منها؛ لقد قدم حياته لهم؛ لذلك عليهم الاستمرار مهما حدث.

نهض أريو على قدميه محرّكًا الزورق حيث أرشده رابولا، تمنى لو أنه يُزهر التيلوفر في الماء إجلالًا له، إلا أن هذا سيفصح عن مكانهم؛ لذلك أقسم أن يكرم موته بطريقة ما. كانت بقية الرحلة صامتة، لم يتحدث أحدهم، كلٌ يرثي روحًا نبيلة رحلت من الغبراء بكل رضا.

أقبل الليل على مَنْ في القارب، ليتم تبديل مهمة الإبحار لديفينا بعد أريو الذي أعياه الإرهاق، ليجد مكانًا له في أحد جانبي الزورق للاستلقاء، كما فعل إيلهاب الذي بدّل مهمته بالمراقبة مع يوكيم. أقبلت عليهما ليبي برشفة مياه ليتناولوها بشغف؛ هؤلاء الثلاثة لم يجدوا وقتًا للراحة منذ بدأوا البعثة، بالكاد كانوا يجدون وقتًا للنوم، فلقد كان ترحالهم عبارة عن تدريب، قتال، ترقّب الخطر، والترحال مجددًا، ليُعذّر بهم في عقر دارهم لاختطاف ليبي، ثم الحراك، والآن الهروب لإنقاذ سيون. هم لا يعلمون كيف تستمر أجسادهم بالعمل كما التحمل؛ إنه لمن العجيب أن أيًا منهم لم يفقد وعيه بعد.

إيلهاب: «ماذا تعتقدان سيحدث الآن؟ هل ستتمكن من عزل أورا، أم أن الأسوأ في انتظارنا؟»

أريو بسخط: «لا تنحس دربنا يا إلهاب! أنا أفعل المستحيل لتجنب
الأسوأ، فلن أسمح لأحد بأن يضحي بحياة سيون، لن أسمح بهذا أبداً».
ليبين: «لا أحد منا يرغب بهذا، لقد تكبدنا الكثير من الخسائر، ولا
يجب أن نخسر المزيد».

رغب إلهاب أن يظهر له أريو حقيقة ما ينكره؛ بالطبع هو لا يرغب
بموت سيون، لكن إلى أي مدى هم مستعدون للقتال في سبيل إبقاء أورا
وسيون أحياء؟ ألف عام؟ عشرة آلاف عام؟ هل هم مستعدون للقتال
للأبد؟ إلا أن إلهاب صمت، فهو يعلم أن كل الأمور تسير نحو قدرها،
وقد قال هايبيرد:

«النهاية واحدة مهما اختلفت السبل».

هو فقط يتمنى ألا يتأذى أريو كما نأمر من القدر القادم إليهم.

مع بزوغ الفجر لاحت اليايسة لهم كلهيب أحمر مستعر؛ علم أريو من
خبرته في الصحراء أن هذه عاصفة رملية لعلها تطول أو تزول خلال
دقائق، إلا أنه ما كان ليتنظر زوال العاصفة. رغب بالاطمئنان على والده
بسرعة، كما البدء بعملية إجلائه للشمال حيث الأمان.

أريو: «إن كنا سنرسو بالزورق والغور عبر العاصفة، فعلينا أن
نربط أجسادنا بحبال حتى لا نفقد بعضنا البعض، فالرؤية على اليايسة
مستحيلة».



إساي: «أريو حتى وإن هبطنا، كيف لنا أن نعلم موقع سيون ونأمر؟
لعلنا نضل طريقنا في هذه الصحراء ويكون الموت مصيرنا».
لييين: «نأمر سيعلم بوصولنا فور ملاسة أقدامنا الأرض، لعله يذم
بنفسه لتنفيس غضبه علينا، أو يرحمنا بإرسال أحد إلينا».

خلال لحظات بات الزورق يُبحر داخل العاصفة التي لونت سم
البحر بلون النار، فبدأت المجموعة بالسعال، أو إغماض أعينهم من الرمال
التي أصابت أعينهم، إلا أنهم لم يتعلموا أو يسخطوا من هذا
الامر، فجميعهم يعلم أن الوقت عامل مهم لديهم، وهم لا يملكون
الكثير منه. أخيرًا اضطرب الزورق متوقفًا عن الحركة، ليعلم من عب
أنهم قد رسوا لبر الأمان. أول من هبط هو أريو، يتبعه البقية، وقد
أطلقوا جبالهم ليعقدوها مع جبال رفاقهم. بدأ أريو بالسير. وبعدد
خطوات شعر بالأرض من تحت قدميه تتحرك كأن مخلوقًا ما أسفل من
بل إن المخلوق كان يزحف بين الرمال ونحو قدمي أريو الذي مهما نظر
لم يتمكن من رؤية شيء من حوله. على حين غرة التف المخلوق حول
قدمه، مانعًا إياه عن الحراك. أمسك أريو بذراع لييين التي كانت ملاصقة
له، ليهمس: «لا تتحركي».

تجمدت لييين كما فعلت باقي المجموعة؛ علم أريو أن ما يمسك
أفعى، وبالرغم من امتلاكه خصائص الثيلوفر، وحتى وهو مقاتل، إلا

لأنه يحب الأفاعي يومًا، بل لعله خشيها. لحظات وتسلفت الحية ساقه
بخطف بدنه؛ رغب بإبعادها عنه، إلا أن شيئًا ما أخبره بالانتظار وعدم
تسرع، وقد كان خذسه صحيحًا حين ارتفعت الأفعى نحو وجه أريو
وجث نظره، فيجدها جبالًا ورقية من زهرة الحواشي الخاصة بـ سكارم؛
فما يعني أنهم في المكان الصحيح. هبط الحبل المتسلق من على أريو وبدأ
بتحرك فوق الرمال، ليهتف:

«إنه سكارم. هو يدلنا على الطريق».

ما إن هبط الزورق على الشاطئ حتى شعر نامار بوجودهم، ليتهلل
سرورًا وغيظًا في الآن ذاته؛ هو ساخط من تصرفهم الأرعن إلا أن
مoodتهم سالمين أراحت فواده المضطرب. عليهم الآن إخبارهم حيث
يتحركون؛ لأن هذه العاصفة الرملية تُعمي الأبصار، إلا أنها هدية طيف
ليريح لهم لحجبتهم عن أعين المخلوقات، هذا ما أخبره به سيون قبل أن
يعاوده النوم مجددًا منذ ما يقارب اليوم الآن.

نامار: «لماذا قد يرغب الطيف في مساعدتنا؟»

سيون: «هي تقول إن هذا سيزيد من قوتها في مواجهة أورا، هي تحاول
النيل منا نحن الاثنين؛ لذلك تحريك الرياح يقيها في حال تأهب لحجب
أورا لأطول وقت ممكن».

«هي تستنفذ قوتك».

«قليل من النوم يساعدني».

نامار: «لا تستسلم لها، عليك مقاومتها».

تبسم سيون الذي أغلق عينيه من الإعياء قائلاً:

«لتحرق فؤادي إن لزم الأمر نامار».

باتت الأوقات التي يفقد فيها سيون وعيه تمتد، كما أوقات صحونه تنقلص، والآن هو ينام من دون اضطراب. لا يعلم نامار إن كان هذا أمراً جيداً أم لا، عدا أن أمله الوحيد يقبع فيها يحمله هؤلاء الثلاثة ممن رسا قاربهم محضرين معهم هُجَناء آخرين.

نامار: «سكارم، لقد وصل رفاقك، أرشدكم هنا، فلن يتمكنوا من

الرؤية في هذه العاصفة».

ابتهجت أسارير سكارم و غارينا لقدوم أصدقائهم سالمين، ليحرك أزهاره نحو مَنْ يقود الطريق، لتكون بضع دقائق حتى يجبره نامار أن يفتح لهم السقيفة، فيهبط رفاقهم لداخل الخندق مكسّين بالرمال، وأصوات سعالهم تتعالى. ولمفاجأة مَنْ في الخندق، هبط معهم أربعة مخلوقات أخرى، ليغلق سكارم الهوة بعدهم. قامت المجموعة بالتربيت على أجسادهم لإزالة الرمال من عليهم، إلا أن أربو لم يفعل، فأول ما فعله حين هبط هو النظر لـ سكارم قائلاً:

سيون؟

«وهناك، إنه بخير للآن».

انطلق أريو مسرعًا خلفًا وراءه أثرًا من الرمال المتطايرة، ولعلمه أن نقب نامار عليهم سيؤخره للوصول لوالده، تجاوزه دون النظر أو الحديث معه، ليجلس بالقرب من سيون متأملًا إياه. أما نامار فقرر أن يتغاضى عن أريو الآن، ليتقدم نحو ليين وإلهاب اللذين كانا مستعدين للتأيب؛ لذلك أبقيا أعينهما في الأرض.

نامار: «أنتم الثلاثة تملكون الكثير من الجرأة لخداعي».

إلهاب: «كنا بحاجة لبعض الإجابات».

نامار: «كان بإمكانكم الطلب».

ليين: «ما كنت لتسمح لنا بالرحيل بأي حال، فقمنا بما يتحتم علينا». قبل أن يفتح نامار ثغرة للحديث، إذا بصوت أريو يتحدث: «أنت بخير، لقد كانت حماقة منا، لقد كان الطريق محملاً بالأخطار؛ تمت مهاجمتنا من قبل جيش من البين المائي، إلا أننا تمكنا من الهرب بفضل تضحية رابولا، لقد قدم حياته من أجل خلق طريق لنا. هو علم عاقبة إزالة أوراء، مع هذا كان مستعدًا لمناصرتنا حتى النهاية. لقد كان تصرفنا أحق، وبالرغم من خسارتنا إلا أننا علمنا بضعة أمور قد تساعدنا».

شعر نامار بالأسى على رابولا، لقد كنَّ له الاحترام والامتنان نظيرًا لما قام به من أجل لا يالا والبحث عنه كي ينقذها و سيون، هو بنُّ نادرين المخلوقات، تمامًا مثل كل مَنْ قُتل في هذه الحرب اللعينة.

«كنت لأرغب أن أردَّ إليه دينه في حمايتي».

التفت أريو ليجد أن سيون قد استيقظ، وبسرعة كبيرة مديده ممسكًا بيده قائلاً:

«هل أنت بخير؟ كيف تشعر؟»

تحرك سيون محاولًا النهوض، ليسند أريو والده بوضع ذراعه خلف ظهره، بدا على والده الإعياء والسقم. أقبل الجميع حيث سيون لينظر إليهم ويتمنعهم قائلاً:

«أقدر ما قمتم به، لكنكم عرَّضتم حياتكم للخطر، لا تتحركوا وُقْ أهوائكم بعد الآن، فكل الأرض لنا أعداء».

رغب أريو في أن يدافع عن ذاته ومَنْ تَبِعَهُ، إلا أنه لم يجد في فؤاده الجدال مع والده؛ لذلك أجاب:

«أعتذرُ عن تصرفنا، لن نبتعد مجددًا».

ليُعقب سيون حديثه موجِّهاً إياه لمن قدم إليهم من المهجَّاء

«لا أعلم كيف أبدأ بشكركم على ولائكم، كما أبي أعتذر عما حلَّ»

أنثوس».

هانا: «كيف علمت؟»

اعندما تملكين طيفين قويين داخلك، تشعرين وتعلمين أمورًا رغبًا
بك.

نامار: «ماذا علمتم من هناك؟»

ليدا أريو الحديث بأهم أمر قائلاً:

«الهُجَناء معصومون من عاقبة إزالة أورا».

منع نامار ذاته من أن يسعد أو يستبشر، مردفًا:

«كيف نعلم انها الحقيقة؟»

إيلهاب: «هايبيرد أخبرنا بهذا».

سيون: «هل أنتم متأكدون أنكم معصومون من هذا الأمر؟»

ليبين: «أجل، لهذا قامت سينا بأخذي لـ أورا، لإنقاذي».

نامار: «ليشرح لي أحدكم الأمر».

قصّ أريو ما حدث لهم، وما قيل لهم عن عزل أورا، وعن وريث
لطيف الماء، ودوافع سينا، أخبروه بكل شيء، ليتبدل الشك باليقين؛
ما قاله بارموث صحيح وهي ليست بخديعة، الهُجَناء معصومون من
الموت.



شعر نامار كان وزر العالم قد أزيح عن روحه، الآن إلهاب سيكون على ما يرام، لن يخسر نسله كما خسر ابنه، الآن سيتمكن من التحرك بحرية أكبر. سيقا تل بيد واحدة فيما تظل الأخرى التي تملكك بسيون معقود عن الحركة، لكن ما يهم أن يده الأقوى ويده التي لا يمكنه الاستغناء عنها قد تحررت، ما دام الهُجَناء بخير فيمكن لـ نامار القتال بيد واحدة، فيما يحمل حياة سيون في الأخرى.

أما النيلوفر فقد حصل على الجواب الوحيد الذي يحتاجه، شعر بأنه قد تحرر من كل قيوده، الآن لن يكون قلقاً من اتخاذ قراره، الآن هو حر ليقرر مصيره بمفرده. حقيقة ما قامت به سينا وخططت له أثارت دهشة السامعين؛ أنى لها أن تدبر لأمر كهذا؟ لا بد أنها قضت وقتاً طويلاً تدرس خطواتها بدقة متناهية لا تقبل الخطأ لتفعل ما عليها فعله لإنقاذ ليين. معرفة هذا جعلت كل من شك بها يشعر بالندم الجارف والحزني، لعلها المخلوقة الوحيدة التي قد تتخذ تدابير جذرية كهذه.

أريو: «الآن وقد علمتم ما لدينا، فلتتحرك قريباً».

سيون: «إلى الشمال؟»

لم يكن سؤال سيون استفهامياً، بل هو رجاء مستضعف لمخلوق لا يرغب بإثقال من حوله بمصيره وخاصة ابنه، أمر أيقنه أريو جيداً فالله ليس بالأحمق كي يطرح سؤالاً كهذا.

أريو: «لم أتجادل معك في هذا الأمر، ولن أقبل أي اعتراضات من
نبي مخلوق، لا يهمني إن كنت سأحملك طيلة الطريق أو أجترّك، سأخذك
لشمال، فلست فاقداً إياك».

«إلى متى سنستمر بعزل أورا يا بُني؟ إلى متى...».

صرخ أريو في ثورة حق جعلت من حوله يحفلون:

«لكن آلاف الأعوام! لتكن أبدية! لا يهمني، سأقاتل بكل ما لديّ لأجد
طريقة لإنقاذك. لا يهم إن كنت وحدي من سيقاتل، لا يهم إن بقيت وحيداً
بأبي أيامي، سابقبك حياً، سأنقذك وأحررك، فلا تسأل إلى أي مدى، لا
تطلب مني التوقف، أو تقبل القدر، لا تخبرني أن أمضي قدماً، لن أفعل! أيّا
بكن ما تطلبه لن أوافق عليه. أنت لست سيون، لست قائد البين، ولست
أسطورة بين المخلوقات، أنت والدي! عائلتي، سندي وعضدي، لن أتخلّى
عنك أبداً! لذلك اصمت ودعني أنقذ حياتك، يا أبي!»

قال أريو قوله ونهض فوراً مبتعداً عن سيون، فلا رغبة له لسماع
أي احتجاج، بل هو من سيحتج على الجميع، لن يقبل اقتراح أحد
بالانسحاب أو التوقف. اتجه أريو لخارج الخندق، وفيما اتجهت لبيّن
لتبعه، أمسكت غارينا بذراعها كمن تطلب منها منحه مساحة للغضب.
انطلق أريو لخارج الخندق ليرى أن العاصفة زالت كما لو أنها لم تكن،
وبدت السماء نقية حارقة كسخطه على العالم.

تجمد سيون للحظات، «أبي»! لقد ناداه ابنه بـ«أبي»، كم تاق للاستماع لهذه الكلمة؟ كالظمآن الذي ارتوى حتى التخمة. ما علمه سيون عن مشاعر أريو نحوه لا يُقَارَن بيقينه بها عندما سمع كلماته له، تلك الثورة التي ثار بها كالطفل الذي يخشى الضياع في الظلام. بين نشوة سعادته وارتياحه من سماع الكلمة الوحيدة التي تاق لسماعها منذ قرنين، وبين تردد صدى كلمات ابنه في عقله، وجد سيون أن مخاوفه تسمي حقيقة، ومع هذا فقد اتخذ قراره الذي لا رجعة فيه.

ضخ سيون من النيْلوفر في جسده، مانحًا ذاته بعض القوة لينهض متثاقلاً، وفيما ترتج قليلاً هبَّت لِيَيْن لمساعدته، إلا أنه وضع يده على كتفها في إشارة أنه بخير، لتبتعد عن طريقه، فيشق طريقه عبر الخندق ومنه للخارج حيث ابنه الساخط، وهمس خبيث في باطنه يقول:

«كم ابنك بارٌّ، لقد اعتقدت أنه الحَجَر الذي سيعرقل طريقك وينهيك، لكن انظر إليه يشور ناثره من أجلك، لربما أخطأت الظن به، لعلِّي أعلق آمال نجاتنا عليه يا سيون، ما رأيك؟ لكن سأُقر لك بأن تعايشك مع البشرية لم يكن شرًّا في نهاية الأمر، فلقد وجدنا مَنْ يخاطر بحياته من أجلنا».

في هذه المرحلة وجد سيون أنه من الأفضل تجاهل وسواس أوراء، فهنا يوفر عليه الكثير من الجهد، كما أن تجاوبه معها يمنحها اللذة والاهتمام اللذين ترغب بهما؛ لذلك قرر تركها تهذي بمفردها.

رفع سيون يده واضعاً إياها على رأس ابنه الذي وضع كلاً من ذراعيه فوق عينيه ليخفي دموعه المنسابة والتي سقت الرمال من تحته. علم سيون أن حديثه لامس روح ابنه الذي لم يجد الكلمات للحديث، فما كان له إلا أن تنساب دموعه. رَبَّتْ النُّيلُوفَرُ على رأس ابنه قائلاً:

«سأثق بك بُني؛ لذلك لا تقلق، ثِقْ بي، سأظل هنا ما دمت أملك ذاتي لي».

بالرغم من إصرار أريو على الرحيل في ذات اليوم والاتجاه للشمال، إلا أن كلاً من سيون ونامار ارتأيا قضاء ليلة وحيدة في هذه الصحراء لتجهيز ذاتهم كما الراحة، فعلى عكس ظروف البعثة، كل مخلوق على الأرض الآن عدو لهم. كما أن سيون لم يشأ أن يكون عائقاً عليهم؛ لذلك رغب في يوم واحد يستجمع فيه قوّته كما شتات ذاته؛ لذلك أخذ من البِنُّ حوله خصائص أزهارهم العلاجية ليمد جسده بالقوة ويزيد من قوة تحمله.

تلك الليلة خلد الجميع للنوم بأمر من نامار؛ لا حاجة للمراقبة والترقب، فهو سيعلم إن اقترب أعداء لهم، حتى في نومه سيعلم؛ لذلك على الجميع الراحة، فما إن يبدأوا حراكهم لن يأخذوا إلا فترات قصيرة للراحة. كان مهمهم الأكبر هو الابتعاد عن الماء، فلا علم لهم إن تواجد المزيد من أعدائهم هناك أم لا، وإن وجد فلا ينبغي للمجموعة القتال على جبهتين؛ على اليابسة والماء، من الأفضل التقليل من المخاطر والتحرك على أرض آمنة.

انثرت شمس اليوم التالي مخبرة المجموعة الصغيرة ببدء التحرك. بدا
يؤن في وضع جيد نسبياً، بالرغم من الإعياء البادي عليه إلا أن حركته
ثقل ثقيلة ومترنحة. في الحقيقة لقد لجأ لطيف الريح للمساعدة ليلة
البارحة، ليدور بينهما حوار صادق.

سيون: «هل يمكنك منع أذى أورا عني؟ أحتاج دعمك للوصول
جث الشال».

الطيف: «لماذا قد أساعدك؟ أنت لا تنوي إنهاءها أبداً».

«هذا ليس صحيحاً، أنا أرغبها زائلة، ولكن للآن فقط أرغب ببعض
الوقت. لا أعلم إن كان حلم ابني لإنائها دون موتي سيتحقق، إلا أنني
أريد التأكد من أنني استنفدت كل سبلي وخياراتي قبل إنهائها. أنا أعلم
بني أن الموت هو نهاية كل المخلوقات، سواء أكننا خالدين أم لا، بالرغم
من الألفيات التي عشتها والألفيات التي قد أحيها، إلا أنني أطمع بالمزيد
من الأيام، بل لتكون دقائق فحسب، أنا أبتغي قضاءها مع ابني؛ لذلك
امنحني قليلاً منك فحسب. أنت أيضاً ستندثرين مع أورا، إلا أنك لا
ترغبين الرحيل مهزومة من قبلها؛ لذلك أنت تقاتلين من أجل أن لا
تسيطر عليك. هناك اثنان منا، يمكننا قمعها لبعض الوقت، هلا تعاونا
من أجل موت مشرف؟»

«أنا لطيف أيها البين، ولم يكن الاندثار يوماً مخيفاً لي، لقد كدت أندثر



من قبل، إلا أنني بقيت لأمدٍ تجاوزَ زماني. نحن الأطياف نلغي وجود بعضنا البعض، هذا قدرنا، من أجل هذا تهرب الطيف الملقبة بأورامنا؛ إنها طفرة بين الأطياف، وذلك لأنها لم تعلم يوماً جمال الأرض الحرة، لم تشعر بنموها، بالمخلوقات تسري عليها ثم تندثر فيها، بقطرات المطر تتجمد في السماء، بأجنحة الفراشة تتراقص محلقة بين نسيمات الرياح. كل تلك التغيرات التي طرأت على الأرض عبر ملايين السنين التي لا نكاد نُعدُّ أو نحصى لم تشعر بها يوماً، لقد رأتها فحسب، إلا أنها لم تكن يوماً جزءاً من الأرض التي نبذتها. لم تتلون لتكون بلون الشمس مثلي، أو لون البحر مثل طيف الماء، لم تشتعل بلون الغضب مثل طيف النار. نحن لسنا الأرض، ولسنا عناصرها، نحن تشكّلنا بها، وكان عليها أن تفعل فنندثر معاً في أعماق الأرض، إلا أن هذه الغبراء أبيّة، ليست بحاجة لنا، فالحياة فيها دائماً ما تجد طريقة للبدء مجدداً. وتلك الطيف ترغبها مندثرة، ترغب بتملك ما نبذها، وحين علمت أنها لم تتمكن من فعل هذا، أزهرت البن، أنتم ومن سبقكم، وعندما باتت قريبة لفرض سيطرتها على جزء من الأرض، أتى الجان مدمرين إياها، ساليين منها جشعها. هي لم تملك الأرض يوماً، إلا أنها لن تسمح لأحد بأن يفعل. فلاي مدى أنت مستعد لإبقائها داخلك؟ سأطلع لمعرفة الجواب، وحتى ذلك الحين سأبقىك حرّاً منها، ولنفعل أنت أيضاً؛ سأضرب بك، ولنفعل أنت المثل.

ما برَّ على سيون التحرك هو أن طيف الريح سخرت الهواء من
 حوله؛ لم يكن يُخلق أو يطوف في الأجواء، كما أن الرياح لم تعصف من
 حوله، كل ما في الأمر أن الهواء حوله بات خفيفاً مما جعل ثقل جسده
 انف عليه، فلم يعد يشعر بوزر العالم عليه كالسابق، هذا منحه القدرة
 للتحرك لما يقارب ما عهده، سيتمكن من الركض مسافات كبيرة والقتال
 إن دعت الحاجة. إلا أن الجميع مُجمعون على أن القتال هو ملجأهم
 الأخير، والنجاة هي كل ما عليهم فعله. بالرغم من بغض نامار لحقيقة
 أن عليه الهرب من عدو أو معركة كجبان رعديد، إلا أن للضرورة أحكاماً
 وإن أبغضها، فما بهم الآن هو إيصال سيون للشمال وعزل قدرة أورا عنه.
 كما هو مخطط لهم، توغلوا لليابسة أكثر مبتعدين عن البحر، منطلقين
 كما اعتادوا أثناء البعثة، إلا أن سرعتهم الكبيرة وقدرتهم على التحمل
 كانت منهكة لمن انضم إليهم مؤخراً؛ لقد نسي من ارتحلوا في البعثة أن
 قدرتهم قد تفاقمت فباتت مجاراتهم مستحيلة، إلا أنهم لن يتباطؤوا من
 أجل أحد، فعلى من انضم إليهم التسارع بقدرهم وتجاوز قدراتهم، حتى
 سيون المنهك لم يتخلف عن البقية فبالأحرى لهم أن لا يفعلوا.

فيما انكسرت الشمس في السماء وبدأت بالمغيب، قررت المجموعة
 أخذ وقت للراحة، لا يتجاوز الساعتين، إلا أن هذا هو كل الوقت الذي
 رغب فيه إلهاب؛ فحيث توقفوا يقبع حقل الأرجون الأصفر، هنا حيث



فقد والده حياته ودُفنت والدته. لم يعتقد أنه سيعود هنا مجدداً في وقت قريب؛ لم يمر وقت طويل منذ موت والدته، إلا أنها تبدو كأبنة بنسب له. الأحداث التي خاضها بعد موتها كانت كثيرة وشاقة، هي أكثر خاض في حياته الطويلة، بالرغم من هذا ما كان يستبطن بكل لحظة الزمن، لقد فقد أهم رابطة في حياته، رابطة لا تُعوض، إلا أن ما حصل عليه في المقابل روابط لا تحل أبداً؛ لقد حظي بأسرة، أصدقاء، كذلك رفاق درب. فيما استقر الجميع على الأرض، اتجه كل من نامار وإلهاب إلى المنطقة التي تم دفن لا يالا فيها، جلس إلهاب أرضاً بالقرب من مدفن والدته واضعاً شظية قرن والده عليها، ليتحدث بهدوء وطمأنينة.

«لم أعلم أنني سأعود قريباً إلى هنا، سبق أن اقسمت بأن أعود بعد أيام، أورا، إلا أنني لم أفعل بعد، ولعلنا لن نفعل يوماً. أعلم أنكما ستجهلان الأمر، بالرغم من أنني لا أعلم شيئاً عنك يا أبي إلا أنك تحمل شيئاً من نامار، هذا يجعلني أعلم أنك ستمنحني العذر. لوقت طويل جداً هربت من قدرتي، من أصلي، شعرت بالخزي، بالضيق، كنت كل شيء إلا ذاتي، لكنني الآن بخير، أنا سعيد بالرغم من كل المشاق، عدا أنني لا أواجه الحياة وحيداً، فلا تقلقوا عليّ، وحيثما كنتما راقباني بحب».

وقف نامار يراقب دون حديث؛ هو فقط لا يعلم من أين يبدأ أو ماذا يقول؛ لذلك قرر أن يدع روحه تشعر بالسلام في هذه المنطقة فقط

إكوانا لمن رحلا في سبيل إنقاذ جيهما، من رحلا مخلفين حب نامار الأكبر.
من أجل روجيهما سيشر بالأمان والسلام في هذه المنطقة التي شهدت
فراقهما، لعل روجيهما تستقران بسكينة.

من خلف إيلهاب أتت وَقع أقدام، ليعلم دون الالتفات أنها تخص
رفاته؛ لقد حضر الجميع بها في ذلك سيون، الذي اقترب من حيث
موضع لا بالاً واضعاً يده على الأرض ليزهر النيلوفر في ذكراها، كما فعل
الجميع. لقد كانت تلك طريقتهم في إظهار الاحترام لمن رحل، بالرغم
من أن رفاق إيلهاب لا يعلمون والديه أو يلتقيان لهما، إلا أن ما قاموا
به هو احترام لنامار وإيلهاب على حدٍ سواء، فمن دفن هنا وتلاشى
دون أثر على هذه الأرض عزيزان على فؤاديهما، وما هذا إلا تقدير لحزنهما
ومرفان بالجميل لمن رحل وهو يقاتل أوراء.

خلال فترة راحتهم ظل نامار يراقب الأرض، يبحث عن أعداء لهم في
الأرجاء، وكما العادة تمكن من رؤية الأرض كلها إلا مسار أوراء، ما زالت
عمره عليه إلا أن طريقتهم آمن بلا أعداء. لم يعلم نامار إن كان هذا أمراً
جيداً أم لا، لكن ما باليد حيلة، عليهم عبور المسار ومنه نحو البحر حيث
يعاودون عبور يابسة أخرى. بالتأكيد يمكن لهم عبور الطريق كله عبر
المحيط إن شاءوا هذا، إلا أنها مخاطرة؛ ثلاثة مخلوقات من أصل اثني عشر
هم من يمكنهم القتال في الماء، وإن ثمت مهاجتهم فيشكل البقية عائقاً



أمامهم؛ لذلك من الأفضل البقاء أطول فترة ممكنة على أيبس جزر الأفضلية لهم في القتال.

مضت الساعتان بسرعة كبيرة، وعادت المجموعة النهوض لإتمام الطريق، فهم سيراتحون مجددًا قبل الوصول للصحراء. إلا أن أمرًا كان يزعج أصدقاء سكارم؛ هو هادئ على غير عادته، في أغلب الأوقات يكون صاخبًا كثير المزاح حتى في أحلك الظروف، إلا أنه بطل صامت غارينا، التي بدا عليها الانعزال عن باقي المجموعة. توجهت إليها ليبر أثناء تحركهم قائلة:

«أنتما تثيران قلقي، لماذا أنتما صامتان ومنعزلان؟»

غارينا: «ما الذي تتحدثين عنه؟ نحن على ما يرام، اعتقد أن الرهبة أخذ مأخذه منا فحسب».

«تعلمين أن هذا لا يُجدي معي، أنتما لستما كما أعهدكما، هل هناك ما يشغل بالكما؟»

سكارم: «أنت توهمين، نحن لم نُخفِ عنك أمرًا قط، إلا أن الأمر كما قالت غارينا، نحن منهكون، والترقب الدائم من هجوم قادم يزيد من إنهاكتنا، فلا تشغلي بالك بما ليس له وجود».

رغبت ليبين تصديقهما إلا أن شيئًا ما يزعجهما، عدا أنهما لم ينصحا

به وما كانا ليفعلنا ما دامنا لا يرغبان في هذا. ليس وكأنها لا تثق بهما،
بل تعلمت درسها بعد ما حدث مع سينا، هي فقط تريد مشاركتها
نعرانها.

أخيراً استقرت المجموعة للراحة عند منتصف الليل، كان أشدهم
جهداً، سبون، إلا أنه لم يتذمر أو يتأخر عنهم ولو لمرة واحدة. في الحقيقة
تقدنا فنياً كان يجلس متكئاً على جذع شجرة؛ لذلك اكفى أريو بتغطيته
وتركه نائماً كما هو، فلم يرغب بأن يقلق نومه بأي طريق.

أمر سكارم أن يأخذ دوراً في الحراسة كي يرتاح نمار قليلاً؛ بالرغم
من أن الآخر قادر على النوم ومراقبة الأرض، إلا أن إصرار سكارم جعله
يوضع للأمر، ليس لأنه مضطر للموافقة إلا أنه علم أن إصراره نابع
من قلق يورق فواحه. لذلك انتظر الجان حتى خلد الجميع للنوم، وقد
حدث ذلك بسرعة فائقة، ليذهب حيث سكارم الذي اعتل قمة شجرة
للمراقبة، حلق إليه الجان ليكون على مقربة منه قائلاً:

«حسناً إذن، أعلم أنك لا تحدث لئلا تُقلق رفاقك، إلا أن أمراً ما
يقلقك أنت وعشيرتك، فمن الأفضل أن تحدث».

«هو ليس بقلق، إنما قرار نتظر تنفيذه».

«ما هو هذا القرار؟»



نظر سكارم إلى نامار بيقين:

«أنا وغارينا مُحْكَطان، نحمل داخلنا فؤادين للين كما فعلت ليين، إلا أن انتزاع إحدى الأزهار منا مستحيل. أتعلم ما يعنيه هذا؟»

ارتعد نامار من هذا الحديث؛ كيف له أن يغفل عن هذه الحقيقة؟ كيف تجاهلها؟ لقد كان سعيدًا لضمان حياة إيلهاب حتى إنه نسي الآخرين. بالتأكيد نامار يعي ما يعنيه؛ إزالة أوراء تعني نهاية المُحَلِّطين، نهاية سكارم وغارينا. فقط حين اعتقد أن أغلال يده قد زالت، أعاد سكارم وضعها عليه.

«لست أخبرك هذا لمنحك من تنفيذ ما يجب تنفيذه يا نامار، بل أنا أرجوك أن تفعل.»

نظر الجان إليه مذعورًا:

«أتعي ما تقوله أنت؟ أتعي ما تطلبه مني؟»

«أجل أنا أفعل. سنحاول إيقاف المحتوم لوقت طويل، قد ننجح في مسعانا وقد نفشل، وإن اضطررت أن تفعل ما عليك فعله لإنهاء أوراء، فلا تفكر بي أو بـ غارينا. لقد اتخذنا قرارنا بهذا الشأن؛ لقد علمنا أن الموت مصيبنا في هذا المسعى، ولا يمكننا التراجع الآن بعد أن علمنا أن الموت حتمي. لذلك افعل ما عليك فعله من أجل المخلوقات، ولا تدعنا نرددك، أنا أحررك من مسؤولية أرواحنا.»

لم يعلم نامار بماذا يجيب أو يقول؛ كيف لمخلوق أن يطلب منه التسبب بقتله؟ كيف أصبح سكارم هكذا؟ بل هل كان عقله يحمل هذا النوع من الأفكار من قبل؟ لطالما كان مرحًا مازحًا فلم يعلم أنه يحمل هذا النوع من اليقين والعزم. هو و غارينا يحملان الكثير من الإخلاص في فؤادهما، لماذا على المخلوقات المخلصة الدافئة الموت؟ أولاً رابولا، والآن هما. لم يبقه نامار يوماً كيف يسرق الموت أنقى القلوب أولاً.

نامار: «أنا سأفعل كل شيء لأمنع الموت، فلا تتحدث هكذا».

سكارم: «أقدر تفاؤلك، لكن كقائدنا الأوحـد الآن، أريدك أن ترى الحقيقة فيما تتحلى بالأمل؛ إنكار الواقع لن يغير وقوعه، فتبعات إبقاء أورا حبة سيئة بقدر فئاتها، أنت تعلم هذا. كما سأكون شاكرًا لك إن أبقيت هذا الحديث بيننا، فلست أرغب في التسبب بالمزيد من الاضطراب والقلق».

قفز سكارم من على الجذع هابطًا للأرض، تاركًا نامار في فاجعة من الواقع الذي هم فيه. كيف له ألا يحمل حياة سكارم و غارينا بين يديه؟ كيف لا يكونان أغلاً له؟ حتى وإن حرره سكارم من ذنب أرواحهما، هل نامار قادر على المضي فيما يتحتم عليه فعله؟

نامار: «لماذا اخترتني وريثًا لك؟»

طيف النار: «لأنك مختلف».

«ما الذي يجعلني مختلفًا؟»



«روحك نقية».

نامار: «ما فائدة روعي النقية إن لم أتمكن من إنقاذ أحد؟»

الطيف: «إنها الحياة».

«أعلم أنها الحياة، لست أمانع الموت، لكن أمانع أن أكون أنا من يسببه لمن حولي. سأبطش بالأعداء، سأحيلهم لرماد، سأسقي الأرض بدمائهم، لست أبالي، لكن لا أقدر على حمل وزر حياة من حولي».

«هنالك أمور أسوأ من الموت».

نامار: «أعلم! لقد اختبارتها، لقد عشتها كلها، والآن أنت تطلب مني أن أحيى بوزر يكون الموت فيه رحمة».

«ليس لك، بل له».

علم نامار ما يعنيه الطيف؛ أجل هنالك أمور أسوأ من الموت، ولا شيء أسوأ من فقدان ذاتك والتسبب بأذى لمن تحب. لعل الموت رحمة في هذه الحالة، ولكن رحمة مخلوق واحد ستكون عذاباً للكثير من حوله. لم يقع نامار في مأزق أسوأ من المأزق الذي هو فيه الآن، وسيحتتم عليه الاختيار قريباً، فما سيكون خياره؟ أم لعل الحياة تبسم لهم بفرج ينفذ الجميع؟

رحلتهم اليوم ستكون منهكة؛ سيتحتّم عليهم عبور الصحراء ومسار أوراء. بالتأكيد لا يقبّع خوفهم في هذا المسار، بل ما يقلق نامار هو عدم

فدنه على رؤية ما يوجد في طريقهم، إن كان الأعداء يتربصون بهم أم لا. سن أن جعلوا أولويتهم الوصول لوجهتهم في الشمال دونما قتال، فمن الأبر لهم اجتناب الأعداء؛ لذلك راقب نامار كل الأرض دفعةً واحدة، كل ما يجره الآن أن يكون درهم آمنًا كما سابقه؛ لأنه سيتحتم عليهم عبور البحر بعد ذلك، سواء على زورق أو يُخلق بهم هو بعيدًا، كل هذا سينجى فور وصولهم للماء.

كان عبور الصحراء مُنهكًا للجميع دون استثناء، فحرارتها لا ترحم أحدًا. أخيرًا تحتم عليهم عبور مسار أور؛ لذلك توقفوا للحظات متزودين بالمياه، كما قدموا الأزهار النافعة لبعضهم البعض كي تزداد قوتهم. بإشارة من نامار، انطلق الجميع نحو المسار المُخلفين خلفهم سحابة غبار مهولة. بين خطوة وأخرى وعلى حين غرة، انبثقت من الرمال أشواك غليظة طويلة، كادت أن تحترق أجساد الجميع لولا أن سكارم هتف لهم قبيل ظهورها:

«مَن تحتكم!»

لتنفلج الأشواك متفرعة وملتحمة مصيبةً الجميع بجروح عبر كل أبدانهم، كما أنهم وجدوا أجسادهم مُحبس بين الأشواك مما حدّ من تحركهم. أول مَن تحرك هو نامار حيث حلّق للسماء يتبعه إيلهاب، كلاهما يُطلق لهيبه نحو الأشواك التي لا تفتأ تنمو حتى ما بات هنالك موطن



للقدم. أما يوكيم، فوضع يده على الأشواك مُشعلاً لهيبه عليها حتى أسفل الرمال، ليتصاعد الدخان في كل مكان. ومع هذا، انفلج من الرمال خصومهم؛ مخلوقات عرفوهم جيداً، هم مَن كانوا حلفاءهم قبل يومين، من بَن، هُجَناء، ومُحَلْطين، وحتى مُحَلْدين، جميعهم يتبعون جوام. الجميع أعلن الحرب ضدهم، وأطلق الجميع حبالهم استعداداً للقتال.

جوام: «نحن أكثر منكم عدداً، من الأفضل عدم تصيب الأمر عليكم وتقديم أورا لنا».

سيون: «يمكنك أخذها إن شئت، فأنا لا أرغب بها داخلي بأي حال».

«أحقاً ستحرقها؟ ألا تُصدق عاقبة إزالتها؟ آنت مستعد لتحمل وزر قتل كامل البين؟»

«لا يوجد وزر لحمله، سأكون ميتاً على أي حال».

جوام: «إذن لقد اتخذتم قراركم بهذا الشأن، ليكن. إذن سنقتل الجميع ونأخذك معنا كما أمر حورا».

ما كانت المجموعة لتخبرهم بوجود طريقة أخرى وهي عزل أورا، فَمَن خانهم مرّة لا يستحق ثقتهم مجدداً؛ لذلك تهباً الجميع للقتال على الأشواك العملاقة التي ملأت الأرجاء. استعان سيون بطيف الريح صانعاً زوبعة مهيبة لوجهها حيث أعداؤهم، انضم إليه مستخدمو النار

يُفْنِ بِلَهِيهِمْ فِي هَذِهِ الزُّوْبَةِ لِتَشْكَلَ إِعْصَارٌ نَارِي كَادَ يَحْرِقُ رِثَةَ كُلِّ مَنْ
إِجْدَ قُرْبِهِ. قَامَتْ هَانَا بِاسْتِخْرَاجِ أَزْهَارِهَا لِتُخَفِّضَ حَرَارَةَ الْأَجْوَاءِ فَلَا
يَأْثُرُ أَحَدٌ مِنْ رِفَاقِهَا بِحَرَارَةِ الزُّوْبَةِ.

فِيَا مَرِيتَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مُتَجَنِّبَةٌ الْإِعْصَارَ، انْطَلَقَ النِّصْفُ
أَخْرَ مِنْ حَوْلِ الزُّوْبَةِ نَحْوَ سَيُونٍ وَمِنْ مَعَهُ، لِيَنْطَلِقَ سَكَارُمٌ وَيَطْلُقَ
جِبَالَهُ الْمُسَمِّةَ نَحْوَ خُصُومِهِمْ مَذِييًّا مِنْ جَسَدِهِمْ مَا تَلْمَسُهُ حِبَالُهُ.
لَا أُرِيوُ فَقَدْ اسْتَعْدَمَ الْمَاءَ الَّذِي اسْتَخْلَصَهُ مِنْ جَوْفِ الْأَرْضِ لِيُغْلِفَ
الْأَعْدَاءَ بِهِ وَيَنْسِلَ لِدَاخِلِ أَبْدَانِهِمْ فَيَغْرِقُونَ فَوْرًا. غَارَيْنَا بِلِلَّتِ جَسَدِهَا
بِالْمَاءِ لِتَتَلَاشَى عَنِ الْأَبْصَارِ فَتُحَلِّقَ فَوْقَ خُصُومِهِمْ وَتَنْفُثَ عَلَيْهِمْ سَمًّا،
نُفْقِدُوا عَقُولَهُمْ فِي نُوبَةِ صَرَاحٍ وَذَعْرِ. أَمَّا لِيَيْنِ فَقَدْ وَقَفَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ
سَيُونٍ لِنَصْدِّ أَيَّ هُجُومٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ.

اسْتَعْدَمَ قُوَّةَ طَيْفِ الرِّيحِ أَمْرٌ جَدِيدٌ عَلَيْهِ، لَقَدْ وَضَعَ كَامِلَ تَرْكِيزِهِ
عَلَى تَحْرِيكِ الرِّيحِ بِإِتْقَانٍ كَيْ لَا يَصِيبَ أَحَدًا مِنْ رِفَاقِهِ. وَعَلَى حِينِ غُرَّةِ
لِزْدَادِ الثَّقَلِ عَلَى جَسَدِ سَيُونٍ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً، لِيُخَرَّ أَرْضًا وَتَتَلَاشَى
الزُّوْبَةُ. فَتَحَ عَيْنِيهِ لِيَبْصُرَ الْأَرْجَاءَ بَعِينَ لَمْ تَكُنْ لَهُ؛ لَقَدْ نَمَّ دَفْعُهُ لِدَاخِلِ
جَسَدِهِ وَالْآنَ أَوْرَا تَسْتَحْكِمُ بِيَدِنِهِ.

عِنْدَمَا تَلَاثَتْ الرِّيحُ وَخَرَّ سَيُونٌ أَرْضًا، تَوَجَّهْتُ لِيَيْنِ إِلَيْهِ فَوْرًا:
«أَمَلٌ أَنْتَ بِخَيْرٍ؟»

ما إن نطقت بآخر حرف حتى اختنقت؛ لقد وضع سيون يده على عنقها رافعاً إياها في الهواء، ليمسكها الذعر كما لم يحدث من قبل، نظرة في عيني قاتلها لترى أنه ليس سيون، إنها أورا التي تقتلها! علمت ذلك من تغيير حدقتي النيلوفر، كما أن النظرة التي اعتلت وجهه لم تكن له؛ لقد ملئت بخبث أورا.

تجذبت لبين محاولةً تخليص ذاتها، إلا أنها قوية للغاية، لتسحب بنجرها تكاد تتحطم. نظرت إليها أورا عبر عيني سيون قائلة: «ستدفعين ثمن خديعة الهالوك، فأنت عليها عزيزة».

ليزداد قوة الضغط على عنقها. حدث كل شيء بسرعة فائقة؛ في لحظة كان الإعصار هو المسيطر، ويلمح البصر تلاشى لسمع صوت أحدهم يختنق. شعر أريو بالذعر يسيطر عليه، أحال ببصره حيث لبين ليراها معلقةً من عنقها في الهواء من قبل والده، علم فوراً أنه لم يكن سيون، فما كان ليفعل هذا. انطلق مسرعاً حيث لبين وكذلك فعل نامار الذي نغم عليه إيقاف أورا.

مع ثاني خطوة أخذها أريو تعثر للأرض، حاول التحرك إلا أن قدمه أبت، نظر إليها ليجد جوام خلفه وقد أطلقت شوكةً من تحت قدمه فتقبتها، لتنتقل إليه مسرعةً لقتله، إلا أن سيلاً من اللهب جعلها تراجع للخلف، ليقف يوكيم بينها وبين أريو. بالرغم من أن كل شيء يحدث في

لع البصر، علم نامار أنه سيتأخر عن إنقاذ ليين، فكل ما يحتاجه أورا هو عصرة واحدة لتدق عنقها. أما ليين، بالرغم من مقاومتها لم تتمكن من التحرر، وبات العالم من حولها يتلاشى، وقبل أن تفقد وعيها، هوت أرضاً لتعاودها الحياة بأنفاس قوية احتلت صدرها، وسعالتها ملاً الأرجاء. لمفاجأتها هي ونامار، من أنقذها كان آخر مخلوق توقعته، إنه أتوم.

التحق أتوم بجيش جوام ليس رغبةً في إنقاذ أورا أو قتل سيون، بل تكفيراً عن ذنبه. كان بين رجاءٍ للقاء سيون وبين خوفٍ من غضبه، وحين وجده بين الحشود تجمد أتوم في مكانه. لم يعلم أن وطأة حمل أورا داخله منهكة هكذا، رغب في التوجه لمساعدتهم لكنه علم أنهم لن يقبلوا به أبداً. بسبب خيائته تمت الإغارة على أثران، قُتلت المخلوقات، وفقد شاوران وجلنار، من أحبا طفليهما كثيراً، لقد كانت عادتهما التوجه للمخلوقات التي قدمت لأثران وسؤالهم عن ابتهم، لقد فعلا ذلك مع كل فوج قديم، وكم كانت سعادتهما وفخرهما كبيرين عندما سمعا قصصها، هو من سرق منها هذا الحب، والآن سيون يسرق منها حياتها، بل هي أورا. بغير إدراك منه تحرك أتوم مسرعاً حاملاً في يده إحدى الأشواك التي تخص جوام، ودفع بها لداخل جسد سيون لتخترقه حتى الطرف الآخر. فوراً تحررت ليين من قبضة أورا التي استدارت نحو أتوم والغضب ملأ عينها، إنها حق وبغضاء لا تليقان بسيون. حركت أورا بدنه واجتزت عنق أتوم



الذي تلاشى جسده لأشلاء متناثرة، وفورًا خرت أورا متأوهة، لتنظر
حيث نامار الذي كان يحول بينها وبين ليبين وفي يده فؤاد سيون مشتعلًا،
لتبتسم قائلة:

«أجدت اللعب أيها الجان».

ثم تتلاشى ب سيون فاقدًا وعيه. انتزع أريو قدمه من الشوك منطلقًا
حيث ليبين ووالده والدم ملأ الطريق خلفه، توقف عند ليبين أولاً ليرى
جسدها الرقيق يرتعد، إلا أنها نظرت إليه قائلة بصوت يكاد ينفى:
«اذهب إليه».

فيفعل فورًا ليحرك جسد والده الذي كان ملقى على وجهه، ليرى
الإعياء والألم باديين عليه. رفع رأسه ليرى أن نامار يحمل فؤاد والده بين
يديه. ويجزع تلبسه تحدث أريو بصوت مرتعد:

«ماذا فعلت؟ هل قتلته؟»

«لقد فعلت هذا فيما كنا عند عشيرتي، هذه الطريقة لإبقائها من
السيطرة عليه مجددًا».

أريو: «ماذا حدث؟»

نامار: «ستحدث بشأن هذا لاحقًا، علينا الرحيل من هنا فورًا»
صنع يوكيم جدارًا ناريًا مهولًا مانعًا الأعداء من الاقتراب، ومن

خلفه تواجد كل الحلفاء، ليتحدث إيباي:

«نامار، خذ جنودك واذهبوا من هنا، نحن سنمنعهم عنكم».

يوكيم: «سأكون معكم أيضًا».

آريز: «أعتقد أن هذا هو الحل الأمثل».

ديفيئا: «أنت ستذهب معهم يا آريز، نحن الأربعة مَن سنبقى هنا لإيقافهم».

غارينا: «لا يمكننا أن نتخلى عنكم، قد يقتلونكم».

هانا: «لستم تتخلون عنا، إنه واجبكم كما هو اختيارنا، اذهبوا وأنهوا أورا بأي طريقة كانت».

هبطت هانا بالقرب من لييين واضعةً يدها عليها مقدمةً لها من أزهارها قائلةً: «لتشفي أسرع، وهذه للطريق، استخدموها بحكمة».

ثم أزهرت المزيد من الأزهار واضعةً إياها داخل أمتعة لييين.

نامار: «سنعتمد عليكم لحماية ظهورنا، شكرًا لكم».

انفصلوا لمجموعتين، لينطلق نامار ومَن معه حيث هدفهم في الشمال، فيما ظل أربعة من الهُجَناء يقاتلون لحمايتهم، دون نظر أو ندم ابتعدوا عالمين يقينًا أن هذا هو الوداع الأخير. حمل أريو سيون على كتفه، فيما هبطت مجموعة نامار للرمال منطلقين بأقصى سرعة، ومن خلفهم آريز



يلقي ببذور الشكران سماً لكل من يتبعهم، وفي آذانهم ترددت أصوات
المركة التي يخوضها الأربعة من خلف ظهورهم لحمايتهم.

اخترقت جوام ومن معها جدار هيب يوكيم، لترى أن سيون ومن
معه قد فروا، فتأمر عصابة من جيشها لتبعهم، إلا أن من تخلف عن نالار
أوقفوهم قبل أن يتحركوا. قامت ديفينا بسلب الماء من أزهار أعدائهم
لتذوي نباتاتهم، استخدمت هانا الماء الذي قدمته ديفينا لها صائغة من
رماحاً جليدية حلقت في الهواء لتلقي بها في جوف كل من تحرك، قام إياي
بخلط سمّه مع مياه ديفينا لتستخدمها في إصابة خصومهم، لتهاطل المياه
من السماء كأشواك صغيرة للغاية قامت بتسميمهم. أما يوكيم فقد توجه
لقتال جوام لتقذف إليه بأشواكها كالرماح فيحرقها هو الآخر، وفيما
أطلق نيرانه عليها حركت جوام الرمال مطفئة لهيبه ثم صنعت جداراً
رملياً يفصل بينهما، إلا أن يوكيم أحرق الرمال محيلاً إياها لزجاج مخطم
عندما انبعث منها نحو خصمه موجهاً لهيبه نحو فؤاده، ليشعر بالمتحرق
جسده؛ نظر المهجين ليجد أن شوكتاً منها قد اخترقه ليتزف الدماء. وفيما
كادت جوام تستعد لجعل هذه الأشواك تتكاثر داخل يوكيم، إذا بأنفاسها
تُحال لدخان أبيض اللون وجسدها يتوقف عن الحراك. بينما تحركت عنها
رأت أزهار اللبن تنمو عليها، لتدرك أن هانا تجمدها بصقيعها، لتحرك
عينها صوب يوكيم، وقبيل أن تراه عينها إذا بحبال من الخندقوق تضرب
جسدها محطمة إياها لشظايا ثلجية.

سقط يوكيم متأثراً بجراحه فأقبل عليه الهُجَناء مقدِّمين إليه المساعدة
لبشفي.

يوكيم: «لم أعلم يوماً أنني سأرافق بِنًا في المعركة، والآن يتم إنقاذ حياتي
من هُجَنائهم، كم الحياة غريبة!»

إيهاي: «نحن مَن خشينا الجان طيلة حياتنا، لكن انظر إلينا ننقذ
أحدهم».

فيما التأم جراح يوكيم، جلس الأربعة على الرمال يلتقطون
أنفاسهم.

هانا: «هل تعتقدون أنهم سيفعلونها؟»

يوكيم: «هل كنت لتفعلني؟»

«لا، ما كنت لأقتل والذي أبدأ، أنا أعني ما يفكر به أريو».

إيهاي: «ولكن لقد استمعنا جميعنا إلى حديث هايبيرد، إنه أمر محتوم
مهما كانت السبل».

ديفيئا: «أعتقد أنه يمكن تغيير القدر. انظروا إلينا، لظالما كانت
المخلوقات أعداء؛ لقد خشينا الجان وهم قاتلونا، وبالرغم من خيانة
المخلوقات لـ سيون ومَن معه، إلا أنهم اتحدوا ذات يوم لغاية واحدة وما
زلنا كذلك. حتى وإن كان الأعداء يفوقوننا عدداً، أعتقد أن تلك العصبية
قادرة على القيام بالمستحيل».



يوكيم: «إن فكرتم في الأمر، لقد بدأت رياح القدر تتغير منذ اللحظة التي تقابل فيها سيون و نامار معاً؛ لقاؤهما كان الموجة الأكبر التي غيرت مجرى التاريخ، ومن أجل هذا أتمنى أن تطالهم معجزة تنقذنا جميعاً».

ديفينا: «ماذا الآن؟ هل نتبعهم؟»

إيماي: «لا، لنعد إلى وطننا. لا أعلم إن كانت معجزة سترافقهم أم لا، لكنني أرغب بأن أكون في وطني إن بتُ بشرياً، ألا تعتقدان هذا؟»

يوكيم: «هل ستخلى عنهم؟»

«لست أتخلى عنهم، إلا أن حياة البشر ليست مثل الجان. إن نفذ القدر حكمه علينا فكل ما سيحدث لك هو فقدان أزهار البين فيك إلا أنك ستحتفظ بكل خصائص الجان، أما نحن فسنفقد كل شيء؛ لن نتمكن من التحرك بسرعة، سنفقد قوانا وأبديتنا. لست قلقاً بشأن هذا، عدا أني أرغب بأن أكون في مكان مألوف أنتمي إليه عندما أفقد كل شيء، أيمكنك تفهّم هذا؟»

لم يعِ يوكيم ما يعنيه فقدان البين لهم حتى هذه اللحظة؛ سيمر ما تبقى من حياتهم بلمح البصر. لقد عاشوا لقرون أو بضع ألفيات، لكن الآن ما سيتبقى لهم هو التقدم في السن، الهرم، الوهن، ثم الموت. هم من لم يخشوا الموت يوماً قد يطالهم قريباً. أجل، يحق لهم الانسحاب الآن ليكونوا في مأمن مألوف لهم.

يوكيم: «إذن سأرافقكم للأمان».

إيهاي: «شكرًا لك، لكن لتنضم إليهم، لعلهم في حاجة لك الآن».
أوما يوكيم: «لك هذا، أتمنى لكم حياة مديدة وسعيدة أيها الهُجَناء،
وهذا هو وداعنا».

انطلق يوكيم بعيدًا لإتمام مهمته، فيما ارتحل الثلاثة بين رمال الصحراء
منجهين للبحر الذي سيقودهم للوطن في انتظار القضاء الذي عليهم حُكمه.

سارت سيكاي على أرضٍ تكاد تكون مألوفة لها، إلا أنها لا تذكر
نواجدها هنا من قبل؛ أرض خضراء تمزقت بالشلالات والأنهار التي
جرت عبرها، تغطت بغيوم السماء الكثيفة لتسقي الأرض قليلًا من
زخات المطر من حين لآخر، إنه نعيم من نوع آخر. لم تحصل سيكاي
على أي معلومات من المخلوقات التي وضعتها هنا ثم ارتحلوا بعيدًا
دون البوح بكلمة واحدة. لا يهم كم طرحت من أسئلة، هم فقط ظلوا
صامتين كأنهم يملكون معلومات قيمة لا يمكن مشاركتها. إلا أن ما
أغضبها هو جهلها بما يحدث؛ هي لا تعلم من هذان المخلوقان، لا تعلم
ما حدث لـ سينا وإن كانت مهمتها لإنهاء ميزويا قد نجحت، والأدهى
من هذا هي تجهل إن بدأ الحراك أم لا، وإن حدث فمن المتصر؟ هل حقًا
باتوا أحرارًا من أورا؟ أم أن أثران انتهت وبدأ عصر جديد حيث تكون
أورا هي الطاغية؟



إلا أن كل تساؤلاتها تمت الإجابة عليها. فيما ارتحلت بهدوء بين الأشجار؛ شعرت بالرياح من حولها تتغير، هي محملة بالكثير من الكره، الغضب، والجشع. أطلقت سيكاي العنان لقدميها مبتعدة، لتعصف الرياح بقليل من رائحة مألوفة عليها، إنها كولينيا أزهار زياً؛ هو قريب منها، ومعه ارتحلت مخلوقات أخرى امتزجت رائحة أزهارهم معه. ولأن فضولها كان أكبر منها انطلقت صوب المخلوقات متأملة أن يحمل أيُّ منهم خبراً يُثلج فؤادها. بين ظلال الأشجار ركضت، وفي آخر الظلام حيث ضربت الشمس بشعاعها رأت ظلالاً للمخلوقات، وفيما انبثقت من بين الأشجار وبغتة تم عقد حبال حول قدميها لتخرّ للأرض فوراً، وقبل أن تعي أي شيء تم تقييد يديها وعقد جبل حول عنقها ليغادر الهواء صدرها. جالت بنظرها لتجد زياً ينظر إليها نظرة ملؤها البغضاء، ومن حوله التف المخلوقات، وأولهم نيدرین. علمت سيكاي أنهم حكموا عليها بالخائنة لمساعدتها سينا، إلا أنهم لا يعلمون الحقيقة، بل حتى هي لا تعلم ما الحقيقة، فكيف لها أن تدافع عن ذاتها الآن؟ فجأة لم تعد خيانتها هي ما يقلقها، بل البين الذي برز من بين المخلوقات؛ هو حورا المشزوم الذي أقبل بهدوء إليها، فتضارب الأفكار فيها: أهرمت أثران؟ أم أن المخلوقات خائنة منذ البداية؟ كيف يمكن لـ حورا أن يكون هنا؟ ماذا عن الطيف فيه؟ لتتدف سيكاي لأرض الواقع عندما نطق زياً قائلاً:

«هي مَنْ ارتحلت مع سينا الخائنة، مَنْ ساعدتها على اختطاف الفتاة، كما أنها ارتحلت من ثادياس دهرًا من الزمان، لعلها تعلم شيئًا لا نعلمه».

حورا: «لن أضيع وقتي معكِ؛ لذلك سأستخلص المعلومات بطريقتي. لن أضع السمَّ في فعلكِ، بل سأدفعه لجسدكِ، هذا فعال أكثر، ولعلكِ تفقدين حياتكِ، إلا أنها لا تعنيني».

ارتعدت سيكاي محاولةً تخليص ذاتها من الحبال التي رفعتها من الأرض لتمسي معلقةً في الهواء. اقترب منها حورا مزهرًا الآقونيطن حبلاً من جسده لتبرز منها الأشواك التي غرزها في جسد سيكاي لتصرخ صوتًا مكتومًا من الوَصَب الذي أصابها، وبذات السرعة قام حورا بوضع جذوره فيها. كان ألم سيكاي لا يوصف، إلا أن أكثر من هذا هو الأذى الذي أصاب عقلها؛ لقد شعرت بأنها تقذف من مكان لآخر في ذكريات مبعثرة. تارة تكون في الزهرة التي احتوتها قبل أن توجد على الأرض، أحيانًا جالسةً قبالة نار لطيفة تنظر لـثادياس، لترمي حيث هرم ذو جدران سوداء وصوت ثادياس يتحدث مع مخلوق ما، ثم تجد ذاتها في غابة من الخيزران المتمايل مع الرياح. ها هي تقف على قدميها على أرض جرداء محاطة بالأشجار، وعلى تلك الأرض كوخ واحد خشبي. أخيرًا وجدت ذاتها تقف قبالة ثادياس الذي يوكلها مهمة إنقاذ البين من أوراء،



وقبل أن ترحل مد يده لرأسها قائلاً:

«عليك أن تنسي الآن، فلا يمكنني المخاطرة».

ومع هذه الذكرى تفرقت فقاعات مائية حملت ذكريات سيكاي المحجوبة عنها؛ ذلك الكوخ الذي قطنت فيه مع سينا و نادباس أياماً من حياتها، وذلك المخلوق البشري الذي حمل على جسده نقش الكالا السوداء، هجين نادباس من أجله قرر إبادة أورا غير آبه للعاقبة التي ستطال المخلوقات. شعرت سيكاي بالغدر كما لم تشعر من قبل، لقد تم استغلالها بأبشع الطرق، إلا أنها ما كانت لترحل دون رد الدين.

وصل نامار ومن معه للشاطئ، ومن دون توقف صنع غيمة دخانية حمل الجميع عليها، فهذا أكثر أماناً لهم من عبور البحر. شارفت الشمس على الغروب إلا أنهم لم يتوقفوا واستمروا في التحليق حتى وصلوا لليابسة. ظل أريو ومن معه يحاولون مداواة سيون الذي لم يجد الراحة حتى في نومه، لكن هذا ليس ما يقلقهم فحسب فجسده يتغير؛ الجسد الذي كان موشوماً بالفضة فقط تلون بقليل من نثرات الذهب كما حدث لشعره، أما أزهاره فقد تحولت بضع بتلاتها للذهب والفضة فيما احتفظت أغلييتها بلونها الأزرق. جميعهم دون استثناء علموا ما يعنيه هذا التغير وهو الأمر ذاته الذي أفزعهم. أمسك أريو بيد والده ملصقاً النيولفر به، لعله لا ينجح إلا أن هذا أفضل من الاستسلام وتركه لـ أورا. قام أريو



بضخ النيلوفر إليه، وليس هذا فقط بل لقد شاطره ذكرياته كلها، حتى
 الحزينة منها؛ لم يرغب بأن ينساه والده، لم يرغب بأن يفقد ذاته - أورا؛
 لذلك دون توقف عايش أريو كل ألم مر به من قبل، عايش كل ماضيه،
 أخطائه وذنوبه وموت والدته، ليشعر بتلك المشاعر تلقي بظلالها عليه
 كأنها لم ترحل، إلا أنه ما كان ليتوقف من أجل والده.

ما إن تأكد نامار أنه على مسافة بعيدة عن البحر، وبعد أن يتقن أن
 الأرض من حولهم آمنة حتى هبط نحوها. الآن وقد غربت الشمس
 تمامًا، أكمل الجميع طريقهم في الليل بلا مرافق لهم إلا ضوء البدر. بعد
 السير لمسافة مناسبة، قرر الجان التوقف عن الترحال هذه الليلة فلقد نال
 التعب من الجميع دون استثناء؛ لذلك وجد كهفًا أرضيًا ليأووا إليه. أول
 المهابطين كان إيلهاب الذي أشعل لهيبًا خافتًا ليضيء الأرجاء لهم، ليتبعه
 المتبقون. ما إن هبط أريو للكهف حتى وضع والده الذي حمله على ظهره
 أرضًا برفق وهدوء، مدثرًا إياه بردائه.

أخذ الجميع مكانًا لهم على الأرض منهكي القوى. رفع أريو عينيه
 للسما ليشاهد عينين تنظران إليه، أحدهما حملت البدر فيها والأخرى
 تلوّنت بنجوم السماء^(١). لم يعلم أن جمالاً كهذا ممكن؛ لقد كان للكهف



مدخلان كلاهما يُشكّل عَيْنًا، وحين ينظر من داخل الكهف للخارج يشعر كما لو أن عَيْنِي الرحمة تنظران إليه بجمال الفضاء، لتجد دموع الأسي مكانها في عَيْنِي أريو الذي لم يُعَد يعلم ما العمل لمساعدة والده.

نامار: «اخلدوا للنوم جميعًا، لقد أنهنّا اليوم».

إيلهاب: «ماذا عنك؟»

«أحتاج الاختلاء بذاتي؛ لذلك دعوكم مني».

قال نامار قوله متجهًا لخارج الكهف داعيًا السماء لتهبه معجزة.

تحت ضوء من القمر مكثت سينا تراقب نجوم الليل تغير مكانها في السماء، منتظرة أي همس يخبرها عما يحمله الغد. منعت ذاتها من رؤية ما يحدث لـ ليين؛ علمت أنها ستهرع إليها إن رأتها في عسر أو ضيق، وهي أيضًا تعلم أنهم لن يقبلوا وجودها بينهم فهم لا يعلمون خبايا فؤادها بعد؛ لذلك ظلت حيث هي لعل البغضاء تجعل الفراق المقبلين إليه أكثر برًا.

تحركت الأشجار بحفيف من خلفها لتتفرض عن مكانها، ومن بين الأشجار برزت سيكاي يتبعها ظل مشووم. وقفت الهالوك متهيبة؛ لقد علمت أن سيكاي قادمة لقتلها، فلا سبب آخر لإحضار حورامعها.

سينا: «إذن قررت الانقلاب علينا؟»

سيكاي: «كيف أمكنك خداعي واستغلالي هكذا؟»



«لم تصرحي بمضييكَ في عهدكِ مع نادياس وكنْتِ مستعدة للموت من أجل هذا؟ فما الذي تغير الآن؟ هل واقع أن الموت حتمي هو ما يخيفكِ؟»
لم يكن سؤال سينا لها من أجل إشباع فضولها فهي تعلم إجابة تساؤلاتها، إنها هي سخرية من سيكاي فحسب، وقد أفلح الأمر فلقد أطلقت الزنبق العنكبوتي من جسدها كما جبالها استعدادًا للقتال، إلا أنها لم تحرك من موضعها كأنها تنتظر إشارة من حورا.

سينا: «حورا، يا لك من خبيث، كرية، رعديد؛ أحضرت مَنْ يقاتل بدلًا عنكِ، أنت تعلم أنك لست نذالي لذلك أحضرتها معكِ».

سيكاي: «هل أنتِ مَنْ يحقُّ لك قول هذه الكلمات؟ أتدركين مدى فاجعتي حين علمت الحقيقة، بل تذكرتها، تلك الذكريات التي حجبها عني نادياس. أنتم استغللتماي بأبشع الطرق، لعلكِ لا تعلمين سببًا لتعيشي، ولكني أملك وكذلك كل المخلوقات. كيف يحقُّ لك ول نادياس تقديمنا للموت دون مبررات؟ دون رحمة؟ أحقًا لا تعني لكما المخلوقات كلها أي شيء لتفودونا كنعاج للذبح؟ والأفطع من هذا أنك استخدمتني في خطتكِ دونما إخباري بالذنب الذي سارتكبه. من أجل المخلوقات جمعاء سأقتلكِ، ومعكِ سينتهي عهد نادياس».

تجاهلت سينا سيكاي موجهة حديثها لـ حورا:

«كيف تمكنت من مغادرة مسار أورادون أن يؤذيك طيف النار؟»



ما كان أي مخلوق يملك القليل من العقل ليجيب عن سؤالها، إلا أن حورا مغرور، ليس هذا فقط، بل إن الإهانات التي نكلها من سينا ستجعله يتحدث بسرّه ليظهر لها أنه ذو اليد العليا عليها.

حورا: «الآن وقد سيطرت أورا على طيف الريح كما طيف الماء، مابان لطيف النار القوة لإظهار ذاته؛ هو يعلم أن أورا ستدمره إن شاءت؛ لذلك هو مضطر لجعلي أنتقل في الأرض وفق إرادتي وإرادة أورا، بل وأنا أستطيع استخدام قدرة شظية الطيف داخلي لأرى مساحات من الأرض حولي».

استنكرت سينا ما يقوله، هي تعلم أن في حديثه كذباً؛ فهي ورثة طيف الماء وهو معها الآن داخلها، لكن حقيقة أنه يتحرك دون أذى من الطيف حقيقية. عدا أن السؤال الأهم هو لماذا يسمح الطيف بهذا؟ هل أصبح الطيف في عهده أورا الآن؟ ولكن إن كان كذلك لتبجح به حورا، بل ما كان نامار ليدع طيف النار يسلب منه. ماذا لو أن إيلهاب في خطر؟ حينها سيقدم الطيف طواعية. ولكن هذا نامار، ما كان ليوافق على رغبة أحد. شيء ما يبدو مربياً، وعلى سينا التحرك ومعرفة ما هو.

إلا أن هجوم سيكاي عليها جعلها تنفصل عن أفكارها؛ لتطلق سينا حبالها السامة فهي لا تملك وقتاً لإضاعته الآن. ضربت سيكاي الأرض محرّكة إياها من تحت أقدام سينا، لتفعل المثل فتوقف حراك الأرض من تحتها، إلا أنها أزهرت من حبالها البنج الأسود، ثم أطلقت منه أشواكاً

سوداء صوب سيكاي لتتحاشاها بسهولة. انطلقت سينا بسرعة لتكون خلف خصمها بلمح البصر، وفيما حركت جبالها لتضربها بالسهم، إذا به حورا ينطلق نحوها، لتبتعد الهالوك عن خصمها، وتوقن أن الإصابة بسهم حورا ليس خياراً لها بالرغم من امتلاكها ما يبطل تأثير سمّه، إلا أنها لا تنوي استخدام هذه الوسيلة الآن فلقد احتفظت بها ألفيات لا تحصى من أجل غرض واحد فقط. آن أو ان استخدام الطيف الآن؛ لتستخلص الماء من الأشجار حولها مشكلة بقعة ميتة في الأرض. ارتعد حورا حين رأى هذا قائلاً:

«طيف الماء!»

تبسمت سينا بخبث ورضا قائلة:

«لست جباناً فحسب، بل وأحق، دعني اعرف عن نفسي لك مجدداً، أنا الهالوك من تصون عهد نادياس ومن سوف تُنهي مهمته، أنا سينا وريثة طيف الماء، وكفتائي أنا أحد ورثة الغبراء.»

أزهرت سينا من جسدها الشكران الأبقع، الحندقوق الأبيض، الهدرانج، الأفيون والأرجون، وضخت كل سموهم في الماء لتحركه صوب سيكاي التي حاولت الابتعاد عن الهجوم، إلا أن ما أطلقت الهالوك كان سيلاً عارماً لا يمكن الهروب منه. أحاط الماء بـ سيكاي متسللاً لجسدها عبر عينيها التي فقأها، لتصرخ ألماً إلا أن هذا لا يضاهي

حتى هذه اللحظة، وشيء واحد هو الذي لا يختلف: الدمار، الحروب، والموت. كما تحل فصول العام تحل معها الحروب، بلا نهاية وبلا طائل. رغب سيون بقليل من السلام والراحة إلا أنه محتجز داخل هذه الدوامة التي لا تنتهي، هو يكاد يفقد عقله، لم يعد يعلم ما ذكرياته من ذكريات ما يراه من طيف الريح وأورا. رغب بالصراخ، رغب بأن يمد يده لأحد كي يجذبه بعيداً عن كل هذا. لأول مرة يشعر بالذعر من أن يفقد ذاته أو أن يؤذي أحداً؛ لقد كاد يقتل لبيبي، وهو يخشى أن يقتل أريو بيده. ثم من بين كل هذه الأصوات تعالى نغم قديم، لطيف ومنسي عن فؤاده، صوت هيلما تغني لـ أريو الطفل:

أيها الطفل الباكي في المنزل المظلم،

لقد شهدت شروق الشمس،

لماذا البكاء؟

لماذا الصراخ؟

لقد أقلق رب المنزل،

أيها الطفل الباكي في المنزل المظلم،

لا تقلق، لا تخف،

فربُّ المنزل يحملك^(١).

هذه الألحان التي تغنت بها هيلما في الليالي التي لم ينم فيها أريو، ظلت تارجحه بلطف، فيما تسلك ضوء القمر لنافذتهم التي تراقص الستار عليها برياح الليل الباردة، فيتطاير شعرها في الهواء بلطف جميل. وحين نمرت بنظرات سيون المحبة إليها أدارت وجهها إليه لتبتسم له قائلة:

«لقد أيقظنا ربُّ المنزل».

تلاشت كل الأصوات إلا صوت هيلما، تبخرت كل الصور ما عدا هذه الذكريات؛ ذكريات لم تكن له لأنه لم يعيشها، إنها ذكريات ابنه. رأى سيون ذاته وهو يرحل مبتعداً عنهم، وصوت بكاء أريو الطفل يملأ الأرجاء. شهد على حياته في ذلك المنزل الصغير الذي أحبه سيون؛ لقد كبر طفله هناك من دونه لينسى وجوده، شهد موت هيلما أمامه، وكل تلك الذكريات التي تشاطرها هو وابنه تحت سماء الصحراء ليفترقا مجدداً ونسي حياة أريو فارغة من أي شيء. تلك الأيام التي قضاها في تعلُّم السحر، وكل الخدع التي مارسها، لقاءه بـ نامار وكيف قضى على مائة من الجان بمفرده، ثم حياته لقرنين على الجزيرة بمفرده. لقد قدَّم له ابنه

^١- أنشودة تغنيها الأمهات للأطفال في بابل، وُجدت نقوش لهذه الكلمات باللغة السامرية في أحد آثار بابل.

حتى هذه اللحظة، وشيء واحد هو الذي لا يختلف: الدمار، الحروب، والموت. كما تحل فصول العام تحل معها الحروب، بلا نهاية وبلا طائل. رغب سيون بقليل من السلام والراحة إلا أنه محتجز داخل هذه الدوائر التي لا تنتهي، هو يكاد يفقد عقله، لم يعد يعلم ما ذكرياته من ذكريات ما يراه من طيف الريح و أورا. رغب بالصراخ، رغب بأن يمد يده لأحد كي يجذبه بعيداً عن كل هذا. لأول مرة يشعر بالذعر من أن يفقد ذاته أو أن يؤذي أحداً؛ لقد كاد يقتل ليين، وهو يخشى أن يقتل أريو بيده. ثم من بين كل هذه الأصوات تعالى نغم قديم، لطيف ومنسي عن فؤاده، صوت هيلما تغني لـ أريو الطفل:

أيها الطفل الباكي في المنزل المظلم،

لقد شهدت شروق الشمس،

لماذا البكاء؟

لماذا الصراخ؟

لقد أقلق رب المنزل،

لماذا البكاء في المنزل المظلم،

لا تقلق، لا تخف،

فربُّ المنزل يحملك^(١).

هذه الألحان التي تغنت بها هيلما في الليالي التي لم ينم فيها أريو، ظلت نأرجحه بلطف، فيما تسلل ضوء القمر لنافذتهم التي تراقص الستار عليها برياح الليل الباردة، فيتطاير شعرها في الهواء بلطف جميل. وحين شعرت بنظرات سيون المحبة إليها أدارت وجهها إليه لتبتسم له قائلةً:

«لقد أيقظنا ربُّ المنزل».

تلاشت كل الأصوات إلا صوت هيلما، تبخرت كل الصور ما عدا هذه الذكريات؛ ذكريات لم تكن له لأنه لم يعيشها، إنها ذكريات ابنه. رأى سيون ذاته وهو يرحل مبتعداً عنهم، وصوت بكاء أريو الطفل يملأ الأرجاء. شهد على حياته في ذلك المنزل الصغير الذي أحبه سيون؛ لقد كبر طفله هناك من دونه لينسى وجوده، شهد موت هيلما أمامه، وكل تلك الذكريات التي تشاطرها هو وابنه تحت سماء الصحراء ليفترقا مجدداً وتمسي حياة أريو فارغة من أي شيء. تلك الأيام التي قضاها في تعلُّم السحر، وكل الخدع التي مارسها، لقاءه بـ نامار وكيف قضى على مائة من الجان بمفرده، ثم حياته لقرنين على الجزيرة بمفرده. لقد قدّم له ابنه

١ - أنشودة تغنيها الأمهات للأطفال في بابل، وُجدت نقوش لهذه الكلمات باللغة المسارية في أحد أثار بابل.

خيط نجاة ينتشله من هذا اللحم؛ شاطره أظلم أسراره وكل ما يعلم أن ابنه ينجل منه، فعل ذلك لإنقاذه، لم يبال بما سيكشف أو بما سيقوله والده عنه. شعر سيون بالكون يتغير حوله، وبكل شيء يتضح أمامه، ما عليه القيام به، والقرار الذي سيتخذه عن الجميع.

فتح النيْلوفر عينيه ليرى القمر ينظر إليه خلال عين عملاقة، أحال بعينه في الأرجاء ليجد الجميع نيامًا، وبالقرب منه كان أربو الذي أوصل النيْلوفر به؛ ما زال يشاطره الذكريات حتى في نومه. رغب أن يربت على رأسه، عدا أنه خشي إقلاق نومه؛ لذلك اكتفى بالنظر إليه لوقت طويل. هو لا يرغب بأن يبعد عينه عن سبب نضاله فيتلاشى للدخل مجددًا. بدا على ابنه الإعياء، الحزن والقلق، لم يكن ينام مرتاحًا كما اعتاد رؤيته، رؤية هذا أملت فزاده.

تحرك سيون قليلًا، لينظر إلى ليين التي كاد يحطم حنجرتها بيده؛ تمنى لو يوقظها للاعتذار لها، لا بد أن الأمر كان مخيفًا ومؤلمًا. أحال النيْلوفر عينه للجميع ليشعر بالأسى عليهم، إنهم يعانون بسببه، وبعض منهم سيرحل بسبب هذه اللعينة داخله. ياله من وزر عظيم ليحملة! لقد فقه الآن السبب الذي من أجله لم يُقدم ثادياس على إنهاء الأمر بنفسه، لا يمكن إنكار أن ما سيحدث وزر لا ينتهي بالموت، لعل روح من يُقدم على هذا الأمر ستظل تتعذب من هذا الوزر إلى الأبد، إلا أنه عذاب سيون مستعدٌ لخوضه.

لكن ماذا عن نامار؟ كيف سيُحمّله وزرًا كهذا؟ نهض البُنُّ من الأرض متثاقلاً ولخارج الكهف حيث يعلم أن نامار موجود، الذي ما إن شعر بتحرك حتى ارتعد من مكانه، وعندما رأى سيون توقف للحظات محاولاً معرفة مَنْ يكون، وعندما ابتسم علم الجان أنه رفيقه ليمنحه ظهره بهدوء.

أقبل النِيلوفر حيث رفيقه فيجد من الأرض مجلساً له، بصمتٍ جلسا لبعض الوقت، كلاهما يعلم ما يفكر به الآخر، وكلاهما اتخذ قراره، ليكون سيون مَنْ يتحدث أولاً قائلاً:

«أعتذر عن هذا يا نامار، إنه آخر رجاء أقدمه لك؛ لذلك أنصت لي، فهي المخططات التي وضعتها لك ولي».

ارتعد أريو من نومه ناظراً حوله، فلم يجد أثراً لوالده، تحرك مسرعاً لخارج الكهف حيث سطعت الشمس، ليراه يجلس أرضاً مع نامار، لينطلق مسرعاً إليه قائلاً:

«ما الذي تفعله هنا؟»

نظر سيون للذعر في عيني ابنه قائلاً:

«قررت استنشاق بعض الهواء».



«هل أنت بخير؟ ألسنت متعباً؟ هل أورا حولك؟»

وضع سيون يده على رأس ابنه مجيئاً:

«اهدأ، أنا على ما يرام، وهذا بفضلِكَ، لقد أنقذتني ذكرياتك».

«ما دمت بخير، فعلينا الانطلاق الآن، لا نملك وقتاً لإضاعته».

نامار: «لن نذهب لأي مكان يا فتى».

أريو بجزع: «ما الذي تنويان عليه؟ أنت لن تستسلم الآن، أليس

كذلك؟ لن تقدم حياتك من أجل تدمير أورا؟»

سيون: «لا شيء من هذا، نحن ننتظر أحدهم فحسب».

«مَنْ؟»

نامار: «سينا».

صدر صوت لييين من خلفهم هامة:

«هل سينا قادمة؟»

نامار: «أجل، هي تتجه إلينا».

نهض سيون متجهاً لـ لييين قائلاً:

«أعتذر عما اقترفته البارحة، لا بد أن الأمر آلك كما أخافك، كان لا بد

أن أسيطر على أورا بشكل أفضل».

«لا تفعل، لا تعتذر، أنت مَن يعاني هنا، ونحن لا نفعل ما يكفي

لمساعدتك، أمر كهذا ليس خطأك، فلا تلم نفسك أو تعتذر».

أريو: «ما دمت سينا قريبة، فلتتحرك الآن، يمكنها أن تلحق بنا».

«لا تتعجل التحرك بُني، ما سيخلف لديك انتظار بعض الوقت؟»

«أريد تخليصك منها بأسرع وقت ممكن، إنها تستنزف حياتك، ولا تُقل لي إنك بخير، لأنني أعلم أنك لست كذلك».

استيقظ الجميع من الأصوات التي ملأت المكان ليتجهوا للخارج، ويشهدوا الحديث الدائر، ليكون أريز أول مَنْ يتحدث قائلاً: «أنا أتفق مع أريو، علينا أن نتحرك بسرعة».

غارينا: «يمكنني أنا و سكارم أن ننتظر سينا، ونرشدها الطريق؛ لذلك انطلقوا بسرعة».

فجأة تزلزلت الأرض من تحتهم فتناولت جبال نباتية عظيمة ومن خلفها برز جيش من المخلوقات بقيادة نيدرين، باتت المجموعة محاصرة من الأعداء، ليصرخ أريو:

«نامار ما هذا؟ لماذا لم تحذرنّا؟»

إلا أن نامار كان متفاجئاً بقدره موجهًا ذات السؤال لطيف النار داخله:

«كيف لك أن تخونني؟ أنا لم أرهم، لم أشعر بهم!»

اجابه الطيف: «آن أو ان القدر أيها الجان».



هتف نامار عظيم حنقه: «تَبَّأْ لَكَ!»

ثم فرد جناحيه مستلًا منجله قائلاً:

«سأشق الطريق لنا، فاهربوا».

أطلق الجميع جبالهم المزهرة استعدادًا لما هو قادم، فيما حلق إيلهاب للسماء، تحرك الجميع بما في ذلك سيون بتناغم واضح للخروج من هذا المأزق.

أقبل عليهم الأعداء من كل حَدْبٍ وَصُوبٍ، وبكل الأزهار السامة تسلحوا، استخدم أربو المياه سيلاً جارفاً نحو أعدائه، فيما أحرق نامار الحبال التي تطاوت للسماء لتُهوي رماقاً محترقاً. كما أرسل إيلهاب سيلاً من شهب نارية مسمومة بـ الأرجون، فيما نفثت غاريننا غبار سُمِّها في الأرجاء، وبعثر سكارم بثلاث أزهاره الحارقة في الأجواء. أريز قذف ببذور الشكران التي انفلقت فوراً نافثةً سُمِّها، أما لييين فقد ضربت بسوطها كل مَنْ قابلت ممزقةً جسده لنصفين.

إلا أن الأعداء لا حصر لهم، يكادون يُغرقون سيون وَمَنْ معه بتلٍّ من الجثث، على حين غرّة تصاعدت الرياح من الأرض صوب السماء بزوايع مهيبة، ناشلة الأعداء من الأرض قاذفةً إياهم في الأرجاء، ومن بين هذه الزوايع تعالت واحدة حفظت سيون داخلها، ومن داخلها تعال صوت ضحكات مشؤومة، وقول:

«إنها النهاية حاة سيون».

دون أي تفكير انطلق نامار بهمس من الموت إلى الزوينة، مخترقاً إياها
دوناً جهداً، ليقبض بيده على عنق سيون، فيختلط اللهب مع الزوابع في
نفاير نارية قاتلة، تبعثر الجميع على الأرض، أما من بقي منهم وقف
شامداً على ما يحدث وصوت وحيد صارخ:

«نامار لا تفعلها أرجوك!»

لم ينظر نامار لمصدر الصوت، إلا أنه علم نداء أريو المدعور كما المناشد
له للإبقاء على حياة والده، لتعالى صوت ضحكات أوراء الصادر من
فم سيون بكل وضوح، ليشتمل غضب نامار، دافعاً بها بأقصى ما لديه
من قوة لخارج الزوينة وبعيداً عن الأنظار، حيث هضبة صخرية توقف
نامار، دافعاً بجسد أوراء للجدار الصخري قابضاً على عنقها قائلاً:

«سيون، أرجوك قاوم، لا أقوى فعل هذا».

شهد أريو ما كان يحدث، وحين تلاشى نامار بوالده خلف الهضبة،
اندفع مسرعاً خلفهما، إلا أن الأعداء حولهم بالمرصاد، لينطلق أريو نحو
نيدرلين قاذفاً رمحاً عليها، لتصدى له بحبال من بنجها الأسود، إلا أن
أريو قيد رمحاً بحبال منه ليحذبه نحوه مجدداً ويدفع به نيدرلين بعيداً عن
رفاقه هائفاً: «اذهبا!»

انطلقوا جميعاً متجاوزين أريو ونيدرلين التي هضت لجيشها:

«اقتلهم!»



وفيا أقبلت الجيوش عليهم إذا بصوت إلهاب يأمر رفاقه قائلاً:
«احذروا!»

ومن خلفهم أنت حرارة نيرانه لتحيل كل شيء لرماد، وما إن لمست
المخلوقات حتى تبخروا لعدم، إلا أن إلهاب لم يتوقف واستمر بإطلاق
النار شاقاً طريقاً لرفاقه، فيما تَبِعُهُم هو من الخلف، أخيراً لم يَعدْ هناك مَنْ
يوقفهم ليتسارعوا حيث نامار و سيون.

وصل الجميع حيث يلتقي الغريبان، إلا أن أريو لم يتوقف وانطلق
مسرّعاً حيث نامار يُحْكَم قبضته على عنق والده، إلا أن نامار هتف قائلاً:
«سكارم، أوقفه».

ومن دون تردد أطلق سكارم حبلاً من أزهاره إلا أن أريو تفادها
مستمراً بالركض، وفيما تَبِعُهُ سكارم حالت لِيَيْن وألهاب بينهما.

ليين: «لا تفعل يا سكارم».

سكارم: «هذه هي النهاية».

إلهاب: «ليس بعد، يمكننا الاستمرار».

غارينا: «لا، فهذا خاطئ».

ليين: «جميعنا سنظل أحياء، إلا أن سيون و سينا سيرحلان، أترغبان
في هذا؟»



تغيرت النظرة في عيني غارينا قائلة:

«لا يا عزيزتي، لن ننجو جميعنا».

شبهت ليبيين في ذعر من الواقع الذي تغافلت عنه وتجمدت في مكانها هي وإيلهاب، ليعبر سكارم من بينهما فيعقد حباله حول جسد أريو الذي كان على خطوة واحدة من نامار ووالده، وبحركة واحدة عنيفة جذبته بعيداً عن نامار ليلقي به نحو الأرض، ثم ثبته بقوة فيما ظل أريو يصارع محاولاً النهوض.

أورا: «ما الذي تنتظره أيها الجان لتحرقني إذن؟»

هتف نامار بوجدان يتمزق وصباً: «تباً يا سيون، لتقاوم أرجوك».

ثم شعر نامار بشيء يخترق جسده يحرقه من الداخل، نظر فوجد أن أورا اخترقت جسده بجذع مزهر بكافة الأزهار المسّومة، ليقبض على فؤاد سيون بحوزته مشعلاً إياه لهيباً، لتصرخ أورا عذاباً، وفي لمح البصر تلاشى صوتها ليظهر سيون المتأوه.

أوقف نامار إحراق الفؤاد فوراً، ونظر إلى اليمين يرحوه أن لا يفقد ذاته، إلا أنه لم يجرر عنقه، مد سيون النيلوفر إلى نامار ليعالج السم فيه قائلاً برجاء وإعياء لا نظير لهما:
«لتفعلها نامار، الآن».



من الخلف تعالت تضرعات أربو المتخبط في محاولة لتحرير ذاته:

«نامار أرجوك لا تفعل! أتوسل إليك!»

قبض سيون على ذراع نامار قائلاً:

«لقد أقسمت».

هذا ما حدث في الليلة الماضية، في حديث بينهما...

سيون: «كلانا يعلم أن لن أصل للشمال، كما أن كلانا يعلم ما يجب القيام به، إلا أنك تخشى هذا! لذلك أرجوك نامار لا تردد في إنهاء الأمر».

«لا تتحدث، سأخذك للشمال، حتى لو اضطررت لحملك بنفسي».

سيون: «ثم ماذا؟ هذا الأمر لن ينتهي يوماً، ستظل المخلوقات تتقاتل، ستكون حياة ملوها بالحروب لكم، هذا يكفي الآن».

«لقد كانت حياتي كلها حروب، لن أمانع المزيد منها».

«نامار هذا يكفي، أرجوك لتنفذ رغبتني هذه فأنا لا أرغب أن أؤدي

أحدًا منكم، كما لا أرغب بوجود لا أكون فيه ذاتي، لثّرحتني من علياها ودّعني أرحل فيما أزال احتفظ بنفسي».

الآن وفي هذه اللحظة نظر الجان صوب سيون الراجي قائلاً: «لم

أعدك شيئاً، لن أفعلها».

قبض سيون على ذراع نامار بقوة، فيما نظر إلى عينيه يقين منقطع

النظير قائلاً:



استبدأ هذا الطريق معاً لنتهيه معاً، إلى أن يأخذ الموت أحدهنا أو كلانا،
ضللت الطريق فسأنهي حياتك، وستفعل أنت المثل لي، لنحمي فخرنا
حتى آخر نبض في أرواحنا، بهذا تعاهدنا يا نامار، أتذكر؟ مهما كلف
الامر.

ارتعش جسد الجان، ليزيد البين من الضغط على فزاعه هاتفاً: «دعني
أرحل وأنا محتفظ بذاتي، افعلها يا نامار»

حينها قبض على الفؤاد بين يده بقوة مشعلًا إياه بلهب الطيف ليقلعه
فؤاد سيون، بالرغم من الألم الذي فتك بجسده وهو يستخرج الطيف
منه إلا أنه لا يعادل ما تشعر به روحه من كمد. فيها اشتعل الفؤاد تأوه
سيون وصبا، إلا أنه أحال بعينه نحو ابنه الذي يقاتل لصل إليه، نسم
له فائلاً:

«أنا أسف يا أريو، يبدو أني سأرحل محذراً».

ثم قذف شيئاً نحو ابنه، هو سوار هيلما الذي تمسك به حتى هذه
اللحظة، ثم دفع نامار بالفؤاد الذي يحمل طيف النار نحو جوف سيون،
لتعالي صرخته.

شعر بكيانه يُحزن تحت وطأة الأطياف داخله، لم يشعر بحرارة النار
فيه، أو بمواده يحترق، كل ما شعر به هو تحطم جسده كما روحه، إلا أن
هذا العذاب لا يتوقف أو ينتهي، لم تكد تمضي نبضة قلب واحدة بعد، إلا



أنها كأبدية، يشعر فيها سيون بالأطراف تتصارع داخله، أما نامار فقد ظل يشعل النار حتى كاد يفنى إلا أن أورا لم تزل.

ظل أريو يصارع سكارم الذي استخدم كل قوته لمنع من الحراك، عدا أن أريو لم يكن بكامل عقله ليتخلص منه بسرعة فلقد سلبه الملح عقله، أما غارينا فقد أوقفت كلاً من ليبين وإيلهاب اللذين يحاولان منع موت سيون، لكن حتى هما استخدما مشاعرهما دون عقليهما فلم يتمكنوا من التخلص منها. ثم شعرت ليبين بهدوء يلف الأرجاء، ويبدئ تلمس كتفها، نظرت لترأها سينا، لتتجمد في مكانها، وقبل أن تتحدث بأي كلمة وضعت سينا يدها على رأس ليبين قائلة: «اتبعي الدرب للمتل فتاتي».

وإذ بشيء يقذف في ذكرياتها كما ينتزع منها، لتخر أرضاً فوراً، فيما ابتعدت عنها سينا راكضة حيث أريو، لتضع يدها عليه أيضاً قائلة:

«هذا هو الوداع أيها الهجين».

لتقذف في ذكرياته ما قذفته له ليبين، ثم ركضت بسرعة محملة بالماء نحو نامار، وأصوات من خلفها يرجونها للتوقف لم تصل مسامعها.

شعر نامار بالجدع الذي يحترق جسده يجذب منه، نظر ليرى سينا بالقرب منه، شيء داخله رغب بإبعادها كي لا يقتل سيون، إلا أن عذابه قد طال، وحان موعد تنفيذ القدر. أطلقت سينا حبلاً من المألوك ودفعت بها حيث فؤاد سيون، دافعةً بطيف الماء إليه، ومن بين هذه الحبال أزهرت

الكالا السوداء، السم الذي يحرق أوراء، ونفتت به لجسد سيون، ليتلاشى اللون الأسود من هالوكها ويحال وَشْمها للون البنفسجي الجميل؛ لقد صبغ سُمُّ نادياس جسدها بالأسود لتحفظ به ألفيات من أجل غرض واحد: إزالة أوراء.

الآن الأطياف جميعها داخل سيون في صراع يفتك بجسده وروحه، فتعالت صرخاته تصم الآذان، وتصدع الجدار الصخري خلفه من وزر الأطياف، ليتفتت خنادق لا تنتهي^(١). رغب سيون بالاستسلام، تضرع الموت وتركهم يفتكون بهذا العالم كما شاءوا. إن استسلم الآن، إن رحب بالموت، فهذه الأطياف سترحل مبتعدةً عن جسده، ومعها يزول الوَصَب الذي يدمر كل قطرة دماء فيه. وفيما تمزقت ذكرياته لقصاصات وتهاوى بصره لسواد رأى ابنه العزيز يقا تل زاحفًا محاولًا الوصول إليه، هو يصرخ رجاءً داعمًا للمخلوقات أجمع كي يقفوا على حياة والده، هذا الابن الذي لم يتمكن من صنع أي خير له، إن استسلم الآن فهذا يعني موت ذلك الفؤاد الذي أحبه أكثر من الحياة ذاتها، لا يمكنه الرضوخ الآن، هي مجرد نبضة قلب أخيرة، مجرد نبضة واحدة وينتهي كل شيء، عليه أن يأخذ نفسًا واحدًا فحسب لينتهي كل شيء.



ها هي طيف الريح تصارع أورا لتفتك بها، إلا أن طيف الريح لم ترحل دون أن تقتص جزءاً من أورا، التي باتت في مواجهة طيف النار الآن، لقد أحالها لهشيم وهي أطفأت لهيه ليرحل دون أثر يُذكر، وكل ما تبقى من أورا هو جوهر يكاد يخبو ليتولى طيف الماء المزوج بسم نادباس مهمته في إغراق هذا الجوهر الذي يصارع بشراسة داخل الطيف، كلاهما يكاد يخبو؛ إما أن ينتصر طيف الماء أو ستكون هذه نهاية الغبراء.

وبما بقي من عزم في سيون دفع بالثيلوفر صوب طيف الماء ليحكم قبضته على أورا التومض مجاهدة عدة مرات ثم خبا توهُجها حتى تلاشى جوهرها لعدم، ومعها تلاشى كل شيء، لم يعد هنالك مكان للألم، للحزن، الندم، أو الشجن، كل ما تبقى هو هدوء وسكون ناق إليهما سيون منذ ألفيات، وصوت يشرق من بين الذكريات الممزقة قائلاً:

«سابريل، أنا معك».

إنه صوت مَنْ أحب دائماً، مَنْ احتفظ بها في فؤاده لوقت طويل، لقد ظلت معه تنتظره لتحضنه في الموت فترحل معه.

ما أن دفعت سينا بالطيف في سيون حتى أصيب الجميع بالوصب، أجسادهم تُسحق وتحترق، شعروا بشيء يُسلب من كيانهم كجذور في الأرض تُنتزع رغماً عنها، خروا على الأرض متأولين، تلاشت أنفاسهم وخارت قواهم، وكما أصابهم الألم بغتة تلاشى دون أثر، ليتفض أرو



نورًا دافعًا عن سكارم منطلقًا حيث والده. أخرج نامار يده من جوف سيون ليخزَّ على الأرض كما سينا، ليتراجع الجان للخلف مترنحًا ناظرًا لبدبه في فاجعة مما اقترف، ليجد شيئًا غريبًا، لقد زال الدخان عنه، ذلك الدخان الذي غلف جسده لألفيات تلاشى ليستعيد هيئته التي كان عليها، بجناحين أسودين عظيمين، جسد أحلك من ظلام الليل ملئ نُدْبًا كوسام فخر على كل معاركه وانتصاراته، إلا أن هذا انتصار لم يرغب به نامار، هذه النُدْبَة التي تركت أثرها في أوسط جسده وسام فخر لم يطمع به، أحال بنظره لـ سيون بأسى وحزن كبيرين.

خر أريو بالقرب من سيون، كما جلست ليين بالقرب من سينا، كلاهما يشهد تلاشي مَنْ يحب، لقد ذبلت أزهارهما، تلاشى لون جسد سيون الأخضر، فيما فقدت سينا لون شعرها الأسود، أمسك أريو بيد والده يتحجب قائلًا:

«لماذا فعلت هذا؟ لماذا؟ لماذا سترحل مجددًا من دوني؟ لماذا؟»

بما تبقى لـ سيون من ذكريات تمسك بها بقوة، همس قائلًا:

«لم يكن وقتنا كافيًا، بُني، أحبك وآسف لخذلانك حتى النهاية.»

ثم إشاح بنظره حيث نامار قائلًا:

«رفغي، شكرًا لسلوكك الدرب معي.»



ولأول مرة منذ ألفيات يذرف نمار الدموع من عينيه الدمويتين، شعر بروحه تحترق، وبوزر العالم يُثقل فؤاده، لقد قتل المخلوق الوحيد الذي يدعوه صديقي، لا بل هو أخ له، لقد أحرقه بيديه، كيف أمكنه هذا؟ بالرغم من أن هذا هو مراد سيون، لكن كيف سولت له نفسه الرضوخ له؟ أراد إزالة الوَصَب عنه، تمنى مساعدته، لو أنه انتظر قليلاً، لو أنه استمر بالترحال للشمال، لو أنه لم يتسرع، لماذا لم يصبر قليلاً بعد؟ لماذا ارتكب هذا الجرم الذي لا يُغتفر؟ لماذا لا يمكنه حماية أي شيء مهم له؟ كل مخلوق ينساب من بين يديه، لعلها ضريبة الأرواح التي سفكها من قبل، هذا ردّ دينه، أن يخسر كل شيء بما في ذلك أخاه، هو مخلوق لن يتكرر وجوده على هذه الغبراء، وقد سلبه منها.

ترنح نمار للخلف مذعوراً مما اقترفه، شعر بشيء يتحطم كلياً داخله، بأن قلبه يتوقف عن النبض تماماً، الكون فقد كل ألوانه، وكل إحساس داخله تلاشى كأن لم يكن. تهاوى نمار للأرض إلا أن إيلهاب أمسك به بسرعة، داعماً إياه.

فيما حملت لييين سينا بين ذراعيها قائلة:

«أنا آسفة، أنا آسفة، أنا آسفة، لماذا أبعدتك؟ لماذا لم أصدقك؟ أرجوك لا ترحلي، أتوسل إليك ابقِي معي».

مدت سينا يدها مُربّبة على رأس فتاتها، فتبسمت بسعادة غامرة ثم

أغلقت عينيها لتتلاشى بين ذراعَي لِيَيْن التي لم تجد سوى صدى بكانها
يتردد في الأرجاء، رحلت عنها سينا قبل أن تتمكن من الحصول على
مغفرتها، قبل أن ترد لها دَيْن إنقاذها حياتها، رحلت مَن رِيَّتْها، مُخْلَفَةً
خلفها ندماً لا ينضب في فؤادها.

فيما انتحبت لِيَيْن على سينا، ظل أريو يمسك يد والده بقوة قائلاً:
«أنت لم تخذلني، أنت لم تخذلني يوماً، أبي، رغبت بألفياتٍ معك، وقتنا
لم يكن كافياً ولعله لن يكون أبداً، ولكن شكراً لك، شكراً على كل شيء»،
لتعلم اني احبك وانك في جوفي ما حييت، لتجد الراحة الآن، سأكون
بخير، سأكون بخير».

تبسم سيون زافراً اخر أنفاسه همساً:

«أحبك يا أسدي».

لُتُحال عيناه لياض ويتلاشى جسده لبتلات نيلوفر فتبعثرها الرياح،
ليقبض أريو على ما يمكنه منها، واضعاً إياها حيث فؤاده متحجاً على
فراق والده، الذي لم يمنحه يوماً حقه، لقد بغضه لوقت طويل جداً،
وبحجم كرهه له تعاضم حبه له دفعةً واحدة، لقد احتل سيون فؤاد أريو
بغته، وبقوة لا يضاهيها أي كره، فبات ألمُ فراقه وَصَباً لا يُشفى، ورحيله
من حياته كَمَد لا مثيل له.



مع تلاشي أورا مُحيت الوشوم التي زينت أجساد المُحجَّنا، ماحيةً معها
أي أثر للين أو أورا، فلا قصص لهم تُروى، ولا شاهد على حياتهم،
تلاشت كما يغسل المطر الدماء من على الأرض.

ارتعدت ليّين ناظرةً حيث سكارم و غارينا لتراهما مقبلين إليها، لم
يتلاشيا هما الآخران، إلا أن هياتهما قد تغيرت؛ لقد فقدت غارينا الريش
العظيم الذي غطى رأسها، فباتت بلا ريش أو شعر يزن رأسها، أما
سكارم فقد تساقط الفرو من عليه ليبرز لون جسده الأبيض أسفل منه،
لا تعلم كيف أو لماذا هما على قيد الحياة، ولم تهتم، يكفيها أنها بخير، هذا
كل ما يهم الآن هي لم تخسر كل شيء بعد.

اشتعل السخط داخل أريو راغبًا قتل نامار، لينتفض إليه إلا أنه لم
يجده، ولا أثر يُذكر لـ إيلهاب، كلاهما تلاشى، ارتعد على قدميه هائلاً:
«نامار! إيلهاب! أين أنتم؟! أما زلتما هنا؟ نامار أجِبي! إيلهاب العَل
شيئاً!»

إلا أن صوت أريو تلاشى من دون إجابة، ليطأطئ برأسه أرضاً،
ويأسى غامر تحدث:

«لقد بنتا بشراً فلا نبصر كما».

فتساقطت دموعه حزناً على فراق مَنْ لا يراها، مَنْ اختفيا قبل أن
يودعهما، فيحترق غضبه نحو نامار متحولاً لحزن عميق.

«نامار، أنا ممتن لك على كل شيء، لا أجد في فؤادي البغضاء لك،
لا أملك لك إلا كل تقدير ومودة، أنت من دفعني لهذا الدرب، كنت
لأبي خير صديق، ولي خير معلّم، سأحملك ذكرى في فؤادي ما حييت.
إلهاب، أنت أول صديق أحظى به، كما كنت أنا لك، وأعلم أبي لن
أكون الأخير، إلهاب على عكسنا حياتك طويلة ومديدة، فلتحيا عنا
ما لم نتمكن نحن من عيشه، لترحل الأرض، لترها بأعيننا، لتجد لك
أصدقاء آخرين، فالغبراء مليئة بأمثالنا، شكرًا لك على كل المعارك التي
خضناها معًا، أشكر لك كل ألم نكّته على جسدي، أشكر لك الذكريات،
كما الضحكات. أعلم أن لديكما الكثير لقوله، إلا أن لا شيء منه سبيل
مسمي، ومع هذا فأنا أعلم فؤادكما؛ لذلك نامار، إلهاب، وداعًا،
وشكرًا لكما».

الفصل الرابع

لتمضي

بعيداً في النور... أشاهد في كل مشهد...
ريشة حب صغيرة... علي أن أرحل...
فالحزن لا يعرف طريقي يا حبي...
أبصر وجهك في الليل... في الظلام...
لهذا لا أضيع طريقي نحوك...
لن أغلق قلبي... فالنور موجود دائماً هناك...
الوقت يمضي...
ولا يمكننا البقاء على الطريق ذاته...
الآن... ابتعدنا كثيراً عن دربنا...
رغم أن ابتسامتك تلاشت...
فلن يقتلني هذا...
وفي قلوبنا... ستظل الشمس تشرق...
لأجلنا...

الأيام التي كانت تمضي دون أن يحسب لها حساب باتت غالية وعزيرة، كل يوم، كل دقيقة، كل «مرحبًا» و«وداعًا» بات لها وزرها في هذه الحياة. جنة ليبين و أريو التي كانت مديدة، بلا نهاية تلوح في الأفق، باتت معدودة السنوات الآن، الجروح التي لم تكن تعني لهم شيئًا في السابق، باتت خطرًا يهدد حياتهما، هما من لم يمرضا يومًا في حياتهما باتا يعلمان المرض، تعلمنا أن يوفرا حياةً لهما، أي يصطادا كالبشر، أن يعيشا مثلهم، بالرغم من أن أريو عاش عشرين عامًا كبشري، إلا أن هذا لا يعادل شيئًا أمام القرنين التي قضاهما كـ «بن»، لقد أمضوا جُل حياتهما مستمتعين بكل ما تقدمه لهما دماء البن، فلم يحاولا العيش كبشر من قبل؛ لذلك كان التأقلم عصيبًا عليهما، إلا أنها تعلمًا في نهاية المطاف، أمرٌ لا بد منه، بالرغم من أن كليهما لا يعلم عمره الطبيعي إلا أن عشرين عامًا قد مضت منذ ذلك اليوم الذي غيّر حياتهما للأبد.

رفعت ليبين رأسها باحثة عن نامار وإيلهاب إلا أن كليهما قد تلاشى بلا أثر لهما، ركضت نحو أريو، محتضنة إياه ليبادلها هو الأمر، كلاهما خسر كيانًا لا يمكن تعويضه، كل الحياة التي عرفها انتهت، لقد أيقنا أن كل شيء سيتغير منذ هذه اللحظة.

ليبين: «ألن نتمكن من رؤيتهما بعد الآن؟»

أريو: «لا، لقد بتنا بشرًا، هما يرياننا كما يسمعان ما نتحدث به، إلا أن رؤيتهما بعد الآن كما سماعهما مستحيلة».

أبعدت لِيَبِين ذاتها عن أريو قائلة:

«نامار، كل كلمات العالم بكل لغاته لا تكفيني لأعبر عما يكنُّ فؤادي لك؛ لذلك سأكتفي بأصدقها، شكرًا لك بعدد السنوات التي عشنا والتي ستعيشها، لعل حياتنا باتت قصيرة، لكن في حياتك المديدة الطويلة تذكرنا، ومن حين لآخر عندما يتوفر لك الوقت، لتزورنا، حتى لو لم نرك أو نسمعك، سأعلم بفؤادي أنك موجود؛ لذلك عُد إلينا من حين لآخر، سأنتظرك. إيلهاب، لقد قلت لي سابقًا إن أثران هي أول وطن لك؛ لذلك لا تجعله الأخير، عُد لعشيرتك، واصنع لذاتك وطنًا يليق بك وبفؤادك الذي لم أعلم مثله مخلصًا، وعندما نرحل، لا تبتأس، فهذا قدر البشر، لهذا لا يبصرونكم؛ لأننا نرحل قبلكم مخلفين نُدبًا لا تلتئم في أفئدتكم؛ لذلك ابكنا قليلًا، وتذكّرنا من حين لآخر، وحين تفعل تذكّر حلاوة الأيام التي قضيناها معًا رغم قصرها، لو أن الأمر بيدنا لما رحلنا مخلفين إياك خلفنا، لما انتهت تلك الأيام، إلا أن لكل شيء نهاية. نامار، إيلهاب، شكرًا لكما على كل الذكريات، شكرًا لصدافتكما، وحبكما، وداعًا، لعلنا نلتقي مجددًا في عالم آخر».

إلا أن غارينا و سكارم لم يقولوا شيئاً، ووقفوا يراقبان ما يحدث، بعد قول الوداع لـ نامار وإيلهاب، تحرك الأربعة ملتفتين حول الجدار الصخري، الدرب الذي ما كان يأخذ منهم أكثر من وثبة واحدة استغرقهم أربع ساعات متواصلة ليجتازوه، وعندما باتوا حيث الأرض التي شهدت معركتهم مع الأعداء، لم يجدوا عليها مخلوقاً واحداً، لقد اندثر البُنُّ، ولعل الهُجَناء منهم فروا بعيداً خوفاً من قتال ينهي حياتهم، إلا أن أثر واحد تبقي، رمحٌ مغروس على الأرض وقف بشموخ لا ينحني، وبالقرب منه استلقى جسد المُخلَد آرئز، ملأت الجراح جثته الملقاة أرضاً، بالرغم من هذا اعتلت وجهه ابتسامة عريضة ملؤها الرضا، ويداه لم تفلتا الرمح حتى في الموت، لعله مع رفاقه الثلاثمائة الآن، مَنْ تاق للقياهم وامتلات قصص ليله فخرًا بهم، لقد حصل آرئز على مراده؛ موتٌ في أرض المعركة.

حفر آرئو وسكارم قبراً له يديهما، وبلطف شديد انتزعا الرمح من يده، ليُنزلا جثة آرئز في القبر، ويواريا عليه الثرى، ثم غرزا رمحه في الأرض كشاهد على هذا المقاتل الفذ، وضعت كلٌّ من لِيِبِين و غارينا الأزهار فوق قبره، ليتولوا عنه للذهاب حيث المنزل، هذه آخر هدايا سينا لها، ذكرى للدرب المؤدي للكوخ الصغير وسط الغاب، هناك حيث بدأت قصة لِيِبِين، ولعل قصتها تنتهي هناك أيضاً، لقد جالت الأرض،

من مغربها لمشرقها، عاشت مغامرات لا تُصدّق، لظالما اعتقدت أن أثران هي حيث تنتمي، إلا أنها علمت يقيناً أنها تنتمي لذلك الكوخ الذي شهد على أيامها السعيدة، لقد جالت الأرض لتعود إليه مجدداً، كوخ بحجريّ نوم صغيرتين، أجل هنالك تنتمي.

بدا على غارينا وسكارم السقم في صباح اليوم التالي، لم تعلم ليين أو أريو سبباً لهذا، وبمعرفتهما بالنباتات ظل الاثنان يحاولان إيجاد أعشاب تساعدتهما لاسترداد عافيتهما، لكن ما يمكن للنباتات تقديمه بهذا الشكل الدليل، أن خصائصه العلاجية ليست بذات قوة وكثافة أزهار البن، لم يتحركوا من مكانهم تلك الليلة، وظلوا حيث هم، حتى هذه اللحظة لم يتسنى لـ أريو أو ليين أن يرثيا مَنْ فقدوهم، أو حتى لتفقه أفئدتهم كل ما يحدث حولهم، تلك الليلة فيما أصيب سكارم و غارينا بحمى شديدة، مكثت ليين بالقرب منهما فيما اتجه أريو لجلب الماء.

«لماذا أصبتما بالمرض فجأة؟ أنا حقاً قلقة عليكما».

غارينا: «لقد أنقلنا عليكما بمرضنا، ومنعناكما من الرحيل».

«ما الذي تحدثين عنه؟ لا تقولي أمراً كهذا، ما كنت لأتخلى عنكما، فأنتما كل ما تبقى من عائلتي، أنتما رفيقا دربي؛ لذلك لا تحدثني كما لو أن وجودكما مزعج».



سكارم: «أتعلمين! لم يكن يفترض بي وغارينا النجاة، ولا أحد من المخلطين».

أصاب لييين الاضطراب من حديث سكارم، لتقاطعه قائلة:

«لكنكم هنا الآن، أنتم ما تزالان على قيد الحياة، لعلها معجزة، أو شيء آخر لا أهتم بهذا، أنا فقط لا أرغب بفقدان مخلوق آخر».

سكارم: «ما أبقانا أحياء هو فؤاد الدواب داخلنا، وهو ذاته ما يدمرنا، أجساد البشر لا تتلاءم مع الدواب».

أقبل أريو إليهم محملاً بالماء قائلاً:

«ذات المعجزة التي أبقتكم أحياء أول مرة، ستحافظ عليكما مجدداً، حتى المشاعر التي حرمت عليكم أوجدتموها داخلكم؛ لذلك لا تفقدا الأمل، سيحين الصباح عليكما وأنتم بخير».

تلك الليلة نسلل النوم لـ لييين وأريو خلصة فلم يتمكنوا من مقاومته، وحين أقبل الصباح عليهما، ذهبت لييين لترى حال صديقيها، لتراهما متعانقين في نوم هانئ، وحين اقتربت منهما وجدت جسديهما باردين متصلين كالصفيح، ومهما نادت عليهما لم يجيبا، لتنهمر دموعها أنهاراً بلا توقف، لقد بكت كثيراً حتى إن عينيها باتتا تولمانها، لم تعلم إن أمكنها تحمّل المزيد من الحسائر، شعرت بأن كل نياط قلبها قد تمزقت، كان

جسدها يؤلمها من شدة الحزن الذي لم يفارقها منذ مدة طويلة، هي لا تكاد تعي الفقد الأول، لتفاجئها الحياة بفقدٍ جديد.

استيقظ أريو على صوت عشيرته الباكي، وقبل أن ينهض من الأرض علم سبب بكاؤها، إلا أنه لم يتمكن من ذرف دمعة واحدة، لقد جفَّ دمع عينه وتجمد فؤاده، إلا من شيء واحد؛ تلك المخلوقة التي أحبها ما إن رأتها عيناه، لعلها السبب الوحيد لنبض قلبه الآن، أقبل إليها أريو محتضناً يياها لترتمي إليه باكية.

في الأسابيع التي تلت ذلك استمر الاثنان في الترحال في الدرب الذي منحته سينا لهما، حين لمستهما قدمت لكل واحد منهما رسالة، لـ ييين تركت سينا ذكرى لها، وهي تنظر لانعكاسها على الماء قائلة:

«فتاتي، هذه آخر الذكريات التي ستحملينها عني، أعلم أني سببت لك الكثير من الأذى، ولعلك تعلمين الآن السبب خلف ما قمت به، لقد آلمني فؤادي بقدر ما آلمك، إلا أني لم أبغ شيئاً من هذه الحياة سوى رؤيتك حية، لا تلومي ذاتك على شكك بي أو كرهك لي آنذاك، لقد ارتأيت أن الكره أفضل طريقة للمضي قُدماً، وقد كنت مخطئة. ييين ابنتها الفتاة التي أحب كابتي، أعلم أن الأمر سيكون صعباً عليك، فراق كل من تعرفين، وانهار عالمك كله، أعني وطأة هذا على فؤادك، لتحزني بقدر ما يحتاج فؤادك، ثم انهضي من هذا الحزن، لتحبي الحياة التي رغبناها لك

نا ووالديك، لتزهري كالأزهار البرية الأبية التي تنمو رغم البرد رغم
الأجواء القارسة، لتكوني أجمل زهرة في الحقل، ولأجل هذا عليك أن
تدققي الألم والخسارة، أنه واقع مُرٌّ، إلا أن هذه هي الحياة. فتأتي، سأخذ
معي ذكرى موت والديك التي أراك إياها واردة، فلا يجب على أحد
رؤية موت والديه، ستذكرين رحيلها، إلا أنك لن تَري ما فعله واردة
بـ جلنار، إنه ألم لا يجب عليك أن تحمي به. والآن لييين هذا هو دربك
للمنزل، وهذه هي لغة البشر هناك أنقلها لك، لتحبي هناك بقدر ما
نسمح لك حياتك البشرية، لتكوني سعيدة، لتحظي بالأطفال، وترحلي
عن هذا العالم عجوزاً قريرة العين، أحبك فتاتي».

أما لـ أريو فقالت:

«أريو، لا يخفى عليك أن بدايتنا كانت مشؤومة، لم أحمل لك الود
يومًا، ولطالما وجدتك أقل مما تستحق لييين، ما زلت أعتقد هذا، إلا
أنك تجعلها سعيدة وهذا يكفي، إن رحلت أورا كما البين فيكما، فلا تهدر
رابطكما معًا، لم يكن للأمريومًا علاقة بالبن، فهذه الرابطة تأتي من نقاء
روحكما؛ لذلك ابقِ معها وقدم لها عوض كل ما ستسلبه الحياة منها.
أريو، أنا اعتذر عما أقدمت عليه بقتل سيون، أعلم أنك لن تسامحني يومًا،
لكنك مضلل عندما تحظى بأبناء، ستفقه قرار والدك بالتضحية بذاته؛
لذلك وحتى تمتلك ذات المشاعر التي في فؤاد سيون وفؤادي، انتظر
بهدهو، ولنكن حياتك ولييين سعيدة، فأنتم تستحقان هذا».



بالرغم من رسالة سينا لهما، إلا أنها كانا في حالة فاجعة، لم يتحدثا معًا، بالكاد يسيران كالميتين، يتناولان الطعام الذي يبقيهما على قيد الحياة، ويتابعان السير. وبعد عدة أيام وجدا ذاتيهما يسيران داخل غابة تلاصقت أشجارها حتى حجبت أوراقها ضوء الشمس، ومن بين جذوع الأشجار لاح ضوء جزيرة في بحر الظلام، حينها ولأول مرة منذ أسابيع شعرت ليبين بنبض في فؤادها، لتركض مسرعة حيث كوخها الحبيب، وهمس في قلبها يخبرها أن والديها و سينا في الداخل، وأنها لم تفقد أحدًا، سكارم، غارينا يتواجدان في الداخل مع والديها، وبعد لحظات سيأتي إليهم نامار و إيلهاب ليطرقا باب هذا الكوخ، كل ما عليها فعله هو فتح الباب لتعلم أن ما مرت به كابوس مخيف، أن كل من أحبت يتنظرها في الداخل بابتسامة.

وضعت ليبين يدها على الباب، وصفعته بقوة والابتسامة مرتسمة على وجهها، نظرت لداخل الكوخ لتجده خاوي الوفاض، والغبار قد اعتلى الأثاث المتواضع، لتتلاشى ابتسامتها ويعتصر وجدانها، فيعاودها واقع ما فقدت فارضًا ذاته على فؤادها وروحها، لتخرّ على الأرض منتحبة صارخة، فيصدى صوت بكائها في أرجاء الغابة، الآن آمنت ليبين أنها لم تُعد تملك من هذه الدنيا شيئًا تعرفه، ولأول مرة تنطق بأمنية خشيت البوح بها:

«لو أننا لم نرحل، لو أننا بقينا هنا، لما فقدت كل شيء».

إلا أن واقع ما حدث لم يُصب أريو إلا بعد بضع ليالي أخرى، وفيها مر نائم في حجرته المنفصلة، استيقظت لييين من نومها فزعةً على أصوات نحيب وعويل متألّم، ليقودها الصوت حيث أريو تجده يكي في نومه وَصَبًا، وحين أيقظته انتفض من فراشه ناظرًا إليها في ذعر، ليمسك بوجهها في يده، كَمَن رأى النجاة من الغرق، ليحتضنها بقوة كادت تخنقها هامسًا من بين لثائه:

«أنتِ لم ترحلي بعدُ، ما زلت هنا».

احتضنته لييين قائلةً:

«لن أذهب إلى أي مكان، فأنا هنا معك».

دفن وجهه في كتفها باكيًا:

«أنا مُنْهَك لييين، الصمت داخل روحي يلتهمني حيًّا، لست قادرًا على فهم ما حدث، أنا عاجز على المضي قُدَمًا، كيف خسرنا كل شيء؟ لم أتمكن من أن أظهر له حبي، لقد رحل قبل أن أخبره ما يعنيه لي، أردت حمايته ولو لمرةً واحدة، أردت إنقاذه، لماذا لم يؤمن بي؟ لماذا لم يثق أنني قادر على إنقاذه وحمايته؟ لقد تخلى عن حياته دونما ندم، ولكن ماذا عن الندم الذي يُغرق روحي؟ كيف أهرب منه؟ أنا مُنْهَك لييين، ولا أجد طريقة للنجاة غيركِ، فلا تذهبي حيث لا أراكِ، لا تتركيني بمفردي في هذا

الكون المخيف، لا أقوى على مزيد من الخسائر؛ لذلك ابقِ معي، حتى يفرق الموت بيننا».

لم تتحدث ليبيّن، لم تُجِب، وظلت تُربت على رأس أريو حتى خلداً للنوم معاً.

في اليوم التالي، اصطحبت ليبيّن أريو في نزهة في غابتها، وعلى تلّ بين الأزهار جلسا، بينما هبت رياح الربيع الباردة عليهما تحدثت قائلة:

«أريو، حياتنا باتت قصيرة الآن، وبالرغم من كل الخسائر الذي عاينناها، علينا المضي قدماً، هذا ما كان يرجوه الجميع منا، لا تلم ذاتك على ما حدث له سيون، لقد فعلت كل ما أمكنتك من أجله، لقد علم مدى حبك له؛ لذلك من أجل فؤاده الذي أحبك، توقف عن التساؤل واللوم، ولنمضي ما تبقى من حياتنا معاً، أنا لن أترك جانبك، وأعلم أنك لن تفعل».

تبسم أريو بحبّ لها مجيئاً:

«لن أعِدك أن كل شيء سيكون على ما يرام، إلا أنني سأحاول قدر المستطاع لأمضي قدماً معك».

خلال بضعة أيام هبط الاثنان نحو قرية صغيرة مليئة بالبشر، حيث قرر أريو العالم بأمور البشر البحث عن كاهن لتزوجهما، بالرغم من

عدم اتباعهما أي ديانة يتبعها البشر، ولكن رغب الاثنان بخوض هذه
الظفوس كرمز لبداية حياتهما كبشريين، من حُسن حظهما أن سينا خبات
نما في الكوخ الكثير من العملات المعدنية، بفضلها تمكنا من العيش
براحة لبعض الوقت، إلا أن الأيام جعلت أريو يعمل كحدّاد في القرية
الصغيرة، فيما مارست ليبيّن معرفتها الطبية بالأعشاب على سكان القرية.
مما لم يكونا بحاجة للمال، عدا أنها ليسا معتادين على البقاء ساكنين، وقد
ساعدما هذا على المضي قُدّمًا والعيش بسلام، لتمضي الأيام بـليبيّن
نضع مولودها الأول، صبيّ جميل مثالي، ليتبعه بعد ذلك المزيد من
الأشقاء، ومع كل طفل تنجبه تمتلئ حياتها و أريو بالسعادة، لقد أخبرها
ذات مرّة:

«الآن أعلم التضحية التي يتخذها الآباء في سبيل أبنائهم، كنت
لاضحي بحياتي لهم دون لحظة تفكير واحدة، الآن علمت قلب أبي الذي
بالرغم من حبه لي اختار الموت بدلًا من عيشي في شقاء حمايته».

لقد أحبت ليبيّن دموع أريو كلما حمل مولوده الجديد في يده، كما لو أنه
أول طفل لهما، لقد حمل فؤادهما الكثير من الحب لأطفالهما، لقد رأيا فيهم
ما شعر به والداهم، ليزداد امتنانهما لمن رحل.

علم كل من ليبيّن و أريو سعادة الحياة، بالرغم من مرارتها، بالرغم
من كل الخسارة والألم، إلا أن رؤية أبنائهما أزالَت كل وَصَب الخسائر،

جعلت الشوق والحنين لمن رحل أقل وطأة، ليجدا أن الحياة تستحق العيش فيها حتى وهي قصيرة.

من حينٍ لآخر تساءل الاثنان عن نامار وإلهاب، إن كانا يزورهما كما طلبت منهما، لكن ما كانا ليعلما، في أحد حاورتهما العديدة سألت ليبيّن:

«لقد كنت ساحراً من قبل، ألا يمكن أن تعاود السحر وتستدعي نامار؟ يمكنك أن تراه حين أذن، أليس ذلك؟»

«يمكنني فعل ذلك، لكنني لن أراه بصورته الحقيقية ولن أسمعه، إلا أني سأشعر بوجوده».

«لماذا لا تفعل هذا إذن؟»

«لأنني أعلم أن نامار لن يجيب، هو لن يُظهر ذاته لنا يوماً، لأنه يُجمل ذاته وزر موت والدي، ولا بدّ أنه يعتقد أن حياتنا باتت عvisية كبشر؛ لذلك لن يرغب بسماع كلمات منا تخبره أننا بخير، وأننا لسنا غاضبين منه، لربما يرغب بالتحقق من هذا بذاته، ومراقبتنا عن بُعد، إلا أن هذا يكفيني».

«أتمنى أن يُظهر نفسيهما لنا ولو لبعض الوقت، أرغب بمعرفة حالهما».

«وأنا أيضاً».

خط الشيب رأس أريو وليبين، ووجدت التجاعيد مكانها في
نقاسيمهما، وبات لأبنائهما أبناء أيضًا، بالرغم من كل السنوات لم يقصَّ
أيُّ منها قصص البنِّ لأبنائهم، لم يخبر أيُّ منهما عن ماضيه، لقد جسا
نصص الماضي في فؤاديهما لبيت ماضيًا منسيًا، وتستمر عجلة الزمن في
الدوران حتى يطوي الزمن على حياتهما، فَمَنَ منها مفارق الآخر أولًا؟

حين نظر أريو حيث نامار و إيلهاب منادياً لهما ليحيياه، عَلِمَ إيلهاب ما خسر للتو، ليقع وطء هذا وَصَبًا على فؤاده، بلمح البصر فقدَ كُلُّ أصدقائه، لم يَعُدْ مرثياً لهم، لم تَعُدْ أصواته مسموعة، ومع هذا ظل يحيب أريو، لقد حاول دفعه حتى لعله يلمسه، إلا أن لا انعكاساً له في أعين رفاقه، لقد تلاشى من أعينهم. راقب نامار ما يحدث بفؤاد مثقل، لم يرغب بأن تنتهي الأمور بهذه الطريقة، لم يرغب بالفراق قبل قول أي كلمة وداع أو اعتذار عما ارتكبه بحق الجميع، إلا أن أريو تحدث قائلاً بأنه لا يحمل الكره له، وأنه شاكر له، بالرغم من أنهم لا يرونها، إلا أنه رغب بإيصال رسالة لهما، كوداع أخير، إلا أن كلماته و لِبِين حَمَلَت فؤاد نامار ذنباً لا يطاق، وشوقاً لمن سيرحل عنهم بلمح البصر. أما إيلهاب فقد ظل يراقب بآلم غير مصدق لما حدث، ليقول بهمس:

«ما الغاية من كل هذا نامار؟ ما الغاية من قتل الشر إن كنا سنعاقب بفقدان كل شيء؟ لماذا قاتلنا إذن؟ لماذا وحّدنا صفوفنا؟ أَلِنُخسر مَن نَهم؟ لأعود وحيداً؟ لأراقب أصدقائي يموتون أمامي؟ ما الهدف من كل ما صنعناه؟ أنا لا أرى خيراً في هذا أبداً، لا أرى ما المكسب مما فعلنا!»

نظر نامار بشفقة على نسله المضطرب، لقد فقدَ كل شيء بذات السرعة التي اكتسبها فيها، بالرغم من فؤاده المحطم إلا أنه قرر مداواة فؤاد إيلهاب قائلاً:

«لا أعلم ما الغاية من كل ما حدث، أنا مثلك لست أرى المغزى من الخسائر التي تكبدناها، لعل الأمور تتحرك لغير هوانا الآن، ولعل الأقدار تصيبنا بحزن لا قدرة لنا على تحمُّله، وفَقْدِ هو الكون لنا، بالرغم من هذا، سنجد الحسنَى من كل الظلام الذي نحن فيه، وحين يحدث هذا، حين تجد الضوء في نهاية الكهف المظلم، ستقف كلانا على رأس جبل ما، وستخبرني بكل عوضٍ قدمته لك الحياة مقابل ما خسرت، فلكل بداية نهاية، لكل خسارة مكسب، وحتى تعود إليك كل خسائرك سأظل معك، بالقرب منك».

لأسابيع تَبِعَ إيلهاب ونامار كلاً من أريو وليبين، شهدا موت سكارم و غاريننا، ليكيهما إيلهاب شجنًا، وكما أريو وليبين ظلًا صامتين بلا مشاعر أو دموع، وحين وصل كلاهما لكوخهما وحين انهارت ليبين باكيةً، رحل كلٌّ من إيلهاب ونامار، فهذه نهاية دربهما مع البشر، ليعودا حيث عشيرتهما على تلك الجزيرة، لسنوات قليلة بقي كلاهما بلا أي تدخلات في شأن الجان، ليحظيا ببعض السلام الخادع، وبعد مُضي أربعين عامًا على ذلك اليوم، وفي ليلٍ مقمر، ذهب نامار حيث نسله قائلًا له بصوت مُلَى حزنًا:

«بُني، لقد رحل أريو عن هذا الكون».

انتفض إيلهاب من الأرض قائلًا:

«لماذا؟ وكيف حدث هذا؟»

«إنه بشري الآن بُني، لقد عاش سنوات حياته».

إيلهاب: «كيف لك أن تعلم بهذا؟»

«لقد كان بيننا عقد سحر لم يُحل؛ لذلك شعرت برحيل روحه».

دمعت عينا إيلهاب على موت رفيقه، إلا أنه حبسها قائلاً:

«سأذهب حيث هو، لأقدم وداعي، هلاً أتيت معي؟»

«اذهب أنت بُني، فلا رغبة لي لرؤية الأموات».

قال نامار هذا متولياً عن نسله ليعلم وزر هذه الخسارة عليه، لطالما حظي أريو بمكانة مميزة في وجدانه، والآن فقدَ نامار جزءاً مهماً من روحه، بل لعل روحه لم تُعد كما كانت منذ ذلك اليوم.

إيلهاب يعي هذا جيداً، بالرغم من أن سلفه استعاد هيئته التي كان عليها، إلا أنه فقدَ روحه ذلك اليوم، لربما هو يتظاهر بالعيش من أجله فحسب، من أجل أن لا ينحسر المزيد ممن يجب، عدا أن وزر موت سيون لا يبارح كاهله، ليحمل النُدبة التي أصيب بها في ذلك اليوم في صدره، كتذكّار من رفيقه، كما حمل سيون نُدب الحرق على ظهره التي تسبّب بها نامار أول مرّة التقياً، لقد كانت عقبات إزالة أورا أعظم من موت كل البنّ، إنها عقبات تحرق الروح، تكبّل السعادة، وتلقّي بالفؤاد لوحشية مخيفة، هذا ما كان عليه نامار، طيفاً لما كان عليه.

ارتحل إيلهاب حيث كوخ أريو، ليجد امرأة عجوز تجلس على الأرض تنحب، وأسفل منها تراب جديد التحريك، اقترب أحد الشبان من المرأة متحدثاً معها بلغة لا يفقهها الجان، ثم سندها رافعاً إياها من الأرض، وفيما حركت العجوز يدها أشعّ لون أزرق، ليدرك أن هذا سوار والده أريو، عاود النظر إليها في دعر وشفقة، لقد كانت هذه ليبيّن التي خطّ الزمن عليها قسوته، ولثانية واحدة التقت عيناها، ويكاد إيلهاب ليقسم أنه رأى ذاته في عينيّ ليبيّن، التي توقفت لبرهة، وعندما طرفت بعينها تلاشت صورته، لتأوي للكوخ الصغير حيث عائلتها تحبها.

حيث قبر أريو وقف الجان ليجرفه الحزن، قائلاً:

«أريو أيها الرفيق، لقد مر زمان مديد، وقد أدركنا الوقت قبل أن أعي هذا، أعتذر عن عدم العودة ورؤيتك، إلا أنني علمت أن هذا سيسبب الشجن لفؤادي فهربتُ، لأدرك أنني ظلمت أهرب لأربعين عاماً، لقد مضيت أنت و ليبيّن في حياتكما، أنشأتما أسرة، حياة كاملة، وأنا لم أحاول التزعزع من مكاني خوفاً من ألم روحي. لقد أخبرتني أن أحياء في هذا الكون نياحةً عنكما، إلا أنني لم أفعل، آسف لتخيب ظنك. رفيقي، بالرغم من ضيق الوقت الذي قضيناه معاً، إلا أنها أفضل أيام حياتي، لي معكم فيها ذكريات لا تنسى، لكنني أعتقد أن الأوان قد حان لأمضي قُدماً، لأجعلكم جميعاً فخورين بي؛ لذلك أريو حيث أنت الآن مع كل

مَنْ رحل، سيون، شاوران، جلنار، سينا، سكارم، غارينا، رابولا، آريز،
ووالداي، أخبرهم أني سأحيا الحياة عنهم، وأنني لن أضيع تضحياتهم لي،
وأريو، شكراً لكونك رفيقاً لي، وداعاً.

انجه إيلهاب لداخل المنزل حيث لييين، ليجدها تجلس على كرسي
خشبي أمام تماثيل حديدية، اقرب منها ليتخط فؤاده مما أبصر، هي
تماثيل مصنوعة من الحديد لكل مَنْ رحل، لعلها ليست بذات الدقة،
إلا أنه يمكن معرفة هذا ببساطة، ذلك البِنُّ الذي احتضن بين يديه
بشرية لتغلفها حبال من أزهار الجلنار، الفهد الذي نبتت من تحت
قدميه الهدرانج كما الحواشي، وذلك الصقر المحلق نائراً أزهار الأفيون
والديفيلايا، البِنُّ الذي يقف على أزهار النيلوفر، الجان ذو القرنين
المتفرعين والذي حمل بين يديه الأرجون، ثم الجان ذو المنجل الأسود
المشتعل، وتلك البِنُّ ذات أزهار الهالوك والتي تراقص الماء من حولها،
وغيرهم مما كانوا حلفاء لهم حتى النهاية.

«أنت هنا إيلهاب، أليس كذلك؟»

اضطرب وجدانه من هذا السؤال ليحظى بلحظة أمل صغيرة، إلا أنها
سلبت منه حين أردفت:

«لست أراك أو أسمعك، ولكن وللحظة واحدة رأتك عيناي، لا
أعلم ما هو السبب، لربما أنا مفارقة الحياة قريباً أيضاً، لقد وعدت أريو

ألا أسبقه بالرحيل، إلا أني عهدت لذاتي ألا أحيا حياة لا يكون هو فيها. لقد صنع أريو هذه، لم يرغب أن ننسى، بالرغم من أننا لم نخبر أبناءنا يوماً عن الماضي، أو نحكي لهم قصص أسلافهم، إلا أننا رغبت بأن يتعرفوا عليهم، من أجل هذا صنع هذه التماثيل ليلعبوا بها. لعلك متفاجئ من مبتني العجوز، هذه سُنّة الحياة للبشر، فلا تحزن عليّ، أعلم أن نامار ليس معك، لا بدّ أن فواده ما زال يحترق لما حدث آنذاك، لن أقدم له كلمات العزاء؛ لأنه لن يغفر لذاته مهما تحدثنا؛ لذلك أتمنى أن يجد السلام يوماً. إيلهاب لا تبقى هنا لتراني أموت، ارحل وعُدْ لوطنك، عُدْ لأرضك، لعلك لم تحمل طيفاً في داخلك يوماً، لكن بالنسبة لي كلُّ مخلوق قاتل في تلك الحرب هو وريث للغبراء؛ لذلك عِشْ بفخر يستحق هذا الاسم، سيكون هذا وداعنا الأخير، اذهب ولا تُعُدْ، سنلتقي عندما نلتقي».

ابتعدت لِيُبين عن الطاولة لتزوي إلى حجرتها، ليردّف إيلهاب قائلاً:
«هذا هو الوداع لِيُبين، شكراً لك على الذكريات».

منذ ذلك اليوم غيّر إيلهاب في حياته، لقد وافق على طلب يالدا المستمر له بقيادة العشيرة، ليصبح الآن زعيمها بعد تنحي يالدا، ثم نقل عشيرته من الجزيرة النائية الصغيرة ليؤسس لهم مقراً عظيماً ليعيد صيت العشيرة بما كانت عليه، فلم تُعُدْ مجرد عشيرة قديمة خلا عنها الزمن، كما أنه سمح للإناث من عشيرته بالقتال والتدريب إن رغبوا بذلك، قد أقدمت الكثير

منهم على ذلك وخاصةً أن قرينة القائد مقاتلة، لقد كانت شهايا مثلاً يُحتذى به لعشيرة القائد، فهي لم تقف يوماً خلفه، بل جنباً إلى جنب معه. لتمضي قرون، تولى ابن بارموث العرش بعد والده، ليحول باسيلييا لمملكة فسوق ويسحر، ليُقبل رفيقٌ قديم إلى إيلهاب طالباً منه القتال معهم وإنقاذ الجان من فسوق ملكهم الجديد، نهض إيلهاب بجيش من عنده، كما فعل يوكيم، ثم ناشد إيلهاب نامار ليخوض القتال معهم، ليس لأنه يحتاج إليه، بل لأنه رغب بأن يشعر سلفه بأي شيء، أن يعود لذاته التي كان عليها ولو قليلاً، وحتى إن لم يفعل فإطلاق غضبه قد يفيد، أي شيء هو أفضل من الخطام الذي أمسى عليه نامار، إلا أنه رفض، فلم يتمكن إيلهاب إلا أن يستخدم أسلوب الإغراء معه قائلاً:

«إن فعلت هذا، فسامنحك نسلاً مني، ما رأيك بهذا؟»

لندب الحياة في نامار مجدداً موافقاً على العرض، لينطلق قائد عشيرة عنقال حيث باسيلييا يصحبه سلفه أسطورة الجان، بالدا، وجيوش تتبع يوكيم، فيسبدوا كل نسل من عشيرة أكين، ليعتلي إيلهاب عرش مملكة الجان، ولم يمتلك في قلبه ذرة تسامح على من يلوث اسم الجان؛ لذلك تم قتل من تعامل بالسحر في مملكته، وبالرغم من أنه لا يحكم كل عالم الجان، إلا أنه تعهد بقتل من يعلم باستخدامه السحر؛ لذلك هرب الجان الفاسق بعيداً عن إيلهاب وكل جان تقي، ليختبئوا في الجحور، في البحار والغابات، أي مكان بعيداً عن سخط الملك.

نفذ إيلهاب وعده لسلفه، مُنشئاً ذرية تحمل اسمه، ليتعظم فخر نامار وسعادته، فعادت ضحكاته لما كانت عليه، بات مرحاً مع الصغار الذين احبوا سلفهم، بالرغم من الحياة التي عادت إليه، إلا أن الحزن لم يرحل تماماً عنه.

ليحلّ اليوم الموعود بعد عدة قرون، فيما راقب إيلهاب مملكته من على قمة جبل، بينما مرح نسله في الأرجاء من حوله، وابتسامة الرضا والسعادة لا تفارقانه، أقبل إليه نامار قائلاً:

«هل حصلت على عوضك لكل ما خسرتُه بُني؟ هل وجدت الضوء في نهاية الكهف؟»

كاد فؤاد إيلهاب أن يتوقف عن النبض، إلا أنه علم في قرارة ذاته أن هذه نهاية رحلته مع نامار، علم ذلك منذ وقت طويل، إلا أنه خشي هذه اللحظة، لم يرغب بأن يجيب، عدا أنه رآف لحال سلفه الذي قد بدا الكِبَر عليه، بالرغم من أنه لم يفقد أيّاً من قوته، إلا أنه قد شاخ في العمر، لم يعد لون جسده أسود كظلال الليل، فلقد بدأ لونه بالتلاشي، كما حمل قرنيه الكثير من الشرخ والكسور، لقد كانت حياته سلسلة طويلة من القتال والمعارك اللامتناهية، ومن سحيق حب إيلهاب لـ نامار قرر أن يمنحه الراحة التي يستحقها، ويطلق سراحه، وإن عنى هذا أن فؤاده سيشهد الألم مجدداً، إلا أن لكل فقدٍ مكسباً.

إيلهاب: «إن أجبت بأجل، هل سترحل من هنا؟»

«أرغب بالترحال».

«هل سأراك مجددًا؟»

وضع نامار يده على كتف إيلهاب قائلاً:

«لا أحد يعلم ما تحمله الأيام لنا بُني».

إيلهاب: «لن أودّعك، لن أقدم كلمات العرفان، لن أراك ترحل».

«جيد، كنت لأطلب منك الأمر ذاته، فلا تجعل الأمر صعبًا على كلينا،

بُني».

وبهذا رحل نامار دون وداع، مُخلفًا وراءه تذكارين لإيلهاب، لقد كانا موضوعين داخل صندوق حجري أسود، عندما فتحتها إيلهاب، دمعت عيناه، أولهما كان منجل نامار الأسود، سلاح عشيرة عنقال، أما الثاني فقد كان جناحيه الأكليلين، لقد قصهما مقدمًا إياهما لنسله. ليس مستحيلًا على الجان القيام بهذا، لكن حقيقة أن نامار تحمل هذا الألم من أجله جعلت دموعه تهوي، سبق أن أخبره أثناء البعثة أنه سيُقدم جناحيه له، إلا أن إيلهاب لم يعتقد أنه سيُقدم على هذا يومًا، هذان الجناحان يقبض على أنه جان كامل نقي، في أعين الكثير من الجان إيلهاب يظل هجينًا، مزيجًا بين البين الجان، إلا أن هذين الجناحين بمشابة الوسم عليه، حملهما إيلهاب

ليضعهما على ظهره، وفيما فعل أشعل نارًا من ظهره ليلتحم الجناحان فيه،
برغم الألم الناتج عن هذا، إلا أنه لم يمانعه، والآن بات لديه جناحان هما
نخره وقوته، سنده الذي لن يتلاشى يومًا، ضرب إيلهاب بجناحيه مُحكَّفًا
للسماء، لقد منحاه شعورًا بالحرية لم يشعر بها من قبل.

حلَّقَ نَمارَ بهدوءٍ؛ في كل ألفيات حياته كانت هذه أول مرةٍ يحلق فيها
بهدهءٍ دونما استعجال، أول مكان توقف فيه هي تلك المدينة التي كانت
تُدعى أتران، هنالك حيث أحبَّ التواجد، حيث بدأ كل شيء، علم من
تناقل الأخبار أن مينوس ومن معه من البشر استوطنوا هذه الأرض الآن
مطلقين عليها مايايان، لعل سلالتهم ظنت أن هذه الأرض حق لهم، أن
أسلافهم هم من شيدوها، إلا أن الكون يعلم أفضل من هذا، فهناك
تلك الشجرة الضخمة التي تقف شاهدةً على الماضي، هنالك وقف نَمارُ
للحظات قبل أن يتولى قائلًا:

«مازلتما أبين كما أعرفكما».

لينطلق لمحطته التالية، هو ذلك الجدار الصخري، هنالك حيث تم
إزالة أورا، لتلاحقهم العقبات لوقت طويل. وقف نَمارُ يراقب المكان
لوقت طويل، دون أن ينبس بكلمة، أخيرًا تحدث قائلًا:

«سيون، لعلنا نلتقي قريبًا».

تولى عن هذه البقعة حيث تواجدت أزهار الأرجون ذات يوم، ليهبط
هناك، ومجددًا لم يقل إلا جملة واحدة:

«لو أنكما على قيد الحياة لكتتما فخورين بإيلهاب».

في كل هذه الزيارات شيء من السلام سكن وجدان نامار، سلام لم يشعر به من قبل، والآن هو يذهب لوجهته الأخيرة والشوق لا يكاد يجد مكانًا في فؤاده، ومن دون إدراك منه سارع في لحيه، ليصل وجهته، بين خبايا الجبال الصحراوية هبط، حيث الأرض التي شهدت موت محبوبته استكنَّ، مغمضًا عينيه، لعله يشعر بها تحوم حوله، ليجرفه الإغواء للنوم، وفي أحلامه رآها، بعينها اللتين حملتا نجوم الكون فيهما، وشعرها اللطيف يتطاير من الرياح المناسبة في المسافة التي فصلت بينهما.

نامار: «هل انتظرت طويلًا؟»

«لقد فعلت».

«كنت أؤدي الأمانة التي آمنتني عليها».

«هل نسلنا بخير؟»

«أجل».

تبسمت بشعر عذب قائلة:

«لقد أحسنت صنعًا نامار، شكرًا لك».

«أيمكنني أن اطعم بقربك الآن؟»

فتحت ذراعيها في إشارة له ليُقبل، ليضرب بجناحيه بقوة، ويجبها بين ذراعيه الفتيتين مجدداً قائلاً:

«لكلّ ما لم أصرّح به قبلاً، ولكلّ الألفيات التي قضيتها بعيداً عنك، دعيني أقول، زمارتا أنت هيامي، لقد اشتقت إليك حتى تهتكت أضلعي واحترق فؤادي».

«مرحباً بعودتك نامار».

لم يلتقِ إيلهاب بـ نامار مجدداً، وبطريقة ما علم أنه رحل عن هذا العالم، ولعله مع زمارتا الآن، بالرغم من اشتياقه له إلا أنه سعيدٌ بالحرية التي نالها، وستظل ذكراه دائماً في قلبه، ليس هو فحسب، بل كل من قاتل معهم، كل وريث للغبراء تلاشى، والآن إيلهاب يقف وحيداً على قمة الكون، هو الوحيد الذي تبقى من ورثة الغبراء، هو الوحيد الشاهد على قصصهم وتضحياتهم، لعلها قصص منسية أو خرافات بلا طائل، لكن سيظل يقصّها لكل من يملك وجداناً ينبض، وروحاً تسمع، لتكن قرون أو ألفيات، لا يهم، فذات يوم سيصل صوته لمن يجيب، لتُنقش قصصهم على الصخر، لتُخطّ على السطر، فهم لن يندثروا هباءً، فهم ورثة الغبراء.

خاتمة

في زمان منسي أو مُتناسى،
قصص لم تُنقش في الصخر أو تُحُط على السطر،
دهور فُقدت بين فصول الأعوام المديدة،
لأرواح أشعلت الأرض بضياؤها،
ورثة للغبراء من أجلها افتدوا.

احترقوا لرماد،
تلاشوا لخلاء،
سكنوا الأرض كما حُتم.



9 786038 593677



adabarabic7



services_book



servicesbook1



www.adab-book.com

